موسوعة
الخطب المنبرية

سلسلة تحكى سيرة الرسول وقصص الأنبياء و الصحابة و التابعين

مواقف مؤثرة ... وعظات بالغة ... ودروس مستفادة

لا غنى عنه للوعاظ و الدعاة و الخطباء



لتحميل أنواع الكتب راجع: (مُنتَدى إقرَأ الثقافِي)

براي دانلود كتابهاى مختلف مراجعه: (منتدى اقرأ الثقافى)

بۆدابەزاندنی جۆرەها کتێب:سەردانی: (مُنتَدى إقرَأ الثقافِي)

www. Iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

للكتب (كوردى , عربي , فارسي)

موسوعة



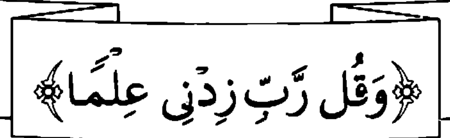
سلسلة تحكي سيرة الرسول وقصص الأنبياء والصحابة والتابعين
مواقف مؤثرة... وعظات بالغة... ودروس مستفادة
لا غنى عنه للوعاظ والدعاة والخطباء

سعد يوسف أبو عزيز

المجلد الثالث

دار التوفيقية للتراث





حقوق الطبع محفوظة

لدار التوفيقية للتراث

للطبع والنشر والتوزيع

الكتـــاب: **موسوعة الخطب المنبرية**
(الجزء الثالث)

المؤلــــف: **سعد يوسف أبو عزيز**

النــــاشر : **دار التوفيقية للتراث**

رقم الإيداع: **٢٠٠٩/١٥١٨٦**

دار التوفيقية للتراث

---

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة

تليفون: ٢٥١٠٥٦٦٢

الخطبة الثانية والعشرون بعد المائة:

مَنْ هُمْ أَهْلُ البَيْتِ؟

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فبداية من هذه الخطبة وما يليها من خُطب نبدأ - إن شاء الله تَعَالَى - في سلسلة تحكي قصص أهل بَيْتِ النَّبيِّ ﷺ ونُبيِّن مكانتهم، والدروس المستفادة من حياتهم.

وأسأل الله تَعَالَى التوفيق.

عباد الله...

مَن هُمْ أهْلُ البَيْتِ؟

اختلف العلماء في تحديد آل النَّبيِّ ﷺ عَلَى أربعة أقوال:

القول الأول: أن آل النَّبيّ ﷺ هم الذين حُرِّمت عليهم الصدقة:

وقَدْ نصّ عَلَى ذَلِكَ أبو حنيفة، والشافعي، وأحمد، وبعض المالكية.

وأدلة أصحاب هذا القول:

١- ما رواه البُخاريُّ ومُسلم مِن حديث أبي هُريرة رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُؤْتَى بِالتَّمْرِ عِنْدَ صِرَامِ النَّخْلِ فَيَجِيءُ هَذَا بِتَمْرِهِ وَهَذَا مِنْ تَمْرِهِ حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَهُ كَوْمًا مِنْ تَمْرٍ، فَجَعَلَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَلْعَبَانِ بِذَلِكَ التَّمْرِ فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا تَمْرَةً فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ فَقَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ**»[(١)].

٢- ما رواه مسلم في «صحيحه» عن زيد بن أرقم قَالَ: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطِيبًا فِينَا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا[(٢)] بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأُجِيبُ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**».

فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟

قَالَ: إِنَّ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ.

قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ.

قَالَ: أَكُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ»[(٣)].

٣- ما في الصحيحين من حديث الزهري عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا: أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا

---

(١) رواه البخاري (١٤٨٥).

(٢) واد بين مكة والمدينة عند الجحفة.

(٣) رواه مسلم (٢٤٠٨).

أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكٍ وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ - يَعْنِي مَالَ اللَّهِ - لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكَلِ**»[١].

٤ - ما رواه مسلم من حديث ابن شهاب، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ الْهَاشِمِيِّ: «أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنَ رَبِيعَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ رَبِيعَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَالْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَا لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ وَلِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ: ائْتِيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقولا له استعملنا يا رسول الله عَلَى الصدقات،... وذكر الْحَدِيثَ، وَفيه قَالَ لَنَا: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ**»[٢].

قَالَ الحليميّ: «ومعلوم أن صدقات المسلمين موضوعة منهم غير مخرجة إلى غير أهل دينهم، فبان أَنَّهُ أراد بالآلِ قرابته خاصّة» ا.هـ[٣].

القول الثاني: أن آل النبيّ ﷺ هم ذريته وأزواجه خاصّة.

حكاه ابن عبد البرّ في «التمهيد» وبه قَالَ ابن العربي، وعند الإمام أحمد روايتان، والصحيح: دخول زوجاته في أهل بيته، واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية[٤].

وأدلة أصحاب هذا القول:

١ - ما جاء في الصحيحين من حديث أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[٥].

فقالوا: إن هذا الحديث يفسّر حديث: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمد وعلى آل محمد**»[٦].

---

(١) رواه البخاري (٣٧١١)، ومسلم (١٧٥٩).
(٢) رواه مسلم (١٠٧٢).
(٣) «المنهاج في شعب الإيمان» (٢/ ١٣٧).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٦١).
(٥) أخرجه البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).
(٦) أخرجه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (١٠٥٥).

وبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته[١].

٢- ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله تَعَالَى عنها قالت: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزٍ مَأْدُومٍ ثَلَاثَ أَيَّامٍ، حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[٢].

ومعلوم أن العباس وأولاده وبني المطلب لم يدخلوا في لفظ عائشة ولا مرادها[٣].

٣- ومِمَّا يدلّ عَلَى أن آله صلى الله عليه وسلم: زوجاته وذريته، قوله تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، لأن ما قبل الآية وما بعدها في الزوجات، فأشعر ذلك بإرادتهن وأشعر تذكير المخاطبين بها بإرادة غيرهن[٤]. فدخلن في أهل البيت، فلا يجوز إخراجهن من شيء منه[٥].

قال البيهقي: وإنما قال ﴿**عَنكُمُ**﴾ بلفظ الذكور، لأنه أراد دخول غيرهن معهنّ في ذلك، ثم أضاف «البيوت» إليهنّ فقال: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾[٦] [الأحزاب: ٣٤].

وقال ابن كثير - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية: «إنها نصّ في دخول أزواج النَّبيّ ﷺ في أهل البيت هنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولًا واحدًا، إما وحده عَلَى قول أو مع غيره عَلَى الصحيح...

إلى أن قال: «ثم الذي لا يشك من تدبّر القرآن أن نساء النَّبيّ ﷺ داخلات في قول الله تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ فإن سياق الكلام معهنّ». ا.هـ.

القول الثالث: أن آله ﷺ هم: أتباعه إلى يوم القيامة.

روى ذَلِكَ البيهقي عن جابر بن عبد الله، كما روي عن سفيان الثوري، وبه قَالَ

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ١٦٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٥٤).
(٣) «جلاء الأفهام» (١١٣).
(٤) «نيل الأوطار» للشوكاني (٢/ ٢٩٠).
(٥) «جلاء الأفهام» (١١٤).
(٦) «السنن الكبرى» (٢/ ١٥٠).

بعض الشافعية واختاره الأزهريّ، ونصّ عَليه السفاريني في «لوامع الأنوار»، ورجحه النووي كما في «شرح صحيح مسلم»[١] والمرداوي في «الإنصاف»، وقال: هو عَلَى الصحيح من المذهب، واختاره القاضي وغيره من الأصحاب.

وأدلة أصحاب هذا القول:

١- قوله تَعَالَى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، والمراد جميع أتباعه[٢].

وقوله تَعَالَى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤]، فالمراد به أتباعه المؤمنين به من أقاربه وغيرهم.

وذلك إن آل المعظم أتباعه عَلَى دينه وأمره، قريبهم وبعيدهم[٣] وأن اشتقاق هذه اللفظة تدل عليه، فإنه من «آل يؤول» إذا رجع، ومرجع الاتباع إلى متبوعهم؛ لأنه إمامهم وموئلهم، كما نص عَلَى ذلك أهل اللغة.

٢- بما جاء في الحديث أن وَاثِلَةَ بْنُ الأَسْقَعِ اللَّيْثِيُّ قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَأَجْلَسَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخِذِهِ، وَأَدْنَى فَاطِمَةَ رضي الله عنها مِنْ حِجْرِهِ وَزَوْجَهَا ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي». قَالَ وَاثِلَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ: «وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِي». قَالَ البيهقي: هذا إسنادٌ صحيح[٤].

ومعلوم أن واثلة من بني ليث بن بكر بن عبد مناة، فهو من أتباع النَّبيّ ﷺ.

القول الرابع: أن آله ﷺ هم: الأتقياء من أُمَّته.

حكاه القاضي حسين والراغب وغيرهم.

وأدلة أصحاب هذا القول:

١- بما رواه الطبراني من حديث نوح بن مريم عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن أنس ابن مالك قَالَ: سُئل رسول الله ﷺ مَن آل مُحَمَّد؟ فقال: «كُل تَقي»، وتلا النَّبيّ ﷺ:

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٤/ ٣٦٨).

(٢) «المجموع شرح المهذب» للنووي (٣/ ٤٦٦).

(٣) «جلاء الأفهام» (١١٤).

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ١٥٢).

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

قال الطبراني: لم يروه عن يحيى إلا نوح، تفرد به نعيم.

٢- واستدلوا أيضًا بحديث واثلة بن الأسقع المتقدّم، وقالوا: وتخصيص واثلة بذلك أقرب من تعميم الأمة به، وكأنه جعل واثلة في حكم الأهل تشبيهًا بمن يستحق هذا الاسم.

٣- قَالَ البيهقي: ويحتجّ لهم بقوله تَعَالى لنوح عليه السلام: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ [هود: ٤٠]، و﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]. فأخرجه بالشرك عن أن يكون من أهل نوح[١].

فعلم أن آل الرسول ﷺ أتباعه[٢].

قال الدكتور/ سليمان بن سالم بن رجاء السّحيمي في كتابه «العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط» بعد أن ذكر أدلة كل فريق:

«فهذه أقوال أهل العلم في تحديد آل البيت ومَن المراد بهم، والراجح والله أعلم أن آله ﷺ قرابته الذين حُرِّمت عليهم الصدقة، وزوجاته، وذريته رضي الله عنهم أجمعين.

١- وذلك أن النَّبيّ ﷺ قد رفع الشبهة بقوله: «**إن الصدقة لا تحل لآل محمد**»، وقوله: «**إنما يأكل محمد من هذا المال**»، وقوله: «**اللَّهُمَّ اجعل رزق آل محمد قوتًا**»، وهذا لا يجوز أن يُراد به عموم الأُمة قطعًا، فأول ما حمل عليه الآل في الصلاة: الآل المذكورين في سائر ألفاظه ولا يجوز العدول عن ذلك.

أما تنصيصه عَلَى الأزواج والذرية فلا يدل عَلَى اختصاص الآل بهم، بل هو حجة عَلَى عدم الاختصاص بهم، وذلكَ لما روى أبو داود والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عَنْهُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالمِكْيَالِ الأَوْفَى؟ إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ**

---

(١) «السنن الكبرى» (٢/ ١٥٢).

(٢) «جلاء الأفهام» لابن القيم (ص١١٥).

عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[١].

فجمع بين الأزواج والذريّة والأهل، وإنما نصّ عليهم بتعيينهم ليبين أنهم حقيقيون بالدخول في الآل، وأنهم ليسوا بخارجين منه، بل هم أحق مَن دخل فيه، وهذا كَنَظائره من عطف الخاص عَلَى العام، وعكسه تنبيهًا عَلَى شرفه وتخصيصه له بالذكر من النوع، لأنه مَن أفرد النوع بالدخول فيه[٢].

قال البيهقي بعد إيراده للحديث: «فكأنه ﷺ أفرد أزواجه وذريته بالذِّكر عَلَى وجه التأكيد، ثم رجع إلى التعميم ليدخل فيها غير الأزواج والذرية من أهل بيته صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين»[٣].

وقال الحليمي: وأما اسم أهل البيت فإنه للقرابة والأزواج معًا[٤].

وقال ابن حجر في هذا الحديث: فيحمل عَلَى أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ غيره، فالمراد بالآل: الأزواج، ومَن حُرِّمت عليهم الصدقة، ويدخل فيهم الذرية، وبذلك يجمع بين الأحاديث[٥].

٢- أن النَّبي ﷺ شرع في التشهد: السَّلام والصلاة، فشرع في السلام تسليم المصلى عَلَى الرسول ﷺ أولًا وعلى نفسه ثانيًا، وعلى سائر عباد الله الصالحين ثالثًا، وقد ثبت عن النَّبي ﷺ أنه قال: «إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَقَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[٦].

أما الصلاة فلم يشرعها إلا عليه وعلى آله فقط، فدلّ عَلَى أن آله هم أهله وأقاربه[٧].

---

(١) رواه أبو داود (٩٨٢).

(٢) «جلاء الأفهام» (١١٦).

(٣) «السنن الكبرى» (٢/ ١٥١).

(٤) «شعب الإيمان» (٢/ ٢٤٠).

(٥) «فتح الباري» (١١/ ١٠٦).

(٦) أخرجه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

(٧) «جلاء الأفهام» (١١٨).

٣- أنه قد جاء ما يمنع حمل الآل عَلَى جميع الأُمَّة، وذلك فيما رواه الإمامُ أحمد في «مسنده» من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، أَلَا وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ**»[1].

وفي رواية عند الترمذي من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ القَصْوَاءِ يَخْطُبُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي**»[2].

فإنه لو كان الآل جميع الأُمّة لكان المأمور بالتمسّك به والأمر المتمسّك به شيئًا واحدًا، وهذا باطل[3].

أما القول بأن: آله الأتقياء من أُمّته، فلا يصح أيضًا، وما استدلوا به لا تقوم به الحجة فالحديث الذي رواه الطبراني والذي جاء فيه: مَن آل محمد؟، فقال: «كل تقي»، رواه البيهقي من حديث نافع أبو هرمز عن أنس فذكره، وقال: هذا ضعيف لا يحل الاحتجاج به لأن أبا هرمز كذَّبه يحيى بن معين، وضعفه أحمد وغيره من الحفَّاظ.

وقال ابن تيمية عنه: وهذا الحديث موضوع لا أصل له[4].

وقال ابن القيم: ونوحٌ هذا ونافع أبو هرمز لا يُحتج بهما أحد من أهل العلم، وقد رميا بالكذب[5].

وقال الحافظ ابن حجر: سنده واهٍ جدًّا[6].

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٦٣): رواه أحمد بسند جيد.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٨٢)، وصححه الألباني.

(٣) «نيل الأوطار» (٢/ ٢٩٢).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٦٢).

(٥) «جلاء الأفهام» (١١٥).

(٦) «فتح الباري» (١١/ ١٦١).

وقال ابن حجر الهيتمي: ضعيف بالمرة[١].

أما استدلالهم بقصة نوح مع ابنه فقد أجاب عَلَى ذلك الشافعي رحمه الله بقوله: «إن المراد ليس من أهلك الذي أمرناك بحملهم، لأنه تَعَالى قال: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾ [هود: ٤٠]، فأعلمه أنه أمره لا يحمل من أهله مَن يسبق عليه القول من أهل معصيته بقوله: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦].

وقال ابن القيِّم: «ويدل عَلَى صحة هذا: أن سياق الآية يدل عَلَى أن المؤمنين قسمٌ غير أهله الذين هم أصله؛ لأنه قال سبحانه: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾ [هود: ٤٠]، فمن آمن معطوفٌ عَلَى المفعول بالحمل، وهم الأهل، والاثنان من كل زوجين»[٢].

فالأتقياء من أُمّته أولياؤه وليسوا آله، فقد يكون الرجل من آله وأوليائه كأهل بيته والمؤمنون به من أقاربه. وقد يكون من أوليائه وإن لم يكن من آله كخلفائه في أمته الداعين إلى سنته الذابين عنه الناصرين لدينه، وإن لم يكن من أقاربه. وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النَّبي ﷺ أَنَّهُ قال: «**إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**»[٣]. وجاء فيما رواه الإمامُ أحمد بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النّبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا**»[٤].

فأولياؤه المتقون بينه وبينهم قرابة الدِّين والإيمان والتقوى، وهذه القرابة أعظم من القرابة الطبيعية والقُرب بين القلوب والأرواح أعظم من القُرب بين الأبدان، فأولياؤه أعظم درجة من آله، وإن صلى عَلَى آله تبعًا له، لم يقض ذلك أن يكونوا أفضل من أوليائه الذين لم يصلّ عليهم، فالمفضول قد يختصّ بأمر ولا يلزم أن يكون أفضل من الفاضل[٥].

---

(١) «الصواعق المحرقة» (٢٢٤).
(٢) «جلاء الأفهام» (١١٦).
(٣) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).
(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٣٥)، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (٢٠٠٨).
(٥) «منهاج السنة» (٧/ ٧٨).

ولا ريب أنه قد يُطلق عَلَى الأتباع لفظ «الآل» في بعض المواضع ولكن بقرينة، ولا يلزم من ذلك أنه حيث وقع لفظ الآل يراد به الأتباع، لورود النصوص التي بينت المراد من آله ﷺ كما تقدّم، وذلك لما يترتب عَلَى تحديد ذلك من حقوق وواجبات ينفرد بها أهل البيت عَلَى مَن سواهم[1].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وإتمامًا للفائدة، فقد قال الإمامُ القُرطبيُّ - رَحِمَه الله - عند تفسيره لقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]: «والذي يظهر من الآية أنها عامّة في جميع أهل البيت وغيرهم، وإنَّما قَالَ: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ لأن رسول الله ﷺ وعليًّا وحسنًا وحُسَينًا كان فيهم، وإذا اجتمع المذكّر والمؤنّث غُلب المُذكر، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهنَّ، يدلّ عليه سياق الكلام، والله أعلم[2]. ا.هـ.

قلت: وهذا هو الرأي الراجح مع قول زيد بن أرقم، المتقدّم، والذي أضاف إليهن: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، والله أعلم.

اللَّهُمَّ إن نبيَّك ﷺ قَدْ قَالَ: «يُحشَرُ المرءُ مَع مَن أحَبَّ» ونحن نُشْهِدك يا ربَّنا أنَّا نُحِبُّ أهْلَ بَيْتِ نَبِيِّك ﷺ، فاحشُرنا معهم يا أرحَم الرَّاحمين، ويا أكرم الأكرمين.

آمين... آمين... آمين.

✿✿✿✿✿

---

(١) «العقيدة في أهل البيت» (٤٢ - ٤٦).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٦٦).

الخطبة الثالثة والعشرون بعد المائة:

فضائل أهل البيت

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن قصص أهل بَيتِ النَّبيِّ ﷺ.

ونتكلم اليوم - إن شاء الله تَعَالى - عن «**فضائل أهل البيت**» سائلًا المولى تبارك وتعالى أن يرزقنا حُبَّهم واتباعهم، آمين... آمين... آمين.

عباد الله:

وَرَدَ في فضائل أهل البَيتِ آيات وآحاديث وآثار كثيرة.

فمن الآيات:

(١) قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قَالَ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده[١] - رَحِمَهُ الله -: الرجس: القذر.

قَالَ ابن دُرَيد: رجل مَرجوس ورجسٌ: نَجِسٌ.

والرجس: العذاب، كالرِّجز.

ورجس الشيطان: وسوسته.

وقال الإمام الطبري -رَحِمَهُ الله تَعَالَى - في تفسيره لهذه الآية: «يقول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ أي: السوء والفحشاء يا أهل بيت مُحَمَّد، ويطهركم من الدّنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرًا.

وذكر بسنده عن سعيد عن قتادة - رَحِمَهُ الله - قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فهم أهل بيتٍ طهرهم الله من السوء، وخصَّهم برحمته منه.

وعن ابن وهب قال نقلًا عن ابن زيد، قال: الرجس هاهنا: الشيطان، وسوى ذلك من الرجس: الشرك.

(٢) وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قَالَ ابن كثير - رَحِمَهُ الله -: «والمقصود من هذه الآية: أن الله - سبحانه وتعالى- أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيِّه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يُثني عليه عند الملائكة المقرَّبين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا» ا.هـ[٢].

---

(١) إمام كبير من أئمة اللغة، وهو صاحب كتاب «الحكمة»، و«المخصص».

(٢) «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٩٠).

قلت: وقَدْ بيَّن لنا النَّبيُّ ﷺ كيف نُصلِّي عليه.

فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**»[١].

(٣) وقال تَعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران: ٦١].

في هَذِهِ الآية فضيلة عالية ومنقبة جليلة لأصحاب الكساء وهم فاطمة وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم، فقد روى مسلم في «صحيحه» من حديث سعد بن أبي وقاص قَالَ: لَـمَّا نزلت هَذِهِ الآية: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾ دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمةَ وحسنًا وحُسينًا فقال: «**اللَّهُمَّ هؤلاء أهلي**»[٢].

قَالَ ابن حجر الهيتمي: فعلم أنهم المراد من الآية، وأن أولاد فاطمة وذريتهم يسمّون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة[٣].

ومن السُّنَّة المطهَّرة:

(١) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّتِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ يَخْطُبُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي**»[٤].

(٢) وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا**

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٤).

(٣) «الصواعق المحرقة» (٢٤٠).

(٤) صحيح: «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٨٧)، و«المشكاة» (٦١٤٣).

إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنْ الآخَرِ كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا» [(١)].

(٣) وعن أُمّ سَلمة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة بنت النبيّ ﷺ إلى رسول الله ﷺ مُتَوكّئةً الحسن والحُسين في يدها بُرمةٌ[(٢)] للحسن، فيها سَخينٌ[(٣)]، حتى أتت بها النبيّ ﷺ، فلما وضعتها قُدَّامه قال لها: **«أين أبو الحسن؟»** قالت: في البيت. فدعاه، فجلس النبيّ ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحُسين يأكلون.

قالت أُم سلمة: وما سَامَني النبيّ ﷺ وما أكل طعامًا قطُّ إلا وأنا عنده إلا سامنيه قبل ذلك اليوم - تعني سامني: دعاني إليه - فلما فرغ التفّ عليهم بثوبه، ثم قال: **«اللَّهُمَّ عادِ مَن عاداهم ووالِ مَنْ والاهم»** [(٤)].

(٤) عن عليّ رضي الله عنه أنه دخل عَلَى النبيّ ﷺ وقد بسط شملة[(٥)] فجلس عليها هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أخذ النبي ﷺ بمجامعه فعقد عليهم ثم قال: **«اللَّهُمَّ ارضَ عنهم كما أنا عنهم راضٍ»** [(٦)].

(٥) عَنْ حُذَيْفَةَ بن أُسَيْدٍ الغِفَارِيِّ، قَالَ: لَمَّا صَدَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ حَجَّةِ الوَدَاعِ نَهَى أَصْحَابَهُ عَنْ شَجَرَاتٍ بِالبَطْحَاءِ مُتَقَارِبَاتٍ أَنْ يَنْزِلُوا تَحْتَهُنَّ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِنَّ فَقُمَّ مَا تَحْتَهُنَّ مِنَ الشَّوْكِ، وَعَمَدَ إِلَيْهِنَّ فَصَلَّى تَحْتَهُنَّ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ نَبَّأَنِيَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ أَنَّهُ لَمْ يُعَمَّرْ نَبِيٌّ إِلا نِصْفَ عُمْرِ الَّذِي يَلِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَإِنِّي لأَظُنُّ أَنِّي يُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَإِنِّي مَسْئُولٌ، وَإِنَّكُمْ مَسْئُولونَ، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟»** قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ

---

(١) **صحيح**: انظر «صحيح سنن الترمذي» (٢٩٨٠)، و«الصحيحة» (٤/ ٣٥٦، ٣٥٧).

(٢) **البُرمة**: القِدر.

(٣) **السخين**: الطعام الحار.

(٤) قال الهيثمي في «المجمع» (١٤٩٧١): رواه أبو يعلى، وإسناده جيد.

(٥) **الشملة**: كساء يتغطّى به ويتلفف فيه.

(٦) قال الهيثمي في «المجمع» (١٤٩٨٨): رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح غير عبيد بن طفيل، وهو ثقة كنيته: أبو سيدان.

بَلَّغْتَ وَجَاهَدْتَ وَنَصَحْتَ، فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا.

فَقَالَ: «**أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ جَنَّتَهُ حَقٌّ وَنَارَهُ حَقٌّ، وَأَنَّ المَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ البَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ ؟**» قَالُوا: بَلَى، نَشْهَدُ بِذَلِكَ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**».

ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ مَوْلايَ، وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهَذَا مَوْلاهُ - يَعْنِي عَلِيًّا - اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**».

ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَإِنَّكُمْ وارِدُونَ عَلَيَّ الحَوْضَ، حَوْضٌ أَعْرَضُ مَا بَيْنَ بُصْرَى وَصَنْعَاءَ، فِيهِ عَدَدُ النُّجُومِ قِدْحَانٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَإِنِّي سَائِلُكُمْ حِينَ تَرِدُونَ عَلَيَّ عَنِ الثَّقَلَيْنِ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا، الثِّقَلُ الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ لا تَضِلُّوا وَلا تَبَدَّلُوا، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، فَإِنَّهُ قد نَبَّأَنِيَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ أَنَّهُمَا لَنْ يَنْقَضِيَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ**»[1].

(٦) وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**يا بَني عبد المطّلب إنِّي سألت الله لكم ثلاثًا: أن يُثبِّت قائمكم، وأن يهدي ضالكم، وأن يُعلِّم جاهلكم، وسألت الله فيكم أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء، فلو أن رجلًا صفن[2] بين الرّكن والمقام فصَلَّى وصام ثم لَقِيَ الله وهو مبغض لأهلِ بيت مُحَمَّد دخل النَّار**»[3].

ومن الآثار:

فالآثار الواردة في احترام أهل البيت، والإشارة إلى مكانتهم وفضلهم، أكثر من أن تُحصى.

ويكفي أن نشير - هنا - إلى بعضها، وسيأتي المزيد في ثنايا حديثنا عن أهل البيتِ

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (١٤٩٦٦): رواه الطبراني، وفيه: زيد بن الحسن الأنماطي، قال أبو حاتم: منكر الحديث، وثقه ابن حبان، وبقية رجال الإسنادين ثقات.

(٢) صفن: أي قائم.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤٨، ١٤٩)، وقال: هذا حديث صحيح عَلَى شرط مسلم، ولم يخرجاه وأقرّه الذهبي.

إن شاء الله تَعَالى.

عن الشَّعبيِّ قَالَ: «ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه، فقال: لا تفعل يا ابن عَمِّ رسول الله ﷺ قَالَ: هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقال زيدٌ: أَنَّى بداك، فأخرج يديه فقبلهما، فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيِّنا ﷺ».

عباد الله...

هَذِهِ بعض الآيات والأحاديث والآثار الواردة في فضل أهل البيت، وهي كما رأيتم تشير إلى علوِّ مكانتهم، دون إفراط ولا تفريط.

رزقنا الله حُبَّهم، وجَعَلنا من أتباعهم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فقد كان أصحاب النَّبيّ ﷺ يحبّون أهل البَيتِ، ويصافونهم، ويعرفون لهم حقوقهم، بل ويقدِّمون حقوقهم عَلَى حقوق أنفسهم.

روى البخاري في «صحيحه» (١): أن أبا بكر رضي الله عنه قال لعليّ رضي الله عنه: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي».

وروى البخاريّ في «صحيحه» (٢) أيضًا: عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَالَ: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ».

قال ابن حجر في «شرحه»: «يُخاطب بذلك الناس ويوصيهم به، والمراقبة للشيء: المحافظة عليه، يقول: احفظوه فيكم، فلا تؤذوهم، ولا تسيئوا إليهم» ا.هـ.

---

(١) رقم (٣٧١٢).

(٢) رقم (٣٧١٣).

وروى البخاري أيضًا[1] عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ قَالَ: صَلَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَصْرَ ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي فَرَأَى الحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَقَالَ:

بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لَا شَبِيهٌ بِعَلِيِّ

وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ».

قال ابن حجر في «شرحه»: «قوله: «بأبي» فيه حذف تقديره: أفديه بأبي»، وقال أيضًا: «وفي الحديث فضل أبي بكر ومحبته لقرابة النبيّ ﷺ» ا.هـ.

وروى البخاري أيضًا[2] عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ﷺ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا» قَالَ: فَيُسْقَوْنَ.

والمراد بتوسّل عمر رضي الله عنه بالعبَّاس رضي الله عنه التوسّل بدعائه، كما جاء مُبيَّنًا في بعض الروايات.

عباد الله...

وفي الخطبة القادمة نواصل الحديث - إن شاء الله - عن أهل البَيْتِ، فإلى اللقاء.

✡✡✡✡✡

---

(١) رقم (٣٥٤٢).

(٢) رقم (١٠١٠)، (٣٧١٠).

الخطبة الرابعة والعشرون بعد المائة:

[أ] حقوق أهل البيت

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن «**أهل البَيتِ**».

ونتكلّم اليوم - إن شاء الله تَعَالَى - عن «**حقوق أهل البيت**». والله الموفق، لا إله غيره، ولا ربّ سواه.

عباد الله...

والحديث عن «**حقوق أهل البيت**» فيه مطلبان:

المطلب الأول: في الحقوق المعنوية.

المطلب الثاني: في الحقوق المالية.

والمطلب الأول هو مدار حديثنا اليوم إن شاء الله.

المطلب الأول: الحقوق المعنوية

وهذا المطلب يحتوي عَلَى الحقوق التالية:

الحق الأوّل: احترامهم ومحبتهم:

وذلك لمكانتهم من النَّبي ﷺ وإجلالًا لمحبته ﷺ إيَّاهم، فإذا كان من البرّ بعد الموت «**أن يَصِل الرجلُ وُدّ أبيه**» كما في الحديث الصحيح، فإن مِن أعلى أنواع البرّ أن نصل أهل بيت النَّبيّ بمحبتنا إياهم، وإجلال مقامهم، واحترام مكانهم، والاستغفار لهم، والترضّي عليهم.

وإذا كان ابن مسعود رَضِيَ الله عَنْهُ يقول بعد موت عمر رَضِيَ الله عَنْهُ: «لو أن عمر أحبَّ كلبًا، كان أحب الكلاب إليَّ» [(١)].

فهل يُعقل أن يكره مسلمٌ أحدًا من أهل بيت النبي ﷺ وهم أتقى النَّاس وأبرهم قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأخشاهم لله ؟!

اللَّهُمَّ ارزقنا حُبَّك، وحُبّ مَن ينفعنا حبُّه عندك.

روى مسلم في «صحيحه» عن زيد بن أرقم قَالَ: «قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا خَطِيبًا فِينَا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا[(٢)] بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأُجِيبُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي؛ أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**...» الحديث.

فهذا الحديث فيه الوصية بأهل البيت والتأكيد فيها عَلَى محبتهم وتوقيرهم

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (٨٨١٥): رواه الطبراني في «الكبير».

(٢) واد بين مكة والمدينة عند الجحفة.

وإعطائهم ما لهم من حقوق وأن في ذَلِكَ طاعة لرسوله ﷺ.

قَالَ النووي عند شرحه لهذا الحديث: «قَالَ العلماء: سُميا ثقلين لعظمهما، وكبر شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما» ا.هـ.

فاتباع القرآن واجبٌ عَلَى الأُمّة بل هو أصل الإيمان وهدى الله الذي بعث به رسوله، وكذلك أهل بيت النبي ﷺ تجب محبتهم وموالاتهم، ورعاية حقوقهم، وهذان الثقلان اللذان وصى بهما رسول الله ﷺ[1].

وقال الدكتور مُحَمَّد تقي الدِّين الهلالي: «فيؤخذ من الحديث الوصية لأهل بيته، والتأكيد فيها، ولا شك أن الله أطلعه عَلَى ما سيلقاه أهل بيته من أعدائهم بعده، ومع توكيد تلك الوصية فقد ضيعها المضيعون، اتخذوا أهل بيته غرضًا من بعده ونصبوا لهم العداوة ولم يراعوا فيهم إلًّا ولا ذمة، فقتلوهم تقتيلًا، وطاردوهم، وسيلقون جزاءهم في الآخرة بعد ما لقوه في الدنيا.

وقوله: «ثقلين» الثقل: متاع المسافر ليتركه وديعة حَتَّى يعود من سفره، والمقصود هنا: أن النبي ﷺ ترك أمرين وديعة عند أُمّته:

أحدهما: يتبع ويقتدى به ويحكم، وهو القول الفصل، وهو كتاب الله.

والثاني: يُكرّم ويراقب فيه عهده بعد وفاته، كما كان يراقب فيه في حياته، وهم أهل بيته[2].

عباد الله...

وهذه مواقف من أحوال الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم من أهل البيت:

- قَالَ ابن إسحاق: حدثني مساور السعديُّ، قَالَ: رأيت أبا هريرة قائمًا عَلَى مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن يبكي، وينادي بأعلى صوته: «يا أَيُّهَا النَّاس، مات حبُّ رسول الله فابكوا»[3].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٩١).

(٢) «الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق» (١١٣).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٧٧).

- عن الحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: صعدتُ المنبر إلى عمر، فقلت: انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك[١]. فقال: إن أبي لم يكن له منبر، فأقعدني معه، فلما نزل قَالَ: أي بُني، مَن علمَك هذا؟ قلتُ: ما علّمنيه أحد. قَالَ: أي بني وهل أنبت عَلَى رءوسنا الشَّعر إلا الله ثم أنتم، ووضع يده عَلَى رأسه وقال: أي بني، لو جعلت تأتينا وتغشانا[٢].
- عن الزهري: أن عمر رَضِيَ الله عَنْهُ كسا أبناء الصحابة، ولم يكن في ذلك ما يَصلُحُ للحسن والحُسين، فبعث إلى اليمن، فأُتي بكسوة لهما، فقال: الآن طابت نفسي[٣].

إن إجلال أهل البيت ومحبتهم يُعَدُّ إجلالًا لمقام النبوة الكريم:

- عن زر، عن عبد الله رَضِيَ الله عَنْهُ: رأيت رسول الله ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين، ويقول: «**هذان ابناي، فَمَنْ أحبَّهما فَقَدْ أحبني، ومن أبغضهما فَقَدْ أبغضني**»[٤].
- وعن المقبري قَالَ: كنا مع أبي هريرة فجاء الحسن بن علي رَضِيَ الله عَنْهُمَا فسلّم، فرد عليه القوم ومضى ومعنا أبو هريرة لا يعلم، فقيل له: هذا حسن بن عليّ يُسَلِّم، فلحقه فقال: وعليك يا سيدي. فقيل له: تقول يا سيدي؟ فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**إنه سَيِّدٌ**»[٥].
- ويقول الإمامُ الذهبيّ - رَحِمَهُ الله تَعَالى - في ترجمة «زين العابدين عليّ بن الحسين»: قيل: كان عليّ بن الحُسين إذا سار في المدينة عَلَى بغلته لم يقل لأحدٍ: الطريق، ويقول: هو مُشترَكٌ ليس لي أن أُنحّي عنه أحدًا، وكان له جلالةٌ عجيبة، وحُقّ له والله ذَلِكَ، فقد كان أهلًا للإمامة العُظمى لشرفه وسؤدُدِه وعِلمه وتألُّهه وكمال عقله.

قَدْ اشتهرت قصيدةُ الفرزدق - وهي سماعُنا - أن هشام بن عبد الملك (الخليفة)

---

(١) يقصد بأبيه هنا: النبي ﷺ، وكان الحسين غلامًا صغيرًا.

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١/ ١٤١)، وصححه الحافظ في «الإصابة» (١/ ٣٣٣).

(٣) «السير» (٣/ ٢٨٥).

(٤) **حسن**. قال الهيثمي: رواه البزار، وإسناده حسن. «المجمع» (٩/ ١٨٠) وحسنه الأرناؤوط «السير» (٣/ ٢٥٤).

(٥) رواه الطبراني، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٥٠٤٩): رجاله ثقات.

حَجَّ قُبيل ولايته الخلافة، فكان إذا أراد استلام الحَجَر زُوحم عليه، وإذا دنا عليٌّ بن الحُسين من الحَجَر تفرَّقوا عنه إجلالًا له، فوجم لها هشام وقال: من هذا؟ فما أعرفه، فأنشأ الفرزدق يقول:

هذا الذي تعرفُ البَطحاءُ وطأتَهُ والبيتُ يَعرِفُه والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خَيرِ عبادِ الله كلِّهم هذا التَّقيُّ النَّقيُّ الطَّاهر العَلَمُ
إذا رَأتهُ قُريشٌ قَالَ قائِلُها إلى مكارِم هذا يَنتهي الكَرَمُ
يكادُ يُمسِكُه عِرفانُ راحتِهِ رُكنَ الحَطيم إذا ما جاء يَستَلِمُ
يُغْضِي حياءً ويُغضَى مهابته فما يُكلَّمُ إلا حين يَبتَسِمُ
هذا ابن فاطمةٍ إن كُنتَ جاهِلَهُ بجدِّهِ أنبياءُ الله قَدْ خُتِمُوا[١]

وهي قصيدة طويلة.

قال: فأمر هشامٌ بحبس الفرزدق، فحُبس بُعسفان، وبعث إليه عليٌّ بن الحسين باثني عشر ألف درهم، وقال: اعذر أبا فراس.

فردها وقال: ما قلتُ ذَلِكَ إلا غضبًا لله ولرسوله.

فردَّها إليه وقال: بحقِّي عليك لما قَبلتها، فقد علم الله نيّتك ورأى مكانك، فقبلها.

وقال في هشام:

أيَحبسُني بين المدينة والتي إليها قلوبُ النَّاس يُهوي مُنيبها
يُقلِّب رأسًا لم يكن رأس سيِّدٍ وعَيْنَنْ حَولاوَين بادٍ عيوبُها

الحق الثاني: متابعتهم:

المحبَّة تُوجب الاتباع، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّـهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].
الاقتداء بهم في هديهم، وإخلاصهم.

يقول الشيخ محمد الغزالي: «أعرف موظفًا كبيرًا يُظهر حُبّ آل البيت، ويُمسك

---

(١) «ديوان الفرزدق» (٢/ ٨٤٨، ٨٤٩).

السبحة بيده ليُحصي عليها ما يُريد من أسماء وصلوات، إنه يحسب نفسه من الواصلين بإدمانه هذا اللون من العبادة، وتلك عنده مظاهر التقى الشديد، إلى جانب - طبعًا - أدائه للفروض المكتوبة فهو - فيما اعتقد - لا يقصِّر في أدائها.

وحدث يومًا أن أُقيم حفلٌ تبارى فيه الخطباء، وذكرت الصحف أسماء المتحدِّثين ونسيت أن تذكر اسم العاشق لآل البيت، وكاد الرجل يجن لما فاته من أسباب الرياء، وانكشفت خبيئته، وانكشفت معه خبيئة هذا النوع من التدين الذي لا يستكمل عناصر الإيمان الحق، ولا يُحسن فطام النفس من أخبث عللها، بل يدارى هذا النقص بتلاوة أذكار، أو إحصاء صلوات عَلَى رسول الله ﷺ .

ولو أنه قرأ القرآن كله، وهو يستبطن تلك العِلل ما أفاده شيئًا أن يتلو القرآن والسيرة معًا.

إن الله جل شأنه جعل الصراط المستقيم هو المَعْبر الفذّ لمن يبتغيه، وكل تقصير أو قصور في فهم هذا المنهج واستبانة مراحله - لا يدل عَلَى خير.

وكل عوض يشتغل المرء به عن المعالم التي وضعها الله لا يزيد صاحبه إلَّا خبالًا، وأي عاطفة لا يصحبها تفصيل صحيح لأصول الإسلام وفروعه، وعمل تام بها فليس لها عند الله وزن، وصدق العاطفة ليس عذرًا للخلط العلمي، ولا للقول في دين الله بالهوى والرأي، فإن للإسلام ينابيع معروفة محصورة تؤخذ أحكامه منها وحدها، ولا يؤذن لبشر بالتزيّد عليها، أو الانتقاص منها.

وقد توفر العلماء بعد جيل عَلَى خدمة هذه المصادر واحترام حدودها»[(١)].

فمتابعة أهل البيت في خَطوهم نحو الله عَلَى صراطه المستقيم هو الحبّ الصادق المقبول عند الله عَزَّ وَجَلَّ، أما حُب الدعاء مع ارتكاب المعاصي والبدع باسم حُب أهل البيت فجريمة عظمى.

عباد الله...

هذان حقَّان من حقوق أهل البيت علينا.

---

(١) «الجانب العاطفي من الإسلام» (٨، ٩).

وسيأتي المزيد بعد قليل إن شاء الله تَعَالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ومن حقوق أهل البيت «المعنوية» علينا:

الحق الثالث: الصَّلاة عليهم:

قال تَعَالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ الله تَعَالى- في تفسيره لهذه الآية - ما مختصره -: «قَالَ البُخاريُّ: قَالَ أَبُو العَالِيَةَ: صَلاَةُ الله: ثَنَاؤُهُ عليهِ عِنْدَ المَلاَئِكَةِ، وصَلاَةُ المَلاَئِكَةِ: الدُّعَاءُ. وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: يُصَلُّونَ: يُبَرِّكُونَ. هَكَذا عَلَّقَهُ البُخاريُّ عَنهُمَا.

وقَالَ غَيرُ واحِدٍ مِن أهلِ العِلمِ: صَلاَةُ الرَّبِّ: الرَّحمةُ، وصَلاَةُ الملائكةِ: الاستِغفَارُ، وَالمَقصودُ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ: أنَّ الله سُبحَانَهُ وتَعَالى أخبرَ عِبَادَهُ بِمَنزلَةِ عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ عِنْدَهُ في الملإِ الأعلى، بِأَنَّهُ يُثنِي عَلَيْهِ عِندَ المَلاَئِكَةِ المُقَرَّبِينَ، وأنَّ المَلاَئِكَةَ تُصَلِّي عليهِ. ثُمَّ أَمَرَ تَعَالى أَهْلَ العَالَمِ السُّفْلِيِّ بِالصَّلاةِ والتَّسليمِ عَلَيهِ، لِيَجتَمعَ الثَّناءُ عَلَيهِ مِنْ أَهْلِ العَالَمِينِ العُلوِيِّ والسُّفليِّ جَمِيعًا.

وَقَدْ جَاءَتِ الأَحَادِيثُ المُتَواتِرَةُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ بِالأمْرِ بِالصَّلَاةِ عَلَيهِ، وَكَيْفِيَّةِ الصَّلاةِ عَلَيهِ، وَنحَنُ نَذكُرُ مِنهَا إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالى مَا تَيسَّرَ، والله المُستَعَانُ.

عن كعب بن عُجْرَة قال: قيل: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عَرَفناهُ، فكَيفَ الصَّلاة؟ فقال: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آل إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

ومَعنَى قَولِهِم: أمَّا السَّلامُ عَلَيكَ، فَقَدْ عَرَفناهُ، هُو الذي في التَّشَهُّدِ الذِي كَانَ يُعَلِّمُهُم إيَّاهُ، كَمَا كَانَ يُعَلِّمُهُم السُّورةَ مِنَ القُرآنِ، وَفِيهِ: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ**»(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا السَّلام، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**»(٢).

وَمِنْ هَهُنَا ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ الله - إلى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى المُصَلِّي أنْ يُصَلِّي عَلَى رَسُولِ الله ﷺ في التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ، فَإِنْ تَرَكَهُ لَمْ تَصِحَّ صَلَاتُهُ. وقَدْ شَرَعَ بَعضُ المُتأخِّرِينَ مِن المَالِكيَّةِ وَغَيرِهِم يُشَنِّعُ عَلَى الإمَامِ الشَّافِعِيِّ في اشْتِرَاطِهِ ذَلِكَ في الصَّلاة، ويَزعُمُ أَنَّهُ قَدْ تَفَرَّدَ بِذَلِكَ، وحَكَى الإِجمَاعَ عَلَى خِلَافِهِ أَبُو جَعفَرٍ الطَّبَرِيُّ والطَّحَاوِيُّ والخَطَّابِيُّ وغَيرُهُم، فِيمَا نَقَلَهُ القَاضِي عِيَاضُ عَنْهُم. وقَدْ تَعَسَّفَ القَائِلُ في رَدِّهِ عَلَى الشَّافِعِيِّ، وتَكلَّفَ في دَعْوَاهُ الإِجْمَاعَ في ذَلِكَ، فَإِنَّهُ قَدْ رُوِّينَا وُجُوبَ ذَلِكَ وَالأَمْرَ بِالصَّلاةِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ في الصَّلاةِ كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الآيَةِ، ومُفَسَّرٌ بِهَذَا الحَدِيثِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ، وإليه ذَهَبَ الشَّافعيُّ، لَا خِلَافَ عَنْهُ في ذَلِكَ، وإليهِ ذَهَبَ الإمَامُ أحمدُ أخِيرًا، والصَّحِيحُ أَنَّهُ وَجهٌ، عَلَى أَنَّ الجُمهُورَ عَلَى خِلافِهِ، ولِلقَولِ بِوُجُوبِهِ ظَواهِرُ الحَدِيثِ، والله أعلَمُ.

وَالغَرَض أَنَّ الشَّافِعِيَّ - رَحِمَهُ الله - لِقَولِهِ بِوُجُوب الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ في الصَّلاة سَلَفٌ وَخَلَفٌ كما تَقَدَّم، وَلله الحمدُ والمِنَّةُ، فَلا إجْمَاعَ عَلَى خِلَافِهِ في هَذِهِ المَسْأَلةِ لا قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا، والله أعلَمُ.

ومِمَّا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ:

عَنْ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدْ اللهَ تَعَالَى وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجِلَ هَذَا**» ثُمَّ

---

(١) رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).

(٢) رواه البخاري (٤٧٩٨).

دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ»[١].

وقَدْ وَرَدَ الأمْرُ بالصَّلاةِ عَلَيه في أوقاتٍ كَثيرةٍ؛ فَمِنْهَا واجِبٌ، ومِنْهَا مُستَحَبٌّ عَلَى ما نُبَيِّنُهُ، فَمِنْهُ بَعْدَ النِّدَاءِ لِلصَّلاةِ.

عَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ مُؤَذِّنًا فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا لِي الوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ»[٢].

ومِنْ ذَلِكَ: عِندَ دُخُولِ المَسجدِ والخُرُوجِ مِنْهُ.

وأمَّا الصَّلاةُ عَليهِ ﷺ في الصَّلاةِ فَقَدْ قَدَّمنا الكَلَامَ عَلَيها في التَّشَهُّدِ الأخير، وأمَّا التَّشَهُّدُ الأوَّلُ فَلا تَجِب فيهِ قَولًا واحدًا، وهَل تُستَحَبُّ؟ عَلَى قَولَين للشَّافعيِّ.

وَمِنْ ذَلِكَ: الصَّلاَةُ عَلَيهِ ﷺ في صَلَاةِ الجِنَازَةِ، فإنَّ السُّنَّةَ أن يَقرأ في التَّكبيرَةِ الأُولى فَاتِحَةَ الكِتَابِ، وفي الثَّانيةِ أن يُصلِّيَ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، وفي الثَّالثةِ يَدعُو للمَيِّتِ، وفي الرَّابعةِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لا تَحرمنَا أجْرَهُ ولا تَفتِنَّا بَعدَهُ.

ومِن ذَلِكَ أنَّهُ يُستَحَبُّ خَتْمُ الدُّعَاءِ بالصَّلاةِ عَلَيهِ ﷺ.

ومِنْ ذَلِكَ: أنَّهُ يُستحَبُّ الإكثَارُ مِنَ الصَّلاةِ عَلَيهِ يَومَ الجُمُعةِ ولَيلةَ الجُمعةِ.

عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»، قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ - يَعني قَدْ بَلِيتَ - فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَن تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ»[٣].

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٦/ ١٨)، وأبو داود (٢/ ١٦٢)، وغيرهما.

(٢) رواه مسلم (٣٨٤).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٨)، وأبو داود (١٠٤٧) وغيرهما.

ويَجِبُ عَلَى الخَطِيبِ أن يُصَلِّي عَلَى النَّبيِّ ﷺ يومَ الجُمُعَةِ عَلَى المِنبَرِ في الخُطْبَتَين، ولا تَصِحُّ الخُطبتَانِ إلَّا بِذَلِكَ، لأنَّها عِبَادةٌ وذِكرُ الله شَرطٌ فيها، فَوَجبَ ذِكرُ الرَّسُولِ ﷺ فيها، كالأذَانِ والصَّلاةِ، هَذَا مَذهَبُ الشَّافعيِّ وأحمَدَ - رَحِمَهُمَا الله.

ومِن ذَلِكَ: أنَّهُ يُستَحَبُّ الصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَيهِ عِندَ زِيَارةِ قَبْرِهِ ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أيضًا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ**»[(٢)].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**»[(٣)].

وأمَّا الصَّلاة عَلَى غَير الأنبيَاء فإن كانت عَلَى سبيل التَّبعية كما تقدم في الحَديث: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ**» فَهَذَا جَائزٌ بالإجماع، وَإنما وَقَعَ النِّزَاعُ فيما إذا أفرَد غَير الأنبياء بالصَّلاة عَلَيهم، فقال قَائلون: يجُوز ذلك، واحتجوا بقول الله تَعَالَى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ**﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وبقولِهِ: ﴿**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**﴾ [البقرة: ١٥٧]، وبقوله: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ**﴾ [التوبة: ١٠٣]، وَبِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ**» فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**».

قَالَ الجُمهُورُ مِنَ العُلَماءِ: لا يَجُوزُ إفرَادُ غَيرِ الأنبيَاءِ بِالصَّلاةِ؛ لأنَّ هَذَا قَدْ صَارَ شِعَارًا للأنبيَاءِ إذَا ذُكِرُوا، فَلَا يُلحَقُ بِهِم غَيرُهُم، فَلَا يُقَالُ: قَالَ أَبُو بَكرٍ صَلَّى الله عليهِ وسلم، وقالَ عَلِيّ صَلَّى الله عليهِ وسلم، وإن كانَ المعنَى صَحِيحًا، كَمَا لا يُقَالُ: قَالَ مُحَمَّدٌ

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٢/ ٥٣٤).

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٧) وغيره.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٤٤١).

عَزَّ وجَلَّ، وإن كَانَ عَزِيزًا جَليلًا، لأنَّ هَذَا مِن شِعَارِ ذِكرِ الله عَزَّ وجَلَّ، وحَمَلُوا مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ عَلَى الدُّعاء لَهُم، ولِهَذَا لم يَثبت شِعَارٌ لآلِ آبي أوفَى، وهَذَا مَسلكٌ حَسَنٌ.

وقالَ آخرونَ: لا يَجُوزُ ذَلِكَ، لأنَّ الصَّلاةَ عَلَى غَيرِ الأنبياءِ قَدْ صَارَت مِنْ شِعَارِ أهل الأهْوَاءِ يُصَلُّونَ عَلَى مَن يَعتقِدُون فِيهم، فَلَا يُقتَدَى بِهِم فِي ذَلِكَ، والله أعلَمُ.

قال النَّوَويُّ: إذا صَلَّى علَى النَّبيِّ ﷺ فَليَجمَع بَيْنَ الصَّلاةِ والتَّسليم، فلا يَقتصِرُ عَلَى أحَدِهما، فَلَا يَقولُ: صَلَّى اللَّـهُ عَليه فقط، ولا عَليه السَّلام فَقَط، وهَذَا الذي قَالَهُ مُنتَزَعٌ مِن هَذِهِ الآيةِ الكَريمةِ، وهي قَولُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فَالأولَى أن يُقَال: صَلَّى الله عَليهِ وسَلَّمَ تَسليمًا». ا.هـ.

عباد الله...

وفي الخطبة القادمة نواصل الحديث عن أهل البيت- إن شاء الله تَعَالى - فإلى اللقاء.

۞۞۞۞۞

الخطبة الخامسة والعشرون بعد المائة:

[ب] حقوق أهل البيت

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن «**حقوق أهل البيت**».

وما زال الحديث موصولًا عن: «**المطلب الأول: في الحقوق المعنوية**».

وتكلمنا في الخطبة الماضية عن ثلاثة حقوق.

عباد الله...

والحق الرابع: الدِّفاع عنهم، والذَّودِ عن أعراضهم:

وهذا مقامٌ كريم، يؤجر المسلم عليه.

عن أنسٍ بن مالكٍ رضي الله عنه قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحُسين رضي الله عنه جعل ينكت بالقضيب ثناياه، ويقول: لقد كان - أحسبه قال - جميلًا، فقلتُ: والله لأسوءنك، إنِّي رأيت رسول الله ﷺ يَلثم حيثُ يقع قضيبك.

قال: فانقبض[1].

هذا، وما يحدث اليوم من بدع وآثام حول قبور الأولياء باسم «الموالد» أو «محبة أهل البيت»، يُعَدُّ مَعَرَّة، ومضرّة، ولا يليق باحترام أهل البيت، ولا بأولياء الله الصالحين، فمتى تزول هَذِهِ الآثام من حياة النَّاس؟!

ومن الذي خرج من هذه الموالد أقوم قِيلًا وأهدى سبيلًا؟!

يقول الشيخ مُحَمَّد الغزالي - رَحِمَهُ الله تَعَالى -: «وأول من أحدث الاحتفال بمولد النبيّ ﷺ الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع بمدينة أربل، ثم فشت هَذِهِ الموالد في شتى الأقطار وكثر قُصّادها، وافتنوا في تنميقها وإبرازها وملئها بما تهوى الأنفس، حَتَّى صارت كلمة «مولد» رمزًا عَلَى الفوضى والزياط والمساخر.

والتقرّب إلى الله بإقامة هَذِهِ الموالد عبادة لا أصل لها، بل إن من العصيان لله ورسوله اتخاذ مقابر الصالحين محورًا لهذه الحشود، ومثابة لهذه الأحفال، حَتَّى ولو كانت مبنية عَلَى القُربات المحصنة، فقد قَالَ رسول الله ﷺ: «**لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلَّوْا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ**».

وفي رواية عن سهيل بن أبي سهيل قَالَ: رآني الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني - وهو في بيت فاطمة يتعشّى - فقال: هلم إلى العشاء.

فقلتُ: لا أريد.

فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟

فقلت: سلمتُ عَلَى النبي ﷺ.

فقال: لذا دخلت المسجد؟ ثم قَالَ: إن رسول الله ﷺ قَالَ: «**لا تتخذوا بيتي عيدًا،**

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (١٥١٨٠): رواه البزار والطبراني بأسانيد ورجاله وثقوا.

ولا بيوتكم مقابر، وصلوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».

فإذا كان رسول الله ﷺ كَرِه أن يتخذ النَّاس قبره ساحة للأحفال، ومجمعًا للقصَّاد، فكيف بقبور غيره مِمَّن نعرف ولا نعرف؟!

عَلَى أن المساجد التي تشدّ إليها الرّحال وتبذل في بلوغها النفقات معروفة.

وهي كما أحصاها رسول الله ﷺ: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

ومكانة هَذِهِ المساجد لم تجئها من إحياء مولد بها، أو من تكريم مقبور فيها، بل جاءتها لمعانٍ خاصة، لا مجال لشرحها هنا.

فأولئك الذين يحسبون أنهم يرضون الله بإقامة موالد، لكبار الأولياء أو صغارهم، يرتبكون بدعًا سيئة، ويهيئون الفرصة لمعاص منكرة والحق أن الموالد من أخصب البيئات للمناكر الظاهرة والمستورة.

ففي ساحتها الواسعة ينتشر الرقعاء دون خجل، ويختلط النساء بالرجال في المأكل والمنام، وكثيرًا ما تقع جرائم الزنا واللواط، ويُدخن الحشيش، وتُسمع الأغاني والموسيقى الخليعة، وتختفي روح الجد وتقدير الأمور، لتحل مكانها قلة الاكتراث، وقبول الدنايا.

كما تختفي النظافة من المساجد، وتضطرب الأوقات والجماعات.

ودعك من أن الوافدين عَلَى هَذِهِ الساحات لهم عقائد غريبة، فربما ضَنّ أحدُهم عَلَى أُمّهُ بقروشٍ يبرها بها، في الوقت الذي يبسط يده بالنفقة هنا، إكرامًا لصاحب المولد، الذي لا يُـخيب قاصدًا، ولا يُرد طالبًا...

وبعض النَّاس يعتذر لهذه الموالد بأن فيها حلقات للذكر ودروسًا للعلم وتلاوة القرآن، وإطعامًا للفقراء والمساكين.

ولو خلت الموالد من الآثام التي سقناها آنفًا، لوجب تعطيلها أيضًا، لمظاهر التدين الفاسد التي تسودها.

فحلقات الذِّكر ضروب من الهوس وألوان الرقص الذي يَسْوَد له وجه الدِّين.

أما القرآن المتلو في هَذِهِ الساحات فما ينتفع به تال ولا سامع، إنه غناء مملوك النغم، يتصنع له بعض السامعين شيئًا من الإقبال، ريثما يفرغ منه.

وكذلك الوعظ في دروس الوعظ والإرشاد التي ينظمها الأزهر الآن يبغي بها تعليم الجماهير المحتشدة في هَذِهِ الموالد، تلك كلها محاولات عابثة وإهدار لقيمة الذِّكر الحكيم والحديث الشريف.

ولو افترضنا بعض الخير في هَذِهِ الأعمال، فإنها لا تُعدّ مبررًا لإقامة الموالد بعدما أوضحنا الشرور التي تكتنفها.

وقانون الشريعة في هذا، أن درء المفاسد مقدَّم عَلَى جلب المصالح.

قَالَ ابن حجر: «ألا ترى أن الشارع اكتفى من الخير بما تيسر؟ وفطم عَلَى جميع أنواع الشّر حيث قَالَ رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ**»، أي: أن الشر - وإن قل - لا يرخص في شيء منه، والخير يكتفى منه بما أمكن.

فكيف نفتح باب شرّ متيقّن لخير موهوم؟

ثم ما وعاء هذا الخير المزعوم.

عمل لم يفعله الرسول ﷺ ولا صحابته، ولا التابعون لهم بإحسان قرونًا طويلة.

وقَدْ انتهى شيخ الأزهر الأسبق الأستاذ/ مُحَمَّد مصطفى المراغي إلى هذا الحكم، أو إلى قريب منه حيث قَالَ: «وهناك أمور يعرض لها أن تكون بدعة، وألَّا تكون بدعة، مثلًا الاحتفال بمولد النبيّ ﷺ وبيوم الهجرة، وبالمحمل إذا فعلت هَذِهِ الأشياء عَلَى أنها عبادة وتدين، كانت بدعة بلا شبهة، لأنها إحداث عبادة لم تكن ولم يؤذن فيها.

أما إذا فعلت عَلَى سبيل العادة، وعلى أن الاحتفال بالهجرة وبمولده ﷺ إحياء لذكريات عزيزة، كانت سببًا للخير، وموجبة للشكر لتنبعث نفس المؤدى إلى التمسّك بالهدى وبالخلق الكريم، لم تكن بدعة، لأنه لم يقصد بها التدين، ولم يرد إحداث شيء في الدِّين.

لكن إذا حفّت هَذِهِ المحدثات - التي ليست بدعًا - بما هو بدعة وبما هو مخالف

للشريعة حُرِّمت، لما هو ملابس لها من البدع، ولما هو ملابس لها من المعاصي، وكل معصية فشت لا تُسمّى بدعة.

فجميع ما يقع في الأسواق والمجتمعات والمساجد، وكل ما أطلق النَّاس لأنفسهم فيه العنان، مِمَّا هو مخالف لقواعد الشريعة لا يسمى بدعة، وإنَّما هو معاص ومحرّمات.

وملاحظة ضوابط البدعة يساعد كثيرًا عَلَى معرفتها.

وقَدْ قلنا: إن أهم الميزات والخواص أن يحدث الشيء عَلَى أَنَّهُ دين يتعبّد به، وعلى أن يقصد فاعله التعبد والتدين والتقرّب به إلى الله سبحانه» ا.هـ.

نقول: ولا شك أن الذين يحتفلون بالموالد المختلفة، وينفقون فيها كرائم أموالهم، ويتجشمون مشاق السَّفر إلى العواصم البعيدة، للمشاركة في إحيائها إنَّما يفعلون ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ قُربى إلى الله، وتكفير للسيئات، ورفعة في الدرجات.

ومن ثم فنحن نميل إلى تعميم الحكم عَلَى هَذِهِ الموالد جميعًا، ووصفها بأنها مبتدعات تُرفض، ولا يعتذر لها.

ومن الوسائل التي يلجأ إليها حُكام الجور، لصرف النَّاس عن ملاحقتهم بالنقد، تضخيم الأحداث التافهة وحَوك الأساطير حَولها، ثم إشاعتها بين العوام وأشباههم، ليتلهوا بها زمنًا، فإذا فرغوا منها لوحقوا بغيرها، وهكذا دواليك، حَتَّى يستقر للحكام أمرهم دون نكير.

ولعل هذا هو السّر في تطويل قصة «عنترة بن شداد» قديمًا، فبلغت أجزاؤها نيفًا وستين كتابًا.

وكذلك «ألف ليلة وليلة» وما شاكل هَذِهِ الموسوعات الخرافية.

والصحف في عصرنا هذا، حين توجه إلى إماتة بعض القضايا الكبرى تبرز بدلًا منها بعض مآسي الغرام الحرام، وتتفنن في سرد فصوله الدقيقة.

وأحسب أن تنقل الجماهير المغفلة من مزار إلى مزار، وإخراجهم من حفل لإدخالهم في حفل، وجعل حياة الأمة سلسلة من هَذِهِ الملاهي الموصولة - أحسب أن ذَلِكَ كان غاية منشودة لبعض الحكام السابقين، وأن بدعة الموالد كانت وسيلة ناجحة

لبلوغ هذا الهدف.

وهل يبقى لأمة ما وقتٌ أو جهد للحق والعلا بعدما استهلكت المساخر وقتها وجدها؟!

إن إلغاء الموالد ضرورة دينية ودنيوية.

وإلى جانب الموالد المبتدعة، والمواسم المبتدعة أيضًا، فهذه من تلك، تكملة لحلقة المخترعات الدينية التي يُقبل عليها العوام وينفسون فيها عن أهوائهم.

والإسلام لم يشرع إلا أعيادًا ثلاثة: عيدي الفطر والأضحى، ويوم الجمعة من كل أسبوع.

أما اليوم فقد اختلفت أعياد ومواسم شتى، وربطت بها تقاليد كثيرة، من ذَلِكَ: يوم عاشوراء، والمسلمون فيه قسمان:

الشيعة: وشغلهم يومئذٍ أن يضربوا أنفسهم بما يصل إلى أيديهم، حزنًا عَلَى مقتل الحسين.

وأهل السنة[1]: والأمر بينهم بالعكس، فهم يصنعون الولائم ويكثرون الأطعمة والحلوى.

وصنيع هؤلاء وأولئك - عَلَى ما ينطق به من فرقة وهوس - لا أصل له في الإسلام.

وهكذا انتظم الاحتفال بليلة المولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، ورأس السنة الهجرية.

وقَدْ حددت لهذه الاحتفالات تواريخ كيفما اتفق، وجعل البذل فيها من مظاهر التدين، وأحياها العوام والخواص بمزيد من الكلام والطعام.

وهكذا تكون نصرة الإسلام.

ثم زادت أحوال المسلمين اضطرابًا وغلبت التقاليد الصليبية عَلَى أعيادهم، فحلّ

---

(١) يقصد المتسبين إلى أهل السنة، وإلا فأهل السنة بريئون من هذه الأفعال.

يوم الأحد مكان الجمعة!!

والعواصم الكبرى التي زرتُها تعطل المتاجر والمصانع يوم الأحد، وتمنح عمالها فيه الفرصة المفروضة في الأسبوع للراحة والتجمل والفراغ.

مع أن رسول الله ﷺ يقول: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ**»[١].

وثبت أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «**فِي الجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ** وهو قائم **يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**» وأشار بيده يقلل تلك الساعة[٢].

إن المدن الكبرى - في هَذِهِ الأيام - تكاد تختفي حركتها يوم الأحد لما يسود محال العمل من عطل، أما يوم الجمعة فلا مكان فيه لتعطل عامل، أو فراغ كاسب، أو راحة راغب.

وغلبة العادات الفرنجية، وما يصاحبها من تقاليد، أخذت في الظهور، وانخلاع المسلمين عن مقومات دينهم ودنياهم أمام الغزو التبشيري مِمَّا تحذر عواقبه.

وخصوصًا أن بعض المائعين يحسب مرونة الإسلام في معاملة المخالفين له تعني احترام أباطيلهم والمشاركة في الاحتفال بها - ولو بالصمت - مع أن ذَلِكَ منهيٌّ عنه.

ففي الأثر عن عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ تَعَلَّمُوا رَطَانَةَ الأَعَاجِمِ، وَلاَ تَدْخُلُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي كَنَائِسِهِمْ يَوْمَ عِيدِهِمْ فَإِنَّ السُّخْطَةَ تَنْزِلُ عَلَيْهِمْ»، أي: تعلم التقليد والذوبان، وهذا منهيٌّ عنه، لا يعني أَلَّا نتعلم اللغات الأخرى، فإن تعلمها ثابت بالنص.

ولا يعني أن نجرح مشاعر أهل الذّمة، فالفرق واضح بين المشاركة في الباطل وترك النَّاس في حرياتهم، يعتقدون ما يشاءون.

إنَّما المقصود أن تبقى شخصيتنا واضحة وشاراتنا بارزة، ودلائل إسلامنا شائعة في مجالي حياتنا العامة والخاصة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم، «الترغيب» (١٠٤٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري ومسلم وغيرهما، «الترغيب» (١٠٥٢).

أما تقليد الميوعة والانحلال، وتشبه التبعية والعجز فهو أول الكفر والانهيار» ا.هـ[(١)].

عباد الله...

وللحديث بقية، ستأتي بعد قليل، إن شاء الله تَعَالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فالموالد - كما مرّ بنا - ليست دليلًا عَلَى حُبّ النبيّ ﷺ وآل بيته، بل هي وكرٌ للموبقات ودعوة لانتشار البدع.

وها هو أحد أئمة التصوّف المعاصرين يضمّ صوته لأصوات المنكرين لما يحدث في هذه الموالد.

ها هو الشيخ محمد زكي إبراهيم، رائد العشيرة المحمديّة -رَحِمَهُ الله- يقول في كتابه «التصوف بعض ما له، وما عليه» (٤٩، ٥٠): «أما ما يحيط بالموالد من منكرات جعلتها مجالًا خصبًا للمرتزقة والنصابين، فقد قرنا أن الموالد بوضعها الحالي فيها المشروع والممنوع، وقد أصبح الممنوع فيها غالبًا عَلَى المشروع للأسف الشديد، فمثلًا قراءة القرآن ومجالس العبادة وحلق العلم وانتشار الصدقات وما يكون بين الناس من التعارف والتآلف والتعاطف، كل ذلك لا ينكرها عقل ولا دين.

ولكن بجوار هذا الخير شرّ موبق وعبادة محرّفة، وتجمعات منكرة، ولصوصية أعراض ولصوصية أموال ومراتع فسوق وبؤرات مَيسر ومستنقعات تخريف وتحريف وشعوذة وتفاخر وتكاثر بالاتباع والأموال، والمظاهر، وضياع أي ضياع للأموال،

(١) «ليس من الإسلام» للشيخ الغزالي (٢٤٠ - ٢٤٦).

والأوقات والأخلاق والطاعات.

إن هذه الموالد يمكن أن تصبح أسواقًا للثقافة الربانية[١]، أما والحال عَلَى هذا المنوال فخسارة ووبال وليس بعد الحق إلا الضلال».

وسُئل -رَحِمَهُ الله - عن حُكم المواكب الصوفية، وما يكون فيها من الرقص والدفوف والصاجات؟

فأجاب: «أما الطبل والزمر والرقص وما يليه من الدفوف والصاجات فقد أوضحنا فيما قدَّمنا حكم تحريمه باتفاق كعبادة، فهو لَهْوٌ باطل وعبث ليس من الدِّين ولا هو من شأن الرجال»[٢].

وسُئل -رَحِمَهُ الله - عن استخدام الرقص والطبل والزمر والغناء - فيما يسمى حلقات الذِّكر؟

فأجاب: «فأما استخدام الرقص والطبل والزمر والغناء - فيما يسمى حلقات الذكر - فليس من دين الله (قولًا واحدًا) سواء عند أئمة الصوفية أو غير الصوفية، وإنما هو من الدخيل والدسيس الذي يتسلل إلى التصوف فأفسده وأساء إليه».

ينقل الشيخ ابن الحاج في «مدخل الشرع الشريف» قلنا: وقد عاب الله نحو ذلك عَلَى المشركين من قبل، فقال: ﴿**وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾ [الأنفال: ٣٥]، يعني: تصفيرًا وتصفيقًا.

وهما من لوازم الطبل والزمر، والرقص.

إن الرقص والطبل والزمر لاشك هو لهوٌ ولعبٌ، فإذا اتخذناه دينًا كان افتراءً عَلَى الله، وهو تَعَالى يقول: ﴿**وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا**﴾ [الأنعام: ٧٠].

والله لا يأمر بترك شيء هو قُربة إليه، فإذا كرر الأمر[٣] كان معنى هذا أنه شيء نغضب له غضبًا مضاعفًا لما فيه من تعدٍّ عن حدوده تَعَالى وعلى حدوده.

---

(١) لم يرد دليل عَلَى مشروعية هذه الموالد، فتنبّه.

(٢) ص (٥١).

(٣) كرر الأمر في سورة الأعراف: ﴿ **الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا** ﴾ [الأعراف: ٥١].

يقول شاعر الصوفية:

يا عصبة ما ضر أمة أحمد وسعى عَلَى إفسادها إلا هي

طار ومزمار ونغمة شادن أتكون قطّ عبادة بملاهي؟

وإنما يُعبد الله بما شرع، وفيما شرع سعة وكفاية ومتعة روحية بغير حدود، والعبادة جدّ كلها، وهو تَعَالى يقول: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَـهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْـحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٧، ١٨].

ومن شاء لهوًا مباحًا فليبتعد به عن العبادة وعن التصوف» ا.هـ[١].

عباد الله...

هذا هو قول أحد أئمة التصوّف المعاصرين، فماذا بعد الحقِّ إلَّا الضلال؟!

اللَّهُمَّ أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا علينا فَنَضِلّ.

آمين... آمين... آمين

۞۞۞۞۞

(١) «التصوف بعض ما له وما عليه» (٣٧، ٣٨).

الخطبة السادسة والعشرون بعد المائة:

[جـ] حقوق أهل البيت

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن «**حقوق أهل البيت**».

ونستكمل الحديث عن المطلب الأول: في الحقوق المعنوية، ثم نعرج إلى المطلب الثاني، إن شاء الله تَعَالَى.

عباد الله...

وقبل أن نتكلّم عن المطلب الثاني من حقوق أهل البيت.

نشير إلى ما ابتدع للأموات من بدع لم يعرفها السلف الأول، واتخذها الجهَّال دينًا

يتقربون بها إلى الله تَعَالَى.

من هَذِهِ البدع:

١- اتخاذ القبور عيدًا وموسمًا ومبيتًا وملعبًا للأطفال، وسوقًا للبيع والشراء في عطلات الأسبوع (الجمعة) وفي المواسم، كطلعة رجب والأعياد، بل نجد عند أضرحة أهل بيت رسول الله ﷺ - إذا صح وجودهم بها - تجد النَّاس وقَدْ أسموها «حرمًا»، وقَدْ جعلوا لكل وليّ ليلة فيها تقام حضرته، أضف إلى ذَلِكَ تبرج النسوة والصخب والشرك بسؤال الموتى ما لا يقدر عليه إلا الله، وقَدْ قَالَ بعض الصالحين: «إذا رأيتم أحدًا يأكل عند المقابر أو يضحك، فاعلموا أَنَّهُ مطموس القلب بعيد عن رحمة الله، لأنه عبث في موطن الخوف».

٢- النذر للمخلوق، وليًّا كان أو غير ولي، وهو حرام لعللٍ ثلاث:

(أ) أن النذر عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده.

(ب) أن الميت لا يملك شيئًا إلا ما قدَّم، فلا يصح أن يوجه إليه نَذرٌ يملكه بعد وفاته.

(جـ) اعتقاد الناذر أن للميت قدرة عَلَى التصرف في الكون من دون الله، فهذا كفر.

٣- الطواف حولها وتسميتها «حرمًا»، وعلى المسلم أن يعلم أن الطواف وقْف عَلَى بيت الله الحرام فقط، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]. ولا يصح الطواف حول غيره من الأضرحة تشبيهًا منهم لهذه الأضرحة بقِبلة الله رب العالمين.

٤- التقبيل والاستلام لها وتقبيل أعتابها، وهذا كله من الشرك والتعلّق بالماديات عَلَى حساب الروحانيات، وقَدْ يحتج مَن يفعل ذَلِكَ باستلام رسول الله ﷺ للحَجَر الأسود، وفي هذا أيضًا نقول: إن هَذِهِ خصوصية للحجر الأسود فقط، وقَدْ قَالَ عمر بن الخطاب: «والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يُقبّلك ما قبّلتك».

أترى هؤلاء الذين يُقبّلون الأضرحة والأعتاب أهدى من عمر بن الخطاب أشدّ تحققًا منه في دين الله ودرجات الإيمان، وما هو إلا الشيطان أراد أن يصدهم عن توحيد

الله وإفراده بالعبادة، وإني لأعجب من هؤلاء الذين يقبّلون الأعتاب والأخشاب ويظنون أنهم عَلَى الهدى، بل وتراهم من أشد المتحمسين لأفعالهم، وما أرى ذَلِكَ إِلَّا من حمية الشيطان للدفاع عن عادات وثنية هدمها الإسلام ويحييها هؤلاء[١].

وإني أسأل أحدهم: هل ثبت أن أبا بكر رَضِيَ الله عَنْهُ قَبَّل قَبر رسول الله ﷺ أو هل قَبَّل عُمَر قَبر رسول الله ﷺ وقَبر أبي بكر؟

فإنه إذا كان التمسّح محمودًا والتقبيل يورث البركة فلا شك في أن تقبيل قبر رسول الله ﷺ فيه أعظم البركات، ولكن هل يجدي هذا في عقول قَدْ تبدلت وران عَلَى قلوب أصحابها عادات مبتدعة وقيم هدمها الإسلام، ولكنا لا نملك إلا أن نسأل الله لهم الهداية، فاللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

إن عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عَنْهُ أمر بقطع شجرة الرضوان - التي بويع الرسول تحتها - حَتَّى لا يفتن النَّاس بها، وذلك لَـمَّا رأى النَّاس يقصدونها للتبرك، تعظيمًا لها، وهي الشجرة المذكورة في سورة الفتح: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّـهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح: ١٨].

٥- الكتابة عليها وتجصيصها ورفعها أعلى من شبر، ووضع القباب عليها، كل ذلك منهي عنه شرعًا.

٦- غرس الأشجار في القبور أو نصب الخيام عليها. وقد رأى عمر خيمة عَلَى قبر فسأل: لِمَ؟ قالوا: نظلله، فقال: دعوه، يظلله عمله.

٧- وضع الستور والكساوى والعمائم عَلَى الأضرحة، وهو فضلًا عن أنه إسراف ينهى عنه الشرع وزينة في مواطن العبرة؛ فإنه تعظيم للموتى لفتنة الأحياء، والأحياء الفقراء أولى ألف مرة من تجميد هذا المال.

٨- تقديم العرائض والشكاوى للأولياء، والله يعلم أن مَن مات فهو في شغل شاغل بآخرته، حيث قال تَعَالَى: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن**

---

(١) قال الإمام الغزالي -رَحِمَهُ الله- : إن المَسّ والتقبيل للمَشَاهد عادة النصارى واليهود. «الإحياء» (١/ ٢٧١).

تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، وقال تَعَالى: ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ** ﴾ [الأحقاف: ٥]، وقال تَعَالى: ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلًا** ﴾ [الإسراء: ٥٦].

٩- وضع الأضرحة والمقابر في المسجد، ورسول الله ﷺ يقول: «**لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» (١). وبناء المساجد عَلَى الأضرحة ألعن وأضل وأجرم، فكأنها لم تبن لله، بل لأجل مَن بداخل الضريح (٢).

١٠- السفر إليها، فعن أبي بصرة الغفاريّ أنه لقي أبا هريرة وهو جاءٍ، فقال: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من الطور، وصليت فيه، قال: أما إني لو أدركتك لم تذهب، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**» (٣).

١١- كسر عظامها والدليل قوله ﷺ: «**إن كسر عظم المؤمن ميتًا مثل كسره حيًا**» (٤) والحديث دليلٌ عَلَى تحريم كسر عظم الميت المؤمن، ولهذا جاء في كتب الحنابلة: «ويحرم قطع شيء من أطراف الميت، وإتلاف ذاته، وإحراقه، ولو أوصى به». كذا في «كشف القناع» (٢/ ١٢٧)، ونحو ذلك في سائر المذاهب.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) راجع «هذه دعوتنا» للشيخ عبد اللطيف مشتهري رَحِمَهُ الله.

(٣) «تلخيص أحكام الجنائز» للشيخ الألباني رَحِمَهُ الله. (ص٨٩).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود وغيره، وقال الألباني: وبعض طرقه صحيح عَلَى شرط مسلم. «أحكام الجنائز» (٢٣٣). وقال ابن القطان: «سنده حسن» كما في «المرقاة» (٢/ ٣٨٠).

عباد الله...

والمطلب الثاني: في الحقوق المالية(١)

ومن الحقوق المتعلّقة بأهل البيت والتي يجب مراعاتها إضافة إلى ما تقدَّم: أن الله قَدْ حرَّم عليهم الزكاة والصدقة كما جعل لهم حقًّا في الخُمس والفيء، وهذا ما سيتبين فيما يلي:

أولاً: تحريم الزكاة والصدقة عليهم:

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: المراد بالآل في الزكاة:

تقدَّم أن من آله صلى الله عليه وآله وسلم مَن حُرمت عليهم الصدقة وقَدْ اختلف العلماء في تحديدهم، ومَن المراد بهم إلى قولين:

(١) ذهب أبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية إلى أنهم: بنو هاشم فقط، وهم آل علي، وآل العباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبد المطلب، ولم يدخل فيهم أبو لهب فيجوز الدفع إلى بنيه؛ لأن حرمة الصدقة لبني هاشم كرامة من الله تَعَالَى لهم ولذريتهم، حيث نصروا النَّبي ﷺ في جاهليتهم وإسلامهم، أما أبو لهب فكان حريصًا عَلَى أذى رسول الله ﷺ فلم يستحقها بنوه.

وقال بعض علماء الحنابلة: «ويدخل فيهم آل أبي لهب لأنهم من سلالة بني هاشم».

قلت: كيف لا يدخلون وقَدْ أسلم من أبناء أبي لهب: عتبة، ومعتب، يوم الفتح وسُرَّ النبي ﷺ بإسلامهما ودعا لهما وشهدا معه حُنينًا والطائف، ولهم عقب عن أهل النسب.

(٢) ويرى الشافعي أنهم بنو هاشم وبنو المطلب. واستدل عَلَى ذَلِكَ بما يلي:

١- أن النَّبيّ ﷺ أعطى سهم ذوي القربى من الخُمس لبني هاشم وبني المطلب، ولم

---

(١) «العقيدة في أهل البيت» للسحيمي (١٤٥ - وما بعدها) باختصار شديد.

يعط أحدًا من قبائل قريش غيرهم.

٢- أن هذا الحكم بمنع الزكاة يتعلق بذوي القربى كاستحقاق الخُمس فوجب أن يستوي فيه الهاشمي والمطلبي.

المسألة الثانية: حكم دفع الزكاة إليهم:

اتفقت كلمة الفقهاء عَلَى أن الزكاة لا تحلّ لآل مُحَمَّد ﷺ إذا أعطوا حقهم من خُمس الخُمس كما لا تحل له ﷺ[١].

قَالَ ابن قدامة: ولا نعلم خلافًا في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة[٢].

وقال النووي: «إن الزكاة حرام عَلَى بني هاشم وبني المطلب بلا خلاف» ا.هـ[٣].

وقيل: تحرم عليهم صدقة التطوع، وتباح لهم الزكاة؛ لأن الواجب حق لازم لا يلحق بأخذه ذلة، بخلاف التطوع[٤].

وقَدْ روي عن أبي حنيفة وأبي يوسف أن زكاة الهاشميين تحل من بعضهم لبعض لا من غيرهم، وبه قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية[٥].

وذلك لأن موجب المنع هو رفع يد الأدنى عَلَى الأعلى، فأما الأعلى عَلَى مثله فلا[٦].

المسألة الثالثة: حكم دفع الزكاة إليهم في حال منعهم من خُمس الخُمس:

إذا لم يعطوا حقهم من خُمس الخُمس لخلو بيت المال من الفيء أو الغنيمة، أو لاستيلاء الظلمة واستبدادهم بها، فقد قَالَ بعض العلماء من المتقدمين والمتأخرين: أنهم

---

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (٣/ ٩١).

(٢) «المغني» (٤/ ١٠٩).

(٣) «المجموع شرح المهذب» (٦/ ٣٤٥)، ويعني بلا خلاف في المذهب، وذلك أن الآل عند الشافعية شامل لبني المطلب.

(٤) «فتح الباري» (٣/ ٣٥٤)، و«المنتقى» للباجي (٢/ ٥٣).

(٥) «الاختيارات» (١٠٤).

(٦) «فتح الباري» (٣/ ٣٥٤).

يعطون من الزكاة، وذلك لحديث: «**إن لكم في خُمس الخُمس ما يكفيكم - أو- يغنيكم**» (١).

فجعلوا الغنى عن الزكاة بخمس الخمس، فإذا عدم زال الغنى، فخُمس الخُمس عنة لاستغنائهم وشرط لمنعهم، فإذا زال الشرط انتفى المانع.

وقال بعض علماء الحنابلة: يجوز الأخذ من الزكاة إذا منعوا من خمس الخمس؛ لأنه محل حاجة وضرورة، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية.

المسألة الرابعة: حكم إعطاء موالي بني هاشم من الزكاة:

ذهب الجمهور إلى أنهم لا يعطون من الزكاة، واستدلوا بما روى ابن أبي رافع عن أبيه أن النبي ﷺ بعث رجلًا من بني مخزوم عَلَى الصدقة فقال لأبي رافع: اصحبني، فإنك تصيب منها، قَالَ: حَتَّى آتي النَّبي ﷺ فأسأله، فأتاه فسأله فقال: «**مولى القوم من أنفسهم، وإنَّا لا تحل لنا الصدقة**» (٢).

ثانيًا استحقاقهم من الخمس:

ومن الحقوق الواجبة لآل البيت: استحقاقهم لخُمس الخُمس، وهو المعروف بسهم ذوي القربى.

وهو ثابت بعد موت النبي ﷺ حيث ذكرهم الله في كتابه من ذوي السهام، فقال تَعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ [الأنفال: ٤١].

وقوله تَعالى: ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧].

وثبت في السُّنة أن النَّبيّ ﷺ كان يعطيهم، ففي الحديث الصحيح عن جُبير بن مُطعم قال: مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطَيْتَ

---

(١) قال ابن كثير: هذا حديث حسن الإسناد.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٦٥٠)، وغيره، وصححه الألباني.

بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ**».

قَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي يُونُسُ وَزَادَ: قَالَ جُبَيْرٌ: وَلَمْ يَقْسِمْ النَّبِيُّ ﷺ لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَلَا لِبَنِي نَوْفَلٍ.

وفي سنن أبي داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًا يَقُولُ: «وَلَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ خُمُسَ الخُمُسِ، فَوَضَعْتُهُ مَوَاضِعَهُ حَيَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحَيَاةَ أَبِي بَكْرٍ وَحَيَاةَ عُمَرَ، فَأُتِيَ بِمَالٍ فَدَعَانِي فَقَالَ: خُذْهُ، فَقُلْتُ: لَا أُرِيدُهُ، قَالَ: خُذْهُ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ، قُلْتُ: قَدْ اسْتَغْنَيْنَا عَنْهُ، فَجَعَلَهُ فِي بَيْتِ المَالِ».

قَالَ ابن حزم: فهذه الأخبار الصحاح البينة لا يعارضها ما لا يصح أو ما موه به فيما ليس فيه من شيء[1].

عباد الله....

هَذِهِ هي حقوق أهل البيت، فاجعلوها نُصب أعينكم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فمن المعلوم أنه لابد لكل ذي حق أن تتوافر فيه الشروط اللازمة لاستحقاقه، وهذه الحقوق التي تقدمت والتي تجب لآل البيت من حقوق معنوية أو مالية، لابد لها من شروط تتوافر في مستحقها وهي تتمثل في شرطين أساسيين:

(١) الإسلام.

(٢) ثبوت النسب.

---

(١) «المحلى» (٧/ ٣٢٩).

أما الإسلام: فلابد أن يكون مسلمًا، ولا يستحق الكافر تلك الحقوق ولو ثبت نسبه، ولذلك لم يعد أبو لهب ضمن آل البيت ولم يكم مستحقًا لتلك الحقوق بسبب كفره، فقد جاء الدعاء عليه بالحسرة والندامة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

قال ابن حزم عند ذكره لتقسيم الخمس: وسهم ثان لبني هاشم والمطلب ابني عبد مناف غنيهم وفقيرهم، وذكره وأنثاهم، وصغيرهم وكبيرهم، وصالحهم وطالحهم فيه سواء، ولاحظ فيه لمواليهم، ولا لأحد من خلق الله تَعَالَى سواهم ولا لكافر منهم[١].

فالكفر إذًا مانع من تلك الحقوق، كما يمنع من الميراث، والكافر يجب بغضه ومعاداته، فلا ولاية بين المسلم والكافر ولو كان قريبًا حميمًا.

الشرط الثاني: ثبوت النسب:

فمتى ثبت الانتساب إلى آل البيت مع الإسلام استحق ما لهم من حقوق.

ويتعين عَلَى هذا ترك الانتساب إليه ﷺ إلَّا بحق، وقد جاء الوعيد الشديد في مَن انتسب إلى غير أبيه أو ادَّعى قومًا ليس له فيهم نسب.

فقد جاء في الحديث الصحيح عن واثلة بن الأسقع قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ**».

وجاء عن أبي ذر رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ بالله، وَمَنْ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ نَسَب فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**»[٢].

ففي هذه الأحاديث الوعيد الشديد لمن انتسب إلى غير أبيه أو قومًا غير قومه، وتحريم الانتفاء من النسب المعروف والادعاء إلى غيره، وقيد ذلك بالعلم ولابد منه في

---

(١) «المحلّى» (٧/ ٧٢٣).

(٢) رواه البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (١١٢).

الحالتين إثباتًا أو نفيًا لأن الإثم يترتب عَلَى العالم بالشيء المتعمد له[١].

وقد ذكر القاضي عياض أنه روي عن مالك فيمن انتسب إلى بيت النَّبيّ ﷺ أنه يضرب ضربًا وجيعًا، ويشهّر، ويحبس طويلًا حتى تظهر توبته؛ لأنه استخفاف بحق الرسول ﷺ[٢].

ومع هذا فقد كثر في العصور المتأخرة الانتساب إلى آل البيت إما لمطامع دنيوية وطلب رفعة ومنزلة مكذوبة، أو من أجل الكيد للإسلام وأهله.

فالناظر في كتب الصوفية يجد أن كثيرًا من أرباب الطرق ينتسبون إلى آل البيت ليخدعوا الناس بتلك الدعوى، كما أن كتب الرافضة مليئة بذلك حيث اتخذوا آل البيت ستارًا لبث أفكارهم ومعتقداتهم.

وكما تقدَّم من أن الانتساب إلى آل البيت لا يكفي لوحده، ولو ثبت ذلك فإن الصوفية القائلة بوحدة الوجود أو أن الشريعة لها ظاهر وباطن، أو جواز الطواف عَلَى القبور والعكوف عندها، والرافضة القائلة بأن القرآن محرّف ومزيد فيه ومنقوص منه[٣]، وأن الصحابة جلهم قد ارتد عن الإسلام[٤]، وأن الأئمة معصومون[٥]، وغير ذلك من المعتقدات التي تنافي الإسلام كالقول بالرجعة، ونسبة البداء لله سبحانه وتعالى، فهؤلاء وأمثالهم لا حظّ لهم في الحقوق ولو صح انتسابهم إلى آل البيت، لعدم توافر الشرط اللازم لذلك، والله أعلم[٦].

عباد الله...

وفي الخطبة القادمة نواصل الحديث عن أهل البيت - إن شاء الله تَعَالى، فإلى اللقاء.

❁❁❁❁❁

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢/ ٤٠٩، ٤١٠).
(٢) «الشفا» (٢/ ١١١٣).
(٣) انظر «الكافي» للكُليني (٢/ ٦٣١).

الخطبة السابعة والعشرون بعد المائة:

المحبة المتبادلة بين أهل البيت والصحابة

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد كانت العلاقة بين أهل البيت وبين الصحابة علاقة أدب ومحبَّة ومودّة، والأدلة عَلَى ذلك أكثر من أن تُحصى.

عباد الله...

ومن الأدلة عَلَى ما تقدَّم:

روى البُخاريُّ عن عُقبة بن الحارث، قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه يحمل الحسن وهو يقول: «بأبي شبيه بالنبيّ، ليس شبيهًا بعليّ» وعليّ يضحك.

وقال الحافظ ابن كثير: وقَدْ كان الصِّدِّيق يجله - أي الحسن - ويعظمه ويكرمه ويحبه ويتفداه، وكذلك عمر بن الخطاب، وذلك أَنَّهُ لَـمَّا وضع الديوان بدأ بأهل بيت النبي ﷺ، لبيان فضلهم وعلوّ منزلتهم.

فقد روى الذهبي: أن عمر لَـمَّا دوّن الديوان، ألحق الحسن والحُسين بفريضة أبيهما، لقرابتهما من رسول الله، فرض لكل منهما خمسة آلاف درهم[١].

ومن المحبَّة التي كان يكنها عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عَنْهُ لابن عمّ رسول الله ابن عباس رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ كان يدخله في مجلس كبار الصحابة من مشيخة بدر رضي الله عنهم، وقَدْ كان لهم أبناء في سِنهِ ولم يحظ بهذا التكريم سواه، وفي هذا بيان لفضيلته ومكانته العلمية لدى الفاروق رضي الله عنهم أجمعين، فقد روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس قَالَ: «كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ، قَالَ: وَمَا رَأَيْتَهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ؟ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَدْرِي أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَكَذَاكَ تَقُولُ؟

قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟

قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

قَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»[٢].

قَالَ الحافظ ابن حجر: وأخرج البغوي في «معجم الصحابة» من طريق زيد بن أسلم عن ابن عمر قَالَ: كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول: إني رأيت رسول الله

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٥٩).

(٢) رواه البخاري (٤٢٩٤).

ﷺ دعاك يومًا فمسح رأسك وقال: «اللَّهُمَّ فقهه في الدِّين وعلّمه التأويل»[1].

ففعل عمر رَضِيَ الله عَنْهُ هذا تقريرًا لجلالة قدر ابن عباس وبيان كبير منزلته في العلم.

وقَدْ ذكر الحافظ ابن كثير أن عمر رَضِيَ الله عَنْهُ كان يقول: نِعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وكان يقول إذا أقبل: جاء فتى الكهول؛ وذو اللِّسان السئول، والقلب العقول[2].

بل قَدْ أقسم رَضِيَ الله عَنْهُ للعباس أن إسلامه أحب إليه من إسلام أبيه لو أسلم، لأن إسلام العباس أحب إلى رسول الله ﷺ[3].

وروى البخاري بإسناده إلى أبي يَعْلَى عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ».

وروى البخاري ومسلم بإسنادهما إلى ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «وُضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَحَسِبْتُ إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وَ«دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وَ«خَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ».

وفي ذَلِكَ دلالة واضحة عَلَى تفضيله رَضِيَ الله عَنْهُ لهما.

قَالَ ابن حجر: «وفي هذا الكلام أن عليًا كان لا يعتقد أن لأحد عملًا في ذَلِكَ الوقت أفضل من عمل عمر».ا.هـ[4].

---

(١) «فتح الباري» (١/ ١٧٠).

(٢) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٠٣).

(٣) «الصواعق المحرقة» لابن حجر الهيتمي (٣٥٥).

(٤) «فتح الباري» (٧/ ٤٨، ٤٩)، وانظر «العقيدة في أهل البيت» للسحيمي (١٦٨ - ١٧١)

عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ عَبْدِ خَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَامَ عَلِيٌّ فَقَالَ: «خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَإِنَّا قَدْ أَحْدَثْنَا بَعْدَهُمْ أَحْدَاثاً يَقْضِي اللهُ تَعَالَى فِيهَا مَا شَاءَ»(١).

قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ الله -: خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، كَمَا تَوَاتَرَ ذَلِكَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا، وَكَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ وَأَئِمَّةُ العِلْمِ وَالسُّنَّةِ(٢).

وقال أيضًا: وَرُوِيَ هذا عن عليّ بن أبي طالب مِنْ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِينَ وَجْهًا(٣).

بل ثبت عنه رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لا يفضلني أحد عَلَى أبي بكر وعمر إلا جلدته، حد المفتري»(٤).

فمن فضَّلَهُ عَلَى أبي بكر وعمر جُلد بمقتضى قوله رَضِيَ الله عَنْهُ ثمانين سوطًا(٥).

عباد الله...

ولقد ورد الثناء من آل البيت عَلَى عثمان رَضِيَ الله عَنْهُ حاله كحال صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهم.

فقد كان علي رَضِيَ الله عَنْهُ وآل البيت يجلونه ويعترفون بحقِّه، فكان أوَّل مَن بايعه بعد عبد الرحمن بن عوف علي بن أبي طالب(٦).

وعن قيس بن عبَّاد قَالَ: سمعت عليًّا رَضِيَ الله عَنْهُ وذكر عثمان فقال: هو رجلٌ قَالَ عنه رسول الله ﷺ: «أَلَا أَسْتَحْيِي مِمَّنْ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»(٧).

وكان رَضِيَ الله عَنْهُ طائعًا معترفًا بإمامته وخلافته، لا يعصي له أمر، فقد روى ابن

= باختصار شديد.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ١١٠)، و«السنة» لابن أبي عاصم (١٢٠٨).

(٢) «مجموع الرسائل والمسائل» (١/ ٤٦).

(٣) «منهاج السنة» (١/ ٣٠٨).

(٤) «الصارم المسلول» (٥٨٥).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٢٢).

(٦) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

(٧) أصله في «صحيح مسلم» (٢٤٠١).

بي شيبة بإسناده عن ابن الحنفية عن علي قَالَ: لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت[١].

والصرار: هو الخيط الذي تشدّ به التوادي عَلَى أطراف الناقة لئلا يرضعها ولدها، وفيه دليلٌ عَلَى مدى اتباعه وطاعته لعثمان رَضِيَ الله عَنْهُ.

ولما جمع عثمان رَضِيَ الله عَنْهُ النَّاس عَلَى قراءة واحدة، بعد استشارة الصحابة رضوان الله عليهم وإجماعهم عَلَى ذَلِكَ، قَالَ علي رَضِيَ الله عَنْهُ: «لو وليت الذي ولّي، لصنعت مثل الذي صنع»[٢].

كما كان عثمان رَضِيَ الله عَنْهُ يكرّم الحسن والحُسين ويُحبهما، فلما أحصر في الدَّار كان الحسن بن علي عنده ومعه السيف متلقدًا به يدافع عنه، فخشي عثمان رَضِيَ الله عَنْهُ عليه، فأقسم عليه ليرجعن إلى منزله تطييبًا لقلب علي، وخوفًا عليه رَضِيَ الله عَنْهُ[٣].

وقَدْ روى أحمد بسنده أن أبا قتادة ورجلًا آخر معه من الأنصار دخلا عَلَى عثمان وهو محصور، فاستأذناه في الحج فأذن لهما، ثم قالا: مع من نكون إن ظهر هؤلاء القوم؟ قَالَ: عليكم بالجماعة، قالا: أرأيت إن أصابك هؤلاء القوم، وكانت الجماعة فيهم، قَالَ: الزموا الجماعة حيث كانت، فخرجنا من عنده فلما بلغنا باب الدار لقينا الحسن بن علي داخلًا فرجعنا عَلَى إثر الحسن لننظر ما يرد، فلما دخل الحسن عليه قَالَ: يا أمير المؤمنين إنَّا طوع يدك فمرني بما شئت، فقال له عثمان: يا ابن أخي، ارجع فاجلس في بيتك حَتَّى يأتي الله بأمره، فلا حاجة لي في هراقة الدماء[٤].

وروى ابن أبي شيبة بإسناده إلى أبي قلابة قَالَ: جاء الحسن بن علي إلى عثمان فقال: اخترط سيفي، قَالَ: لا، أبرأ إلى الله إذًا من دمك، ولكن ثم[٥] سيفك وارجع إلى أبيك[٦].

---

(١) **إسناده صحيح**: «السنة» للخلال (١/ ٣٢٥)، وغيره.
(٢) رواه البيهقي في «السنن» (٢/ ٢٤).
(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ٣٨).
(٤) **إسناده صحيح**: رواه أحمد (١/ ٦١، ٦٥) وغيره.
(٥) **الثّم**: إصلاح الشيء وإحكامه.
(٦) «المصنّف» (٧/ ٥٢٣).

وكان فيمن ذهب للدفاع عنه ولزوم الباب حبر هَذِهِ الأمة ابن عَمّ رسول الله ﷺ عبد الله بن عبَّاس، ولما أمَّره رَضِيَ الله عَنْهُ في تلك الأيام عَلَى الحج قَالَ: «والله يا أمير المؤمنين لجِهاد هؤلاء أحبّ إليَّ من الحج، فأقسم عليه لينطلقنَّ» [١].

ولقد أنكر علي رَضِيَ الله عَنْهُ قتل عثمان وتبرأ من دمه، وكان يُقسم عَلَى ذَلِكَ في خطبه وغيرها أَنَّهُ لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي، وقَدْ ثبت ذَلِكَ عنه من طرق تفيد القطع [٢]. خلافًا لما تزعمه الرافضة من أَنَّهُ كان راضيًا بقتل عثمان رَضِيَ الله عَنْهُمَا.

قَالَ الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله رَضِيَ الله عَنْهُ: «فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَى قتله فإنه كذب وزور، فقد تواترت الأخبار بخلافه» [٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا كله كذب على عليٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ وافتراء عليه، فعلي رَضِيَ الله عَنْهُ لم يشارك في دم عثمان ولا أمر ولا رضى، وقد روى عنه ذلك وهو الصادق البار» [٤].

عباد الله...

ومِمَّا سبق يتبيّن لنا بوضوح: أن العلاقة بين أهل البيت والصحابة كانت علاقة مودّة ومحبّة واحترام، خلافًا لما افتراه الشيعة ومَن دار في فلكهم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) «تاريخ الطبري» (٢/ ٨٦٤).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٢).

(٣) «المستدرك» (٣/ ١٠٣).

(٤) «منهاج السنة» (٤/ ٤٠٦)، وانظر «العقيدة في أهل البيت» (١٨٣ - ١٨٥) باختصار.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبهذه النقول تتبين منزلة أبي بكر وعمر عند علي رضي الله عنهم، والرافضة لما لم يكن باستطاعتهم إنكار صدورهذا القول منه لظهوره عنه بحيث لا ينكره إلا جاهل بالآثار أو مباهت قالوا: إنما قال عليّ ذلك تقيّةً.

وأحسن ما يقال في هذا المحل: «ألا لعنة الله عَلَى الكاذبين»، وقول الرافضة: إنما ذكر علي رضي الله عنه ذلك تقية، محض كذب وافتراء عَلَى الله، إذ كيف يتوهم ذلك مَن نه أدنى عقل أو فهم مع ذكره له في الخلاء ومدة خلافته؛ لأنه قاله عَلَى منبر الكوفة، وهو لم يدخلها إلا بعد فراغه من حرب أهل البصرة، وذلك أقوى ما كان أمرًا وأنفذ حكمًا»[1].

وممَّا يبطل ويكذب تلك التقيّة المشئومة: ما ثبت عن بقيّة آل البيت رضي الله عنهم أجمعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين وتابعيهم من ولد الحسين بن علي وولد الحسن وغيرهما، أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر وكانوا يفضلونهما على علي، والنقول عنهم ثابتة متواترة»[2].

عباد الله...

وفي الخطبة القادمة نواصل الحديث عن أهل البيت - إن شاء الله - فإلى اللقاء.

❂❂❂❂❂

(١) «الصواعق المحرقة» للهيتمي (٩٢).

(٢) «منهاج السنة» (٧/ ٣٩٦).

الخطبة الثامنة والعشرون بعد المائة:

الشيعة وأهل البيت

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيميّة -رَحِمَهُ الله تَعَالى -: «من زمن خروج زيد بن عليّ افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لَـمَّا سُئِل عن أبي بكر وعمر فترحَّم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني. فسمُّوا «رافضة» لرفضهم إيَّاه، وسُمِّى مَن لم يرفضه من الشيعة «زيديًا» لانتسابهم إليه» ا.هـ[1].

(١) «منهاج السنة» (١/ ٣٥).

عباد الله...

مِمَّا تقدَّم يتضح: أن الرافضة هم كل مَن تبرَّأ من الشيخين وسبَّ أصحاب النبي ﷺ أو شتمهم، ومن باب أولى دخول مَن زعم كفر الصحابة أو ارتدادهم، وأن هذا التعريف يصدق عَلَى مَن اعتقد ذلك في أي عصْر أو مِصر[1].

ولقد غالى الرافضة في أهل البيت غلوًّا منكرًا.

ومن مظاهر الغلو عند الرافضة:

(١) اعتقاد عصمة الأئمة:

وقد نقل الإجماع عَلَى ذلك **شيخهم المفيد فقال**: «إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام، معصومون كعصمة الأنبياء وأنهم لا يجوز منهم صغيرة، وأنه لا يجوز منهم سهو في شيء من الدِّين ولا ينسون شيئًا من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلَّا مَن شذّ منهم، وتعلّق بظواهر روايات لها تأويلات عَلَى خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب»[2].

وقال الصدوق: «اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون مطهّرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون لا صغيرًا ولا كبيرًا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومَن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم فهو كافر»[3].

ولم تكن هَذِهِ العقيدة مقصورة عَلَى سلف الرافضة بل شاركهم المعاصرون في ذَلِكَ، فكانوا أسوأ خلف لأسوأ سلف.

يقول الخميني: «نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة للفقهاء لا يزال محفوظًا لهم؛ لأن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين، كانوا عَلَى علم بأن هذا المنصب لا يزول عن الفقهاء من بعدهم

(١) «العقيدة في أهل البيت» (٢٨١).

(٢) «أوائل المقالات» (١٧ - ٢٧).

(٣) نقل ذلك عنه الزنجاني في «عقائد الإمامية الإثني عشرية» (٢/ ١٥٨).

بمجرد وفاتهم»[(١)].

وقال أيضًا عن تعاليم الأئمة: «إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخصّ جيلًا خاصًا، وإنَّما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر وإلى يوم القيامة، يجب تنفيذها واتباعها»[(٢)].

فبهذه النقول يتبيّن للقارئ إجماع علماء الرافضة قديمًا وحديثًا عَلَى القول بعصمة الأئمة وأَنَّهُ لا يجوز عليهم سهو ولا غفلة ولا خطأ ولا نسيان، وإنهم في ذَلِكَ كالأنبياء ولا يستغرب هذا المعتقد من الرافضة تجاه أئمتهم، فقد أدى بهم الغلو في الأئمة إلى جعلهم أفضل من الأنبياء والمرسلين[(٣)].

(٢) تفضيل الأئمة عَلَى الأنبياء والمرسلين:

وقَدْ حكى نعمة الله الجزائري صاحب كتاب «الأنوار النعمانية»: أن للرافضة في ذَلِكَ ثلاثة أقوال تدور بين تفضيل الأئمة عَلَى الأنبياء؛ ومساواتهم، والقول بتفضيل أولي العزم من الرسل.

وفي ذَلِكَ يقول: اعلم أَنَّهُ لا خلاف بين أصحابنا رضوان الله عليهم في أشرفية نبيِّنا ﷺ عَلَى سائر الأنبياء عَلَيْهِم السَّلامُ للأخبار المتواترة، وإنَّما الخلاف بينهم في أفضلية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين عَلَيْهِم السَّلامُ عَلَى الأنبياء ما عدا جدهم ﷺ، فذهب جماعة إلى أنهم أفضل من باقي الأنبياء ما خلا أولي العزم فإنهم أفضل من الأئمة؛ وبعضهم إلى المساواة، وأكثر المتأخرين إلى أفضلية الأئمة عَلَيْهِم السَّلامُ عَلَى أولي العزم وغيرهم، وهو الصواب[(٤)].

فالقول بالتفضيل هو مذهب جمهور الرافضة ولا سيما المتأخرين منهم، وكأن المذهب استقر عَلَى ذَلِكَ، ولا يسلم للجزائري استثناء النبي ﷺ فقوله: «ما عدا

---

(١) «الحكومة الإسلامية» (١٩).

(٢) المصدر السابق (١١٣).

(٣) «العقيدة في أهل البيت» (٢٩٨، ٢٩٩) باختصار.

(٤) «الأنوار النعمانية» (١/ ٢٠).

جدهم» ليس إلا خداعًا ونفاقًا وتكلفًا محضًا[١]، وإلا فهم يرون إن أقل أحوال الأئمة مساواة النبي ﷺ في الفضل[٢].

روى الكُلَيني بسنده عن مُحَمَّد بن مسلم قَالَ: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «الأئمة بمنزلة رسول الله ﷺ إلَّا أنهم ليسوا بأنبياء، ولا يحل لهم من النِّساء ما يحل للنبي ﷺ فأما خلاف ذَلِكَ فهم فيه بمنزلة رسول الله ﷺ»[٣].

بل لم يكتفوا بذلك حَتَّى فضلوهم عَلَى رسول الله ﷺ وجعلوا تعيين الإمام أهم من بعث رسول الله ﷺ، وفي ذَلِكَ يقول آية الله ميرزا الخراسانيّ: «بل نقول: إن تعيين الإمام أهم من بعث الرسول، لأن تركه نقص للغرض وهدم للبناء»[٤].

(٣) ادعاؤهم أن الأئمة يعلمون الغيب، وأَنَّهُ لا يخفى عليهم شيء في السموات ولا في الأرض:

وقَدْ أفرد الكليني في كتاب «الكافي» - وهو أصح كتاب عند الرافضة وبمنزلة صحيح البخاري» عند المسلمين - أبوابًا في تأييد هذا الغلوّ وأورد تحت كل باب عدة روايات مفتريات عَلَى آل البيت، فقال: «باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأَنَّهُ لا يخفى عليهم شيء» وأورد تحته ست روايات منها:

ما رواه بسنده عن عدة من أصحابهم أنهم سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول: إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجَنَّة والنار، وأعلم ما كان وما يكون....»[٥].

وروى الطبرسي بإسناده إلى علي رَضِيَ الله عَنْهُ - كذبًا وزورًا - قوله: «إن الله عرَّف الخلق اقتدار الأئمة عَلَى علم الغيب من خلق ورزق وأجل وعُمر وحياة وموت، وعِلم

---

(١) «الشيعة والسنة» لإحسان إلهي ظهير (٧٢).
(٢) «العقيدة في أهل البيت» (٣٠٠).
(٣) «الكافي» للكُليني (١/ ٢٧٠).
(٤) «هذه الرسالة المعجزة والإسلام» (١٠٧).
(٥) «الكافي» (١/ ٢٦١).

غيب السماوات والأرض»[١].

وروى المجلسي في «بحار الأنوار» عن الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «والله لقد أعطينا علم الأولين والآخرين، فقال له رجل من أصحابه: جعلت فداك أعندكم علم الغيب؟ فقال له: ويحك إنِّي لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وَيْحَكم وسِّعوا صدوركم، ولتبصر أعينكم، ولتعِ قلوبكم، فنحن حجة الله تَعَالَى في خلقه، ولن يسع ذَلِكَ إلا صدر كل مؤمن قوي قوته كقوة جبال تهامة إلا بإذن الله، والله لو أردت أن أحصي لكم كل حصاة عليها لأخبرتكم، وما من يوم وليلة إلا والحصى تلد إيلادًا كما يلد هذا الخلق، والله لتباغضون بعدي حَتَّى يأكل بعضكم بعضًا»[٢].

ويقول المجلسي أيضًا: «وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة»[٣].

وروى الكُليني بأسانيده إلى جعفر الصادق رواية طويلة في بيان ما عند الأئمة من العلم، تملها الأسماع وتمجها الفطر والعقول، حيث قَالَ فيها: «... إنَّا عندنا الجامعة» ثم وصفها «صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع رسول الله ﷺ وإملائه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج النَّاس إليه».

ثم قَالَ: «وإن عندنا الجفر» ثم وصفه «وعاء من أدم، فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل».

ثم قَالَ: «وإن عندنا لمصحف فاطمة» ثم وصفه «مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»، ثم وصفه أيضًا بقوله: «أما أَنَّهُ ليس فيه شيء من الحلال والحرام؛ ولكن فيه علم ما يكون».

ثم يقول: «وإن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة»[٤].

---

(١) «الاحتجاج» (١/ ٣٥٦).

(٢) «بحار الأنوار» (٢٦/ ٢٨).

(٣) «اعتقادات المجلسي» (١٧).

(٤) «الكافي» (١/ ٢٣٨ - ٢٤٠)، وانظر «العقيدة في أهل البيت» (٣٠٦).

عباد الله...

ومن أمثلة غُلُوِّهم في الأئمَّة الاثني عشر من أهل البيت وهم: عليٌّ، والحسن، والحُسين رضي الله عنهم، وتسعة من أولاد الحُسين ما اشتمل عليه كتاب الأصول من الكافي للكُليني من أبوابٍ منها:

- باب: أنَّ الأئمة عَلَيْهُم السَّلامُ خلفاء الله عَزَّ وَجَلَّ في أرضه، وأبوابُه التي منها يُؤتى (١/ ١٩٣).
- باب: أنَّ الأئمة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها عز وجل في كتابه (٢٠٦٨):

وفي هذا الباب ثلاثة أحاديث من أحاديثهم تشتمل عَلَى تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بأن النَّجم: رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن العلَّامات: الأئمة.

- باب: أنَّ الأئمَّة عَلَيْهُم السَّلامُ نور الله عَزَّ وَجَلَّ (١/ ١٩٤):

ويشتمل عَلَى أحاديث من أحاديثهم، منها حديث ينتهي إلى أبي عبد الله - وهو جعفر الصادق - في تفسير قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّـهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ قال - كما زعموا -: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ فاطمة - عليها السلام - ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الحسن ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ الحسين ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ إبراهيم عليه السلام ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يكاد العلم ينفجر بها ﴿وَلَوْ لَـمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، ﴿نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمام منها بعد إمام، ﴿يَهْدِي اللَّـهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء.

- باب: أنَّ الآيات التي ذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه هم الأئمة (١/ ٢٠٧):

وفي هذا الباب تفسير قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] بأن الآيَاتُ: الأئمّة.

وفيه تفسير قوله تَعَالَى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ [القمر: ٤٢]، بأن الآيات: الأوصياء كلُّهم.

ومعنى ذَلِكَ: أن العقابَ الذي حلَّ بآل فرعون سببهُ تكذيبهم بالأوصياء الذين هم الأئمَّة!!

- باب: أنَّ أهل الذِّكر الذين أمر الله الخلقَ بسؤالهم هم الأئمّة عَلَيْهُم السَّلامُ (١/ ٢١٠).
- باب: أن القرآن يهدي للإمام (١/ ٢١٦):

وفي هذا الباب تفسير قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، بأنه يهدي إلى الإمام.

وفيه تفسيرُ قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣]، بأنه إنَّما عنِّي بذلك: الأئمّة عَلَيْهُم السَّلامُ، بهم عقَّد الله عَزَّ وَجَلَّ أيمانكم.

- باب: أنَّ الأئمَّة عَلَيْهُم السَّلامُ يعلمون متى يموتون وأنَّهم لا يموتون إلَّا باختيار منهم (١/ ٢٥٨).
- باب: أنَّ الأئمة عَلَيْهُم السَّلامُ يعلمون علمَ ما كان وما يكون، وأنَّهُ لا يخفى عليهم الشيءُ، صلوات الله عليهم (١/ ٢٦٠).
- باب: أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لم يُعلِّم نبيَّه علمًا إلا أمره أن يُعلِّمَه أمير المؤمنين عليه السلام، وأنَّهُ كان شريكَه في العلم (١/ ٢٦٣).
- باب: أنَّهُ ليس شيءٌ من الحقِّ في يد النَّاس إلَّا ما خرج من عند الأئمة عَلَيْهُم السَّلامُ، وأنَّ كلَّ شيء لم يخرج من عندهم فهو باطلٌ (١/ ٣٩٩):

وهذه الأبواب تشتمل عَلَى أحاديث من أحاديثهم، وهي منقولةٌ من طبعة الكتاب، نشر مكتبة الصدوق بطهران، سنة (١٣٨١هـ).

ويُعتبر الكتابُ من أجَلِّ كتبهم، إن لم يكن أجَلَّها، وفي مقدِّمة الكتاب ثناءٌ عظيمٌ عَلَى الكتاب وعلى مؤلِفِه، وكانت وفاتُه سنة (٣٢٩هـ).

عباد الله...

وهذا الذي نقلناه منه، نماذج من غلوِّ المتقدِّمين في الأئمة، فكونوا - أيُّها المسلمون- عَلَى حذر.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

أمَّا غلُوُّ المتأخرين فيهم، فيتَّضح من قول أحد كُبرائهم المعاصرين الخميني في كتاب «الحكومة الإسلامية» (ص٥٢) من منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى - طهران -: «وثبوتُ الولاية والحاكمية للإمام عليه السلام لا تَعني تجردَه عن منزلتِه التي هي له عند الله، ولا تجعله مثلَ مَن عداه مِن الحُكَّام، فإنَّ للإمام مقامًا محمودًا ودرجةً سامية وخلافة تكوينيَّة تخضعُ لولايتها وسيطرتِها جميعُ ذرَّات هذا الكون، وإنَّ مِن ضروريات مذهبنا أنَّ لأئمَّتنا مقامًا لا يبلغه مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نَبيٌّ مُرسَلٌ، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فإنَّ الرَّسول الأعظم ﷺ والأئمة رضي الله عنهم كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، فجعلهم الله بعرشِه مُحدقين، وجعل لهم من المنزلة والزُّلفى ما لا يعلمه إلَّا الله، وقد قال جبرائيل كما ورد في روايات المعراج: لو دنوتُ أنمُلة لاحترقتُ، وقد ورد عنهم رضي الله عنهم إنَّ لنا مع الله حالاتٍ لا يسعها مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نَبيٌّ مرسل» !!

عباد الله...

ولا يَملكُ المرءُ وهو يرى أو يسمعُ مثلَ هذا الكلام إلَّا أن يقول: ﴿**رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ**﴾ [آل عمران: ٨].

وكلُّ مَن له أدنى بصيرة يجزم أنَّ ما تقدَّم نقله عنهم وما يشبهه كذبٌ وافتراءٌ عَلَى الأئمَّة، وأنَّهم بُرآءُ من الغلاة فيهم وغلوِّهم». ا.هـ[١].

اللَّهُمَّ أرنا الحقَّ حَقًّا وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.

آمين... آمين... آمين

---

(١) «فضل أهل البيت وعلوّ مكانتهم عند أهل السنة والجماعة» للشيخ عبد المحسن العبَّاد (٨٤ - ٩١) باختصار.

الخطبة التاسعة والعشرون بعد المائة:

[أ] عليّ بن أبي طالب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فنلتقي اليوم - إن شاء الله - مع أحد أئمة أهل البيت النَّبوي الكَريم.

نلتقي اليوم مع ترجمة علية لـ«عليّ بن أبي طالب» رضي الله عنه.

عباد الله...

مَن هو عليّ؟

وما هي قصّته؟

هذا ما سوف نبيّنه -- إن شاء الله تَعَالَى - والله الموفّق لما يُحب ويَرضى.

عليٌّ: هوابن أبي طالب، أبو الحسن الهاشميّ، خَتَنُ رسولِ الله ﷺ وابن عَمّه، وفارس الإسلام.

أسلم رَضِيَ الله عَنْهُ وهو ابن سبع سنين(١)، فصان الله - سبحانه- وجهه من السجود لغير الله.

وشهد رَضِيَ الله عَنْهُ المشاهد كلّها إلّا تبوك.

فعن سعد بن أبي وقاص، قَالَ: خَلَّفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: **«أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»** (٢).

ومن مناقب الإمام علي رَضِيَ الله عَنْهُ: أن النَّبي ﷺ شهد له بقوة الإيمان، وفي هذا المعنى يروي عليٌّ أن أناسًا من قريش جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا جِيرَانُكَ وَحُلَفَاؤُكَ وَإِنَّ نَاسًا مِنْ عَبِيدِنَا قَدْ أَتَوْكَ لَيْسَ بِهِمْ رَغْبَةٌ فِي الدِّينِ وَلاَ رَغْبَةٌ فِي الفِقْهِ، إِنَّمَا فَرُّوا مِنْ ضِيَاعِنَا وَأَمْوَالِنَا فَارْدُدْهُمْ إِلَيْنَا. فَقَالَ لأَبِي بَكْرٍ: **«مَا تَقُولُ؟»**. قَالَ: صَدَقُوا إِنَّهُمْ جِيرَانُكَ. قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَالَ لِعُمَرَ: **«مَا تَقُولُ؟»** قَالَ: صَدَقُوا إِنَّهُمْ جِيرَانُكَ وَحُلَفَاؤُكَ. فَتَغَيَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ. ثم قَالَ **«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لَتَنْتَهُنَّ أَوْ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ بِالسَّيْفِ عَلَى الدِّينِ قَدِ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ عَلَى الإِيمَانِ»**.

قَالُوا: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَقَالَ عُمَرُ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«هُوَ خَاصِفُ النَّعْلِ»** (٣).

وَكَانَ أَعْطَى عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا(٤).

ومن مناقب علي رَضِيَ الله عَنْهُ دعاء النبي ﷺ له بالهداية والثبات.

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى اليَمَنِ قَاضِيًا فَقُلْتُ:

---

(١) **إسناده صحيح**: «مسند الطيالسي» (٣٧٥٣)، والترمذي (٣٧٢٤)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٩٩)، والنسائي (٣١)، وغيرهما.

(٤) **يخصف**: أي: يخرز، وهو الضم والجمع.

يَا رَسُولَ اللهِ تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ وَلاَ عِلْمَ لِي بِالقَضَاءِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الخَصْمَانِ فَلاَ تَقْضِيَنَّ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الآخَرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ القَضَاءُ»[1].

عباد الله...

وقَدْ حصر ابنُ عباس - رَضِيَ الله عَنْهُمَا - أهم مناقب عليّ رَضِيَ الله عَنْهُ في عشر خصال:

يقول عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ - رَحِمَهُ الله -: إِنِّي لَجَالِسٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ إِذْ أَتَاهُ تِسْعَةُ رَهْطٍ فَقَالُوا: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِمَّا أَنْ تَقُومَ مَعَنَا وَإِمَّا أَنْ يُخْلُونَا هَؤُلاَءِ.

قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَلْ أَقُومُ مَعَكُمْ.

قَالَ عمرو بن ميمون: وَهُوَ يَوْمَئِذٍ صَحِيحٌ قَبْلَ أَنْ يَعْمَى.

قَالَ: فَابْتَدَءُوا فَتَحَدَّثُوا فَلاَ نَدْرِي مَا قَالُوا، قَالَ: فَجَاءَ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ وَيَقُولُ: **أُفْ**[2] وَتُفْ[3] وَقَعُوا فِي رَجُلٍ لَهُ عَشْرٌ، وَقَعُوا فِي رَجُلٍ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لأَبْعَثَنَّ رَجُلاً لاَ يُخْزِيهِ اللَّهُ أَبَداً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**». قَالَ: فَاسْتَشْرَفَ[4] لَهَا مَنِ اسْتَشْرَفَ، قَالَ: «**أَيْنَ عَلِيٌّ؟**». قَالُوا: هُوَ فِي الرَّحَى يَطْحَنُ. قَالَ: «**وَمَا كَانَ أَحَدُكُمْ لِيَطْحَنَ؟**».

قَالَ: فَجَاءَ وَهُوَ أَرْمَدُ لاَ يَكَادُ يُبْصِرُ، فَنَفَثَ فِي عَيْنَيْهِ ثُمَّ هَزَّ الرَّايَةَ ثَلاَثاً فَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ، فَجَاءَ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ.

ثُمَّ بَعَثَ فُلاَناً لِسُورَةِ التَّوْبَةِ، فَبَعَثَ عَلِيّاً خَلْفَهُ فَأَخَذَهَا مِنْهُ قَالَ: «**لاَ يَذْهَبُ بِهَا إِلاَّ رَجُلٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ**».

قَالَ: وَقَالَ لِبَنِي عَمِّهِ: «**أَيُّكُمْ يُوَالِينِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟**». قَالَ: وَعَلِيٌّ مَعَهُ جَالِسٌ فَأَبَوْا، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أُوَالِيكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. قَالَ: «**أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**». قَالَ:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٨٣)، وأبو داود (٣٥٧٧)، وغيرهما.

(٢) **أفّ**: كلمة تضجّر.

(٣) **التّف**: وسخ في الأظافر.

(٤) يقال: استشرفت الشيء: إذا رفعت رأسك أو بصرك تنظر إليه.

فَتَرَكَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ يُوَالِينِى فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟**». فَأَبَوْا، قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أُوَالِيكَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. فَقَالَ: «**أَنْتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**».

قَالَ: وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ خَدِيجَةَ. قَالَ: وَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَوْبَهُ فَوَضَعَهُ عَلَى عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَحَسَنٍ وَحُسَيْنٍ فَقَالَ: «﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾».

قَالَ: وَشَرَى[1] عَلِيٌّ نَفْسَهُ لَبِسَ ثَوْبَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ نَامَ مَكَانَهُ، قَالَ: وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَرْمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ نَائِمٌ، وَأَبُو بَكْرٍ يَحْسَبُ أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ قَالَ: فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: إِنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَدِ انْطَلَقَ نَحْوَ بِئْرِ مَيْمُونٍ فَأَدْرِكْهُ. قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ فَدَخَلَ مَعَهُ الْغَارَ - قَالَ - وَجَعَلَ عَلِيٌّ يُرمَى بِالْحِجَارَةِ كَمَا كَانَ يُرْمَى نَبِيُّ اللهِ وَهُوَ يَتَضَوَّرُ[2] قَدْ لَفَّ رَأْسَهُ فِى الثَّوْبِ لاَ يُخْرِجُهُ حَتَّى أَصْبَحَ ثُمَّ كَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ، فَقَالُوا: إِنَّكَ لَلَئِيمٌ كَان صَاحِبُكَ نَرْمِيهِ فَلاَ يَتَضَوَّرُ وَأَنْتَ تَتَضَوَّرُ وَقَدِ اسْتَنْكَرْنَا ذَلِكَ.

قَالَ: وَخَرَجَ بِالنَّاسِ فِى غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: أَخْرُجُ مَعَكَ. فَقَالَ لَهُ نَبِيُّ اللهِ: «**لاَ**». فَبَكَى عَلِيٌّ فَقَالَ لَهُ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى أَنْ أَذْهَبَ إِلاَّ وَأَنْتَ خَلِيفَتِى**».

قَالَ: وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: «**أَنْتَ وَلِيِّى فِى كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِى**».

وَقَالَ: «**سُدُّوا أَبْوَابَ الْمَسْجِدِ غَيْرَ بَابِ عَلِيٍّ**». فَقَالَ: فَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ جُنُباً وَهُوَ طَرِيقُهُ لَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ غَيْرُهُ.

قَالَ: وَقَالَ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَإِنَّ مَوْلاَهُ عَلِيٌّ**».

قَالَ: وَأَخْبَرَنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِى الْقُرْآنِ أَنَّهُ قَدْ رَضِىَ عَنْهُمْ عَنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ، هَلْ حَدَّثَنَا أَنَّهُ سَخِطَ عَلَيْهِمْ بَعْدُ.

---

(١) **شرى**: باع.

(٢) **التضوّر**: التلوّي والصياح من وجع الضرب أو الجوع.

قَالَ: وَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ حِينَ قَالَ: ائْذَنْ لِي فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ. قَالَ: «**أَوَكُنْتَ فَاعِلاً وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**»[١].

عباد الله...

تزوّج عليٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ بفاطمة بنت النبيّ ﷺ سيِّدة نساء العالمين، وسيأتي في ترجمتها رَضِيَ الله عَنْهَا قصّة زواجها بعليّ رَضِيَ الله عَنْه - إن شاء الله تَعَالى.

والمقصود هنا: أن عليًّا شارك في الغزوات التي حدثت في عهد النّبيّ ﷺ ما عدا تبوك كما مرّ بنا، ولما انتقل النبيُّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى بايع أبا بكر ومن بعده عمر رَضِيَ الله عَنْهُمَا خلافًا لما افتراه الشيعة الروافض، وقَدْ تقدَّم ذَلِكَ قريبًا.

ويروى عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ لَـمَّا قُبض عمر بن الخطاب كان عند سريره، فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ ويُثْنُونَ، وَيُصَلُّونَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَجُلٌ آخِذٌ مَنْكِبِي فَإِذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَتَرَحَّمَ عَلَى عُمَرَ وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَحَسِبْتُ إِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وَ«دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وَ«خَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»[٢].

فكنت أظن أن يجعلك الله مع صاحبيك.

أيُّها المسلمون...

ولما اشتد حصار الثوّار عَلَى عثمان بن عفان رَضِيَ الله عَنْهُ بذل عليٌّ وأولاده قصارى جهدهم في فكّ هذا الحصار والدّفاع عن عثمان.

يروى جُبير بن مُطعم رَضِيَ الله عَنْهُ فيقول: «لَـمَّا حصر عثمان رَضِيَ الله عَنْهُ حَتَّى والله ما يشرب إلا من الفقير[٣] فقير الدار، فدخلت عَلَى علي بن أبي طالب فقلت: يا ابن أبي طالب، أقد رضيت بهذا؟ ألا يحصر ابن عمّك، حَتَّى والله

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣٣٠، ٣٣١)، وقال الشيخ أحمد شاكر (٥/ ٢٤): إسناده صحيح.
(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٤)، وابن ماجه (٩٨)، وغيرهما.
(٣) **الفقير**: بئر قليلة الماء غير العذبة.

ما يشرب إلا من فقير الدار؟

فقال علي: سبحان الله فقد بلغوا هذا منه؟

قَالَ جبير: نعم، وأشد من هذا!

قَالَ: فحمل عَلَى الروايا[١] حَتَّى أدخلها عليه، وسقاه»[٢].

ويقصّ علينا سعيد بن المسيّب - رَحِمَهُ الله - فيقول: حاصره أولئك حَتَّى منعوه الماء، فأشرف يومًا فقال: أفيكم عليٌّ؟ قالوا: لا. قَالَ: أفيكم سعد؟ قالوا: لا.

فسكت ثم قَالَ: ألا أحدٌ يسقينا الماء؟ فبلغ ذَلِكَ عليًا، فبعث إليه بثلاث قربٍ، فجرح في سببها جماعة حَتَّى وصلت إليه.

وبلغ عليًّا أن عثمان يراد قتله، فقال: إنَّما أردنا منه مروان، فأما عثمان فلا ندع أحدًا يصل إليه[٣].

وكان من أبناء علي ﷺ من أوذي وهو يدافع عن ذي النورين رَضِيَ الله عَنْهُ.

يقول الحسن البصري - رَحِمَهُ الله -: «كان الحسن بن علي آخر من خرج من عند عثمان»[٤].

ويروى كنانة مولى صفية - رَحِمَهُ الله - فيقول: «أُخرج من الدار - يعني دار عثمان رَضِيَ الله عَنْهُ - أربعة من شباب قريش مدرجين محمولين، كانوا يدرءون عن عثمان رَضِيَ الله عَنْهُ، فذكر الحسن بن علي، وابن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن الحكم[٥].

ويقول كنانة - رَحِمَهُ الله -: كنت فيمن حمل الحسن بن علي جريحًا من دار عثمان[٦].

---

(١) **الروايا**: جمع راوية، وهي المزادة فيها الماء.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن عساكر (٣٦٩) في ترجمة عثمان، في «تاريخه».

(٣) **حسن**: أخرجه ابن عساكر (٣٦٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه خليفة (١/ ١٧٤) في «تاريخه».

(٥) **أثر صحيح**: انظر «سيرة آل بيت النبي ﷺ الأطهار» للأستاذ مجدي فتحي السيد (٢١٨، ٢١٩).

(٦) انظر السابق.

وعندما قتل عثمان رَضِيَ الله عَنْهُ وعلم عليّ رَضِيَ الله عَنْهُ خرج فقال: تبًّا لهم سائر الدَّهر[١].

وتبرأ من قتلته، ومَن فعلهم الأثيم، وقال وهو حزين: والله ما قتلت عثمان، ولا أمرت بقتله، ولكن غلبت. اللَّهُمَّ إنِّي أبرأ إليك من أمر عثمان[٢].

عباد الله...

هَذِهِ مواقف من حياة عليّ رَضِيَ الله عَنْهُ، وسيأتي المزيد بعد قليل - إن شاء الله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وكان عليًّا رضي الله عنه فقيهًا عالمًا، قاضيًا، يدلّ عَلَى ذلك ما رواه زرّ بن حُبيش - رَحِمَهُ الله - قال:

«جلس رجلان يتغديان، مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلما وضعا الغداء بين أيديهما مرَّ بهما رجل فسلم فقالا: اجلس للغداء فجلس وأكل معهما، واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال: خذا هذا عوضًا ممَّا أكلت لكما ونلته من طعامكما، فتنازعا وقال صاحب الخمسة الأرغفة: لي خمسة دراهم ولك ثلاث، فقال صاحب الثلاثة الأرغفة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين.

وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقصَّا عليه قصتهما، فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بثلاثة.

---

(١) انظر السابق.
(٢) انظر السابق.

فقال: لا والله لا رضيت منه إلا بمر الحق. فقال علي رضي الله عنه: ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد وله سبعة. فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين وهو يعرض علي ثلاثة فلم أرض وأشرت علي بأخذها فلم أرض وتقول لي الآن: إنه لا يجب في مُرّ الحق إلا درهم واحد؟!

فقال له عليٌّ: عرض عليك صاحبك الثلاثة صلحًا، فقلت: لم أرض إلا بمر الحق ولا يجب لك بمر الحق إلا واحد.

فقال له الرجل: فعرفني بالوجه في مُرِّ الحق حتى أقبله.

فقال علي رضي الله عنه: أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثًا أكلتموها، وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقل فتحملون في أكلكم على السواء.

قال: بلى.

قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث وإنما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاثٍ وله خمسة عشر ثلثًا أكل منها ثمانية ويبقى له سبعة، وأكل لك واحدًا من تسعة فلك واحد بواحدك وله سبعة بسبعته.

فقال له الرجل: رضيت الآن»[(١)].

عباد الله...

وفي الخطبة القادمة نواصل المسير مع سيرة عليّ رضي الله عنه فإلى اللقاء - إن شاء الله.

اللَّهُمَّ اجعلنا مِن أحبِّ خَلقِك إليك، ومن المقرَّبين لَدَيْك

آمين... آمين... آمين.

۞۞۞۞۞

(١) حسن: أخرجه ابن عبد البر (٣/ ١١٠٥) في «الاستيعاب».

الخطبة الثلاثون بعد المائة:

[ب] علي بن أبي طالب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فنواصل الحديث - إن شاء الله - مع سيرة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

عباد الله...

ولعلّ مِن أبرز ما حدث في خلافة عليّ رَضِيَ الله عَنْهُ: «موقعة صِفّين».

هَذِهِ الموقعة التي زلّت فيها أقدام، وضلّت فيها أفهام، واستخدمها أعداء الإسلام في التشكيك في نوايا أصحاب مُحَمَّد ﷺ.

وبيانًا للحقّ، نذكر أوّلًا أحداثها، ثم نبيّن الحقّ فيها - إن شاء الله تَعَالَى.

والله المستعان وعليه التكلان.

أيها المسلمون...

دارت رحى هذه الوقعة بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما وبدأت أحداثُها في ذي حجة سنة ستٍّ وثلاثين، ثُمَّ تهادنوا في المحرّم سنة سبع وثلاثين، واستؤنف القتالُ بعده، ثُمَّ كُتب كتاب التحكيم في صفر سنة سبعٍ وثلاثين عَلَى أنَّ يُعلن الحكمان حكمهما في رمضان بدومة الجندل بمكان منها يسمّى «أذرح».

وكان النبيُّ ﷺ قَدْ أخبر بوقوعها في أحاديث، منها:

(١) عَن أَبَا بَكْرَةَ الثقفيّ - رَضِي الله عَنْهُ - قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى وَيَقُولُ: **«إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ»** [(١)].

قَالَ الشيخ مُقبل الوادعيّ - رحمه الله -: «وفي قوله ﷺ: «مِنْ الْمُسْلِمِينَ» ردّ عَلَى الروافض الذين يكفّرون معاوية رَضِي الله عَنْهُ» ا.هـ[(٢)].

(٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِي الله عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«تَكُونُ فِي أُمَّتِي فِرْقَتَانِ فَتَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمَا مَارِقَةٌ[(٣)] يَلِي قَتْلَهُمْ أَوْلَاهُمْ بِالْحَقِّ»** [(٤)].

(٣) وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ - رَضِي الله عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ»** [(٥)].

قَالَ الإمام النووي - رحمه الله -: «هذا من المعجزات، وقد جرى هذا في العصر الأوّل» ا.هـ[(٦)].

---

(١) رواه البخاريّ (٥/ ٣٠٦).
(٢) «الصحيح المسند من دلائل النبوّة» (٤٢٢).
(٣) هم الخوارج.
(٤) رواه مسلم (٢/ ٧٤٥).
(٥) رواه مسلم (٢٨٨٨).
(٦) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨/ ٣٤٠).

أما أحداثها فملخصها:

أنَّ عليّ بن أبي طالب - رَضِي الله عَنْهُ - لَـمَّا فرغ من وقعة الجمل، ودخل البصرة وشيّع أمّ المؤمنين عائشة لَـمَّا أرادت الرجوع إلى مكّة - كما تقدّم - سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من رجب سنة ستٍّ وثلاثين، ونزل في «الرّحبة» وصلّى في الجامع الأعظم ركعتين، ثُمَّ خطب النَّاس فحثّهم عَلَى الخير ونهاهم عن الشّر، ومدح أهل الكوفة، ثُمَّ بعث جرير بن عبد الله إلى معاوية وبعث معه كتابًا إلى معاوية يُعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار عَلَى بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه النَّاس.

فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب، فطلب معاوية عمرو بن العاص ورءوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه.

فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا، فخرج علي - رَضِي الله عَنْهُ - من الكوفة عازمًا عَلَى الدخول إلى الشام فعسكر بالنخيلة، واستخلف عَلَى الكوفة أبا مسعود عقبة ابن عامر البدريّ الأنصاري.

وبلغ معاوية أن عليًّا قَدْ خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص، فقال له: اخرج أنت أيضًا بنفسك.

وعقدت الألوية والرايات للأمراء وتهيأ أهل الشام وتأهبوا، وخرجوا أيضا إلى نحو الفرات من ناحية صفين[1]، حيث يكون مقدم عليّ بن أبي طالب - رَضِي الله عَنْهُ - وسار عليّ - رَضِي الله عَنْهُ - بمن معه من الجنود من النخيلة قاصدًا أرض الشام.

قال الحكم بن عيينة: وكان في جيشه ثمانون بدريًّا، ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة.

وكان جيش عليّ في مائة وعشرين ألفًا، وجيش معاوية في تسعين ألفًا[2]، وتواجه

(١) موقع بقرب «الرّقة» على شاطئ الفرات آخر تخوم العراق وأوّل أرض الشام.
(٢) انظر «حاشية العواصم من القواصم» (١٦٦).

الفريقان، وذلك بمكان يقال له «صفين» وذلك في أوائل ذي الحجّة، ثُمَّ عدل عليّ - رَضِي الله عَنْهُ - فارتاد لجيشه منزلًا، وقد كان معاوية - رَضِي الله عَنْهُ - سبق بجيشه فنزلوا عَلَى مشرعة الماء في أسهل موضع وأفسحه، فلمّا نزل عليّ نزل بعيدًا عن الماء.

وجاء أهل العراق ليردوا من الماء[1] فمنعهم أهلُ الشام، فوقع بينهم مقاتلة بسبب ذلك، ثُمَّ ما زال أهل العراق يكشفون الشاميين عن الماء حَتَّى أزاحوهم عنه، وخلّوا بينهم وبينه، ثُمَّ اصطلحوا عَلَى الورود حَتَّى صاروا يزدحمون في تلك الشريعة لا يكلّم أحدٌ أحدًا، ولا يؤذي إنسان إنسانًا.

وأقام عليّ - رَضِي الله عَنْهُ - يومين لا يكاتب معاوية - رَضِي الله عَنْهُ - ولا يكاتبه معاوية.

ثُمَّ دعا عليّ - رَضِي الله عَنْهُ - بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبيب بن ربعيّ السّهمي، فقال: «ايتوا هذا الرجل - يعني معاوية - فادعوه إلى الطاعة والجماعة، واسمعوا ما يقول لكم».

فلما دخلوا عَلَى معاوية أخبروه برسالة أمير المؤمنين عليّ، فقال معاوية: لا والله لا أفعل ذلك أبدًا، وصمّم عَلَى القيام بطلب دم عثمان.

فعند ذلك نشبت الحربُ بينهم، وأمَر عليّ بالطلائع والأمراء أن تتقدم للحرب، وجعل عليّ يؤمّر عَلَى كل قوم من الحرب أميرًا، فمن أمرائه:

- الأشتر النخعيّ، حجر بن عديّ، شبث بن ربعيّ، خالد بن المعتمر، زياد بن النضر، زياد بن حفصة، سعيد بن قيس، معقل بن قيس، قيس بن سعد.

وكذلك جعل معاويةُ يؤمّر عَلَى كل قوم من الحرب أميرًا، فمن أمرائه:

- عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، أبو الأعور السّلميّ، حبيب بن مسلم، ذو الكلاع الحميري، عبيد الله بن عُمَر بن الخطاب[2]، شرحبيل بن السّمط، حمزة بن مالك الهمدانيّ.

---

(١) أي: ليشربوا.

(٢) أخو عبد الله بن عمر.

واقتتلوا في مدّة شهر ذي الحجة كل يوم، وجرت بينهم حروب يطول ذكرُها، والمقصود منها أَنَّهُ لَـمَّا دخل شهرُ المحرّم تحاجز القوم رجاء أن يقع بينهم مهادنة وموادعة يئول أمرُها إلى الصلح بين النَّاس، وحقن دماؤهم.

قَالَ ابن جرير - رحمه الله -: ثُمَّ لم تزل الرُّسل تتردّد بين عليّ ومعاوية والناس كافّون عن القتال حَتَّى انسلخ المحرّم من هذه السنة ولم يقع بينهم صلحٌ، فَأَمَر عليّ - رَضِي الله عَنْهُ - يزيد بن الحارث الجشميّ فنادى أهل الشام عند غروب الشمس: «ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم: إني قَدْ استأنيتُكم لتراجعوا الحق، وأقمتُ عليكم الحجّة فلم تجيبوا، وإني قَدْ نبذتُ إليكم عَلَى سواء، إن الله لا يحب الخائنين».

ففزع أهل الشام إلى أمرائهم فأعلموهم بما سمعوا المنادي يقول، فنهض عند ذلك معاوية وعمرو فَعبّيا الجيش ميمنة وميسرة، وبات عليّ يعبي جيشه من ليلته، فجعل عَلَى خيل أهل الكوفة «الأشتر النخعيّ»، وعلى رجَّالتهم «عمَّار بن ياسر»، وعلى خيل أهل البصرة «سهل بن حنيف»، وعلى رجّالتهم «قيس بن سعد»، و«هاشم بن عتبة»، وعلى قرّائهم «سعيد بن فدكي التميمي»، وتقدّم عليّ - رَضِي الله عَنْهُ - إلى النَّاس أن لا يبدأوا واحدًا بالقتال حَتَّى يبدأ أهل الشام، وأنه لا يجهز عَلَى جريح، ولا يتبع مُدبر، ولا يكشف ستر امرأة ولا تُهان وإن شتمت أمراء النَّاس وصلحاءهم.

وبرز معاوية صبح تلك الليلة وقد جعل عَلَى الميمنة «ابن ذي الكلاع الحميريّ»، وعلى الميسرة «حبيب بن مسلمة الفهريّ»، وعلى المقدّمة «أبا الأعور السّلميّ»، وعلى خيل دمشق «عمرو بن العاص»، وعلى رجّالتهم «الضَّحَّاك بن قيس»، ذكره ابن جرير.

وقد تعاقد جماعة من أهل الشام عَلَى ألَّا يفروا فعقلوا أنفسهم بالعمائم، وكان هؤلاء خمسة صفوف، ومعهم ستة صفوف آخرين، وكذلك أهل العراق كانوا أحد عشر صفًا - أيضًا - فتوافقوا عَلَى هذه الصّفة أوّل يوم من صفر وكان ذلك يوم الأربعاء.

وكان أمير الحرب يومئذ للعراقيين «الأشتر النخعي»، وأمير الشاميين «حبيب بن مسلمة» فاقتتلوا ذلك اليوم قتالاً شديدًا، ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد انتصف بعضهم من بعض، وتكافئوا في القتال، ثم أصبحوا من الغد يوم الخميس وأمير حرب

أهل العراق «هاشم بن عتبة» وأمير الشاميين يومئذ «أبا الأعور السّلميّ» فاقتتلوا قتالا شديدًا، ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافئوا.

ثم خرج في اليوم الثالث وهو يوم الجمعة عمار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج إليه عمرو بن العاص في الشاميين فاقتتل الناس قتالًا شديدًا، وحمل عمار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه... وتراجع النَّاس من العشيّ وقد صبر كُلّ فريق لصاحبه.

وخرج في اليوم الرابع وهو يوم السبت محمد بن عليّ وهو ابن الحنفية، ومعه جمع عظيم، فخرج إليه في كثير من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وتحاجز النَّاس يومهم ذلك.

ثم خرج في اليوم الخامس وهو يوم الأحد في العراقيين عبد الله بن عباس، وفي الشاميين الوليد بن عقبة، واقتتل النَّاس قتالًا شديدًا، ويقال: إن ابن عباس قاتل يومئذ قتالًا شديدًا بنفسه رَضِي الله عَنْهُ.

ثم خرج في اليوم السادس وهو يوم الاثين وعلى الناس من جهة العراقيين قيس ابن سعد، ومن جهة أهل الشام ابن ذي الكلاع فاقتتلوا قتالًا شديدًا أيضًا، وتصابروا ثم تراجعوا.

ثم خرج الأشتر النخعي في اليوم السابع وهو يوم الثلاثاء من جهة عليّ، وخرج إليه من جهة معاوية حبيب بن مسلمة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا أيضًا ولم يغلب أحدٌ أحدًا في هذه الأيام كلها.

ثُمَّ قام علي - رَضِي الله عَنْهُ - عشية الأربعاء بعد العصر، فخطب النَّاس، وحثّهم عَلَى قيام الليل، والإكثار من تلاوة القرآن، والدُّعاء بالنصر.

ثم أصبح عليّ في جنوده قد عبأهم كما أراد، وركب معاوية في جيشه قد عبأهم كما أراد، فتقاتل الناس قتالًا عظيمًا لا يفر أحدٌ من أحدٍ ولا يغلب أحدٌ أحدًا، ثم تحاجزوا عند العشيّ، وأصبح عليّ فصلَّى الفجر بغلس[1]، وباكر القتال ثم استقبل أهل الشام

(١) غلس: آخر ظلمة اللَّيل.

فاستقبلوه بوجوههم، فدعا عليّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ربَّه، وكان مِمَّا دعا به: «... إن أظهرتنا عَلَى عدوّنا فجنّبنا الفساد والبغي وسددنا للحقّ، وإن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة، وجنّب بقيّة أصحابي من الفتنة».

ثم تقدم عليّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وهو في القلب في أهل المدينة، وعلى ميمنته يومئذ عبد الله بن بديل، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس، وعلى القرَّاء عمار بن ياسر، وقيس بن سعد، والناس على راياتهم، فزحف بهم إلى القوم، وأقبل معاوية وقد بايعه أهل الشام على الموت، فتواقف الناس في موطن مهول وأمر عظيم، وحرّض أمير المؤمنين عليّ النَّاس عَلَى الصبر والثبات والجهاد، وحثّهم عَلَى قتال أهل الشام، واندلع القتالُ وحمي وطيس المعركة، وقد ذكر علماء التاريخ وغيرهم: أنَّ عليًّا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بارز في أيام «صفين» وقاتل وقَتَلَ خَلقًا كثيرًا، حَتَّى ذكر بعضهم أَنَّهُ قتل خمسمائة.

وحمل «حبيب بن مسلمة» بمن معه من الشجعان عَلَى ميمنة أهل العراق فأزالهم عن أماكنهم، وانكشفوا عن أميرهم حَتَّى لم يبق معه إلَّا زهاء ثلاثمائة، وارتدّ بقيّة أهل العراق، ولم يبق مع عليّ من تلك القبائل إلَّا أهل المدينة وعليهم «سهل بن حنيف».

ثم إن عليا أمر الأشتر النخعي أن يلحق المنهزمين فيردّهم، فسار فأسرع حتى استقبل المنهزمين من العراق فجعل يؤنبهم ويوبخّهم، فاجتمع عليه خلق عظيم من النَّاس، فجعل لا يلقى قبيلة إلا كشفها ولا طائفة إلا ردّها، ثُمَّ حمل الأشتر حَتَّى خالط الصفوف الخمسة الذين تعاقدوا أن لا يفروا وهم حول معاوية فخرق منهم أربعة وبقي بينه وبين معاوية صفٌّ.

وتبارز الشجعان وقُتل خلقٌ كثير من الأعيان من الفريقين، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وممن قُتل في هذا اليوم من الشاميين (من الأمراء): عبيد الله بن عُمَر بن الخطاب، ذو الكلاع الحميريّ.

ومن جيش عليّ: عمَّار بن ياسر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، وكان قَدْ بلغ يومئذٍ ثلاثًا وتسعين سنة، وكان أثناء قتاله يقول: «أزفَتِ الجنان، وزُوِّجت الحور العين، اليوم نَلْقَى حَبِيبَنا محمّدًا ﷺ»[1].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبيّ (١/ ٤٢٥).

وعن أبي البختري، قَالَ: قَالَ عَمَّارٌ يَوْمَ صِفِّينَ: ائْتُونِي بِشَرْبَةِ لَبَنٍ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا مِنْ الدُّنْيَا شَرْبَةُ لَبَنٍ»، فَأُتِيَ بِشَرْبَةِ لَبَنٍ فَشَرِبَهَا ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقُتِلَ[١].

وبان وظهر بذلك سِرُّ ما أخبرَ به الرسولُ ﷺ من أَنَّهُ تقتله الفئة الباغية.

قَالَ الإمام أحمد: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الحَارِثِ قَالَ: إِنِّي لَأَسِيرُ مَعَ مُعَاوِيَةَ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَمْرِو ابْنِ العَاصِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: يَا أَبَتِ مَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِعَمَّارٍ: «وَيْحَكَ يَا ابْنَ سُمَيَّةَ تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ»، فَقَالَ عَمْرٌو لِمُعَاوِيَةَ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ هَذَا؟ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَا تَزَالُ تَأْتِينَا بِهَنَةٍ أَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ إِنَّمَا قَتَلَهُ الَّذِينَ جَاءُوا بِهِ[٢].

قَالَ الحافظ ابن كثير: «وهذا التأويل الذي سلكه معاوية – رَضِيَ الله عَنْهُ – بعيد» ا.هـ[٣].

واستمرّ القتال، ثُمَّ حانت صلاة المغرب، فما صلّى بالناس إلَّا إيماء صَلَاتَي العشاء، واستمر القتال في هذه الليلة كلها، وهي من أعظم الليالي شرًّا بين المسلمين، وتسمّى هذه الليلة «ليلة الهرير» وكانت ليلة الجمعة.

وذكر غير واحد من علماء السّير: أنهم اقتتلوا بالرماح حَتَّى تكسّرت، وبالنبال حَتَّى فنيت، وبالسيوف حَتَّى تحطّمت، ثُمَّ صاروا إلى أن تقاتلوا بالأيدي، والرمي بالحجارة، والتراب يعفّرونه في الوجوه، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك، وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتى تضاحي النهار، وتوجّه النصر لأهل العراق على أهل الشام، وذلك أن الأشتر النخعي – وكان من الشجعان – حمل بمن معه على أهل الشام وتبعه عليّ فانتقضت غالب صفوف أهل الشام ولم يبق إلَّا الهزيمة والكسر والفرار،

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣١٩)، وغيره.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢/ ١٦١).

(٣) «البداية والنهاية» (٥/ ٣٧١).

وكادوا ينهزمون، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح، وقالوا: هذا بيننا وبينكم، قَدْ فني النَّاس فمن للثغور؟ ومن لجهاد المشركين والكفّار؟ وذكر ابن جوير وغيره من أهل التاريخ أن الذي أشار بهذا عمرو بن العاص، وذلك لَـمَّا رأى أن أهل العراق قَدْ ظهروا وانتصروا.

ورفض عليّ - رَضِي الله عَنْهُ - أولًا إجابة طلبهم قائلًا: «... إنها رفعوها خديعة... وتخذيلًا لكم...».

فقال له مسعد بن فدكيّ التميميّ وزيد بن حصين الطائيّ في عصابة معهما من القرَّاء الذين صاروا بعد ذلك خوارج: «يا علي أجب إلى كتاب الله إذا دُعيت إليه...».

وكان ممَّن أشار عَلَى عليّ بالقبول والدخول في ذلك «الأشعث بن قيس الكندي» رَضِي الله عَنْهُ .

وأرسل عليّ إلى الأشتر يأمره بالكفّ عن القتال، فقال الأشتر: «ألا ترى إلى ما نحن فيه من النّصر ولم يبق إلّا القليل».

ثُمَّ لَـمَّا علم أن بقاء القتال قَدْ يعرّض حياة عليّ - رَضِي الله عَنْهُ - للخطر لَـمَّا يسببه من انشقاق في صفوف جيشه، ترك القتال، وأقبل عَلَى عليّ.

ورغب أكثر النَّاس من العراقيين وأهل الشام بكمالهم إلى المصالحة والمسالمة مدّة لعله يتفق أمر يكون فيه حقن لدماء المسلمين، فإن النَّاس تفانوا في هذه المدّة، ولاسيّما في هذه الثلاثة الأيّام المتأخّرة التي آخر أمرها ليلة الجمعة، وهي ليلة الهرير - كما تقدّم.

وكل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ما ليس يوجد في الدنيا مثله، ولهذا لم يفر أحدٌ من أحد، بل صبروا حَتَّى قُتل من الفريقين فيما ذكره غير واحد سبعون ألفًا، خمسة وأربعون ألفًا من أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفًا من أهل العراق.

وقال الزهري: بلغني أَنَّهُ كان يدفن في القبر الواحد خمسون نفسًا[1].

---

(١) هَذَا كله ملخص من كلام ابن جرير، وابن الجوزيّ، في «المنتظم»، وابن كثير في «البداية»، وابن العربي في «العواصم».

عباد الله...

ثم ماذا؟

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرُها عَلَى التحكيم، وهو أن يُحَكِّم كلّ واحد من الأمرين - عليّ ومعاوية - رجلًا من جهته ثُمَّ يتفق الحكمان عَلَى ما فيه مصلحة المسلمين.

فوكّل معاوية عمرو بن العاص، وأراد عليّ أن يوكّل عبد الله بن عباس، لكن منعه القُرَّاء وقالوا: لا نرضى إِلَّا بأبي موسى الأشعري، وكان أبو موسى قَدْ اعتزل في بعض أرض الحجاز[١]، فذهبت الرُّسلُ إليه، لَـمَّا قيل له: إنَّ النَّاس قَدْ اصطلحوا، قَالَ: الحمد لله.

قيل له: وقد جُعلتَ حكمًا.

فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثُمَّ أخذوه حَتَّى أحضروه إلى عليّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ثُمَّ أخذ الحَكَمان - أبو موسى وعمرو بن العاص - من عليّ ومعاوية ومن الجندين العهود والمواثيق أنهما آمنان عَلَى أنفسهما وأهلهما، والأُمّة لهما أنصار عَلَى الذي يتقاضيان عليه.

واجتمعا بأذرح[٢] من دُومة الجندل، وهناك رواية تقول: أنهما تفاوضا واتفقا عَلَى أن يخلعا الرّجلين «عليّا ومعاوية»، ثُمَّ يجعلا الأمر شورى بين النَّاس ليتفقوا عَلَى الأصلح لهم منهما أو من غيرهما.

ثُمَّ جاءوا إلى المجتمع الذي فيه النَّاس، فتقدّم أبو موسى، وقال: «... إني خلعت عليًّا ومعاوية».

ثُمَّ تنحى، وجاء عمرو بن العاص فقام مقامه وقال: «... إنه خلع صاحبه، وإني قَدْ خلعتهُ كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية».

قالوا: وكان ابن العاص ذا دهاء، فخدع أبا موسى وغدر به.

---

(١) أي: اعتزل الفتنة، كما اعتزلها سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، ومحمد بن مَسلمَة رضي الله عنهم.

(٢) أذرح: قرية من أعمال الشراة تقع في منطقة بين أراضي شرقي الأردن والمملكة العربية السعودية في الأطراف الجنوبية من بادية الشام.

لكن العلَّامة محبّ الدين الخطيب - رحمه الله - ردّ هذه الرواية قائلًا:

«من الحقائق ما إذا أسيء التعبير عنه وشابته شوائب المغالطة يوهم غير الحقيقة فينشأ عن ذلك الاختلاف في الحكم عليه. ومن ذلك حادثة التحكيم وقول المغالطين إن أبا موسى وعمرًا اتفقا على خلع الرجلين، فخلعهما أبو موسى، واكتفى عمرو بخلع علي دون معاوية.

وأصل المغالطة: مِن تجاهل المغالطين أن معاوية لم يكن خليفة، ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه. بل إن أبا موسى وعمرًا اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم[(١)].

واتفاق الحكمين على ذلك لا يتناول معاوية لأنه لم يكن خليفة ولم يقاتل على الخلافة وإنما كان يطالب بإقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان[(٢)]. فلما وقع التحكيم على إمامة المسلمين، واتفق الحكمان على ترك النظر فيها إلى كبار الصحابة وأعيانهم تناول التحكيم شيئًا واحدًا هو الإمامة.

أما التصرف العملي في إرادة البلاد التي كانت تحت يد كل من الرجلين المتحاربين فبقي كما كان: عليّ متصرف في البلاد التي تحت حكمه، ومعاوية متصرف في البلاد التي تحت حكمه، فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر، ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة[(٣)].

وكان يكون محلًّا للمكر أو الغفلة لو أن عمرًا أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولى معاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين، وهذا ما لم يعلنه عمرو، ولا ادعاه معاوية، ولم يقل به أحد في الثلاثة عشر قرنًا الماضية. وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي، وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية، ومن ذلك اليوم فقط سمي معاوية أمير المؤمنين. فعمرو لم يغالط أبا موسى ولم يخدعه، لأنه لم يعط معاوية شيئًا جديدًا، ولم

(١) يعني مِمَّن تَبَقَّى منهم.
(٢) كما طالب طلحة والزبير رَضِي الله عَنْهُما، وكما طالبت أمّ المؤمنين عائشة رَضِي الله عَنْها.
(٣) كما اتّهم بعض كُتاب السِّير أبا موسى رَضِي الله عَنْهُ .

يقرر في التحكيم غير الذي قرره أبو موسى. ولم يخرج عما اتفقا عليه معًا، فبقيت العراق والحجاز وما يتبعهما تحت يد من كانت تحت يده من قبل، وبقيت الشام وما يتبعها تحت يد من كانت تحت يده من قبل، وتعلقت الإمامة بها سيكون من اتفاق أعيان الصحابة عليها، وأي ذنب لعمرو في أي شيء مما وقع؟ إن البلاهة لم تكن من أبي موسى، ولكن ممن يريد أن يفهم الوقائع على غير ما وقعت عليه. فليفهمها كل من شاء كما يشاء. أما هي فظاهرة واضحة لكل من يراها كما هي ا.هـ[١].

عباد الله...

وللحديث بقيّة، ستأتي بعد قليل - إن شاء الله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وفي هذا الجوّ، ظهر فكر الخوارج.

مرّ الأشعث بن قيس عَلَى ملأ من بني تميم فقرأ عليهم كتاب التحكيم، فقام إليه عروةُ بن جرير من بني ربيعة بن حنظلة فقال: أتحكّمون في دين الله الرِّجال؟

وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل طوائف من أصحاب عليّ من القرَّاء وقالوا: «لا حكم إلا لله»، فسموا المحكميّة.

وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه، ورجع عليّ إلى الكوفة.

ولما كان قد قارب دخول الكوفة اعتزل من جيشه قريب من اثنى عشر ألفًا وهم الخوارج، وأبوا أن يساكنوه في بلده، ونزلوا بمكان يقال له «حروراء» وأنكروا عليه

---

(١) «حاشية العواصم» (١٧٧).

أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها، فبعث إليهم عليّ - رَضِيَ الله عَنْهُ - عبد الله بن عباس فناظرهم فرجع أكثرهم وبقي بقيتهم، فقاتلهم عليّ بن أبي طالب وأصحابه، كما سيأتي بيانه وتفصيله قريبا إن شاء الله تعالى.

والمقصود أن هؤلاء الخوارج هم المشار إليهم في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ قَالَ: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ».

فهذا الحديث من دلائل النبوّة إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به ﷺ وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطّغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أنَّ أصحاب عليّ أدنى الطائفتين إلى الحقّ، وهذا هُوَ مذهب أهل السُّنة والجماعة أن عليًا - رَضِيَ الله عَنْهُ - هُوَ المصيب وإن كان معاوية مجتهدًا، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن عليّ هُوَ الإمام فله أجران كما ثبت في «صحيح البخاري» من حديث عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» [1].

عباد الله...

لم تنته أحداث موقعة «صفين» بعد، وفي الخطبة القادمة نواصل الحديث - إن شاء الله - فإلى اللقاء.

۞۞۞۞۞

---

(١) رواه البخاري، وانظر «البداية» (٣٨٠- ٣٨٢) باختصار.

الخطبة الحادية والثلاثون بعد المائة:

[جـ] علي بن أبي طالب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

اجتمع ما تبقّى من الخوارج في منزل «عبد الله بن وهب الراسبيّ» فخطبهم خطبة بليغة زهّدهم في هذه الدنيا، ورغّبهم في الآخرة والجنة، وحثّهم عَلَى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ثُمَّ قَالَ: «فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السّواد إلى بعض كور الجبال، أو بعض هذه المدائن، منكرين لهذه الأحكام الجائرة».

ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: «إن المتاع بهذه الدنيا قليل وإن الفراق لها وشيك فلا يدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها، ولا تلتفت بكم عن

طلب الحق وإنكار الظلم...».

فقال سنان بن حمزة الأسدي: «يا قوم إن الرأي ما رأيتم، وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلًا منكم فأنه لا بد لكم من عماد وسناد، ومن راية تحفّون بها وترجعون إليها».

فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي - وكان من رءوسهم - فعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها وقال: «أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فَرَقًا[1] من الموت».

واجتمعوا أيضًا في بيت زيد بن حصن الطائي فخطبهم وحثّهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... ثُمَّ قَالَ: «فأشهد عَلَى أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حقّ على المؤمنين».

فبكى رجل منهم يقال له عبد الله بن سخبرة السلمي، ثم حرّض أولئك على الخروج على النَّاس، وقال في كلامه: «اضربوا وجوههم وجباههم بالسّيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم».

قَالَ الإمام ابن كثير: «وهذا الضَّرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوَّع خلقه كما أراد، وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥].

والمقصود: أن هؤلاء الجهلة الضلال والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطئوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هو على رأيهم ومذهبهم من

(١) الفَرق: الخوف.

أهل البصرة وغيرها، فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد بن حصن الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشًا لا تطيقونه وسيمنعوها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى[١] ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحدانًا لئلا يفطن بكم».

فكتبوا كتابًا عامًّا إلى من هو علي مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليه ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يدًا واحدة على النَّاس، ثم خرجوا يتسللون وحدانًا، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة... ثم عاثوا في الأرض فسادًا، فسفكوا الدماء، وقطعوا السّبل، واستحلوا المحارم، وكان من جملة من قتلوه «عبد الله بن خبَّاب» صاحب رسول الله ﷺ بعد أن أسروه.

فلمَّا بلغ ذلك عليًّا - رَضِي الله عَنْهُ - عزم عَلَى الذهاب إليهم ليكبح جماحهم ويستأصل شرّهم.

وتحرّك - رَضِي الله عَنْهُ - بجيشه، فعبر الجسر فصلَّى ركعتين عنده، ثم سلك على دير عبد الرحمن، ثم دير أبي موسى، ثم على شاطئ الفرات، ثُمَّ سلك على ناحية الأنبار، وبعث بين يديه قيس بن سعد وأمره أن يأتي المدائن وأن يتلقاه بنائبها سعد بن مسعود وهو أخو عبد الله بن مسعود الثقفي في جيش المدائن، فاجتمع الناس هنالك على عليّ وبعث إلى الخوارج: أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم بهم... فبعثوا إلى علي يقولون: كُلنّا قَتَل إخوانكم، ونحن مستحلّون دماءهم ودماءكم وأموالكم.

فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم والخطب الجسيم، فلم ينفع وكذلك أبو أيوب الأنصاري أنّبهم ووبّخهم فلم ينجع[٢]، وتقدم أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب إليهم فوعظهم وخوفهم فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقاء الرَّب عَزَّ وَجَلَّ الرَّواح الرَّواح إلى الجَنَّة.

---

(١) نهر جوخي: عليه كورة واسعة في سواد بغداد، وهو بين خانقين وخوزستان.
(٢) ينجع: يفلح.

وتقدموا فاصطفوا للقتال، وتأهبوا للنزال، فأمر عليّ - رَضِيَ الله عَنْهُ - أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: «مَن جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلَّا فيمن قتل إخواننا».

فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا في أربعة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبيّ، فزحفوا إلى عليّ فقدم عليٌّ - رَضِيَ الله عَنْهُ - بين يديه الخيل، وقدَّم منهم الرُّماة، وصفّ الرجَّالة، وقال لأصحابه: «كفّوا عنهم حتى يبدؤوكم».

وأقبلت الخوارج يقولون: «لا حُكم إلا لله الرَّواح الرَّواح إلى الجَنَّة» فحملوا على الخيالة الذين قدّمهم عليّ ففرَّقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة، فاستقبلتهم الرُّماة بالنّبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيَّالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقُتل أمراؤهم عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سخبرة السلمي - قبحهم الله.

قالوا: ولم يقتل من أصحاب عليّ إلا سبعة نفر.

وجعل عليّ - رَضِيَ الله عَنْهُ - يمشي بين القتلى منهم ويقول: «بُؤسًا لكم لقد ضَرَّكم من غَرّكم».

فقالوا: يا أمير المؤمنين ومن غَرّهم؟

قَالَ: «الشيطان وأنفس بالسُّوء أمّارة، غرّتهم بالأمانيِّ وزيَّنت لهم المعاصي، ونَبَّأتهُم أنَّهم ظاهرون».

ثم أمر بالجرحى من بينهم فإذا هم أربعمائة، فسلّمهم إلى قبائلهم ليداووهم، وقسّم ما وجد من سلاح ومتاع لهم.

وعن النزال بن سبرة: أن عليًا - رَضِيَ الله عَنْهُ - لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان، ولكن ردّه إلى أهله كلّه، حتى كان آخر ذلك مِرجَل أتى به فَرَدّه.

وعن علقمة بن عامر قَالَ: سُئل عليّ عن أهل النهروان أمُشرِكون هم؟

فقال: مِنَ الشِّرك فرّوا.

قيل: أفمُنَافقون؟

قَالَ: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا.

فقيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟

قَالَ: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا» ا.هـ(١).

عباد الله...

وكان النَّبيّ ﷺ وهو الصَّادق المصدوق قد أخبر بمقتله، وأنَّ عليًا سَيُقْتَلُ ظُلمًا.

فعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: **«أَلَا أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟»** قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **«أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ - يَعْنِي قَرْنَهُ - حَتَّى تُبَلَّ مِنْهُ هَذِهِ يَعْنِي لِحْيَتَهُ»**(٢).

وكان عليٌّ يوقن بذلك، فقد روى أبو داود الطيالسي في «مسنده» عنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَدِمَ عَلِيٌّ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ فِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: الْجَعْدُ بْنُ بَعْجَةَ فَقَالَ: لَهُ اتَّقِ اللَّهَ يَا عَلِيُّ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ.

فَقَالَ عَلِيٌّ: «بَلْ مَقْتُولٌ ضَرْبَةٌ عَلَى هَذَا تَخْضِبُ هَذِهِ - يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ - عَهْدٌ مَعْهُودٌ وَقَضَاءٌ مَقْضِيٌّ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى».

وهذا غاية اليقين.

وفي سنة أربعين من الهجرة لَبَّى عليٌّ نداء مولاه.

ذكر ابن جرير وغير واحد من علماء السير: «أن ثلاثة من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر التميمي أيضًا، اجتمعوا فتذاكروا قتل عليّ إخوانهم من أهل النَّهروان فترحموا عليهم،

---

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٣٩١- ٣٩٣) باختصار شديد، وإضافة.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والحاكم.

وقالوا ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟ كانوا من خير الناس وأكثرهم صلاة، لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد والعباد وأخذنا منهم ثأر إخواننا؟

فقال ابن ملجم: أما أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب.

وقال البرك بن عبد الله: وأنا أكفيكم معاوية.

وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص.

فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فسمّوها، واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه.

وفي الموعد المحدّد، خرج عليٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ إلى صلاة الفجر من يوم الجمعة، وجعل ينهض النَّاس من النوم إلى الصلاة، ويقول: الصلاة الصلاة عباد الله.

ولما بلغ الباب الصغير، شدّ عليه ابن ملجم فضربه بالسّيف عَلَى قرنه - نفس المكان الذي أشار إليه النبيُّ ﷺ - فسال دمه عَلَى لحيته.

ولما ضربه ابنُ ملجم قَالَ: «لا حكم إلّا لله ليس لك يا عليّ ولا لأصحابك»، ونادى عليٌّ: عليكم به.

وحُمِل عليّ إلى منزله، وحُمِل إليه ابن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف فقال له عليٌّ: ما حملك عَلَى هذا؟

قَالَ: شحذته أربعين صباحًا وسألت الله أن يُقتل به شر خلقه؟

فقال له عليّ: لا أراك إلا مقتولًا به، ولا أراك إلا من شرّ خلق الله.

ثم قَالَ: إن مت فاقتلوه، وإن عشت فأنا أعلم كيف أصنع به.

فقال جندب بن عبد الله: يا أمير المؤمنين إن متّ نبايع الحسن؟

فقال: لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر.

ولما احتُضر عليّ جعل يكثر من قول: لا إله إلا الله، لا يتلفظ بغيرها، حَتَّى خرجت

روحُه الطاهرة.

أمَّا البرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر فقد فشلا في قتل معاوية وعمرو بن العاص.

وغسّل عليًّا ابناه الحسن والحسين، وصلّى عليه الحسن رَضِيَ الله عَنْهُ، ثم اختار أصحابُ عليٍّ الحسن أميرًا للمؤمنين، فتنازل الحسنُ عنها لمعاوية، حقنًا للدماء.

وبذلك تحقق ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ حين قَالَ: «**إِنْ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ عَلَى يَدَيْهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الـمُسْلِمِينَ**»[١].

فصلواتُ رَبِّي وسلامُه عَلى مَن لا يَنطِق عن الهَوى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وموقف المسلم من الفتن التي حدثت في عهد الصحابة، والقتال الذي دار بينهم في «صفين» و«الجمل» الإمساك وعدم الخوض فيما جرى بغير علم.

قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا**»[٢].

عَنْ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَحْنَفُ؟ قَالَ: قُلْتُ: أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ - يَعْنِي عَلِيًّا - قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أَحْنَفُ ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»[٣].

قال الإمام النووي -رَحِمَهُ الله - في شرحه الحديث: «اعْلَمْ أَنَّ الدِّمَاء الَّتِي جَرَتْ بَيْن

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٩٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤).

(٣) رواه مسلم (٢٨٨٨).

الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ لَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ فِي هَذَا الوَعِيد، وَمَذْهَب أَهْل السُّنَّة وَالحَقّ إِحْسَان الظَّنّ بِهِمْ، وَالإِمْسَاك عَمَّا شَجَرَ بَيْنهمْ، وَتَأْوِيل قِتَالهمْ، وَأَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ مُتَأَوِّلُونَ لَمْ يَقْصِدُوا مَعْصِيَة وَلَا مَحْض الدُّنْيَا، بَلْ اِعْتَقَدَ كُلّ فَرِيق أَنَّهُ الْمُحِقّ، وَمُخَالِفه بَاغٍ، فَوَجَبَ عَلَيْهِ قِتَاله لِيَرْجِع إِلَى أَمْر اللَّه. وَكَانَ بَعْضهمْ مُصِيبًا، وَبَعْضهمْ مُخْطِئًا مَعْذُورًا فِي الخَطَأ؛ لِأَنَّهُ لِاجْتِهَادٍ، وَالْمُجْتَهِد إِذَا أَخْطَأَ لَا إِثْم عَلَيْهِ، وَكَانَ عَلِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ هُوَ الْمُحِقّ الْمُصِيب فِي تِلْكَ الحُرُوب. هَذَا مَذْهَب أَهْل السُّنَّة، وَكَانَتْ القَضَايَا مُشْتَبِهَة حَتَّى إِنَّ جَمَاعَة مِنْ الصَّحَابَة تَحَيَّرُوا فِيهَا فَاعْتَزَلُوا الطَّائِفَتَيْنِ، وَلَمْ يُقَاتِلُوا[1]، وَلَمْ يَتَيَقَّنُوا الصَّوَاب». ا.هـ[2].

عباد الله...

وفي الخطبة القادمة نواصل الحديث عن «أهل البيت» فإلى اللقاء - إن شاء الله تَعَالى.

اللَّهُمَّ اهدنا واهدِ بنا، واجعلنا سببًا لِمَن اهتَدى.

آمين... آمين... آمين.

۞۞۞۞۞

(١) منهم: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة.

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨/ ٣٣٩).

الخطبة الثانية والثلاثون بعد المائة:

العبَّاس بن عبد المطلب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن «**سيرة أهل البيت**» ولقاؤنا اليوم - إن شاء الله تَعَالى - مع العبَّاس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيّ بن كلاب بن مرّة، عمّ رسول الله ﷺ وصِنو أبيه، يكنى: أبا الفضل، بابنه.

وأُمّه: نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر -وهو الضحيان- بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط.

وهي أول عربية كست البيت الحرير والديباج وأصناف الكسوة، وسببه أن العباس ضاع، وهو صغير، فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت، فوجدته، ففعلت.

وكان أسن من رسول الله ﷺ بسنتين، وقيل بثلاث سنين.

وكان العباس في الجاهلية رئيسًا في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية.

أما السقاية فمعروفة، وأما عمارة المسجد الحرام؛ فإنه كان لا يدع أحدًا يَسُبّ في المسجد الحرام، ولا يقول فيه هجرًا لا يستطيعون لذلك امتناعًا، لأنَّ ملأ قريش كانوا قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك، فكانوا له أعوانًا عليه[1].

عباد الله...

شهد العبَّاس مع رسول الله ﷺ بيعة العقبة، لَـمَّا بايعه الأنصار، ليشدد له العقد، وكان حينئذ مشركًا وكان ممن خرج مع المشركين إلى بدر مُكرهًا، وأُسِرَ يومئذٍ فيمن أُسِر.

عن أبي اليَسر السَّلمي رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: نظرت إلى العبَّاس يوم بدر، وهو واقفٌ كأنه صنم، وعيناه تذرفان. فقلت: جزاك الله من ذي رحمٍ شرًّا، أتقاتِلُ ابن أخيك مع عدوه؟

قَالَ: ما فعل؟ أقُتِل؟ قلت: الله أعزُّ له وأنصرُ من ذَلِكَ، قَالَ: ما تُريدُ إليَّ؟

قلت: الأسر؛ فإن رسول الله ﷺ نَهَى عن قتلك.

قَالَ: ليست بأول صِلَتِه، فأسرتُه، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ[2].

وعن البراء قَالَ: جاء رجل من الأنصار بالعبَّاس قَدْ أَسَرَه، فقال: ليس هذا أسرني، فقال النبي ﷺ «**لقد آزرك الله بملك كريم**»[3].

«وفَدَى العبَّاسُ يوم بدر نفسه وابني أخويه: عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وأسلم عقيب ذلك وقيل: إنه أسلم قبل الهجرة، وكان يكتم إسلامه، وكان بمكة يكتب إلى رسول الله ﷺ أخبار المشركين، وكان من بمكة من المسلمين يتقوّون به

---

(١) «أسد الغابة» (٣/ ١٥٢).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٤/ ١٢).

(٣) رجاله ثقات.

ءكن هم عونًا على إسلامهم»[١].

يها المسلمون...

وقَدْ وردت في فضائل العبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُ عدّة أحاديث؛ منها:

١) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ: «**هَذَا العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ أَجْوَدُ قُرَيْشٍ كَفًّا وَأَوْصَلُهَا**»[٢].

٢) وعن عَبْدُ المُطَّلِبِ بْنُ رَبِيعَةَ قَالَ: «**ما بالُ رجال يؤذونني في العبَّاس، إِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ**[٣] **أَبِيهِ، مَنْ آذَى العَبَّاسَ فَقَدْ آذَانِي**»[٤].

٣) وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَقِيلَ: مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ وَخَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ وَالعَبَّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَادَهُ**[٥] **فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَأَمَّا العَبَّاسُ فَهِىَ عَلَيَّ وَمِثْلُهَا مَعَهَا**». ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُمَرُ أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ**»[٦].

٤) وعَنْ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: دَخَلَ العَبَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَنَخْرُجُ فَنَرَى قُرَيْشاً تَحَدَّثُ فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**وَاللهِ لاَ يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِى**»[٧].

٥) وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ وَقَعَ فِى أَبٍ لِلْعَبَّاسِ كَانَ فِى الجَاهِلِيَّةِ، فَلَطَمَهُ العَبَّاسُ فَجَاءَ قَوْمُهُ فَقَالُوا: وَاللهِ لَنَلْطِمَنَّهُ كَمَا لَطَمَهُ. فَلَبِسُوا السِّلاَحَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَصَعِدَ المِنْبَرَ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ أَىُّ أَهْلِ الأَرْضِ**

---

١) «أسد الغابة» (٣/ ١٥٢).

٢) سنده قوي: أخرجه أحمد (١/ ١٨٥)، وغيره.

٣) الصِّنو: المثل.

٤) حسن صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٥٨)، وله شواهد.

٥) الأعتاد: آلات الحرب من السلاح والدواب وغيرها.

٦) أخرجه مسلم (٩٨٣)، وغيره.

٧) حسن لغيره: أخرجه أحمد (١/ ٢٠٧)، والترمذي (٣٧٥٨)، وغيرهما.

أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ؟». قَالُوا: أَنْتَ. قَالَ: «فَإِنَّ العَبَّاسَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ فَلاَ تَسُبُّوا مَوْتَانَا فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا». فَجَاءَ القَوْمُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِكَ(١).

عباد الله...

وكان العبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُ مؤدَّبًا أدبًا عاليًا، يُجِلُّ النَّبيَّ ﷺ إجلالًا كبيرًا.

ونسوق للمسلمين شيئًا من ذَلِكَ، خصوصًا أولئك الذين أساءوا الأدب معه ﷺ.

عن أبي رزين، قَالَ: قيل للعباس: أنت أكبر أو النبيّ ﷺ؟ قَالَ: هو أكبر، وأنا وُلِدتُ قَبْله(٢).

فأين هَذِهِ الأخلاق اليوم؟!

أيها المسلمون...

وكان العباس رَضِيَ الله عَنْهُ مجاهدًا في سبيل الله، لا يشق له غُبار، يثبت في مواطن الفرار، ويجاهد جهاد الأبرار، ويدل عَلَى ذَلِكَ:

ثباته رَضِيَ الله عَنْهُ يوم حُنين، وقت الهزيمة، آخذًا بلجام بغلة النَّبي ﷺ، وثبت معه حَتَّى نزل النصر، ومن قبلها شهد العباس فتح مَكَّة.

عن العبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ، أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الجُذَامِيُّ، فَلَمَّا التَقَى المُسْلِمُونَ وَالكُفَّارُ وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ**».

فَقَالَ عَبَّاسٌ: - وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا - فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟

قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا:

---

(١) إسناده حسن: رواه أحمد (١/ ٢٠٠)، والحاكم (٣/ ٣٢٩).

(٢) قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٧٠): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

يَ نَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ.

قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالكُفَّارَ وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتْ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ فَقَالُوا: يَا بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ يَا بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ.

فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ**».

قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**».

قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا القِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا»[1].

وعند أحمد في «فضائل الصحابة» عن العبَّاس بلفظ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَلَزِمْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ - وَرُبَّمَا قَالَ: مَعْمَرٌ بَيْضَاءَ -... قَالَ العَبَّاسُ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكُفُّهَا وَهُوَ لَا يَأْلُو مَا أَسْرَعَ نَحْوَ المُشْرِكِينَ...» الحديث[2].

عباد الله...

إن طريق الجَنَّة ليس مُعَبّدًا، إنه محفوفٌ بالمخاطر، مملوء بالأشواك، لا يستطيع السير فيه ولا تحمّل مشاق السَّفر إليه مَن كان الريح يُدمي بنانه !!

ومــن يجــد الطَّــريق إلى المعالــي ... فــلا يــذر المطــيّ بــلا ســنام

ولم أر في عــيوب الــنَّاس شــيئًا ... كــنقص القــادرين عَلَــى الــتمام

فالثبات الثبات عَلَى الحقّ - يا عباد الله - واعلموا أن كل ما هو آت قريب، وعند

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٥)، وأحمد (١/ ٢٠٧)، وغيرهما.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٦٩).

الصياح يحمد القوم السُّرى، وعند الممات يحمد القوم التَّقي.

أيُّهَا المسلمون...

ولقد بلغ العبَّاسُ بين الصَّحابة مكانًا عليًّا، بل بلغ عند النبيّ ﷺ مكانًا عليًّا.

قالت عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا: ما رأيتُ رَسُول الله ﷺ يُجِلُّ أحدًا ما يُجِلُّ العبَّاس أو يُكرم العبَّاس[١].

وعن صهيب مولى العباس: رأيت عليًّا يقبِّل يد العباس ورجله، ويقول: يا عمّ ارض عنِّي[٢].

وورد أن عمر عمد إلى ميزاب للعباس عَلَى ممّر النَّاس فقلعه، فقال له: أشهد أن رسول الله ﷺ هو الذي وضعه في مكانه، فأقسم عمر: لتصعدنَّ عَلَى ظهري، ولتضعنَّه موضعه[٣].

وفي «أسد الغابة»[٤] قَالَ ابن الأثير: واستسقى عمر بن الخطاب بالعباس رَضِيَ الله عَنْهُمَا عام الرمادة لما اشتد القحط. فسقاهم الله تعالى به، وأخصبت الأرض. فقال عمر: هذا والله الوسيلة إلى الله، والمكان منه. وقال حسان بن ثابت:

سألَ الإمامُ وقد تتابع جَدبُنا فَسَقَى الغمامُ بغُرَّةِ العبَّاسِ

عَمّ النَّبيِّ وصِنْو وَالِدهِ الذي ورث النَّبيَّ بذاكَ دُون النَّاس

أحيَا الإلهُ بهِ البلادِ فأصبحت مُخضرَّةَ الأجنابِ بعد الياسِ

ولما سقي الناس طفقوا يتمسحون بالعباس، ويقولون: هنيئاً لك ساقي الحرمين.

وروى البخاري في «صحيحه»[٥]: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ

---

(١) إسناده صالح: ذكره الذهبيّ في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٩٢).

(٢) إسناده حسن: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٦)، وحسنه الذهبيّ.

(٣) إسناده حسن: أخرجه أحمد (١/ ٢١٠)، وغيره.

(٤) (٣/ ١٥٤).

(٥) برقم (٣٧١٠) في الاستسقاء (٢/ ٤١٣).

خَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ.

وَقَدْ بَيَّنَ الزُّبَيْرِ بْن بَكَّار فِي «الأَنْسَاب» صِفَةَ مَا دَعَا بِهِ العَبَّاس فِي هَذِهِ الوَاقِعَة وَالوَقْت الَّذِي وَقَعَ فِيهِ ذَلِكَ، فَأَخْرَجَ بِإِسْنَادٍ لَهُ أَنَّ العَبَّاس لَمَّا اِسْتَسْقَى بِهِ عُمَر قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِل بَلَاء إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَمْ يُكْشَف إِلَّا بِتَوْبَةٍ، وَقَدْ تَوَجَّهَ القَوْم بِي إِلَيْك لِمَكَانِي مِنْ نَبِيّك، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْك بِالذُّنُوبِ وَنَوَاصِينَا إِلَيْك بِالتَّوْبَةِ فَاسْقِنَا الغَيْث». فَأَرْخَتْ السَّمَاء مِثْل الجِبَال حَتَّى أَخْصَبَتْ الأَرْض، وَعَاشَ النَّاس.

وفي ذَلِكَ يقول عبَّاس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمِّي سَقَى اللَّـهُ الحجاز وأهلـه ... عـشيّة يستـسقي بـشيبته عُمَـر

تـوجَّه بالعـبَّاس في الجَـدب راغـبًا ... إلـيه فمـا إن رام حَتَّـى أتـى المطـر

ومـنَّا رسـول الله فيـنا تـراثه ... فهـل فـوق هـذا للمفاخِـر مُفتَخَـر

عباد الله...

هؤلاء أهل بيت النَّبيّ ﷺ يُستسقى بهم المطر، ويُنصر بهم عَلَى الأعداء. فماذا يقول الشانئون؟!

اللَّهُمَّ ارزقنا حُبَّك، وحُبَّ مَن أحبَّك، وحُبَّ كلّ عَمَلٍ يُقرِّبنا من حُبّك.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد رحلة من العطاء، قدَّم خلالها العبَّاسُ لدينه خدمات جليلة، أضرّ العباس في آخر عمره، وتُوفيّ بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: بل من رمضان، سنة اثنتين وثلاثين، قبل قتل عثمان بسنتين[١].

(١) «أسد الغابة» (٣/ ١٥٥).

ولما مات بعثت بنو هاشم مَن يُؤذِن أهل العوالي: رحم الله من شَهد العباس بن عبد المطلب، فحشد الناس، فلما أُتي به إلى موضع الجنازة، تضايق، فقدّموا به إلى البقيع، فما كان مثل ذلك الخروج قط.

قال سعد بن أبي وقاص: ما قَدَرنا أن ندنو من سريره من كثرة الناس، غُلبنا عليه، ولقد كنت أحب حمله[1].

وكان الذي حضر غسله عثمان، وغسّله علي وابن عباس، وأخواه: قُثَم، وعبيد الله.

وصَلَّى عليه عثمان، ودُفِن بالبقيع، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وكان طويلًا جميلًا رضي الله عن العبَّاس وأرضاه.

عباد الله...

وقبل أن أنهي خطبة اليوم، أُحبّ أن أُنبِّه إلى أننا تركنا ترجمة بعض أهل البيت كحمزة بن عبد المطلب، وكابن عباس رضي الله عنهم، لأنه سيأتي الحديث عنهم في 'لسلسلة الخاصّة بالصحابة، في المجلد التالي، فلزم التنويه.

وفي الخطبة القادمة نواصل المسير مع أهل البيت، فإلى اللقاء إن شاء الله.

۞۞۞۞۞

(١) ابن سعد (٤/ ٣٢).

الخطبة الثالثة والثلاثون بعد المائة:

الحسن بن علي بن أبي طالب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن «**أهل البيت**».

ولقاؤنا اليوم - إن شاء الله تعالى - مع الإمام السيِّد، ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه، وسيِّد شباب أهل الجَنَّة، أبي مُحَمَّد الحسن بن عليّ بن أبي طالب القرشيّ الهاشميّ المدنيّ الشهيد رَضِيَ الله عَنْهُ.

عباد الله...

وكان الحسن رَضِيَ الله عَنْهُ يشبه جدّهُ رسول الله ﷺ، قَالَه أبو جُحيفة، رواه البخاريُّ.

وُلد رَضِيَ الله عَنْهُ في شعبان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: في نصف رمضان، وعقَّ عنه جَدُّه بكبش.

فعَن أنسٍ بن مالك رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: «عَقَّ رَسُول الله ﷺ عن حسن وحُسين بكبشين»[١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَقَّ عَنِ الحَسَنِ كَبْشًا وَعَنِ الحُسَيْنِ كَبْشًا»[٢].

وتحكي سُورَةَ بنتِ مِشْرَحٍ قصَّة مولد الحَسن فتقول: كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا - حِينَ ضَرَبَهَا المَخَاضُ فِي نِسْوَةٍ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «كَيْفَ هِيَ؟» قُلْتُ: إِنَّهَا لَمَجْهُودَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِذَا هِيَ وَضَعَتْ فَلا تَسْبِقِينِي فِيهِ بِشَيْءٍ».

قَالَتْ: فَوَضَعَتْ، فَسَرُّوهُ ولَفُّوهُ فِي خِرْقَةٍ صَفْرَاءَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَتْ؟»، قُلْتُ: قَدْ وَلَدَتْ غُلامًا، وسَرَرْتُهُ ولفَفْتُهُ فِي خِرْقَةٍ، قَالَ: «عَصَيْتِنِي؟»، قَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَمِنْ غَضَبِ رَسُولِهِ، قَالَ: «ائْتِينِي بِهِ».

فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَأَلْقَى الخِرْقَةَ الصَّفْرَاءَ، ولَفَّهُ فِي خِرْقَةٍ بَيْضَاءَ، وَتَفَلَ فِي فِيهِ، وأَلْبَأَهُ[٣] بِرِيقِهِ، فَجَاءَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَقَالَ: «مَا سَمَّيْتَهُ يَا عَلِيُّ؟» قَالَ: سَمَّيْتُهُ جَعْفَرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لا، وَلَكِنْ حَسَنٌ، وَبَعْدَهُ حُسَيْنٌ، وَأَنْتَ أَبُو حَسَنٍ الخَيْرِ»[٤].

وعن عُبيد بن أبي رافع، عن أبيه: «أنَّ النَّبي ﷺ أذَّن في أُذن الحَسن بالصَّلاة حين وُلِد»[٥].

وعَنْ أَبِي رَافِعٍ أيضًا قَالَ: لَمَّا وَلَدَتْ فَاطِمَةُ حَسَنًا قَالَتْ: يا رسول الله أَلَا أَعُقُّ عَنْ

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان (١٠٦١)، والبيهقي (٩/ ٢٩٩).

(٢) إسناده صحيح: رواه أبو داود.

(٣) ألبأه: صبَّه في فيهِ كما يُصب اللَّبن في فم الصَّبيّ وهو أول ما يُحلب عند الولادة.

(٤) قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما عروة بن فيروز، وعمرو بن عمير ولم أعرفهما، وبقية رجاله وثّقوا.

(٥) إسناده قوي بشواهده: أخرجه أحمد (٦/ ٩)، وأبو داود (٥١٠٥)، وغيرهما.

حي بِدَم؟ قَالَ: «لَا وَلَكِنْ احْلِقِي رَأْسَهُ وَتَصَدَّقِي بِوَزْنِ شَعْرِهِ مِنْ فِضَّةٍ عَلَى المَسَاكِينِ» ففعلت[١].

وعن صفته، قَالَ أنسٍ بن مالك رَضِيَ الله عَنْهُ: «كان أشبههم بالنَّبيّ ﷺ الحسنُ بن علي»[٢].

وعن عليّ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: «الحَسَنُ أَشْبَهُ النَّاسِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَا بَيْنَ الصَّدْرِ إِلَى الرَّأْسِ، وَالحُسَيْنُ أَشْبَهُ النَّاسِ بِالنَّبِيِّ ﷺ مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ»[٣].

وقال الحافظ الذهبيّ - رَحِمَهُ الله تَعَالى -: «وقَدْ كان هذا الإمام سيِّدًا، وسيمًا، جميلًا، عاقلًا، رزينًا، جوادًا، ممدحًا، خيِّرًا، ديِّنًا، ورعًا، محتشمًا، كبير الشأن».

عباد الله...

وقَدْ كثرت مناقب هذا السِّيد الكبير، وتعدَّدت فضائله، ونحن نذكر - هنا - شيئًا من ذَلِكَ، والله المستعان، وعليه التكلان:

(١) عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ سمع النَّبيّ ﷺ يقول: «إِنَّ هَذَا مَلَكٌ لَمْ يَنْزِلْ الأَرْضَ قَطُّ قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَيُبَشِّرَنِي بِأَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَنَّ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٤].

(٢) وعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ فَأَقْبَلَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ، فَلَمَّا رَآهُمَا نَزَلَ فَأَخَذَهُمَا ثُمَّ صَعِدَ فَوَقَهُمَا فِي حِجْرِهِ ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللهُ ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٥] رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى أَخَذْتُهُمَا» ثم أخذ في خطبته[٦].

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٠، ٣٩٢)، وغيره.
(٢) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (٢٠٩٨٤)، والترمذي (٣٧٧٨).
(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٣٧٨١).
(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٨١) وغيره.
(٥) سورة التغابن: آية ١٥.
(٦) حسن: أخرجه الترمذي (٣٧٧٤) وغيره.

(٣) وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتَيْ العَشِيِّ الظُّهْرِ أَوْ العَصْرِ، وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنٍ أَوْ حُسَيْنٍ، فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَهُ ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ: إِنِّي رَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَرَجَعْتُ فِي سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَيْ الصَّلَاةِ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ. قَالَ: «**كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ**»[1].

قَالَ الذهبيّ: أين الفقيه المتنطع عن هذا الفعل؟

(٤) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ الله عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَّلَ عَلَى عَلِيٍّ وَحَسَنٍ وَحُسَيْنٍ وَفَاطِمَةَ كِسَاءً ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**»[2].

(٥) عَنِ المَقْبُرِيِّ، قَالَ: كُنَّا مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَجَاءَ الحَسَنُ بن عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ القَوْمُ وَمَضَى، وَأَبُو هُرَيْرَةَ لا يَعْلَمُ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا حَسَنُ بن عَلِيٍّ يُسَلِّمُ، فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: وَعَلَيْكَ يَا سَيِّدِي، فَقِيلَ لَهُ: تَقُولُ يَا سَيِّدِي ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ سَيِّدٌ**»[3].

(٦) وعن رجاء بن ربيعة قال كنت جالسًا بالمدينة في مسجد الرسول ﷺ في حلقة فيها أبو سعيد، وعبد الله بن عمرو، فمرَّ الحسن بن عليّ فسَلَّم فردّ عليه القوم، وسكت عبدُ الله بن عمرو، ثم اتبعه فقال: وعليك السلام ورحمة الله، ثم قَالَ: هذا أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء، والله ما كلمتُه منذ ليال صِفِّين.

فقال أبو سعيد: ألا تنطلق إليه فتعتذر إليه؟

قَالَ: نعم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٣، ٤٩٤).

(٢) رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

(٣) **صحيح بطرقه وشواهده**: أخرجه أحمد (٦/ ٢٩٨) وغيره.

قَالَ: فقام فدخل أبو سعيد فاستأذن فأذن له، ثم استأذن لعبد الله بن عمرو فدخل، فقال أبو سعيد لعبد الله بن عمرو: حدِّثنا بالذى حدَّثتنا به حيث مَرَّ الحسن.

فقال: نعم، أنا أُحدثكم إِنَّهُ أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء.

قَالَ: فقال له الحسن: إذ علمتَّ أَنّى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء، فَلِمَ قاتلتنا أو كثرَّت يوم صِفِّين؟!

قَالَ: أما إنى والله ما كثّرت سوادًا ولا ضربتُ معهم بسيف، ولكني حضرتُ مع أبى أو كلمة نحوها.

قَالَ: أما علمت أَنَّهُ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟

قَالَ: بلى، ولكني كنت أسرد الصوم على عهد رسول الله ﷺ فشكاني أبى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن عبد الله بن عمرو يصوم النَّهار ويقوم اللَّيل، فقال ﷺ: «**صم وأفطر وصل ونم فإنى أنا أصلى وأنام وأصوم وأفطر**» ثم قال لى: «**يا عبد الله أطع أباك**». فخرج يوم صفين وخرجتُ معه[1].

عباد الله...

ونشأ الحسن بن عليٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ نشأة كريمة، وتربَّى في أحضان جَدِّه فحلَّت عليه بركاتهُ ﷺ وتأدَّب بأدبه.

عَنْ بُرَيْدَ بْنَ أَبِى مَرْيَمَ عَنْ أَبِى الحَوْرَاءِ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا تَذْكُرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَذْكُرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّى أَخَذْتُ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلْتُهَا فِى فِيَّ، فَنَزَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلُعَابِهَا فَجَعَلَهَا فِى التَّمْرِ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ التَّمْرَةِ لِهَذَا الصَّبِيِّ. قَالَ: «**إِنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لاَ تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ**».

وعَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِى مَرْيَمَ عَنْ أَبِى الحَوْرَاءِ السَّعْدِىِّ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ**».

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (١٥٠٤٤): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير هاشم بن البريد، وهو ثقة.

وعَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِى مَرْيَمَ عَنْ أَبِى الحَوْرَاءِ قَالَ: قَالَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضى الله عنهما: عَلَّمَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِى الوِتْرِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِى فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِى فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِى فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِى فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِى شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِى وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**»[١].

عباد الله...

وكان الحسن - رَحِمَهُ الله - متواضعًا عابدًا، فقيهًا، مُسدّدًا.

- عن أُمّ موسى: كان الحسن بن عليّ إذا أوى إلى فراشه قرأ سورة الكهف.
- وعن عليّ بن جُدعان قَالَ: حَجَّ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا خَمْسَةً وَعِشْرِينَ حَجَّةً مَاشِيًا وَإِنَّ النَّجَائِبَ لَتُقَادُ مَعَهُ، وَلَقَدْ قَاسَمَ اللَّهَ مَالَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.
- وجاء رجلٌ إلى الحسين فاستعان به عَلَى حاجة فوجده معتكفًا، فقال: لولا اعتكافي لخرجت معك فقضيت حاجتك، ثم خرج من عنده، فأتى الحسن فذكر له حاجته فخرج معه لحاجته، فذكر له قول أخيه الحسين، فقال: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحبّ إليَّ مِن اعتكاف شهر[٢].
- وكان في الطواف فقال له رجل وسأله أن يذهب معه في حاجة، فترك الطواف وذهب معه، فلما ذهب خرج إليه رجل حاسد للرجل الذي ذهب معه فقال: يا أبا مُحَمَّد تركت الطواف وذهبت مع فلان؟ فقال له حسن: كيف لا أذهب معه ورسول الله ﷺ قَالَ: «**مَن ذهب في حاجة أخيه المسلم فقضيت، كُتبت له حجة وعمرة، وإن لم تقض كتبت له عمرة**» فقد اكتسبت حجة وعمرة ورجعت إلى طوافي[٣].
- وعن أبى إسحاق الهمدانى عن الحارث الأعور أن عليًا سأل ابنه - يعنى الحسن - عن أشياء من المروءة فقال: يا بنى ما السداد؟ قَالَ: يا أبت السداد دفع المنكر

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٠٠)، وأبو داود (١٤٢٥)، وغيرهما.
(٢) «تهذيب ابن عساكر» (٤/ ٢١٨).
(٣) انظر السابق.

بالمعروف.

قَالَ: فما الشرف؟ قَالَ: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة.

قَالَ: فما المروءة؟ قَالَ: العفاف وإصلاح المرء ما له.

قَالَ: فما الدنيئة؟ قَالَ: النظر فى اليسير ومنع الحقير.

قال: فما اللؤم؟ قَالَ: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه.

قَالَ: فما السماحة؟ قَالَ: البذل فى العسر واليسر.

قَالَ: فما الشح؟ قَالَ: أن ترى ما فى يديك سرفًا، وما أنفقته تلفًا.

قَالَ: فما الإخاء؟ قَالَ: الوفاء فى الشدة والرخاء.

قَالَ: فما الجبن؟ قَالَ: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو.

قَالَ: فما الغنيمة؟ قَالَ: الرغبة فى التقوى والزهادة فى الدنيا.

قَالَ: فما الحلم؟ قَالَ: كظم الغيظ وملك النفس.

قَالَ: فما الغنى؟ قَالَ: رضا النفس بما قسم الله لها وإن قل، فإنما الغنى غنى النفس.

قَالَ: فما الفقر؟ قَالَ: شره النَّفس فى كل شىء.

قَالَ: فما المنعة؟ قَالَ: شدة البأس ومقارعة أشد النَّاس.

كما كان - رَحِمَهُ الله - واعظًا مؤثّرًا.

- عن الحرمازي: خطب الحسنُ بن عليّ بالكوفة، فقال: «إنَّ الحِلمَ زينة، والوقارَ مروءة، والعجلة سَفَه، والسَفَه ضعف، ومجالسة أهل الدناءة شين، ومخالطة الفُسَّاق ريبة».

- وقال المُبرِّدُ: قيل للحسن بن عليّ: إن أبا ذر يقول: الفقرُ أحبُّ إليَّ من الغنى، والسقمُ أحبُّ إليَّ من الصِّحة. فقال: «رَحِم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: «مَن اتَّكل عَلَى حُسن اختيار الله له، لم يتمنَّ شيئًا، وهذا حدُّ الوقوف عَلَى الرِّضا بما تصرَّف به القضاء».

- وعن زُرَيق بن سَوَّار، قَالَ: كان بين الحسن ومروان كلامٌ، فأغلظ مروانُ له،

وحسنٌ ساكت، فامتخط مروانُ بيمينه، فقال الحسن: ويحك، أمَا علمتَ أنَّ اليمين للوجه والشمالَ للفرج؟ أفٍّ لك، فسكت مروان.

عباد الله...

هَذِهِ لقطاتٌ من حياة الإمام الحسن، وومضات من سيرته العطرة، تُبيِّن لنا كيف ربَّى الإسلام أهله.

فما أحوجنا إلى اقتفاء أثر الصالحين، والتشبُّه بهم، فإن التشبُّه بالصَّالحين فلاح.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

لما انتقل الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، لازم الحسن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، ولما مات أبو بكر رضي الله عنه لازم الحسن عمر بن الخطاب، ومن بعده عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين.

ولما حاصر الثوار عثمان بن عفان يوم الدَّار، كان الحسن بن عليّ ممَّن دافع عنه.

قال رجاء عن الحسن: أنه كان مبادرًا إلى نصرة عثمان، كثير الذَّبِّ عنه.

ولما استشهد عثمان بن عفان، ونشب الخلاف بين أبيه عليٍّ ومعاوية، كان الحسن مع أبيه، واشترك في موقعة صفين، ولما استُشهد أبوه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه تولى الحسن الخلافة، وبقي فيها بعد أبيه سبعة أشهر، ثم سلَّمها لمعاوية حقنًا لدماء المسلمين. وتحقق قول النَّبي ﷺ للحسن: «**إنْ ابني هذا سَيِّدٌ يُصلح الله به فئتين من المسلمين**»[1].

عن عمرو بن دينار؛ أن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة، فلما تُوفِّي عليٌّ بعث إلى الحسن، فأصلح ما بينه وبينه سرًّا، وأعطاه معاويةُ عهدًا إن حدث به

---

(١) رواه الطبراني.

حدثٌ والحسنُ حيٌّ ليُسَمِّينه، وليجعلنّ الأمر إليه، فلما توثَّق منه الحسن، قال ابن جعفر: والله إني لجالس عند الحسن، إذ أخذتُ لأقوم، فجذب بثوبي، وقال: يا هناه جلس، فجلستُ، فقال: إني قد رأيت رأيًا، وإني أحبُّ أن تتابعني عليه.

قلت: ما هو؟

قال: قد رأيتُ أن أعمد إلى المدينة، فأنزلها، وأُخلِّي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسُفكت الدماءُ، وقطعت الأرحام والسُّبل، وعُطلت الفروج.

قال ابن جعفر: جزاء الله خيرًا عن أُمّة محمد، فأنا معك.

فقال: ادُع لي الحُسين، فأتاه فقال: أي أخي قد رأيت كذا وكذا.

فقال: أُعيذك بالله أن تكذِّب عليًا، وتُصَدِّق معاوية.

فقال الحسن: والله ما أردتُ أمرًا قطّ إلَّا خالفتني، فلما رأى الحُسين غضبه قال: أنت أكبرُ ولد عليّ، وأنت خليفته، وأمرُنا لأمرك تبع.

فقام الحسن فقال: «أيها الناس، إني كنتُ أكره الناس لأول هذا الأمر، وأنا أصلحتُ آخره»...إلى أن قال: «إنَّ الله قد ولَّاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك، أو لشرٍّ يعلمه فيك، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١] ثم نزل»[(١)].

وفي «مجتنى» ابن دُرَيد:

قام الحسنُ بعد موت أبيه، فقال: «والله ما ثنانا عن أهل الشام شكٌّ ولا ندم، وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فَشيْبَتِ السَّلامةُ بالعداوة، والصبرُ بالجزع، وكنتم في منتدبكم إلى صفين دينكم أمام دنياكم، فأصبحتم ودنياكم أما دينكم، ألا وإن لكم كما كُنَّا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين؛ قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأمَّا الباقي فخاذل، وأما الباكي، فثائر.

ألا وإنَّ معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عزٌّ ولا نَصَفةٌ، فإن أردتُم الموت، رددناه

(١) «تهذيب ابن عساكر» (٤/ ٢٢٤، ٢٢٥).

عليه، وإن أردتُم الحياة قبلناه.

قال: فناده القومُ من كل جانب، التقيَّة التقيَّة، فلمَّا أفردوه، أمضى الصلح»[(١)].

ومن «الاستيعاب» لابن عبد البر -رَحِمَهُ الله- قال: «سار الحسنُ إلى معاوية، وسار معاوية إليه، فلما تراءى الجمعان وذلك بموضع يقال له مسكن من أرض السواد بناحية الأنبار، علم أنه لن تغلب إحدى الفئتين حتى تذهب أكثر الأخرى، فبعث إلى معاوية يخبره أنه يصير الأمر إليه على أن يشترط عليه ألا يطلب أحدًا من أهل المدينة والحجاز ولا أهل العراق بشيء كان في أيام أبيه، فأجابه معاوية وكاد يطير فرحًا إلا أنه قال: أما عشرة أنفس فلا أؤمنهم[(٢)].

فراجعه الحسن فيهم، فكتب إليه يقول: إني قد آليت متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده - وكان من قادة جيش علي بن أبي طالب - فراجعه الحسن إني لا أبايعك أبدًا وأنت تطلب قيسًا أو غيره بتبعة قلّت أو كثرت.

فبعث إليه معاوية حينئذ بِرَقٍّ أبيض وقال: اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه.

فاصطلحا على ذلك، واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر من بعده، فالتزم ذلك كُلَّه معاوية» ا.هـ.

وجاء رجلٌ من المُهَيِّجين للحسن، فقال: السلام عليك يا مُذِلّ المؤمنين[(٣)]، فقال الحسن: لا، ولكن كرهتُ أن أقتلكم عَلَى المُلك.

كلماتٌ سريعة، وقليلة، وحاسمة، أرسلها الحسن لتكون لمن خلفه عظة.

فإلى الراغبين في الإمارة، والساعين إليها، أهدي هذه الكلمات:

«لا، ولكن كرهتُ أن أقتلكم عَلَى المُلك». يا ليت قومي يعلمون..

وهكذا، أطفأ الله بالحسن نار الفتنة، وجمع به الشمل، فكان -رَحِمَهُ الله- مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر.

---

(١) شهد القرآن للفريقين بالإيمان، فقال تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...﴾ [الحجرات: ٩].

(٢) كان يريد قتلهم.

(٣) لأنه قَبِلَ الصلح.

فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الخَيْرَ خَزَائِنُ، وَلِتِلْكَ الخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مِغْلَاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لَلشَّرِّ مِغْلَاقًا لِلْخَيْرِ» [1].

عباد الله...

عاش الحسن رضي الله عنه بعد تسلّم الخلافة لمعاوية رضي الله عنه عشر سنين، وكان سبب وفاته كما ذكر أبو عوانة عن أُمّ موسى: أن «جعدة بنت الأشعث بن قيس» سقت الحسن السُّمَّ، فاشتكى، فكانت تُوضع تحته طشتٌ، وترفعُ أخرى نحوًا من أربعين يومًا. فالله أعلم.

قلت: وما ذُكِر أن «معاوية بن سفيان» قد تلطَّف لبعض خدمه أن يسقيه سُمًّا، ليتخلص منه، فهذا لا يصح بحال، فالرواية ذكرها الواقدي، والواقدي كما هو معلوم؛ متروك.

قال ابن عبد البر: «وروينا من وجوه: أن الحسن بن عليّ لما حضرته الوفاة قال للحسين: يا أخي إنَّ أبانا رحمه الله تعالى لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر، فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر، فلما حضرت أبا بكر الوفاة تشوَّف لها أيضًا فَصُرفت عنه إلى عمر، فلما احتُضر عمر جعلها شورى بين ستة هو أحدُهم، فلم يشكَّ أنها لا تعدوه، فَصُرفت عنه إلى عثمان، فلما هلك عثمان بويع ثم نوزع حتى جَرَّد السيف وطلبها، فما صفا له شي منها، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة، فلا أعرفن ما استخفَّك سفهاءُ أهل الكوفة فأخرجوك.

وقد كنت طلبت إلى عائشة إذا مت أن تأذن لي فأُدفن في بيتها مع رسول الله ﷺ فقالت: نعم، وإني لا أدري لعل ذلك كان منها حياء، فإذا أنا مت فاطلب ذلك إليها، فإن طابت نفسها فادفني في بيتها، وما أظن القوم إلا سيمنعونك إذا أردت ذلك، فإن فعلوا فلا تراجعهم في ذلك، وادفني في البقيع.

فلما مات الحسن أتى الحسين عائشة فطلب ذلك إليها فقالت: نعم وكرامة.

فبلغ ذلك مروان، فقال مروان: كَذَبَ وكَذَبت، والله لا يُدفن هناك أبدًا، منعوا

---

(١) **حسن:** رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٩٦).

عثمان من دفنه في المقبرة، ويُريدون دفن الحَسَن في بيت عائشة. فبلغ ذلك الحسينَ فدخل هو ومن معه في السلاح فبلغ ذلك مروان فاستلأم في الحديد أيضًا، فبلغ ذلك أبا هريرة فأسرع في إطفاء الفتنة[1].

قال الإمام الذهبي - معلقًا -: «أعاذنا الله من الفتن، ورضي عن جميع الصحابة، فترض عنهم يا شيعي تُفلح، ولا تدخل بينهم، فالله حكم عدل، يفعل فيهم سابق علمه، ورحمته وسعت كل شيء، وهو القائل: «إن رحمتي سبقت غضبي»[2]، و﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فنسأل الله أن يعفو عنا، وأن يثبتنا بالقول الثابت آمين» اهـ.

ولَمَّا احتضر رضي الله عنه، قال: أخرجوا فراشي إلى الصَّحن، فأخرجوه، فقال: «اللَّهُمَّ إني أحتسب نفسي عندك، فإنها أعزُّ الأنفس عليَّ».

عباد الله....

وعن الحسن بن محمد بن الحنفية، قال: «جعل الحسن يوصي الحسين: يا أخي، إياك أن تسف دمًا، فإن الناس سراع إلى الفتنة».

فلما تُوفِّي، ارتجت المدينة صياحًا، فلا تَلقى إلا باكيًا.

وعن مُساور السَّعدي، قال: «رأيت أبا هريرة قائمًا عَلَى مسجد رسول الله ﷺ يوم مات الحسن يبكي وينادي بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حِبُّ رسول الله ﷺ، فبكوا».

قال جعفر الصادق: عاش الحسن سبعًا وأربعين سنة.

ومن الغريب أن الناس لَمَّا أخرجوا جنازة الحسن، حمل مروان سريره!! فقال الحسين: تحمل سريره! أما والله كُنتَ تُجرعه الغيظ. قال: كنتُ أفعل ذلك بمن يوازن حِلمُه الجبال. وصلى عليه سعيد بن العاص ودفن بالبقيع بجوار أمِّه فاطمة - رضي الله عن الجميع.

✿✿✿✿✿

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٧٦، ٣٧٧).

(٢) متفق عليه.

الخطبة الرابعة والثلاثون بعد المائة:

[أ] الحُسين بن عليّ بن أبي طالب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن «قصص أهل البيت»، ولقاؤنا اليوم - إن شاء الله - مع «الحُسين بن عليّ» رضي الله عنهما.

عباد الله...

مَن هو الحُسين؟

هو الإمام الشريف الكامل، سِبطُ رسول الله ﷺ، ورَيحَانَتُه من الدنيا، ومحبوبه أبو عبد الله الحُسَينُ ابن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم

ابن عبد مناف بن قصيٍّ القرشيُّ الهاشميّ، وُلد بعد أخيه الحسن.

قَالَ الزُّبير: مولدُه في خامس شعبان سنة أربع من الهجرة.

وقال جعفر الصادق: بين الحسن والحُسين في الحمل طُهرٌ واحد.

وكان رَضِيَ الله عَنْهُ أشبه النَّاس بِجَدِّه ﷺ.

عن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: «الحُسين أشبهُ برسول الله ﷺ من صدره إلى قدميه».

وعن عُبيد الله بن أبي يزيد، قَالَ: «رأيتُ الحُسين بن عليٍّ أسودَ الرأس واللحية إلَّا شعراتٍ في مُقَدَّم لحيته».

وقَدْ وردت في فضائله أحاديث وآثار؛ منها:

(١) عن جابر، أَنَّهُ قَالَ - وقَدْ دخل الحُسَينُ المسجد -: «مَن أحبَّ أن ينظرَ إلى سَيِّد شباب أهل الجَنَّة، فلينظر إلى هذا» سمعتهُ من رسول الله ﷺ [(١)].

(٢) وعن يعلى العامري قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**حُسَين سبطٌ من الأسباط، مَن أحبني فليُحبَّ حُسَينًا**». وفي لفظ: «**أحبَّ اللَّـهُ مَن أحبَّ حُسَينًا**» [(٢)].

(٣) عن زرّ، عن عبد الله: رأيت رسول الله ﷺ مُمسِكًا بيد الحَسن والحُسَين، ويقول: «**هذان ابناي، فمن أحبَّهما فَقَدْ أحبَّني، ومَن أبغضهما فقد أبغضني**» [(٣)].

(٤) وعن الزهريّ: أن عُمَر كسا أبناء الصحابة، ولم يكن في ذَلِكَ ما يُصلحُ للحسن والحُسين، فبعث إلى اليمن، فأتى بكسوةٍ، فقال: «الآن طابت نفسي».

(٥) وعن أبي المهزِّم، قَالَ: «كنا في جنازة، فأقبل أبو هريرة ينفُضُ بثوبه التراب عن قدم الحُسين».

---

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٨٧)، ونسبه إلى أبي يعلى، وقال: رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعد، وهو ثقة.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ١٧٢)، والحاكم (٣/ ١٧٧).

(٣) رواه البزار، وإسناده جَيد.

عباد الله...

وكان الحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ منذ صغره فصيحًا شجاعًا، يدلّ عَلَى ذَلِكَ القصّة التالية:

عن عُبيد بن حُنين، عن الحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: صعدتُ المنبر إلى عمر، فقلت: انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك. فقال: إن أبي لم يكن له منبر، فأقعدني معه، فلما نزل قَالَ: أي بُني، مَن علمَك هذا؟ قلتُ: ما علّمنيه أحد. قَالَ: أي بني وهل أنبت عَلَى رءوسنا الشَّعر إلا الله ثم أنتم، ووضع يده عَلَى رأسه وقال: أي بني، لو جعلت تأتينا وتغشانا[١].

عباد الله...

أمَّا عن قصَّة استشهاده رَضِيَ الله عَنْهُ فقد أخبر النبيُّ ﷺ بمقتله، وهذا من نبوءاته ﷺ التي تحققت كما أخبر.

ونشير هنا إلى حديثين أخبرنا فيهما ﷺ بأن الحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ سَيُقتل بكربلاء.

الأول: عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ مَلَكُ القَطْرِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَزُورَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَذِنَ لَهُ، فَجَاءَهُ وَهُوَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَقَالَ: **«يَا أُمَّ سَلَمَةَ احْفَظِي عَلَيْنَا البَابَ، لا يَدْخُلْ عَلَيْنَا أَحَدٌ»**.

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى البَابِ، إِذْ جَاءَ الحُسَيْنُ فَفَتَحَ البَابَ، فَجَعَلَ يَتَقَفَّزُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَلْتَثِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ، فَقَالَ لَهُ المَلَكُ: تُحِبُّهُ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»**، قَالَ: أَمَا إِنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُهُ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُرِيَكَ مِنْ تُرْبَةِ المَكَانِ الَّذِي يُقْتَلُ فِيهَا.

قَالَ: فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنَ المَكَانِ الَّذِي يُقْتَلُ فِيهِ، فَأَتَاهُ بِسَهْلَةٍ حَمْرَاءَ، فَأَخَذَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَجَعَلَتْهُ فِي ثَوْبِهَا.

قَالَ ثَابِتٌ: كُنَّا نَقُولُ: إِنَّهَا كَرْبَلاءُ[٢].

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١/ ١٤١)، وصححه الحافظ في «الإصابة» (١/ ٣٣٣).

(٢) أورده الهيثمي في «المجمع» (١٥١٢١) بنحوه، وقال: رواه الطبراني، وإسناده حسن.

والحديث الثاني: عَنْ عَائِشَةَ أَوْ أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِإِحْدَاهُمَا: «**لَقَدْ دَخَلَ عَلَيَّ الْبَيْتَ مَلَكٌ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ قَبْلَهَا فَقَالَ لِي: إِنَّ ابْنَكَ هَذَا حُسَيْنٌ مَقْتُولٌ، وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ مِنْ تُرْبَةِ الْأَرْضِ الَّتِي يُقْتَلُ بِهَا**»، قَالَ: فَأَخْرَجَ تُرْبَةً حَمْرَاءَ[(١)].

عباد الله...

والمقصود: أن الحسين رَضِيَ الله عَنْهُ عَاصَرَ رسول الله ﷺ وصحبه إلى أن تُوفِّ وهو عنه راضٍ، ولكنه كان صغيرًا، ثم كان الصِّدِّيق يُكرمه ويُعظمه وكذلك عُمر وعُثمان، وصحب أباه وروى عنه، وكان معه فى مغازيه كلّها؛ فى «الجمل» و«صفّين»، وكان مُعَظَّمًا مُوقرًا، ولم يزل فى طاعة أبيه حتى قُتل، فلمَّا آلت الخلافة إلى أخيه وأراد أن يصالح شقّ ذلك عليه ولم يسدد رأى أخيه فى ذَلِكَ.

فلما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكرامًا زائدًا.

ولما توفى الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية فى كل عام فيعطيه ويكرمه وقد كان فى الجيش الذين غزوا القسطنطينية مع ابن معاوية يزيد فى سنة إحدى وخمسين.

ولما أخذت البيعة ليزيد فى حياة معاوية كان الـحُسـين ممن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وغيرهما.

ثم خرج الحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ من المدينة إلى مَكَّة فأقام بها، فعكف الناس على الحسين يفدون إليه ويقدّمون عليه ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه؛ حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد.

وكثر ورود الكتب عليه من بلاد العراق يدعونه إليهم، وذلك حين بلغهم موتُ معاوية وولاية يزيد، ومسير الحُسين إلى مَكَّة فرارًا من بيعة يزيد، ثم بعثوا هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي ومعهما كتاب في الاستعجال في السير إليهم،

---

(١) إسناده صحيح: أورده الهيثمي في «المجمع» (١٥١١٣)، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

ليبايعوه عوضًا عن يزيد بن معاوية.

فعند ذلك بعث ابن عمّه مسلم بن عقيل بن أبى طالب إلى العراق ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فلما سار مسلم من مكة اجتاز بالمدينة، فلما دخل الكوفة تسامع أهل الكوفة بقدومه فجاؤا إليه فبايعوه على إمرة الحسين، فاجتمع على بيعته من أهلها اثنا عشر ألفًا ثم تكاثروا حتى بلغوا ثمانية عشر ألفًا.

فكتب مسلم إلى الحُسين ليقدم عليها فقد تمهدت له البيعة والأمور.

وانتشر خبرهم حتى بلغ أمير الكوفة النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خبَّره رجل بذلك، فجعل يضرب عن ذلك صفحًا ولا يَعبأ به، فكتب ذلك الرجل إلى يزيد بن معاوية يُعلمه بذلك، فبعث يزيد فعزل النعمان عن الكوفة وضمّها إلى عبيد الله بن زياد مع البصرة.

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد: «إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل، فإن قدرت عليه فاقتله أو انفِهِ».

فسار ابن زياد من البصرة إلى الكوفة، فلما دخلها متلثمًا بعمامة سوداء، فجعل لا يمرّ بملأ من الناس إلا قَالَ: سلام عليكم فيقولون: وعليكم السلام، مرحبًا بابن رسول الله، يظنون أَنَّهُ الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه، وتكاثر الناس عليه، فلما علموا أنه عُبيد الله بن زياد علتهم كآبة وحزن شديد، ونزل عبيد الله قصر الإمارة من الكوفة، ووصلت إليه أنباء تفيد بمكان مسلم بن عقيل، فأرسل بمن يأتي به، فلما دخل عليه دار بينهما حوار انتهى بقتل ابن زياد لمسلم.

عباد الله...

كان خروج الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من المدينة إلى مكة قاصدًا العراق لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم التروية، ولما استشعر النَّاس خروجه أشفقوا عليه من ذَلِكَ، وحَذَّروه منه، وأشار عليه ذوو الرأي منهم والمحبة له بعدم الخروج إلى العراق، وأمروه بالمقام بمكة، وذكّروه بما جرى لأبيه وأخيه معهم.

جاءه أبو سعيد الخدريّ، فقال: يا أبا عبد الله، إنِّي لك ناصحٌ ومُشفقٌ، وقَدْ بلغني

أَنَّهُ كاتبك قومٌ من شيعتك، فلا تخرج إليهم، فإنِّي سمعتُ أباك يقول بالكوفة: «والله لقد مَلَلتُهم ومَلُّوني، وأبغضتُهم وأبغضوني، وما بلوتُ منهم وفاءً، ولا لهم ثباتٌ ولا عزمٌ ولا صَبرٌ عَلَى السَّيف».

وقال له ابن عباس: أين تريد يا ابن فاطمة؟ قَالَ: العراق وشيعتي. قَالَ: إني كارهٌ لوجهك هذا، تَخرُجُ إلى قومٍ قتلوا أباك!!

وقال ابن عمر للحُسين: لا تخرج، فإن رسول الله ﷺ خُيِّر بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وإنك بَضعةٌ منه ولا تنالُها، ثم اعتنقه وبكى، وودَّعه فكان ابن عمر يقول: غلبنا بخروجه، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان النَّاس لهم ما كان ينبغي له أن لا يتحرّك.

وكتب إليه عبد الله بن جعفر يُحذِّره ويُناشده الله، فكتب إليه: إني رأيتُ رؤيا، رأيتُ فيها رسول الله ﷺ وأمرني بأمرٍ أنا ماضٍ له.

وأبى الحُسين عَلَى كل مَن أشار عليه إلَّا المسير إلى العراق.

وخرج رَضِيَ الله عَنْهُ ومعه تسعة عشر رجلًا ونساءً وصبيان من إخوته وبناته ونسائه متجهًا إلى العراق.

قَالَ أهل السير: إن الفرزدق لقي الحُسين في الطريق فسلَّم عليه، فسأله الحسين عن أمر النَّاس وما وراءه فقال له: قلوب النَّاس معك، وسيوفهم مع بني أميّة، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.

فقال له: «صدقت، لله الأمر من قبل ومن بعد، يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله عَلَى نعمائه، وهو المستعان عَلَى أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعدّ مَن كان الحقّ نيته، والتقوى سريرته»، ثم حرَّك الحسين راحته وقال: السلام عليك، ثم افترقا.

علم الحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ أن القوم نكثوا بعهدهم، ونقضوا بيعتهم، ثم وصله خبر مقتل مسلم بن عقيل، فسلَّم الأمر لله.

قَالَ علماء السير: لَـمَّا علم الحُسين بما جرى لمسلم بن عقيل هَمَّ أن يرجع، فقال أخو

مسلم: والله لا ترجع حَتَّى تصيب بثأرنا.

فقال الحُسين: لا خير في الحياة بعدكم.

فسار فلقيه أوائل خيلُ عبيد الله فنزل كربلاء، فضرب أبنيته، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارسًا ومائة راجل.

قلت: منهم مَن خرج معه من مَكَّة، ومنهم من انضم إليه وهو في الطريق، ومنهم من انتظم في صفّه من أهل العراق.

عباد الله...

وللحديث بقية إن شاء الله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وصل الحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ إلى كربلاء فسأل عن اسم المكان فقيل: «كربلاء» فقال: صدق رسول الله ﷺ، أرض كربٍ وبلاءٍ.

وفي الصباح وصلت خيل ابن زياد إلى الحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ.

عن أبي خالد الكاهلي قَالَ: لَـمَّا صبحت الخيلُ الحُسين بن على رفع يديه فقال: «اللَّهُمَّ أنت ثقتى فى كُلِّ كَرب، ورجائى فى كُلِّ شِدَّة، وأنت لى من كل أمر نزل ثقة وعدّة، فكم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصَّديق، ويشمت فيه العدو، فأنزلته بك، وشكوته إليك؛ رغبة فيه إليك عَمَّن سِواك، ففرَّجته وكشفته وكفيتنيه، فأنت لى ولىّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهى كل غاية».

وبعث عبيد الله بن زياد «عمر بن سعد» لقتالهم، فقال له الحُسين: يا عمر اخترْ لي إحدى ثلاث خصال:

- إما أن تتركنى أرجع كما جئتُ.

- فإن أَبَيْت هَذِهِ، فسيرنى إلى «يزيد» فأضع يدى فى يده فيحكم فيَّ ما رأى.
- فإن أَبَيْتُ هذه فسيرىى إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت.

فأرسل إلى ابن زياد بذلك فهمّ أن يسيره إلى يزيد، فقال شمر بن ذى الجوشن[1]: لا، إلا أن ينزل على حكمك، فأرسل إلى الحسين بذلك.

فقال الحسين: والله لا أفعل.

وأبطأ عمر بن سعد عن قتاله، فأرسل ابن زياد «شمر بن ذى الجوشن» وقال له: إن تقدم عمر فقاتل وإلا فاقتله وكن مكانه، فقد ولّيتُك الإمرة، وأرسل معه كتابًا لعمر بن سعد.

وكان مع عمر بن سعد قريب من ثلاثين رجلًا من أعيان أهل الكوفة، فقالوا له: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله ﷺ ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئًا فتحولوا مع الحسين يقاتلون معه.

فلما جاء «شمر» بالكتاب إلى «عمر بن سعد» قرأه عليه فإذا فيه: «أما بعد؛ إني لم أبعثك إلى حُسين لتكفّ عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة، فانظر فإن نزل حُسين وأصحابه عَلَى الحكم واستسلموا فابعث بهم إليَّ سلمًا، فإن أَبَوا فازحف إليهم حَتَّى تقتلهم، فإن قُتل حُسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عاق قاطع، فإن مضيت لأمرنا جزيناك خيرًا، وإن أبيت فاعتزل عملنا وخبرنا، وخلّ بين شَمَّر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنَّا قَدْ أمرناه، والسلام».

فلما قرأ عمر بن سعد الكتاب قَالَ لشمر: ويلك، لا قرّب الله دارك، قبَّح الله ما قدمتَ به عليَّ، والله إني لأظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبتُ به إليه، وأفسدت علينا أمرًا قَدْ كنا رجونا أن يصلح.

فقال شمر: أخبرني ما أنت صانع لأمر أميرك؟ أتقاتل عدوّه، وإلَّا فخلّ بيني وبين الجند والعسكر.

---

(١) اسم ذي الجوشن: شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية من بني الضباب بن كلاب.

فقال: لا، ولا كرامة، ولكن أنا أتولّى ذَلِكَ!!

قَالَ: فدونك.

فنهض إلى عشية الخميس لتسع مضين من المحرم، وجاء شمّر حَتَّى وقف عَلَى أصحاب الحُسين فقال: أين بنو أختنا؟

فخرج إليه العباس وعبد الله وجعفر بنو عليّ[1] رَضِيَ الله عَنْهُ فقالوا: ما لك وما تريد؟

قَالَ: أنتم يا بني أختي آمنون.

قالوا: لعنك الله، ولعن أمانتك، أتؤمننا وابن رسول الله ﷺ لا أمان له؟!

فنادى عمر بن سعد: يا خيل اركبي وأبشري.

فركب في النَّاس، ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر، والحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ جالس أمام بنيه محتبيًا بسيفه إذ خفق برأسه عَلَى ركبتيه، فسمعت أخته الضجة، فقالت: يا أخي، أما تسمع الأصوات قَدْ اقتربت؟

فرفع رأسه فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: «**إنك تروح إلينا**».

وقال له العباس: يا أخي، أتاك القوم.

فنهض وقال: يا عباس، اركب بنفسك أنت يا أخي حَتَّى تلقاهم فتقول لهم ما لكم وما بدا لكم.

فأتاهم العباس في نحوٍ من عشرين فارسًا، فقال: ما تريدون؟

فقالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا عَلَى حُكمِه أو نناجزكم.

قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله - أي الحُسين - فأعرض عليه ما ذكرتم.

فوقفوا، فرجع إلى الحسين فأخبره الخبر، ثم رجع إليهم فقال: يا هؤلاء، إن أبا عبد الله

---

(١) أولاد علي بن أبي طالب من زوجة أخرى غير فاطمة رضي الله عنها، كان بينها وبين شمّر صلة قرابة.

يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ننظر في هذا الأمر، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله، وإنما أراد أن يوصي أهله.

فقال عمر بن سعد للناس: ما تَرَون؟

فقال له عمرو بن الحجاج: سبحان الله، والله لو كان من الدّيلم، ثم سألك هذا لكان ينبغي أن تجيبه.

فجمع الحسين أصحابه وقال: إني قد أذنت لكم فانطلقوا في هذه الليلة، فاتخذوه جَمَلًا، وتفرَّقوا في سوادكم ومدائنكم، فإن القوم إِنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لَهَوْا عن طلب غيري.

فقال أخوه العباس: لم نفعل ذلك لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبدًا.

ثم تكلم إخوته وأولاده وبنو أخيه وبنو عبد الله بن جعفر بنحو ذَلِكَ.

فقال الحسين: يا بني عقيل[1] حسبكم من الفتك بمسلم، اذهبوا فقد أذنتُ لكم.

فقالوا: لا والله بل نفديك بأنفسنا وأهلينا، فقبَّح الله العيش بعدك.

وقال مسلم بن عوسجة: والله لو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لرميتهم بالحجارة.

وقال سعيد بن عبد الله الحنفى: والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أننا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك، والله لو علمت أني أُقتل ثم أحيا ثم أحرق حيًّا ثم أُذرى تسعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حِمامي دونك.

وتكلّم جماعة من أصحابه بنحو هذا.

فلما أمسى الحسين جعل يُصلح سيفه ويقول مرتجزًا:

يا دهرُ أف لك من خليل ... كم لك بالإشراقِ والأصيل

من صاحب أو طالب قتيل

فلما سمعه ابنه عليّ خنقته العبرة، فسمعته زينب بنت عليّ فنهضت إليه وهي تقول:

---

(١) هو عُقيل بن أبي طالب.

واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي

يا خليفة الماضي وثمال الباقي

فقال لها الحسين: أخَيَّة لا يذهِب حلمَك الشيطانُ، وترقرقت عيناه، وخرت مغشية عليها.

فقام إليها الحسين رَضِيَ الله عَنْهُ فرشق الماء على وجهها وقال: يا أخَية اعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلَّا وجهه، الذي خلق الخلق بقدرته، ويميتهم بقهره وعزته، ويعيدهم فيعبدونه وحده، وهو فردٌ وحده، واعلمي أن أبي خير مني، وأمّي خير مني، وأخي خير مني[1]، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله ﷺ أسوة حسنة، ثم قَالَ لها: وإني أقسم عليك يا أخيَّة لا تَشُقِّي عليَّ جيبًا ولاتخمشي وجهًا.

وقام الحسين رَضِيَ الله عَنْهُ وأصحابه يصلون الليل كُلَّه ويدعون، فلما صلّى عمر ابن سعد الصبح - وذلك يوم عاشوراء - خرج فيمن معه من النَّاس.

وعبّأ الحسين أصحابه وكانوا اثنين وثلاثين فارسًا وأربعين راجلًا، ثم انصرف فصفّهم فجعل عَلَى ميمنته «زهير بن القين» وعلى الميسرة «حبيب بن مظاهر»، وأعطى رايته «العباس بن عليّ» أخاه، وجعلوا البيوت بما فيها من الحرم وراء ظهورهم، وقَدْ أمر الحُسين من الليل فحفروا وراء بيوتهم خندقًا وقذفوا فيه حطبًا وخشبًا وقصبًا، ثم أُضرمت فيه النار لئلا يخلص أحد إلى بيوتهم من ورائها.

وجعل عمر بن سعد عَلَى ميمنته «عمرو بن الحجاج الزبيدي»، وعلى الميسرة «شمر ابن ذي الجوشن»، وعلى الخيل «عزرة بن قيس الأحمس»، وعلى الرجَّالة «شبيث بن ربعي»، وأعطى الراية «وردان» مولاه، ثم ركب الحُسين عَلَى فرسه وأخذ مصحفًا فوضعه بين يديه، ثم استقبل القوم رافعًا يديه يدعو بما تقدّم ذكره: «اللَّهُمَّ أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدَّة....» إلى آخره.

---

(١) تُوفيت فاطمة رضي الله عنها بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر.

وركب ابنه «عليّ بن الحُسين» [١] - وكان ضعيفًا مريضًا - فرسًا.

ونادى الحُسين: اسمعوا مني نصيحة أقولها لكم، فأنصت النَّاس كلّهم، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: أيُّها النَّاس.. إن قبلتم مني وأنصفتموني كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليَّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني ﴿**فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ**﴾ [يونس: ٧١]. ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٦].

فلما سمع ذلك أخواته وبناته ارتفعت أصواتهن بالبكاء، فقال عند ذلك: «لا يبعد الله ابن عباس» [٢]، ثم بعث أخاه العباس فسكّتهن، ثم شرع يَذكُر للناسِ فضله وعظمة نسبه وعلوّ قدره وشرفه، ويقول: «راجعوا أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي، وأنا ابن بنت نبيكم، وليس عَلَى وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيري؟ وعليّ أبي، وجعفر ذو الجناحين عَمِّي، وحمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ وقال لي رسول الله ﷺ ولأخي: «**هذان سَيِّدا شباب أهل الجَنَّة**» [٣]، فإن صدقتموني بما أقول فهو الحق، فوالله ما تعمَّدت كذبةً منذ علمتُ أن الله يَمقُت عَلَى الكذب، وإلَّا فاسألوا أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك، جابر بن عبد الله، وأبا سعيد، وسهل بن سعد، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك يخبرونكم بذلك، ويحكم، أما تتقون الله؟ أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمِّي؟».

فقال عند ذلك شمر بن ذى الجوشن: هو يعبد الله على حرف [٤]، إن كنت أدرى ما يقول؟

فقال له حبيب بن المطهر: والله يا شمر إنك لتعبد الله على سبعين حرفًا، وأما نحن فوالله إنا لندرى ما يقول، وإنه قد طُبع على قلبك.

ثم قال الحُسين: أيُّها النَّاس... ذرونى أرجع إلى مأمنى من الأرض.

---

(١) هو زين العابدين عليّ بن الحُسين.

(٢) يعني: حين أشار عليه أن لا يخرج بالنساء معه ويدعهن بمكة إلى أن ينتظم الأمر.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي.

(٤) يقصد الخبيث نفسه.

فقالوا: ما يمنعك أن تنزل على حكم بنى عمّك؟

فقال: معاذ الله أن أعطيهم بيدي إعطاء الذليل أو أفرّ فرار العبيد، عباد الله ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧]، ثم أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها ثم قَالَ: «أخبرونى أتطلبوني بقتيل لكم قتلته؟ أو مال لكم أكلته؟ أو بقصاصة من جراحه؟

قَالَ: فأخذوا لا يكلمونه، فنادى: «يا شبيث بن ربعى، يا حجار بن أبجر، يا قيس ابن الأشعث، يا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليَّ أنه قد أينعت الثمار واخضر الجناب، فأقدم علينا فإنك إنما تقدم على جند مجندة؟»[١].

فقالوا له: لم نفعل.

فقال: سبحان الله، والله لقد فعلتم، ثم قَالَ: يا أَيُّهَا النَّاس... إذ قد كرهتمونى فدعونى أنصرف عنكم.

فقال له قيس بن الأشعث: ألا تنزل على حكم بنى عَمّك؟ فإنهم لن يؤذوك ولا ترى منهم إلا ما تحب.

فقال له الحسين: لا والله، لا أعطيهم بيدى إعطاء الذليل ولا أقر لهم إقرار العبيد. عباد الله..

وبهذا القدر نكتفي، ونواصل الحديث في الخطبة القادمة - إن شاء الله تَعَالَى - فإلى اللقاء.

✿✿✿✿✿

(١) «المنتظم» (٥/ ٣٣٩).

الخطبة الخامسة والثلاثون بعد المائة:

[ب] الحُسين بن عليّ

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

نستكمل اليوم - إن شاء الله تَعَالَى - حديثنا عن مقتل الحُسين رضي الله عنه.

عباد الله...

وقَدْ أقبل جيش ابن زياد يزحف نحو الحُسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقَدْ تحيّز إلى جيش الحُسين من أولئك طائفة قريب من ثلاثين فارسًا فيما قيل، منهم الحر بن يزيد، أمير مقدمة جيش ابن زياد، فاعتذر إلى الحُسين مِمَّا كان منهم، فقبل منه الحُسين.

وكان الحرّ من أشجع أهل الكوفة، فلامه بعض أصحابه عَلَى ذهابه إلى الحُسين،

قال له: والله إني أخيّر نفسي بين الجَنَّة والنار، ووالله لا أختار عَلَى الجَنَّة غيرها ولو قطعت وحرقت.

وتقدم عمر بن سعد قائد جيش ابن زياد فشمّر عن ساعده، ورمى بسهم في جيش حسين وقال: اشهدوا أني أوّل من رَمى القوم.

وخرج من جيش ابن زياد رجلان فقالا: مَن يبارز؟

فبرز لهما عبيد الله بن عمر الكلبي رَضِيَ الله عَنْهُ فقتلهما.

وخرج رجل من جيش ابن زياد حَتَّى وقف بين يدي الحسين فقال له: يا حُسَين بشر بالنار، فقال له الحسين: كلا ويحك، إني أقدم عَلَى رب رحيم، وشفيع مطاع.

وسأله عن اسمه فقال: أنا ابن حوزة، فرفع الحُسين يده وقال: «اللَّهمَّ حزه إلى النَّار» فغضب ابن حَوزة وأراد أن يقحم عليه الفرس وبينه وبينه النهر، فحالت به الفرس فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر متعلقًا بالركاب، وشدّ عليه مسلم بن عوسجة - رَحِمَهُ الله - فضربه فأطار رجله اليمنى، وغارت به فرسه فلم يبق حَجَرٌ يمرّ به إلَّا ضربه في رأسه حَتَّى مات.

وكثرت المبارزة يومئذٍ بين الفريقين والنصر في ذَلِكَ لأصحاب الحُسين لقوة بأسهم وأنهم مستميتون لا عاصم لهم إلا سيوفهم.

فأشار بعض الأمراء عَلَى عمر بن سعد بعدم المبارزة، وحمل عمرو بن الحجاج أمير ميمنة جيش ابن زياد، وجعل يقول: قاتلوا مَن مرق من الدِّين وفارق الجماعة.

فقال له الحُسين: ويحك يا حجَّاج أعليَّ تحرّض النَّاس؟ أنحن مرقنا من الدِّين وأنت تقيم عليه؟ ستعلمون إذا فارقت أرواحُنا أجسادنا مَن أولى بصلى النار.

وقَدْ قُتل في هَذِهِ الحملة مسلم بن عَوسجة، وكان أول من قُتل من أصحاب الحُسين فمشى إليه الحُسَين فترحّم عليه، وهو عَلَى آخر رمق، وقال له حبيب بن مظاهر: أبشر بالجنة، فقال له بصوت ضعيف: بشّرك الله بالخير، فقال له مسلم بن عوسجة: أوصيك بهذا، وأشار إلى الحُسين إلى أن تموت دُونه.

ثم حمل شمر بن ذي الجوشن بالميسرة وقصد نحو الحُسَين فدافعت عنه الفرسان

من أصحابه دفاعًا عظيمًا.

فأرسلوا يطلبون من عمر بن سعد طائفة من الرماة الرجالة، فبعث إليهم نحوًا من خمسمائة، فجعلوا يرمون خيول أصحاب الحُسين فعقروها كلها حَتَّى بقي جميعهم رجالة.

وشدّ زهير بن ا لقين - رَحِمَهُ الله - في رجال من أصحاب الحسين عَلَى شمر بن ذي الجوشن فأزالوه عن موقفه، وقتلوا أبا عزَّة الضبابي وكان من أصحاب شمر.

وقاتل حبيب بن مظاهر - رَحِمَهُ الله - قتالًا شديدًا حَتَّى قُتل، فلما قُتل حبيب هَدّ ذَلِكَ الحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ وقال عند ذَلِكَ: أحتسب نفسي.

وأخذ الحُر بن يزيد - رَحِمَهُ الله - يرتجز ويقول للحُسين:

آليتُ لا تُقتلُ حَتَّى أُقتلا ... ولن أُصاب اليوم إلا مُقبلا

أضربُهم بالسيف ضربًا مُفضِلاً ... لا ناكِلاً عنهمُ ولا مُهمِلا

ثم قاتل هو وزهير بن القين قتالًا شديدًا، فكان إذا شدّ أحدهما حَتَّى استلحم شدّ الآخر حَتَّى يخلصّه، فعلا ذَلِكَ ساعة، ثم إن رجالًا شدُّوا عَلَى الحرّ بن يزيد فقتلوه.

ثم صلَّى الحُسين بأصحابه الظهر صلاة الخَوف، ثم اقتتلوا بعدها قتالًا شديدًا ودافع عن الحُسين صناديد أصحابه، وقاتل زهير بن القين بين يدي الحُسين قتالًا شديدًا حَتَّى قُتل - رَحِمَهُ الله -.

وكان من أصحاب الحُسين نافع بن هلال الجملي، فَقَتل اثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جُرح، ثم ضرب حَتَّى كُسرت عضداه، ثم أسروه فأتوا به عمر ابن سعد فقال له: ويحك يا نافع، ما حملك عَلَى ما صنعت بنفسك؟

فقال: إن ربي يعلم ما أردتُ، والدماء تسيل عليه وعلى لحيته، ثم قَالَ: والله لقد قتلت من جندك اثني عشر سوى من جرحتُ، وما ألوم نفسي عَلَى الجهد، ولو بقيت لي عضد وساعِد ما أسرتموني.

فقال شمر لعمر: اقتُله.

قَالَ: أنت جئتَ به، فإن شئت اقتله.

فقام شمر فانتضى[١] سيفه، فقال له نافع: أما والله يا شمر لو كنتَ من المسلمين لعظم عليك أن تلقي الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منايانا عَلَى يدي شرار خلقه، ثم قُتل - رَحِمَهُ الله -.

ثم أقبل شمر فحمل عَلَى أصحاب الحُسين وتكاثر معه النَّاس حَتَّى كادوا أن يصلوا إلى الحُسين، فلما رأى أصحاب الحُسين أنهم قَدْ كثروا عليهم، وأنهم لا يقدرون عَلَى أن يمنعوا الحُسين، ولا أنفسهم، تنافسوا أن يقتلوا بين يديه.

فجاء عبد الرحمن وعبد الله ابنا عزرة الغفاري، فقالا: أبا عبد الله عليك السلام، حازنا العدو إليك فأحببنا أن نُقتل بين يديك وندفع عنك.

فقال: مرحبًا بكما، ادنوا مني، فدنوا منه فجعلا يقاتلان قريبًا منه.

ثم أتاه أصحابه مثنى وفرادى يقاتلون بين يديه وهو يدعو لهم ويقول: «جزاكم الله أحسن جزاء المتقين»، فجعلوا يسلّمون عَلَى الحُسين ويقاتلون حَتَّى يقتلوا.

ثم جاء عابس بن أبى شبيب - رَحِمَهُ الله - فقال: يا أبا عبد الله، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليَّ منك، ولو قدرت أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشيء أعز عليَّ من نفسى ودمى لفعلته، السلام عليك يا أبا عبد الله، اشهد لى أنى على هديك، ثم مشى بسيفه صلتًا وبه ضربة على جبينه - وكان أشجع الناس - فنادى ألارجل لرجل، ألا ابرزوا إليَّ فعرفوه فنكلوا عنه.

ثم قال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة، فرمى بالحجارة من كل جانب فلما رأى ذلك ألقى درعه ومخفره ثم شدَّ على النَّاس.

يقول شاهد عيَّان: والله لقد رأيته يكرد[٢] أكثر من مائتين من الناس بين يديه، ثم إنهم عطفوا عليه من كل جانب فَقُتل - رَحِمَهُ الله -.

ثم قاتل أصحاب الحسين بين يديه حتى تفانوا ولم يبق معه أحد إلا سويد بن عمرو

---

(١) انتضى السيف: أسلّه وجرّده.

(٢) يكرد: يسوق ويطرد.

ابن أبى مطاع الخثعمى، وكان أول قتيل قتل من أهل الحسين من بنى أبى طالب «على الأكبر بن الحسين بن عَلَى» طعنه مُرّة بن منقذ بن النعمان العبدى فقتله.

فقال الحسين: قتل الله قومًا قتلوك يا بنىّ، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك محارمه، فعلى الدنيا بعدك العفاء.

ثم قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل، ثم قتل عون ومحمد ابنا عبد الله بن جعفر، ثم قُتل عبد الرحمن وجعفر ابنا عقيل بن أبى طالب، ثم قُتل القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

يقول حميد بن مسلم[1]:خرج إلينا غلام كأن وجهه فلقة قمر فى يده السيف وعليه قميص وإزار ونعلان، قد انقطع شسع[2] أحدهما، ما أنسى أنها اليسرى، فقال لنا عمر ابن سعد: والله لأشدنّ عليه.

فقلتُ له: سبحان الله، وما تريد إلى ذَلِكَ؟ يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد اعتزلوهم.

فقال: والله لأشدنَّ عليه، فشدَّ عليه عمر بن سعد أمير الجيش فضربه، وصاح الغلام: يا عمَّاه.

قَالَ: فشدَّ الحسين على عمر بن سعد شدَّة ليث أُغضب، فضرب عمر بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنّها[3] من لدن المرفق[4] فصاح، ثم تنحّى عنه، وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمر من الحسين، فاستقبلت عمر بصدورها وحركت حوافرها، وجالت بفرسانها عليه ثم انجلت الغبرة، فإذا بالحسين قائم على رأس الغلام، والغلام يفحص برجله والحسين يقول: بعدا لقوم قتلوك.

ثم قَالَ: عز والله على عَمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا ينفعك، صوت

---

(١) «البداية» (٥/ ٦٩٤)، وحميد هذا أحد أصحاب «شمر بن ذي جوشن».

(٢) شسع النّعل: قُباله.

(٣) أطنّها: قطعها.

(٤) من لدن المرفق: من عند المرفق.

والله كثير عدوّه وقلّ ناصره.

ثم احتمله، فكأنى أنظر إلى رجلى الغلام يخطان في الأرض، وقد وضع الحسين صدره على صدره، ثم جاء به حتى ألقاه مع ابنه «على الأكبر» ومع من قُتل من أهل بيته، فسألتُ عن الغلام فقيل لى: هو «القاسم بن الحسن بن على بن أبى طالب».

ثم إن الحسين أعيا فقعد على باب فسطاطه، وأتى بصبى صغير من أولاده اسمه «عبد الله» فأجلسه فى حجره ثم جعل يقبله ويشمه ويودّعه ويوصى أهله، فرماه رجل من بنى أسد يقال له: «ابن موقد النار» بسهم فذبح ذلك الغلام، فتلقى حسين دمه فى يده وألقاه نحو السماء وقال: «رب، إن تك قد حبست عنا النَّصر من السماء فاجعله لما هو خير، وانتقم لنا من الظالمين»[١].

ورمى عبد الله بن عقبة الغنوى «أبا بكر بن الحسين» بسهم فقتله أيضًا، ثم قُتل عبد الله، والعباس، وعثمان، وجعفر، ومحمد، بنوا على بن أبى طالب إخوة الحسين من أبيه.

وقد اشتد عطش الحسين فحاول أن يصل إلى أن يشرب من ماء الفرات فما قدر، بل مانعوه عنه، فخلص إلى شربه منه، فرماه رجل يقال له: حصين بن نميم بسهم فى حنكه فأثبته، فانتزعه الحسين من حنكه ففار الدم فتلقاه بيديه، ثم رفعهما إلى السماء وهما مملوءتان دما ثم رمى به إلى السماء وقال: «اللَّهُمَّ احصهم عددًا واقتلهم بددًا ولا تذر على الأرض منهم أحدًا» ودعا عليهم دعاء بليغا.

يقول الراوي: فوالله إن مكث الرجل الرامى إلا يسيرًا حتى صَبَّ الله عليه الظمأ، فجعل لا يروى ويسقى الماء مبردًا، وتارة يبرد له اللبن والماء جميعًا، ويسقى فلا يروى بل يقول: ويلكم اسقونى قتلنى الظمأ، قَالَ: فوالله ما لبث إلا يسيرًا حَتَّى انفد بطنه انفداد بطن البعير[٢].

---

(١) تتبع المؤرخون سير الظالمين الذين اشتركوا في دم الحُسين، فقالوا: لم يمت واحدٌ منهم موتةً حميدة.

(٢) قال الكلبيّ: رمي رجلٌ الحُسين وهو يشرب، فشلَّ شدقيه، فقال: «لا أرواك الله» ، فشرب حتى تفطّر، قال الهيثمي في «المجمع» (١٥١٣٦): رواه الطبراني، ورجاله إلى قائله ثقات.

عباد الله...

ثم جاء شمر بن ذي الجوشن ومعه جماعة من الشجعان حَتَّى أحاطوا بالحُسين وهو عند فسطاطه، ولم يبق معه أحد يحول بينهم وبينه، فحملوا عَلَى الحُسين من كل جانب وهو يجول فيهم بالسيف يمينًا ويسارًا، فيتنافرون عنه كتنافر المعزى عن السبع، حَتَّى نادى شمر بن ذي الجوشن: ويحكم، ماذا تنتظرون بالرجل؟ فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم.

فحملت الرجال من كل جانب على الحسين وضربه «زرعة بن شريك التميمى» على كتفه اليسرى، وضربه آخر على عاتقه، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو، ثم جاء إليه الطاغية «سنان بن أبى عمرو بن أنس النخعى» فطعنه بالرمح فوقع، ثم نزل فذبحه وحز رأسه، ثم دفع رأسه إلى خولى بن يزيد، وقيل: إن الذى قتله شمر بن ذى الجوشن، والأول أشهر[1].

عن جعفر بن مُحَمَّد قَالَ: «وجدنا بالحُسين حين قُتل ثلاثًا وثلاثين طعنة، وأربعًا وثلاثين ضربة»[2].

وكان مقتله رَضِيَ الله عَنْهُ يوم الجمعة يوم عاشوراء، من المحرم سنة ٦١هـ، وهمَّ شمر بن ذي الجوشن بقتل علي بن الحسين الأصغر - زين العابدين - وهو صغير مريض حَتَّى صرفه عن ذَلِكَ حميد بن مسلم أحد أصحابه، وجاء عمر بن سعد فقال: ألا لا يدخلنّ عَلَى هَذِهِ النسوة أحد، ولا يقتل هذا الغلام أحد، ومَن أخذ من متاعهم شيئًا فليرده عليهم.

وأمر عمر بن سعد برأس الحُسين أن يُحمل من يومه إلى ابن زياد مع خَوليّ بن يزيد الأصبحي، فلما انتهى به إلى القصر وجده مغلقًا فرجع به إلى منزله فوضعه تحت إجانة، تقول امرأة خوليّ: «والله ما زلتُ أرى النور ساطعًا من تلك الإجانّة إلى السماء وطيورًا بيضاءً ترفرف حولها».

---

(١) رجّح ذلك الإمام ابن كثير في «البداية» (٥/ ٦٩٦).

(٢) وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلًا سوى الجرحى.

فلما أصبح غدا به إلى ابن زياد فأحضره بين يديه، ويقال: إنه كان معه رءوس بقية أصحابه، وهو المشهور ومجموعها اثنان وسبعون رأسًا.

عن أنس بن مالك رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: «لَـمَّا أُتِي عبيد الله بن زياد برأس الحُسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه، يقول: لقد كان جميلًا، فقلتُ: والله لأسوءنك، إني رأيتُ رسول الله ﷺ يلثم[١] حيث يقع قضيبك، قَالَ: فانقبض»[٢].

قلت: لقد بلغ التبجّح بابن زياد مداه، أين فعله هذا من قول التابعي الجليل إبراهيم النخعيّ - رَحِمَهُ الله -: لو كنتُ فيمن قتل الحسين ثم غفر لي ثم أُدخلت الجَنَّة استحيتُ أن أمرّ عَلَى النبيّ ﷺ فينظر في وجهي[٣].

ثم بعث ابن زياد برأس الحُسين إلى يزيد بن معاوية إلى الشام، فدمعت عينا يزيد بن معاوية وقال: «قَدْ كنتُ أرضى من طاعتك بدون قتل الحُسين، لعن الله ابن سمية، أما والله لو أني صاحبه لعفوتُ عنه، ورحم الله الحُسين، ولم يصل الذي جاء برأسه شيء، ولما وضع رأس الحُسين بين يدي يزيد قَالَ: أما والله لو أني صاحبك ما قتلتك[٤].

وأما بقية أهله ونسائه فإن عمر بن سعد وكَّل بهم مَن يحرسهم ويكلؤهم، ثم أركبوهم عَلَى الرواحل في الهوادج، وساروا بهم إلى يزيد بالشام.

عن الليث بن سعد قَالَ: «أبى الحُسين بن عليّ رَضِيَ الله عَنْهُ أن يستأسر، فقاتلوه فقتلوه، وقتلوا بنيه وأصحابه الذين قاتلوا معه، بمكان يقال له «الطف»[٥]، وانطلق بعليّ بن الحُسين، وفاطمة بنت حُسين، وسَكينة بنت حُسين إلى عُبيد الله بن زياد، وعليٌّ يومئذٍ غلام قَدْ بلغ، فبعث بهم إلى يزيد بن معاوية، فأمر بسكينة فجعلها خلف سريره لئلا ترى رأس أبيها، وذوي قرابتها، وعلي بن حُسين في غلّ، فوضع رأسه فضرب عَلَى ثنيتي الحُسين فقال:

---

(١) **يلثم**: يُقَبِّل.

(٢) رواه البزار والطبراني بأسانيد ورجاله ثقات، «المجمع» برقم (١٥١٥٠).

(٣) **رجاله ثقات**: رواه الطبراني في «المجمع» برقم (١٥١٤٧).

(٤) «البداية» (٥/ ٧٠١).

(٥) **الطف**: مكان بكربلاء.

نُقلِّــق هَامًــا مــن رجــالاً أحِــبَّة إليــنا وهــم كانــوا أعــقَّ وأظلمَــا

فقال علي بن حُسين: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

فثقل ذَلِكَ عَلَى يزيد أن يتمثل ببيت شعر، وتلا عليّ بن الحُسين آية من كتاب الله، فقال يزيد: بلى ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

فقال علي: أما والله، لو رآنا رسُولُ الله ﷺ مغلولين لأحبَّ أن يخلينا من الغلّ.

فقال: صدقت، فخلوّهم من الغل.

فقال: ولو وقفنا بين يدي رسول الله ﷺ عَلَى بعد لأحبّ أن يقرِّبنا.

قَالَ: صدقت، فقرِّبوهم.

فجعل فاطمة وسكينة يتطاولان لتريا رأس أبيهما، وجعل يزيد يتطاول في مجلسه ليستر رأس الحُسين، ثم أمر بهم فجهزوا، وأصلح إليهم، وأخرجوا إلى المدينة[١].

عباد الله...

وبهذه المأساة، انتهت موقعة كربلاء، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

أين قبر الحُسين، وأين رأسه؟

قال ابن كثير: وأما قبر الحسين رَضِيَ الله عَنْهُ فقد اشتهر عند كثير من المتأخرين أَنَّهُ في مشهد عليّ بمكان من «الطف» عند نهر كربلاء، فيقال: إن ذلك المشهد مبنيّ على قبره، فالله أعلم.

---

(١) **رجاله ثقات**: رواه الطبراني. «المجمع» (١٥١٤٨).

وقد ذكر ابن جرير وغيره: أن موضع قتله عُفى أثره حتى لم يطلع أحد على تعيينه بخبر، وقد كان أبو نعيم الفضل بن دكين ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين. ا.هـ.

أما رأس الحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ:

فيقول ابن كثير[١]:

فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير: أَنَّهُ بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية، ومن الناس من أنكر ذَلِكَ، وعندى أن الأول أشهر، فالله أعلم.

ثم اختلفوا بعد ذلك فى المكان الذى دفن فيه الرأس، فروى محمد بن سعد: أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة فدفنه عند أمه بالبقيع[٢].

وادَّعت الطائفة المسمَّون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربعمائة إلى ما بعد سنة ستين وستمائة: أن رأس الحسين وصل إلى الدِّيار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر، الذى يقال له «تاج الحسين» بعد سنة خمسمائة، وقد نص غير واحد من أئمة أهل العلم: على أنه لا أصل لذلك، وإنما أرادوا أن يروجوا بذلك بطلان ما ادعوه من النسب الشريف، وهم فى ذلك كذبة خونة، وقد نصّ على ذلك القاضى الباقلانى وغير واحد من أئمة العلماء.

قلت - أي ابن كثير -: والناس أكثرهم يروّج عليهم مثل هذا، فإنهم جاءوا برأس فوضعوه فى مكان المسجد المذكور وقالوا: هذا رأس الحسين، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذَلِكَ، والله أعلم»[٣].

عباد الله...

لَـمَّا استشهد الحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ لم يترك الله تَعَالى المجرمين دون عقاب في الدنيا أولًا.

يقول ابن كثير: «فإنه قَلّ من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة فى الدنيا،

(١) «البداية» (٥/ ٧١٢).
(٢) وهناك روايات أخرى ضَعَّفها ابن كثير.
(٣) «البداية» (٥/ ٧١٣).

فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض وأكثرهم أصابهم الجنون».

وعن الشَّعبيّ قَالَ: رأيت في النوم كأن رجالًا من السماء نزلوا معهم حراب يتتبعون قتلة الحُسين، فما لبثت أن نزل المختار فقتلهم[١].

قلت: والمختار هو المختار بن أبي عبيد - الذي ادَّعى النبوّة - وهكذا يسلّط الله الظالمين عَلَى الظالمين.

وعن عبد الملك بن عُمير قَالَ: «دخلتُ عَلَى عُبيد الله بن زياد وإذا رأس الحُسين قُدَّامه عَلَى ترس، فوالله ما لبثتُ إلَّا قليلًا حَتَّى دخلتُ عَلَى المختار فإذا رأس عُبيد بن زياد بين يديّ المختار عَلَى ترس»[٢].

فَنَم قرير العَين يا حُسين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا عَلَى الظالمين.

عباد الله...

ولاشَكَّ ولا رَيبَ أنَّ مَقتلَ الحُسَين رَضِيَ الله عَنْهُ كَانَ من المصَائِب العَظيمةِ التي أُصيبَ بِهَا المُسلمونَ فَلَم يَكُن عَلَى وَجهِ الأرضِ ابنُ بِنتِ نَبيٍّ غَيرُه، وقَدْ قُتِلَ مظلومًا رَضِيَ الله عَنْهُ وعَن أهلِ بيتِهِ، وقَتلُه بِالنسبَةِ لأهلِ الأرض مِن المُسلمين مُصَيبةٌ وفي حَقِّه شَهادَةٌ وكَرَامَةٌ ورفعُ دَرَجةٍ وقُربَى من الله حيثُ اختَارَه للآخِرَةِ وجَنَّاتِ النَّعيم بَدَلَ هَذِهِ الدُّنيا الكَدِرة.

ونَحنُ نَقُولُ: لَيتَهُ لَم يَخرُج، ولِذَلكَ نَهَاهُ أكَابِرُ الصَّحابةِ في ذَلِكَ الوَقتِ، بَل بِهَذَا الخُرُوج نَالَ أُولئِكَ الظَّلَمةُ الطُّغَاةُ مِن سبطِ رَسُول الله ﷺ حَتَّى قَتَلُوه مَظلُومًا شَهيدًا، وكَانَ في قَتلِه مِن الفَسَادِ الذي مَا لم يَكُن يَحصُلُ لَو قَعَدَ في بَلَده.

ولكِنَّه أمرُ الله تَبارَك وتعَالى، ما قَدَّر اللَّـهُ تَبارَك وتَعَالى كانَ ولو لَم يشأ النَّاس.

والنَّاسُ في قَتلِ الحُسَين عَلَى ثَلاثِ طَوَائف:

الطَّائفةُالأُولى: يَرونَ أنَّ الحُسَين قُتِلَ بِحَقٍّ وأنَّهُ كَانَ خَارِجًا عَلَى الإمامِ وأرادَ أن

---

(١) رواه الطبراني، وإسناده حسن.

(٢) **رجاله ثقات**: رواه الطبراني. «المجمع» (١٥١٥٣).

يَشُقَّ عصا المُسلمين، وقَالُوا: قَال رَسُول الله ﷺ: «**مَن جَاءَكُم وأمْرُكُم عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أنْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُم فَاقْتُلُوه كَائنًا مَنْ كَانْ**»[١]، والحُسَينُ أرَادَ أن يُفَرِّق جَمَاعَةَ المُسلمين والرَّسولُ ﷺ قَال: «**فَاقْتُلُوه كَائنًا مَن كَانَ**»، فَكَان قَتلَه صَحيحًا، وهَذَا قَولُ النَّاصِبةِ[٢] الذين يُبغِضُونَ الحُسينَ بنَ عَليٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ وعَن أبيه.

الطَّائفة الثَّانية: قَالُوا: هو الإمام الذي تَجِب طَاعتهُ، وكان يَجب أن يُسَلَّم إليه الأمر، وهو قَول الشِّيعة.

الطَّائفةُ الثَّالثة: وهُم أهْلُ السُّنة والجَمَاعةِ، قَالوا: قُتِلَ مَظْلُومًا، وَلم يَكُن مُتَولِّيًا للأمرِ أي: لَم يَكُن إمَامًا، ولا قُتلَ خَارِجيًّا رَضِيَ الله عَنْهُ بَل قُتِلَ مظلُومًا شَهيدًا، كَمَا قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**الحَسن والحُسَين سَيِّدا شَباب أهل الجَنَّة**»[٣]، وذَلِك أنَّهُ أراد الرُّجُوع أو الذَّهَابَ إلى يَزِيدَ في الشَّامِ ولكِنَّهُم مَنَعُوه حَتَّى يَستأسِرَ لابنِ زِيَادٍ.

عباد الله...

وقَالَ شَيخ الإسلام ابنُ تَيميَّةَ - رَحِمَهُ الله -: «بَعدَ مَقْتَل الحُسَين أحدَثَ النَّاسُ بِدعَتَينِ:

الأولى: بِدعةُ الحُزْنِ والنَّوحِ يَومَ عَاشُوراء مِن اللّطمِ والصُّراخِ والبُكَاءِ، والعَطَشِ، وإنشَادِ المَرَاثِي، ومَا يُفضِي إليه ذَلِكَ مِن سَبِّ السَّلف ولعنَتِهم وإدخَالِ مَن لا ذَنْبَ له مَعَ ذَوي الذُّنوب حَتَّى يُسَبَّ السَّابِقُون والأوَّلُون، وتُقرأُ أخبَار مَصْرعِه التي كَثيرٌ مِنها كَذِبٌ، وكَانَ قَصْدُ مَن سَنَّ ذَلِكَ فَتح بَابِ الفِتنةِ والفُرقةِ بَين الأُمَّة، وإلَّا فَمَا مَعنَى أن تُعَادَ الذِّكرَى في كُلِّ عَامٍ مَع إسَالةِ الدِّمَاءِ وتَعظِيمِ المَاضي والتَّعلُّقِ بهِ والالتِصَاقِ بالقُبُور.

الثَّانية: بِدعَةُ الفَرَحِ والسُّرُور وتَوزِيعُ الحَلوى والتَّوسِعَةِ عَلَى الأهلِ يَومَ مَقتل الحُسَين.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٢) **الناصبة**: هم الذين ناصبوا عليًّا وأهل بيته العداء.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٦٨).

وكانَت الكُوفَةُ بِهَا قَومٌ مِن المُنتَصِرين لآلِ البيتِ وكَانَ رأسُهُم المُختَارُ بن أبي عُبيدِ المُتنبئ الكَذَّابُ، وقَومٌ من المُبغضِينَ لآلِ البيتِ ومِنهُم الحَجَّاجُ بنُ يُوسفَ الثَّقفي، ولا تُردُّ البدعةُ بالبدعَةِ بل تُردُّ بإقَامةِ سُنَّة النَّبيِّ ﷺ المُوافِقَةُ لِقَولِهِ تَعَالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] [(١)]. ا.هـ[(٢)].

عباد الله...

بَقِيَ شيءٌ مهم، وهو: «**موقف يزيد بن معاوية من قتل الحُسَين**»:

قَالَ صاحب كتاب «حِقْبَة من التَّاريخ»: «لَم يَكُن ليزيد يَدٌ في قَتْل الحُسَين، ولَيس هَذَا دِفَاعًا عن يزيد ولكنَّه دِفَاعٌ عن الحَقّ، وقَدْ بيَّنا ذَلِكَ فيما مضى من قتل الحُسين، أرسَل يزيد «عُبيد الله بن زياد» لِيَحُول بين الحُسين والوصول إلى الكُوفة، ولَم يَأمُره بِقَتلِهِ، بل الحُسين نفسه كان حَسَن الظَّن بيزيد حِين قَالَ: «دَعُوني أذهب إلى يزيد فأضَع يَدي في يَدهِ»».

قَالَ شَيخ الإسلام ابنُ تَيميّةَ: «إن يزيد بن معاوية لَم يأمر بِقَتلِ الحُسين باتفاق أهل النَّقل، ولكن كَتَبَ إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العِرَاق، ولما بَلَغَ يَزيدَ قَتلُ الحُسَين أظهَرَ التَّوجُّع عَلَى ذَلِكَ وظَهَرَ البُكاءُ في دَارِه، ولم يَسبِ لَهُم حَريمًا بل أكرَم أهلَ بَيتهِ وأجَازَهُم حَتَّى رَدَّهُم إلى بِلادِهِم.

أمَّا الرِّوَايَاتُ التي فيها أنَّهُ أُهِينَ نساءُ آل بيتِ رَسُولُ الله ﷺ وأنَّهُنَّ أُخِذنَ إلى الشَّام مَسبِيَّاتٍ، وأُهِنَّ هُنَاكَ هذا كُلُّه كَلامٌ باطِلٌ بل كان بَنُو أُمَيَّة يُعَظِّمُون بَني هَاشِم، ولِذَلِكَ لَـمَّا تَزَوَّجَ الحَجَّاج بن يُوسفَ فاطِمةَ بنتَ عَبد الله بن جَعفر لَم يَقبل عَبدُ المَلكِ بنُ مَرَوَانَ هَذَا الأمر، وأمَرَ الحَجَّاج أن يَعتَزِلهَا ويُطَلِّقَها، فَهُم كَانُوا يُعَظِّمُون بَني هَاشِم، بَل لَم تُسبَ هَاشِميَّةٌ قَطّ» [(٣)].

---

(١) «منهاج السنة» (٥/ ٥٥٤، ٥٥٥) بتصرف.

(٢) «حقبة من التاريخ» (٢٥٦ - ٢٥٩) باختصار.

(٣) «منهاج السنة» (٤/ ٥٥٧ - ٥٥٩).

فَالهَاشِمِيَّاتُ كُنَّ عَزِيزَاتٍ مُكرَّمَاتٍ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ، فالكَلامُ ومَا ذُكِر أنَّ رأسَ الحُسَين أُرسِلَ إلى يَزيد فَهَذَا أيضًا لَمْ يَثبُت، بَل إنَّ رأسَ الحُسَين بَقِي عِندَ عُبيد الله في الكُوفة، ودُفِنَ الحُسَينُ ولا يُعلَمُ قَبرُه، ولكِنَّ المشهُورَ أَنَّهُ دُفِنَ في كَربلاء، حَيثُ قُتِل رَضي الله تبارك وتعالى عنه» ا.هـ[١].

۞۞۞۞۞

---

(١) «حقبة من التاريخ» عثمان بن محمد الخميس (٢٦٠، ٢٦١).

الخطبة السادسة والثلاثون بعد المائة:

مُحَمَّد ابن الحَنفية

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن سيرة أهل البيت.

ولقاؤنا اليوم - إن شاء الله تَعَالَى - مع «**مُحَمَّد ابن الحنفية**» رَحِمَهُ الله.

عباد الله...

مَن هو محمد ابن الحنفية، وما هي قصَّته؟

هو السَّيِّد الإمام أبو القاسم وأبو عبد الله، مُحَمَّد ابن الإمام عليّ بن أبي طالب رَضِيَ الله عَنْهُ، أخو الحَسن والحُسَين رَضِيَ الله عَنْهُمَا، وأُمّه من سَبي «اليمامة» زمن أبي بكر

الصِّدِّيق وهي خَولة بنت جعفر الحنفية.

وُلد مُحَمَّد ابن الحنفية في العام الذي مات فيه أبو بكر الصِّدِّيق.

وقال مُحَمَّد بن سعد: مولده في خلافة أبي بكر[١].

وعن عبد الأعلى: أن مُحَمَّد بن عليّ كان يُكنَى أبا القاسم، وكان ورعًا كثير العلم.

قلت: وكانت هَذِهِ رخصة من رَسُول الله ﷺ لعليّ رَضِيَ الله عَنْهُ.

فعن مُحَمَّد ابن الحنفية قَالَ: كانت رخصةً لعليّ قَالَ: يا رسول الله إن وُلِد لي بعدك ولدٌ أُسَمِّيه باسمك و أكنيِّه بكُنيتك؟ قَالَ: «نعم»[٢].

وتربَّى مُحَمَّد - رَحِمَهُ الله - في جوار أبيه عليّ بن أبي طالب، ومع أخويه الحَسن والحُسين رضي الله عنهم، فحمل علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وحمل أدبًا جمًّا، ونال احترام العلماء والفضلاء.

قَالَ إبراهيم بن الجُنيد: لا نعلم أحدًا أسند عن عليٍّ أكثر ولا أصحَّ مِمَّا أسند ابن الحنفية.

وشهد - رَحِمَهُ الله - مع أبيه عدة معارك، ولما مات أبوه اعتزل الفتنة وقال: رحم الله امرأً أغنى نفسه، وكفَّ يده، وأمسك لسانه، وجلس في بيته، له ما احتسب، وهو مع من أحبَّ، ألا إن أعمال بني أُميَّة أسرع فيهم من سيوف المسلمين، ألا إن لأهل الحق دولةً يأتي بها الله إذا شاء، فمن أدرك ذَلِكَ، كان عندنا في السهم[٣] الأعلى، ومَن يمت فما عند الله خيرٌ وأبقى[٤].

عباد الله...

وهذا موقف رائع يُكتب للإمام مُحَمَّد ابن الحنفية بماء الذَّهب:

في عهد «يزيد بن معاوية» انتفض أهل المدينة المنوّرة بعد مقتل الحُسين، وخلعوا

---

(١) وقال ابن كثير في «البداية» (٦/ ١٥٥)، ولد في خلافة عمر بن الخطاب.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٦٧)، والترمذي (٢٨٤٦).

(٣) في «طبقات ابن سعد»: السنام بدلا من السهم.

(٤) «ابن سعد» (٥/ ٩٧).

يزيد بن معاوية، وولّوا عَلَى قريش «عبد الله بن مطيع»، وعلى الأنصار «عبد الله بن حنظلة» غسيل الملائكة.

ووقف مُحَمَّد ابن الحنفية - رَحِمَهُ الله - إزاء هَذِهِ الأحداث موقفًا رائعًا.

ولأهمية ما حدث وسببه نذكر القصَّة بالتفصيل:

ذكر الإمام ابن كثير وغيره: «أن أهل المدينة المنوّرة خلعوا يزيد بن معاوية بعد مقتل الحُسين وولّوا عَلَى قريش عبد الله بن مطيع، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وأظهروا ذَلِكَ، واجتمعوا عند المنبر فجعل الرجل منهم يقول: قَدْ خلعتُ يزيد كما خلعتُ عمامتي هَذِهِ، ويلقيها عن رأسه، ويقول الآخر: قَدْ خَلعتَهُ كما خلعتُ نعلي هَذِهِ، حَتَّى اجتمع شيء كثير من العمائم والنّعال هناك، ثم اجتمعوا عَلَى إخراج عامل يزيد عَلَى المدينة من بين أظهرهم، وهو عثمان بن مُحَمَّد بن أبي سفيان، ابن عم يزيد، وعلى إجلاء بني أُميّة من المدينة.

فاجتمعت بنو أُميّة في دار مروان بن الحكم، وأحاط بهم أهلُ المدينة يحاصرونهم، واعتزل النَّاس عليّ بن الحُسين - زين العابدين - وكذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب، لم يخلعا يزيد، ولا أحد من بيت ابن عمر.

قَالَ نافع: لَمَّا خَلَعَ النَّاسُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ بَنِيهِ وَأَهْلَهُ ثُمَّ تَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ.. فَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الغَدْرِ أَنْ لَا يَكُونَ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُبَايِعَ رَجُلٌ رَجُلًا عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَنْكُثَ بَيْعَتَهُ**»، فَلَا يَخْلَعَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَزِيدَ وَلَا يُشْرِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي هَذَا الأَمْرِ فَيَكُونَ صَيْلَمٌ[1] بَيْنِي وَبَيْنَهُ»[2].

وأنكر على أهل المدينة فى مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة على الموت، وقال: «إنما كنا نبايع رسول الله ﷺ على أن لا نَفِرّ».

---

(١) **الصَّيلم**: الأمر الشديد، والسّيف.

(٢) رواه مسلم والترمذي.

وكذلك لم يخلع يزيد أحدٌ من بنى عبد المطلب، وقد سُئل محمد ابن الحنفية فى ذلك فامتنع من ذلك أشدّ الامتناع، فقال له ابن مطيع: إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصَّلاة ويتعدَّى حُكم الكِتاب.

فقال: «ما رأيتُ منه ما تذكرون، وقَدْ حضرته وأقمتُ عنده فرأيته مواظِبًا عَلَى الصَّلاة، متحرّيًا للخير، يسأل عن الفقه، ملازمًا للسُّنة».

قالوا: فإن ذَلِكَ كان منه تَصَنُّعًا لك.

فقال: وما الذي خاف مني أو رَجَا حَتَّى يُظهر إليَّ الخشوع؟ أفأطلعكم عَلَى ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم عَلَى ذَلِكَ إنكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم فما يحلّ لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا.

قالوا: إنه عندنا لحق، وإن لم يكن رأيناه.

فقال لهم: أبى الله ذَلِكَ عَلَى أهل الشهادة، فقال: ﴿**إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزخرف: ٨٦]، ولستُ من أمركم في كل شيء.

قالوا: فعلّك تكره أن يتولى الأمر غيرك، فنحن نولّيك أمرنا.

فقال: ما أستحلّ القتال عَلَى ما تريدونني عليه تابعًا ولا متبوعًا.

قالوا: فقد قاتلت مع أبيك.

قَالَ: جيئوني بمثل أبي أُقاتل عَلَى مثل ما قاتل عليه.

فقالوا: فَمُر ابنَيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا.

قَالَ: لو أمرتُهما قاتلتُ.

قالوا: فَقُم مَعَنا مَقَامًا تَحُضّ النَّاس فيه عَلَى القتال.

قَالَ: سبحان الله، آمر النَّاس بما لا أفعله ولا أرضاه، إذًا ما نصحتُ لله في عباده.

قالوا: إذًا نكرهك.

قَالَ: إذًا آمر النَّاس بتقوى الله ولا يُرضون المخلوق بسخط الخالق، وخرج إلى مَكَّة.

وكتب بنو أُميّة إلى يزيد بما هم فيه من الحصر والإهانة، والجوع والعطش، وإنه لم يبعث إليهم مَن ينقذهم مِمَّا هم فيه وإلَّا استؤصلوا عن آخرهم، وبعثوا ذَلِكَ مع البريد.

فلما قدم بذلك عَلَى يزيد، وقرأ عليه الكتاب، انزعج وقال: ويلك، ما فيهم ألف رجل؟

قَالَ: بلى.

قَالَ: فهلَّا قاتلوا ساعةً من نهار؟

ثم بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص فقرأ عليه واستشاره فيمن يبعثه إليهم، وعرض عليه أن يبعثه إليهم فأبى عليه ذَلِكَ، وقال: إن أمير المؤمنين عزلني عنها(١)، وهي مضبوطة وأمورها مُحكمة، فأمَّا الآن فإنما دماء قريش تراق بالصَّعيد(٢) فلا أحبّ أن أتولّى ذَلِكَ منهم، ليتولّ ذَلِكَ مَن هو أبعد منهم مني.

فبعث يزيد إلى مسلم بن عقبة وانتدبه لذلك، وأرسل معه عشرة آلاف فارس، وقيل: اثنا عشر ألفًا وخمسة عشر ألف راجل.

قَالَ المدائني: وجعل عَلَى أهل الشام «عبد الله بن مسعدة الفزاري»، وعلى أهل حمص «الحصين بن نمير» (٣)، وعلى أهل الأردن «حبيش بن دلجة القيني»، وعلى أهل فلسطين «روح بن زنباع الجذامي»، و«شريك الكناني»، وعلى أهل قنسرين «طريف بن الحسحاس الهلالي»، وعليهم «مُسلم بن عقبة» (٤)، كما تقدَّم.

وقال يزيدُ لمسلم: ادع القوم ثلاثًا فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكفّ عنهم، وإلَّا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا ظَهرت عليهم(٥) فأبح المدينة ثلاثًا(٦)، ثم اكفُف عنهم،

---

(١) عُزل عمرو بن سعيد بن العاص عن المدينة في السنة التي كانت قبل هذه.

(٢) الصَّعيد: التراب.

(٣) كان أحد أمراء الكتائب في جيش ابن زياد الذي قاتل الحُسين رضي الله عنه.

(٤) سمَّاه السلف: مُسرف بن عقبة.

(٥) أي: انتصرت عليهم وظفرت بهم.

(٦) هذا من أقبح ما أمر به يزيد.

وانظر إلى عليّ بن الحُسين فاكفف عنه واستوص به خيرًا، فإنه لم يدخل في شيء مِمَّا دخلوا فيه، ثم أمره إذا فرغ من المدينة أن يذهب إلى مَكَّة لحصار «ابن الزُّبير» وقال له: إن حدث بك أمرٌ فعلى النَّاس «حُصين بن نُمير».

قالوا: وسار «مسلم» بمن معه من الجيوش إلى المدينة، فلما اقترب منها اجتهد أهلُ المدينة في حصار بني أُميّة، وقالوا لهم: والله لنقتلنكم عن آخركم أو تعطونا موثقًا أن لا تدلّوا علينا أحدًا من هؤلاء الشاميين، ولا تمالئوم علينا، فأعطوهم العهود بذلك، فلما وصل الجيش تلقّاهم بنو أميّة فجعل «مسلم» يسألهم عن الأخبار فلا يخبره أحدٌ، فانحصر لذلك، وجاءه عبد الملك بن مروان فقال له: إن كنت تريد النصر فانزل شرقي المدينة في «الحرّة» [1]، فإذا خرجوا إليك كانت الشمس في أقفيتهم وفي وجوههم، فادعهم إلى الطاعة، فإن أجابوك وإلَّا فاستعن بالله وقاتلهم، فإن الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الإمام وخرجوا عن الطاعة.

فشكره مسلمٌ بن عقبة على ذَلِكَ، وامتثل ما أشار به، فنزل شرقى المدينة فى «الحرَّة» ودعا أهلها ثلاثة أيام، كل ذلك يأبون إلا المحاربة والمقاتلة، فلما مضت الثلاثة قال لهم فى اليوم الرابع: يا أهل المدينة مضت الثلاثةُ وإن أمير المؤمنين قال لى: إنكم أصله وعشيرته، وإنه يكره إراقة دمائكم، وإنه أمرنى أن أؤجلكم ثلاثًا فقد مضت، فماذا أنتم صانعون؟ أتسالمون أم تحاربون؟

فقالوا: بل نحارب.

فقال: لا تفعلوا، بل سالموا ونجعل حدَّنا وقُوتِنا على هذا المُلحِد - يقصد الملحد في الحرم، يعنى: ابن الزبير.

فقالوا: يا عدو الله، لو أردت ذلك لما مكنَّاك منه، أنحن نذركم تذهبون فتلحدون فى بيت الله الحرام؟

ثم تهيأوا للقتال وقد كانوا اتخذوا خندقًا بينهم وبين مسلم بن عقبة، وجعلوا

---

(١) الحَرَّة: كُل أرض ذات حجارة سُود، وأكثر الحرار حول مدينة الرسول ﷺ، والمراد بالحَرَّة هنا: حَرّة واقِم، وهي الشرقية من حرّتي المدينة.

جيشهم أربعة أرباع، على كل ربع أمير، وجعلوا أجمل الأرباع الربع الذى فيه عبد الله ابن حنظلة الغسيل رَضِيَ الله عَنْهُ وعن أبيه، ثم اقتتلوا قتالًا شديدًا.

روى جويرية بن أسماء، عن أشياخه، قالوا: خرج أهل المدينة يوم «الحرّة» بمجموع وهيئة لم يُر مثلُها، فلما رآهم عسكر الشام كرهوا قتالهم، فأمر «مسرفُ بن عقبة» بسريره[1] فوضع بين الصفين، ونادى مناديه: قاتلوا عني، أو دعوا، فشدّوا، فسمعوا التكبير خلفهم من المدينة، وأقحم عليهم بنو حارثة، فانهزم النَّاس، وعبد الله بن الغسيل مُتَسَاند إلى ابنه نائم، فَنَبَّهَهُ، فلما رأى ما جرى، أمر أكبر بنيه فقاتل حَتَّى قُتل، ثم لم يزل يقدّمهم واحدًا واحدًا حَتَّى قُتلوا، وكَسَر جَفنَ سَيفِهِ وقاتل حَتَّى قُتل.

وروى الواقديُّ بإسناده، قَالَ: لَـمَّا وثبت أهل الحرّة، وأخرجوا بني أُميّة من المدينة، بايعوا ابن الغسيل عَلَى الموت، فقال: يا قوم، والله ما خرجنا حَتَّى خفنا أن نُرجم من السماء، رجلٌ يشربُ الخمر ويَدَع الصَّلاة[2].

قَالَ: وكان - أي عبد الله بن حنظلة - يبيت تلك الليالي في المسجد، وما يزيدُ في إفطاره عَلَى شربة سويق، ويصوم الدّهر، ولا يرفع رأسه إلى السماء، فخطب، وحرَّض عَلَى القتال، وقال: «اللَّهُمَّ إنا بك واثقون».

فقاتلوا أشدّ القتال، وكبَّر أهلُ الشام، ودُخلت المدينة من النواحي كلها، وقُتل النَّاس، وبقي لواءُ ابن الغسيل ما حوله خمسة، فلما رأى ذَلِكَ، رَمَى دِرعه، وقاتلهم حاسرًا حَتَّى قُتِل رَضِيَ الله عَنْهُ، فوقف عليه مروان، وهو مادٌّ إصبعه السَّبَّابة، فقال: «أما والله لئن نَصَبتها مَيتًا، لطالما نَصبتَها حَيًّا»[3].

---

(١) وكان - قبحه الله - شيخًا كبيرًا.

(٢) قال الحافظ ابن كثير: «الفاسق لا يجوز خَلعه لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع الهَرج - يعني القتل» ا.هـ. «البداية» (٥/ ٧٤٦).

قلت: كان قتال ابن الغسيل رضي الله عنه ومَن معه اجتهادًا، كما فعل طلحة والزُّبير والحُسين رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٢٤)، و«المنتظم» (٦/ ١٩).

قَالَ ابن كثير في «البداية» [(١)]: «مَرَّ به مروانُ وهو مُجَنْدلَ فقال: رَحمك الله، فكم من سارية[(٢)] قد رأيتُك تطيل عندها القيام والسجود».

ثم أباح مسلم بن عقبة الذى يقول فيه السّلف «مسرف بن عقبة» قبحه الله، المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد وقتل خلقًا من أشرافها وقُرّائها، وانتهب أموالًا كثيرة منها، ووقع شَرٌّ عظيم وفساد عريض.

قَالَ المدائني عن أبي قرّة: قَالَ هشام بن حسّان: «وَلدت ألفُ امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرّة من غير زوج» [(٣)]، فالله أعلم.

وقَدْ اختفى جماعة من سادات الصَّحابة منهم «جابر بن عبد الله»، وخرج «أبو سعيد الخدري» فلجأ إلى غار في الجبل، فلحقه رجلٌ من أهل الشام، قَالَ: فلما رأيتهُ انتضيتُ سيفي فقصدني، فلما رآني صمّم عَلَى قتلي، فشممتُ سيفي ثم قلتُ: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]، فلما رأى ذَلِكَ قَالَ: مَن أنت؟ قلت: أنا أبو سعيد الخدري، قَالَ: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلتُ: نعم، فمضى وتركني.

قَالَ المدائني عن شيخ من أهل المدينة: سألتُ الزّهريّ: كم كان القتلى يوم الحرّة؟ قَالَ: سبعمائة من وجوه النَّاس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالي وممن لا أعرف من حرّ وعبد وغيرهم عشرة آلاف.

عباد الله...

قَالَ الحافظ ابن كثير - رَحِمَهُ الله -: «وقد أخطأ يزيد خطأً فاحشًا فى قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام، وهذا خطأ كبير فاحش، مع ما انضمّ إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم، وقد تقدّم أنَّهُ قتل الحسين وأصحابه على يدى عبيد الله بن زياد، وقد وقع فى هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة فى المدينة النبوية ما لا يحدّ ولا

---

(١) (٥/ ٧٣١).

(٢) سارية: عمود.

(٣) «البداية» (٥/ ٧٣٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٢٢).

يوصف، مِمَّا لا يعلمه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه ودوام أيامه من غير منازع، فعاقبه الله بنقيض قصده وحال بينه وبين ما يشتهيه فقصمه الله قاصم الجبابرة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر». ا.هـ[١].

وقال الإمام الذهبيّ - رَحِمَهُ الله -: «فكانت دولته - يعني يزيد بن معاوية - أقلّ من أربع سنين، ولم يمهله الله عَلَى فعله بأهل المدينة لَـمَّا خلعوه» ا.هـ[٢].

قلت: ولم يمهل الله تَعَالَى قائده «مسلم بن عقبة» أو «مُسرف بن عقبة» كما سماه السَّلف، فقد أُصيب بالشّلل التامّ بعد انتهاء وقعة الحَرَّة بأيام، ثم أخذه الله أخذ القرى وهي ظالمة، وذلك قبل أن يصل إلى مَكَّة، ثم أتبعه الله عَزَّ وَجَلَّ بيزيد بن معاوية، كما سيأتي إن شاء الله تَعَالَى قريبًا.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ**»[٣].

وفي رواية: «**وَلَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرَّصَاصِ، أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ**»[٤].

عباد الله...

ثم جاءت كلمات السَّلف بعد هَذِهِ الأحداث وغيرها تحذّر من منازعة أولي الأمر، وتدعو إلى السمع والطاعة[٥] لمن تغلّب حَتَّى لا تكون فتنة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

❊❊❊❊

---

(١) «البداية» (٥/ ٧٣٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٦).

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) في الطاعة دون المعصية.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

بانَ مِمَّا تقدَّم فقه محمد ابن الحنفية، ولو سمع أهل المدينة كلامه، لأغلقوا باب شرّ مستطير، ولكن الأمور تجري بمقادير.

عباد الله...

وكان محمد ابن الحنفية -رَحِمَهُ الله - ذكيًّا، وواعظًا مؤثرًا.

قال رجلٌ لمحمد ابن الحنفية: ما بالُ أبيك كان يرمي بك في مَرَام لا يرمي فيها الحسن والحُسَين؟ قال: لأنهما كانا خَدَّيه وكنتُ يده، فكان يتوَقَّى بيديه عن خَدَّيه.

ومن مواعظه:

- قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى - ليس بحكيم مَن لم يُعاشر بالمعروف مَن لا يجد مِن معاشرته بُدًّا، حتى يجعل الله مِن أمره فرجًا، أو قال: مخرجًا.
- وقال: مَن كرمَت عليه نفسُه لم يكن للدنيا عنده قدر.
- وقال: إن الله جعل الجَنَّة ثمنًا لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها.
- وعن محمد بن عبد المجيد أنه سمع ابن عيينة يقول: قال محمد ابن الحنفية: يا منذر، قلتُ: لبيك، قال: كُلّ ما لا يُبتغَى به وجه الله يضمحلّ.
- وعن عليّ بن الحُسين قال: كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويَتَوَعَّده ويحلف له ليحملنَّ إليه مائة ألف في البَرِّ، ومائة ألف في البحر، أو يؤدي إليه الجزية، فسقط في ذرعه، فكتب إلى الحجاج أن اكتب لابن الحنفية فتهدده وتوعده، ثم أعلمني ما يرد إليك من جوابه، فكتب الحجاج إلى ابن الحنفية بكتاب شديد يتهدده ويتوعده بالقتل. قال: فكتب إليه ابن الحنفية: إن لله عز وجل ثلاثمائة وستين نظرة في كل يوم إلى خلقه، وأنا أرجو أن ينظر الله عز وجل إليَّ نظرة يمنعني بها منك، قال:

فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى ملك الروم نسخته، فقال ملك الروم: ما خرج هذا منك ولا أنت كتبت به، وما خرج إلَّا من بيت نبوّة.

عباد الله...

وفي سنة إحدى وثمانين تُوفِّي محمد ابن الحنفية، ودُفن بالبقيع.

قال الواقديّ: أنبأنا زيد بن السَّائب قال: سألت عبد الله بن الحنفية: أين دُفن أبوك؟ قال: بالبقيع، سنة إحدى وثمانين في المحرَّم، وله خمس وستون سنة، فجاء أبان ابن عثمان والي المدينة ليصلِّي عليه، فقال أخي: ما ترى؟ فقال أبان: أنتم أولى بجنازتكم، فقلنا: تقدَّم فصلِّ، فتقدم.

رحم الله محمد ابن الحنفية ورضي الله عنه وأرضاه.

۞۞۞۞۞

الخطبة السابعة والثلاثون بعد المائة:

علي بن الحُسَين «زين العابدين»

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن سيرة أهل البيت.

ولقاؤنا اليوم مع «زين العابدين عليّ بن الحسين».

عباد الله...

مَن هو عليّ بن الحُسين؟

هو عليّ بن الحُسين بن عليّ بن أبي طالب، السيِّد الإمام، زَيْنُ العابدين، الهاشميّ العلويّ.

يُكنى أبا الحُسَين، ويقال: أبو الحَسن.

وأُمُّه: أُمُّ ولد، اسمها «سُلافة» بنت ملك الفرس «يَزدجرد»، وقيل: غزالة.

وُلد - رَحِمَهُ الله - في سنة ثمان وثلاثين، ظنًّا.

وحدَّث عن أبيه الحُسين رَضِيَ الله عَنْهُ، وكان معه يوم كربلاء، وله ثلاث وعشرون سنة، وكان يؤمئذ موعوكًا[1] فلم يقاتل، ولا تعرَّضوا له، بل أحضروه مع آله إلى دمشق فأكرمه يزيد بن معاوية وردّه مع آله إلى المدينة.

قَالَ ابن سعد: هو عليٌّ الأصغر، وأمَّا أخوه عليٌّ الأكبر فَقُتل مع أبيه بكربلاء.

وكان عليّ بن الحُسين - رَحِمَهُ الله - ثقةً، مأمونًا، كثير الحديث، عاليًا، رفيعًا، ورعًا.

وقال الزهريّ: ما رأيتُ قرشيًّا أفضل من عليّ بن الحُسين.

وكان - رَحِمَهُ الله - يلبس في الصَّيف ثَوبين مُمَشَّقَين من ثياب مصر، ويتلو: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

قلت: وهذا من فقهه - رَحِمَهُ الله - فإن حرمان البدن من الطيبات، وإذلاله باسم الزهد والتقشف، كحال بعض المتصوّفة، الذين أُثِرَ عن الواحد منهم أنَّهُ كان يأكل كل أسبوع رغيفًا!! والآخر يراصل الصيام ثلاثة أيام متابعة لا يأكل خلالهم شيئًا!! كل هذا ليس من دين الله في شيء، وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ.

عباد الله...

وكان زين العابدين له جلالةُ عجيبة، وحُقَّ له والله ذَلِكَ، فقد كان أهلًا للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده، وتألهه وعلمه وكمال عقله.

ولما حج هشام بن عبد الملك قُبيل ولايته الخلافة، كان إذا أراد استلام الحَجَر زُوحِم عليه، وإذا دنا عليُّ بن الحُسين من الحَجَر تفرَّقوا عنه إجلالًا له، فوجم لها هشام وقال: مَن هذا، فما أعرفه، فأنشأ الفرزدق يقول:

هذا الذي تعرفُ البَطحاءُ وطأتَهُ ... والبيتُ يَعرفُه والحِلُّ والحَرَمُ

---

(١) موعوكًا: مريضًا.

هـذا ابـنُ خَـيرِ عـبادِ الله كُلِّهـم | هـذا التَّقـيُّ النَّقـيُّ الطَّاهـر العَلَـمُ
إذا رَأتـهُ قُـريشٌ قَـالَ قائِلُهـا | إلى مكـارِم هـذا يَنتهـي الكَـرَمُ
يكـادُ يُمسِكُه عِـرفانُ راحـتِهِ | رُكـن الحَطِـيم إذا مـا جـاء يَـستَلِمُ
يُغْـضِي حـياءً ويُغـضَى مهابـته | فمـا يُكلَّـم إلا حـين يَبتَـسِمُ
هـذا ابـن فاطمـةٍ إن كُـنتَ جاهِلـهُ | بجـدِّهِ أنبـياءُ الله قَـدْ خُـتِمُوا

وهي قصيدة طويلة.

فأمر هشامٌ بحبس الفرزدق، فحُبس بـ«عُسفان»، وبعث إليه عليٌّ بن الحسين باثني عشر ألف درهم، وقال: اعذر أبا فراس.

فردها وقال: ما قلتُ ذَلِكَ إلا غضبًا لله ولرسوله.

فردَّها إليه وقال: بحقّي عليك لما قَبلتها، فقد علم الله نيّتك ورأى مكانك، فقبلها.

وقال في هشام:

أيَحبسُني بين المدينة والتي | إليها قلوبُ النَّاس يَهوِي مُنيبها
يُقلِّب رأسًا لم يكن رأس سيِّدٍ | وعَيْنَين حَولاوَين بادٍ عيوبُها[1]

هذا، وعلى الرغم من جلالة «علي بن الحُسين» وعلوّ كَعبه، إلَّا أنَّهُ كان لا يستحيي أن يجلس بين يدي العلماء سائلًا ومستفتيًا.

قَالَ نافع بن جُبير لعليّ بن الحُسين: إنك تجالس أقوامًا دونًا. قَالَ: آتي مَن أنتفعُ بمجالسته في ديني.

وكان - رَحِمَهُ الله - يجالس «أسلم مولى عمر» فقيل له: تدعُ قريشًا، وتجالس عبد بني عدِيّ؟ فقال: إنَّما يجلس الرجل حَتَّى ينتفع.

وكان - رَحِمَهُ الله - يدخل المسجد، فَيشُقُّ النَّاس حَتَّى يجلس في حلقة «زيد بن أسلم» فقال له نافع بن جُبير: غفر الله لك، أنت سيِّد النَّاس، تأتي تتخطى حَتَّى تجلس

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٩٩).

مع هذا العبد؟ فقال عليّ بن الحُسين: العلم يُبتغى ويُؤتى ويُطلَبُ من حيثُ كان.

عباد الله...

ومعرفة الله - سبحانه - تثمر سلوكًا مستقيمًا، وخلقًا حسنًا، وكان عليّ بن الحُسين - رَحِمَهُ الله - من أحسن النَّاس أخلاقًا، ولا غَرو فِي ذَلِكَ، أليس جدَّه رسول الله ﷺ.

- قَالَ أبو يعقوب المدنيّ: كان بين حسن بن حسن وبين ابن عمِّه عليِّ بن الحُسين شيءٌ، فما ترك شيئًا إلا قاله، وعليٌّ ساكت، فذهب حسن، فلما كان من الليل، أتاه عليٌّ فخرج فقال عليّ: يا ابن عمِّي إن كنت صادقًا فغفر اللهُ له، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك، السلام عليك. قَالَ: فالتزمه[1] حَسَنٌ، وبكى حَتَّى رثى له، ثم قَالَ: لا جرم لا عُدت في أمرٍ تكرهه، فقال عليّ: وأنت في حلٍّ مِمَّا قلت لي.

- وكلّمه رجلٌ فافترى عليه، فقال عليّ: إن كنَّا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك، فقام إليه الرجل فقبّل رأسه، وقال: جُعِلتُ فداك، ليس كما قلتُ فاستغفر لي، فقال عليّ: غفر الله لك، فقال الرجل: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

- وعن عبد الغفَّار بن القاسم قَالَ: كان عليّ بن الحُسين خارجًا من المسجد فلقيه رجل فَسَبَّهُ، فثارت إليه العبيد والموالي، فقال عليّ بن الحُسين: مهلًا عَلَى الرجل، ثم أقبل عَلَى الرجل فقال: ما سُتر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نُعينك عليها؟ فاستحيا الرجل فألقى عليه خميصة[2] كانت عليه وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذَلِكَ يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول[3].

عباد الله...

وكما أن معرفة الله - سبحانه - تثمر سلوكًا مستقيمًا، وخلقًا حسنًا، فإنها تثمر أيضًا تعبّدًا وخوفًا.

---

(١) التزمه: احتضنه.

(٢) الخميص: كساء أسود له علمان.

(٣) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ٧١).

ولقد كان «زين العابدين» من أعبد النَّاس، وأخوفهم لله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وإليكم الدليل:

- كان - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - إذا توضأ يصفرّ - أي يتغير لونه - فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي مَن أريد أن أقوم؟
- وكان - رَحِمَهُ الله - إذا مشى لا تجاوز يديه فخده، ولا يخطر بيده، وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له: ما لك؟ فقال: ما تدرون بين يدي مَن أقوم ومَن أُناجي؟
- وعن أبي نوح الأنصاري قَالَ: وقع حريق في بيت فيه عليّ بن الحُسين وهو ساجد، فجعلوا يقولون له: يا ابن رسول الله؛ النار، يا ابن رسول الله، النار، فما رفع رأسه حَتَّى أُطفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟ قَالَ: ألهتني عنها النارُ الأخرى.
- وعن جعفر بن مُحَمَّد عن أبيه قَالَ: إن عليّ بن الحُسين كان لا يُحب أن يعينه أحدٌ عَلَى طهوره، وكان يستقي الماء لطهوره ويخمره[1] قبل أن ينام، فإذا قام من الليل بدأ بالسواك ثم يتوضأ ثم يأخذ في صلاته، وكان يقضي ما فاته من صلاة النهار بالليل، ثم يقول: يا بنيّ ليس هذا عليكم بواجبٍ ولكن أحب لمن عوّد نفسه منكم عادة من الخير أن يدوم عليها.
- وعن سفيان: حجّ عليّ بن الحُسين فلمّا أحرم، اصفرّ وانتفض ولم يستطع أن يُلَبِّي، فقيل: ألا تُلَبِّي؟ قَالَ: أخشى أن أقول: لَبيك، فيقول لي: لا لَبيك، فلما لبّى غُشي عليه، وسقط عن راحلته، فلم يزل بعضُ ذَلِكَ به حَتَّى قضى حجَّه.

عباد الله...

والعبد إذا رغب فيما عند الله، تحرّكت يَدُه بالعطاء، وقَدْ كان «زين العابدين» من أجود النَّاس كفًّا، ومن أسخى النَّاس نفسًا:

كان - رَحِمَهُ الله - يحمل الخبز بالليل عَلَى ظهره يَتَّبَعُ به المساكين في الظُّلمة، ويقول:

---

(١) يخمره: يغطيه.

إن الصدقة في سواد الليل تُطفئ غضب الرَّب.

وعن مُحَمَّد بن إسحاق قَالَ: كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشُهم، فلما مات عليٌّ بن الحُسين فقدوا ذَلِكَ الذي كانوا يؤتَون بالليل.

وعن عمرو بن ثابت: لَـمَّا مات «عليٌّ بن الحُسين» وجدوا بظهره أثرًا مِمَّا كان ينقُل الجُرُبَ بالليل إلى منازل الأرامل.

وقال شيبة بن نعامة: لَـمَّا مات عليٌّ وجدوه يعولُ مائة أهل بيت.

قَالَ الذهبيُّ - رَحِمَهُ الله -: قلتُ: لهذا كان يُبخَّل[1]، فإنه يُنفِقُ سِرًّا ويظنُّ أهلُهُ أنَّهُ يجمع الدراهم.

ودخل - رَحِمَهُ الله - عَلَى مُحَمَّد بن أسامة بن زيد في مرضه فجعل مُحَمَّد يبكي، فقال: ما شأنك؟ قَالَ: عليّ دَين، قَالَ عليٌّ: وكم هو؟ قَالَ: بضعة عشر ألف دينار، قَالَ: فهي عليَّ، وكان إذا أتاه سائلٌ رَحَّب به وقال: مرحبًا بمن يحمل زادي إلى الآخرة.

هذا؛ وقَدْ كان - رَحِمَهُ الله - إذا سمع مَن ينتقص أصحاب مُحَمَّد ﷺ هبّ مدافعًا، لا يخشى في الله لومة لائم.

- عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: جاء رجل إلى أبي فقال: أخبرني عن أبي بكر؟ قال: عن الصديق تسأل؟ قال: وتسميه الصِّدِّيق؟! قال: ثكلتك أمك، قَدْ سمَّاه صِدِّيقًا مَن هو خير منِّي، رسول الله ﷺ والمهاجرون، والأنصار، فمن لم يُسَمِّه صدِّيقًا، فلا صدَّق الله قوله، اذهب فَأَحِبَّ أبا بكر وعمر، وتولَّهما، فما كان من أمرٍ ففي عُنُقي[2].

- وعن مُحَمَّد بن حاطب، عن عليّ بن الحُسين: أَنَّهُ أتاه نفرٌ من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا قَالَ: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَـهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]؟ قالوا: لا، قال: فأنتم

---

(١) أي: يُتّهم بالبخل.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٩٥).

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، قالوا: لا، قال: أما أنتم فقد تبرّأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، ثم قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، اخرجوا فعل الله بكم[(١)].

عباد الله...

كان هذا طرف من حياة «زين العابدين»، قدمناه عسى أن يكون دليلًا لمن اهتدى، ونورًا لمن اقتدى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ولأن أولى الناس بوصايا الرجل أولاده، فقد جاءت وصية «زين العابدين» لولده أبي جعفر محمد بن عليّ، في غاية الأهمية، لأنها تحذر من الصحبة السوء:

عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال: «أوصاني أبي قال: لا تصحبنّ خمسةً ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق.

قال: قلت: جُعلتُ فداك يا أبتِ مَن هؤلاء الخمسة؟

قال: لا تصحبنَّ فاسقًا فإنه يبيعك بأكلةٍ فما دونها.

قال: قلتُ: يا أبتِ وما دونها؟

قال: يطمع فيها ثم لا ينالها.

---

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٦٩).

قال: قلتُ: يا أبتِ ومَن الثاني؟

قال: لا تصحبنَّ البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه.

قال: قلتُ: يا أبتِ ومَن الثالث؟

قال: لا تصحبنَّ كذَّابًا فإنه بمنزلة السَّراب يبعد منك القريب ويقرّب منك البعيد.

قال: قلتُ: يا أبتِ ومَن الرابع؟

قال: لا تصحبنَّ أحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك.

قال: قلتُ: يا أبتِ ومَن الخامس؟

قال: لا تصحبنّ قاطع رحمٍ فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله في ثلاثة مواضع». ا.هـ.

إذًا مَن نصاحب؟

صاحِب مَن تذكّركِ بالله رؤيتُه، ويزيد في علمك مَنطِقُه، إذا ذكرتَ الله أعانَك، وإذا نَسِيتَ الله ذكَّرك.

وها هو النَّبيّ ﷺ يقول: «**لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**».

عباد الله...

وقبل أن نأتي إلى خِتام حديثنا عن سيرة هذا الإمام العابد، نسوق طرفًا من مواعظه، ومناجاته:

- وكان - رَحِمَهُ الله - يقول: عجبتُ للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفةً ثم هو غدًا جيفةً، وعجبتُ كل العجب لمن شكَّ في الله وهو يرى خلقه، وعَجِبتُ كل العجب لمن ينكر النشأة الأخرى وهو يرى الأولى، وعَجِبتُ كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء.
- وكان - رَحِمَهُ الله - يقول: فقد الأحبَّة غربة.
- وكان يقول: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك أن تُحسِّن في لوائح العيون علانيتي، وتقبِّح في خفيّات العيون سريرتي، اللَّهُمَّ كما أسأتُ وأحسنتَ إليَّ، فإذا عُدتُ، فَعُد عليَّ.
- وكان يدعو: اللَّهُمَّ لا تكلني إلى نفسي، فأعجز عنا، ولا تكلني إلى المخلوقين فيضيعوني.

• وعن طاوس: سمعت عليَّ بن الحُسين وهو ساجد في الحِجر[1] يقول: عُبَيدك بفنائك، مسكينكُ بفنائك، فقيرك بفنائك، قَالَ: فوالله ما دعوتُ بها في كَربٍ قطُّ إلَّا كُشِف عنِّي.

عباد الله...

وفي ليلة الثلاثاء في سنة أربع وتسعين، دُعي «زين العابدين» فأجاب مولاه، وخرجت الرُّوح الطيبة من الجسد الطيِّب، وهناك في البقيع ينام زين العابدين مع أصحاب النَّبيّ الأطهار.

وفي الخطبة القادمة نواصل المسير مع آل بيت النَّبيّ ﷺ فإلى اللقاء - إن شاء الله.

⚝⚝⚝⚝⚝

(١) حجر الكعبة.

الخطبة الثامنة والثلاثون بعد المائة:

جعفر الصادق

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن «**أهل البيت**».

ولقاؤنا اليوم مع الإمام جعفر الصادق - رَحِمَهُ الله تعالى.

عباد الله...

مَن هو جعفر الصَّادق؟

هو الإمام جعفر بن مُحَمَّد بن عليّ بن الشهيد أبي عبد الله، ريحانة النَّبي ﷺ وسبطه ومحبوبه الحُسَين ابن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وأُمُّه هي أُمّ فروة بنت القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر التَّيمي، وأُمّها هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

وُلد - رَحِمَهُ الله - سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة، قيل: رأى أنس بن مالك، وسهل بن سعد رَضِيَ الله عَنْهُمَا.

وكانت له مكانة متميّزة عند الأفاضل من أهل العلم:

- عَن عمرو بن أبي المقدام قَالَ: كنتَ إذا نظرتَ إلى جعفر بن مُحَمَّد علمتَ أَنَّهُ من سلالة النبيين، قَدْ رأيته واقفًا عند الجمرة يقول: سلوني، سلوني.

- وعن حسن بن زياد قَالَ: سمعتُ أبا حنيفة وسُئل: مَن أفقه مَن رأيت؟ قَالَ: ما رأيتُ أحدًا أفقه من جعفر بن مُحَمَّد، لَـمَّا أقدمه المنصور[1] الحيرة بعث إليَّ فقال: يا أبا حنيفة، إنَّ النَّاس قَدْ فُتنوا بجعفر بن مُحَمَّد، فهيئ له من مسائلك الصعاب، فهيأتُ له أربعين مسألة، ثم أتيت أبا جعفر، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بَصرتُ بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر، فسلمتُ وأذن لي، فجلستُ، ثم التفت إلى جعفر فقال: يا أبا عبد الله، تعرف هذا؟ قَالَ: نعم، هذا أبو حنيفة، ثم أتبعها، قَدْ أتانا، ثم قَالَ: يا أبا حنيفة هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله.

فابتدأتُ أسأله فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابَعَنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعًا، حَتَّى أتيتُ عَلَى أربعين مسألة ما أخرم منها مسألة، ثم قَالَ أبو حنيفة: أليس قَدْ روينا أن أعلم النَّاس أعلمهم باختلاف النَّاس؟!

- وكان - رَحِمَهُ الله - يُجلّ الشيخين أبا بكر وعمر رَضِيَ الله عَنْهُمَا، ويدافع عنهما، وينكر عَلَى الروافض انتقاصهم لهما، ولما أشاع بعض الرافضة عن الإمام جعفر أَنَّهُ ينتقص من الشيخين أبي بكر وعمر، فلما وصل إليه ذكر ذَلِكَ أنكر عَلَى قائله أشد الإنكار وتبرأ ممن قَالَ عنه ذَلِكَ.

- عن زهير بن معاوية قَالَ: قَالَ أبو جعفر بن مُحَمَّد إن لي جارًا يزعمُ أنك تبرأ من أبي

---

(١) المنصور هو أبو جعفر المنصور الخليفة.

بكر وعمر، فقال جعفر: برئ الله من جارك، والله إنِّي لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر.

- وعن عمرو بن قيس المُلائي قَالَ: سمعتُ جعفر بن مُحَمَّد يقول: برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر.

قَالَ الإمام الذهبيّ - مُعَلِّقًا - قلتُ: هذا القول متواتر عن جعفر الصادق، وأشهد الله إنه لبارٌ في قوله غير منافق لأحد، فقبَّح الله الرافضة.

- وكان - رَحِمَهُ الله - مِن أسخى النَّاس، يتصدّق بكل ما يجد، حَتَّى لا يبقى لعياله شيء، قَالَ هيَّاج بن بسطام: كان جعفر بن مُحَمَّد يُطعم حَتَّى لا يبقى لعياله شيء.

قلتُ: وهكذا كان السَّلف الصالح يتقرّبون إلى الله تَعَالى بكل ما تحت أيديهم، وفي الحديث الصحيح: «**اتقِّ النَّار ولو بِشق تمرة**».

عباد الله...

وكان - رَحِمَهُ الله - واعظًا مؤثرًا، تدخل مواعظه القلوب بغير استئذان.

قَالَ - رَحِمَهُ الله تَعَالى -: الصلاة قُربان كُلِّ تقيّ، والحج جهادُ كُلِّ ضعيف، وزكاةُ البدن الصيام، والدَّاعي بلا عمل كالرَّامي بلا وتر، واستنزلوا الرزق بالصدقة، وحصِّنوا أموالكم بالزكاة.

وما عال من اقتصد، والتقدير نصف العيش، وقلةُ العيال أحدُ اليسارَين، ومن أحزن والديه فقد عقَّهما، ومن ضرب بيده على فَخِذه عند مصيبة فقد حبط أجره، والصَّنيعة لا تكون صنيعة إلا عند ذي حسب أو دين، والله ينزِّل الصبر على قدر المصيبة، ويُنزِّل الرِّزق على قدر المؤنة، ومَن قَدَّر معيشته، رزقه الله، ومن بَذَّر معيشته، حرمه الله.

- وعن يحيى بن الفرات، أن جعفر الصادق قال: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله، وتصغيره، وسَتره.

- وقال - رَحِمَهُ الله -: لا زاد أفضل من التقوى، ولا شيء أحسن من الصمت، ولا عدو أضرُّ من الجهل، ولا داء أدوأ من الكذب.

- وكان - رَحِمَهُ الله - يقول: إيَّاكم والخصومة في الدِّين، فإنها تشغل القلب، وتورث النفاق.
- وقال - رَحِمَهُ الله -: مَن كشف حجاب غيره، انكشفت عورات بيته، ومَن سلَّ سيف البغي قُتل به.
- وقال - رَحِمَهُ الله -: إنَّما الدنيا للعارفين كَفَيْءِ الظلال، الدنيا كلها مهما يطل العمر فيها كلحظات الظل التي يقضيها المسافر تحت أفنان شجرة ثم يمضي، فلماذا يشغلون إذًا بأموالها ومتاعها وفتنتها وأهوائها؟! إنها فرصتهم لطاعة الله، ولتقديم الصالحات الباقيات التي سيحيون فيها إلى جوار الله، وفي فردوسه الأعلى خالدين مُخلَّدين، أما بعد ذَلِكَ فلا تعرفهم الدنيا ولا يعرفوها.
- وكان يقول: إذا بلغك عن أخيك ما يسؤوك، فلا تغتمّ، فإنه إن كان كما يقول كانت عقوبةً عُجِّلت، وإن كان عَلَى غير ما يقول كانت حسنةً لم تعملها.
- ومن أقواله - رَحِمَهُ الله -: إن صاحبت فصاحب الأخيار، فإن الفجَّار صخرة لا تتفجّر ماؤها، وشجرة لا يخضرّ ورقُها، وأرض لا ينبت غرسها.
- وقال الخليل بن أحمد: سمعت سفيان الثوري يقول: قَدِمتُ مَكَّة فإذا أنا بأبي عبدالله جعفر بن محمد قد أناخ بالأبطح، فقلت: يا ابن رسول الله، لم جُعِل الموقف من وراء الحَرَم؟ ولم يُصيّر في المشعر الحرام؟

فقال: الكعبة بيت الله، والحرم حجابه، والموقف بابه، فلما قصده الوافدون، أوقفهم بالباب يتضرعون، فلما أذن لهم في الدخول، أدناهم من الباب الثاني وهو المزدلفة، فلما نظر إلى كثرة تضرعهم وطول اجتهادهم رحمهم، فلما رحمهم، أمرهم بتقريب قربانهم، فلما قربوا قربانهم، وقضوا تفثهم[1] وتطهروا من الذنوب التي كانت حجابا بينه وبينهم، أمرهم بزيارة بيته على طهارة.

---

(١) التفث: ما يصيب المحرم بالحج مِن ترك الادِّهان والغُسل والحَلق، وإزالته من مناسك الحج، وفي التنزيل العزيز: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٩]. «المعجم الوسيط» (١/ ٨٩).

قال: فلم كَرِه[1] الصومُ أيام التشريق ؟

قال: لأنهم في ضيافة الله، ولا يجب على الضيف أن يصوم عند من أضافه.

قلت: جُعلت فداك، فما بال النَّاس يتعلقون بأستار الكعبة وهي خرق لا تنفع شيئًا؟

قال: ذاك مثل رجل بينه وبين رجل جُرم، فهو يتعلّق به، ويطوف حوله رجاء أن يهب له ذلك، ذاك الجرم.

عباد الله...

ولمكانة الأبناء من الآباء، فهم أولى بالنَّصيحة، لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

ولقوله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

وها هو الإمام جعفر يوصي ولده بوصية تكتب بماء الذَّهب، ما أحوج الأبناء في كل عصر إليها:

عن بعض أصحاب جعفر بن محمد قال: رأيت جعفرًا يُوصي موسى - يعني ابنه: يا بُنيّ مَن قنع بما قسم له، استغني. ومن مَدّ عينيه إلى ما في يد غيره، مات فقيرًا، ومَن لم يرض بما قسم له، اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة غيره، استعظم زلة نفسه، ومن كشف حجاب غيره، انكشفت عورته، ومن سل سيف البغي، قتل به، ومن احتفر بئرًا لأخيه، أوقعه الله فيه، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتُّهم.

يا بُنيّ إيَّاك أن تُزريَ بالرجال، فُيزرى بك، وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتذلَّ لذلك، يا بني قل الحق لك وعليك تستشار من بين أقربائك، كن للقرآن تاليًا، وللإسلام فاشيًا، وللمعروف آمرًا، وعن المنكر ناهيًا، ولمن قطعك واصلًا، ولمن سكت

---

(١) أي: حرم، والسلف كانوا يستعملون الكراهة في معناها الذي استعملت به في كلام الله ورسوله، قال تَعَالَى: ﴿ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ [الإسراء: ٣٨].

عنك مبتدئًا، ولمن سألك معطيًا، وإيَّاك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في القلوب، وإيَّاك والتعرض لعيوب الناس فمنزلة المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدف.

إذا طلبت الجود، فعليك بمعادنه فإن للجود معادن، وللمعادن أصولا، وللأصول فروعًا، وللفروع ثمرًا، ولا يطيب ثمر إلا بفرع، ولا فرع إلا بأصل، ولا أصل إلا بمعدن طيِّب.

زُر الأخيَّار ولا تزر الفجَّار، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عُشْبُها[١].

عباد الله...

إنها وصية تُكتب بماء الذَّهب عَلَى صفحات القلوب، فاجعلوها نُصب أعينكم، واجعلوها شعارًا ودثارًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وقبل أن أختم خطبة اليوم، نسوق هذا الدُّعاء للإمام جعفر الصادق، لمن خاف ظالمًا:

عن الفضل بن الربيع، عن أبيه، قال: دعاني المنصور فقال: إن جعفر بن محمد يلحد في سلطاني قتلني الله إن لم أقتله.

فأتيته، فقلت: أجب أمير المؤمنين. فتطهر ولبس ثيابًا، أحسبه قَالَ: جددًا، فأقبلت به فاستأذنت له، فقال: أدخله، قتلني الله إن لم أقتلهُ.

فلما نظر إليه مُقبلًا قام من مجلسه فتلقاه وقال: مرحبًا بالنقى الساحة، البريء من

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٦٣).

الدغل والخيانة، أخي وابن عمي.

فأقعده معه على سريره وأقبل عليه بوجهه، وسأله عن حاله، ثم قال: سلني عن حاجتك.

فقال: أهل مَكَّة والمدينة قد تأخَّر عطاؤهم فتأمر لهم به. قال: أفعل.

ثم قال: يا جارية ائتني بالتحفة. فأتته بمدهن زجاج فيه غالية فغلفه بيده وانصرف. فاتبعته، فقلت: يا ابن رسول الله؛ أتيت بك ولا أشك أنه قاتلك، فكان منه ما رأيت، وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدخول فما هو ؟

قال: قلت: «اللَّهُمَّ احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، واحفظني بقدرتك علي، ولا تهلكني، وأنت رجائي، ربِّ كم من نعمة أنعمت بها علي قَلّ لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قَلّ لها عندك صبري؟!

فيا من قَلَّ عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قَلّ عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا مَن رآني على المعاصي فلم يفضحني، ويا ذا النِّعم التي لا تحصى أبدًا، ويا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدًا، أعنِّي على ديني بدنيا، وعلى آخرتي بتقوى، واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني إلى نفسي فيما خطرت.

يا مَن لا تَضرّهُ الذُّنوب، ولا تَنقصُهُ المغفرة، اغفر لي ما لا يضرّك، وأعطني ما لا يَنقُصُك، يا وهَّاب أسألك فرجًا قريبًا، وصبرًا جميلًا، والعافية من جميع البلايا، وشكر العافية[1]».

عباد الله...

وفي سنة ثمان وأربعين ومائة جاء الإمام جعفر اليقين، فلبّت الرُّوح الزكيّة نداء مولاها الكريم. بَلَّل اللـهُ ثَرَاه، وجعل الجَنَّة مثواه.

وفي الخطبة القادمة نواصل المسير مع أهل البيت، فإلى اللقاء - إن شاء الله.

✧✧✧✧✧

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٦٦، ٢٦٧).

الخطبة التاسعة والثلاثون بعد المائة:

أبو جعفر الباقر

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن قَصص أهل البيت.

وضيفنا اليوم هو: السَّيِّد الإمام أبو جعفر مُحَمَّد بن عليّ بن الحُسَين بن عليّ، العلويّ الفاطميّ، المدني، ابن زين العابدين عليّ بن الحُسين.

قال الزبيربن بكار: كان يقال لمحمد بن علي: باقر العلم.

وأُمُّه هي أم عبد الله بنت الحسن بن علي.

وفيه يقول القرظي:

يا باقر العلم لأهل التُّقى ... وخير مَن لبَّى على الأجْبُل

ولد - رَحِمَهُ الله - سنة ست وخمسين في حياة عائشة وأبي هريرة رَضِيَ الله عَنْهُمَا[١].

وقَدْ عدَّه النَّسائيّ وغيرُهُ في فقهاء التابعين بالمدينة، واتفق الحفَّاظ عَلَى الاحتجاج بأبي جعفر.

عباد الله...

وقَدْ أثنى العلماء عَلَى أبي جعفر الباقر، ولا غرو فهو سليل بيت النبوّة.

قَالَ الذهبي[٢]: وكان أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدُد، والشرف، والثقة، والرَّزانة، وكان أهلا للخلافة.

وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تُبجِّلهم الشيعة الإمامية وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع الدِّين.

فلا عصمة إلا للملائكة والنبيين، وكل أحد يصيب ويخطئ، ويؤخذ من قوله ويترك سوى النبي ﷺ فإنه معصوم، مؤيد بالوحي.

وشُهر أبو جعفر بالباقر، مِن: بَقر العلم، أي شَقَّه فَعَرف أصله وخفيَّه.

ولقد كان أبو جعفر إمامًا، مجتهدًا، تاليًا لكتاب الله، كبير الشأن، ونحبه في الله لما تجمع فيه من صفات الكمال.

ومِمَّا يدل عَلَى سعة علمه، وعمق فقهه:

- عَن عبد الرحمن بن عبد الله الزّهريّ، قال: حجّ الخليفة هشام، فدخل الحرم متكئًا على يد سالم مولاه، ومحمد بن علي بن الحسين جالس، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مُحَمَّد بن علي.

فقال: المفتون به أهل العراق ؟ قال: نعم.

قال: اذهب إليه فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: ما الذي يأكل الناسُ ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة ؟

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٠١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٠٢).

فقال له محمد: يُحشر النَّاس على مثل قرصة النَّقي[١]، فيها الأنهار مفجرة.

فرأى هشام أنه قد ظفر فقال: الله أكبر، اذهب إليه، فقل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ! ففعل.

فقال: قل له: هم في النار أشغل، ولم يشغلوا أن قالوا: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّـهُ﴾ [الأعراف: ٥٠].

▪ عن عروة بن عبدالله، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السّيوف، فقال: لا بأس به، قد حلّى أبو بكر الصديق سيفه. قلت: وتقول الصِّدِّيق؟[٢] فوثب وثبة واستقبل القبلة ثم قال: نعم الصِّدِّيق، نعم الصِّدِّيق، فمن لم يقل الصِّدِّيق فلا صدق الله له قولًا في الدنيا والآخرة.

قلت: هذا هو اعتقاد أهل البيت في الشيخين أبي بكر وعمر، فقبَّح الله الرّوافض، ما أجهلهم، وما أقبح ما يفترون.

عباد الله...

من بركات العلم: العمل به، والعمل النافع هو العلم الذي يُثمر الخشيّة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

قَالَ العلامة السَّعديّ - رَحِمَهُ الله - في تفسيره لهذه الآية: «فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته» ا.هـ[٣].

هذا؛ واعلموا - عباد الله - أن القوّة العلميّة ليست كلّ شيء، وليست وحدها كافية للسير في الطريق، بل لابد من قوّة عملية تترجم العلم إلى عمل.

وهذا ما أشار إليه العلامة ابن القيّم - رَحِمَهُ الله - في درة من نفيس كلامة إذ يقول:

---

(١) يعني: الخبز الحُوّاري.

(٢) الرافضة يسبّون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٣) «تفسير السعدي» (٦٨٩).

قاعدة:

السائر إلى الله تعالى والدار الآخرة، بل كل سائر إلى مقصد، لا يتم سيره ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين: قوة علمية، وقوة عملية.

فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق، ومواضع السلوك فيقصدها سائرًا فيها، ويجتنب أسباب الهلاك ومواضع العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل.

وبالقوة العملية يسير حقيقة، بل السير هو حقيقة القوة العملية، فإن السير هو عمل المسافر. وكذلك السائر إلى ربه إذا أبصر الطريق وأعلامها وأبصر المعاثر والوهاد والطرق الناكبة عنها فقد حصل له شطر السعادة والفلاح، وبقى عليه الشطر الآخر وهو أن يضع عصاه على عاتقه ويشمر مسافرًا فى الطريق قاطعاً منازلها منزلة بعد منزلة...»[1].

وقسَّم ابن القيّم - رَحِمَهُ الله - النَّاس من حيث هاتين القوتين إلى أربعة أقسام:

قسمٌ تغلب عليه القوة العلمية، وثانٍ تغلب عليه القوة العملية، وثالث له القوتان معًا، ورابع ضعفت فيه القوتان.

ثم يقول - رَحِمَهُ الله -: «فمن الناس من يكون له القوة العلمية الكاشفة عن الطريق ومنازلها وأعلامها وعوارضها ومعاثرها، وتكون هذه القوة أَغلب القوتين عليه، ويكون ضعيفاً فى القوة العملية يبصر الحقائق ولا يعمل بموجبها، ويرى المتالف والمخاوف والمعاطب ولا يتوقاها، فهو فقيه ما لم يحضر العمل فإذا حضر العمل شارك الجهال فى التخلف وفارقهم فى العلم وهذا هو الغالب على أَكثر النفوس المشتغلة بالعلم، والمعصوم من عصمه الله ولا قوة إلا بالله.

ومن الناس من تكون له القوة العملية الإرادية وتكون أغلب القوتين عليه وتقتضى هذه القوة السير والسلوك والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة والجد والتشمير فى العمل، ويكون أعمى البصر عند ورود الشبهات فى العقائد والانحرافات فى الأَعمال والأقوال والمقامات كما كان الأول، ضعيف العقل عند ورود الشهوات، فداءُ

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص١٧١) باختصار.

هذا من جهله وداءُ الأَول من فساد إرادته وضعف عقله، وهذا حال أَكثر أرباب الفقر والتصوف السالكين على غير طريق العلم...

ومن كانت له هاتان القوتان استقام له سيره إلى الله تعالى ورجى له النفوذ وقوى على رد القواطع والموانع بحول الله وقوته...

فإذا كان السير ضعيفًا والهمة ضعيفة والعلم بالطريق ضعيفًا، والقواطع الخارجة والداخلة كثيرة شديدة فإنه جهد البلاء ودرك الشقاءِ وسوء القضاء وشماتة الأعداءِ إلا أن يتداركه الله برحمة منه من حيث لا يحتسب فيأُخذ بيده ويخلصه من أَيدى القواطع. والله ولى التوفيق»[(١)].

وقَدْ جمع الإمامُ أبو جعفر الباقر - رَحِمَهُ الله - بين القوتين:

عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: «كنت أنا وأبو جعفر نختلف إلى جابر نكتب عنه في ألواح، وبلغنا أن أبا جعفر كان يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة».

وعن سلمة بن كُهيل في قوله تَعَالى: ﴿لآياتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، قَالَ: «كان أبو جعفر منهم».

ومع رسوخ قدمه، وعلوّ كعبه، وتعبّده، كان من أخشى الناس لله في زمنه، وأخوفهم من ذنبه.

قال ليث بن أبي سُلَيم: دخلتُ عَلَى أبي جعفر محمد بن عليّ وهو يذكر ذنوبه وما يقول الناس فيه فبكى.

وادّعى بعض الناس أنه المهديّ[(٢)]، فلما وصل إليه هذا، قال: يزعمون أنِّي المهدي، وإنِّي إلى أجلي أدنى مني إلى ما يَدعون، ولو أن الناس اجتمعوا عَلَى أن يأتيهم العدل من باب، لخالفهم القَدَر حتى يأتي من باب آخر.

عباد الله...

المصائبُ تُظهر معدن الإنسان، والرضا بالقضاء والقدر من صفات أهل الإيمان،

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص١٧٢) باختصار.

(٢) أي: المهدي المنتظر.

وكان الصالحون يتعاملون مع البلاء كما يُحب الله ويرضى.

قال سفيان الثوري: «اشتكى بعض أولاد محمد بن علي، فجزع عليه، ثم أخبر بموته، فَسرِّي عنه. فقيل له في ذلك، فقال: ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع ما نكره، لم نخالف الله فيما أحب».

هكذا كانوا يتعاملون مع البلاء.

ورحم الله عبد الواحد بن زيد حين قَالَ: «الرضا: باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العابدين».

اللَّهُمَّ ارزقنا قلبًا خاشعًا، وعلمًا نافعًا، وبدنًا عَلَى البلاء صابرًا.

آمين... آمين... آمين

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وقبل أن نختم الحديث عن هذا العبد الصالح، نذكر شيئًا من مواعظه:

- كان -رَحِمَهُ الله - يقول: ما دخل قلب امرئ مِن الكِبر شيءٌ إلَّا نقص من عقله مقدار ذلك.
- وكان يقول: الصواعق تصيبُ المؤمن وغيرَ المؤمن، ولا تصيبُ الذَّاكر.
- وكان يقول: سلاح اللئام قُبح الكلام.
- وعن عبد الله بن الوليد قال: قال لنا أبو جعفر محمد بن عليّ: يدخل أحدُكم يده في كم صاحبه فيأخذ ما يُريد؟ قلنا: لا، قال: فلستم إخوانًا كما تزعمون.

عباد الله...

وبعد عُمرٍ مبارك، وفي سنة أربع عشرة ومائة، أدركته الوفاة، ودخل عليه الناس يعودونه، فكان ينصحهم ويعظهم إلى آخر رمق.

عن سالم بن أبي حفصة وكان يترفَّض، قال: دخلتُ عَلَى أبي جعفر وهو مريض، فقال - وأظنُّ قال ذلك من أجلي -: اللَّهُمَّ إني أتولّى وأُحبُّ أبا بكر وعُمَر، اللَّهُمَّ إن كان في نفسي غيرُ هذا فلا نالتني شفاعةُ محمد ﷺ يوم القيمة.

وقبل أن تفارق رُوحهُ بدنه أوصى أن يُكفَّن في قميصه الذي كان يُصلي فيه، وكان موته بالمدينة رَحِمَهُ الله .

وفي الخطبة القادمة، نواصل الحديث عن أهل البيت، فإلى اللقاء - إن شاء الله تَعَالى.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا من الذين سَرَحَت أرواحُهم في دار العُلَى، وحَطَّت هِمُم قلوبهم في عاية التُّقى حَتَّى أناخوا برياض النَّعيم وجَنُوا من ثمار رياض التَّسنيم.

آمين... آمين... آمين.

۞۞۞۞۞

الخطبة الأربعون بعد المائة:

خديجة بنت خويلد

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن «**قَصص أهل البيت**».

ولقاؤنا اليوم - إن شاء الله تَعَالَى - مع أُمِّ المؤمنين «**خديجة بنت خويلد**» رضي الله عنها.

عباد الله...

وهي: خديجةُ بِنْت خُوَيْلِد بن أسد بن عَبْد العُزى بن قصيّ القُرَشِيَّة الأَسَدِيَّة، أُمُّ المؤمنين، زوج النَّبِيِّ ﷺ، أول امْرَأَة تزوجها، وأول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم

يتقدمها رجلٌ ولا امْرَأة.

قال الزبير: كانت تدعى في الجاهلية الطاهرة. وأمها فاطِمَة بِنْت زائدة بن الأصم، واسمه جُندب بن هدْم بن رواحة بن حُجْر بن عَبْد بن مَعيص بن عامر بن لؤي. وكانت خديجة قبل رسول الله ﷺ تحت أبي هالة بن زرارة بن نبّاش بن عَديّ بن حبيب بن صُرَد بن سلامة بن جِروة أُسيِّد بن عُمر بن تميم التميمي. كذا نسبه الزبير[١].

وتزوج رسول الله ﷺ خديجة رَضِيَ الله عَنْهَا قبل الوحي وعُمره حينئذ خمس وعشرون سنة وقيل: إحدى وعشرون سنة، زوّجها منه عمها عَمْرو بن أسد. ولما خطبها رسول الله ﷺ قال عمها: مُحَمَّد بن عَبْد الله بن عَبْد المُطَّلِب يخطب خديجة بِنْت خويلد، هذا الفحل لا يُقدَع أنفه.

وكان عُمرها حينئذ أربعين سنة وأقامت معه أربعًا وعشرين سنة.

وكان سبب تزوجها برسول الله ﷺ ما أخبرنا أبو جعفر بإسناده عن يونس، عن ابن إسحاق قال: «كانت خديجة امْرَأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها تضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه. فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعِظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه وعَرَضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبله منها وخرج في مالها ومعه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب، فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال: هذا الرجل من قريش من أهل الحرم.

فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلاّ نبي.

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد، ثم أقبل قافلاً إلى مَكَّة، فلما قدم على خديجة بمالها باعت ما جاء به، فأضعف أو قريبا، وحدّثها ميسرة عن قول الراهب. وكانت خديجة امْرَأة حازمة لبيبة شريفة مع ما أراد الله بها من كرامتها. فلما أخبرها ميسرة بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له: إني قد رغبت فيك لقرابتك

---

(١) «أسد الغابة» (٧/ ٧٥).

مني، وشرفك في قومك، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها، وكانت أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً.

فلما قالت لرسول الله ﷺ ما قالت، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه حمزة بن عَبْد المُطَّلِب حتى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها رسول الله ﷺ فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم قبل أن ينزل عليه الوحي: زينب، وأم كُلْثُوم، وفاطِمَة، ورقية، والقاسم، والطاهر، والطيب.

فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا قبل الإسلام، وبالقاسم كان يكنى رسول الله ﷺ وأما بناته فأدركن الإسلام، فهاجرن معه واتبعنه وأمنّ به.

وقيل: إن الطاهر والطيّب وُلدا في الإسلام.

وقد تقدم أن عمها عُمرًا زوّجها، وأن أباها كان قد مات، قاله الزبير وغيره.

واختلف العلماء في أولاد رسول الله ﷺ منها، فروى معُمر عن الزهري قال: زعم بعض العلماء أنها ولدت له ولداً يسمى الطاهر، وقال: قال بعضهم: ما نعلمها ولدت له إلاّ القاسم وبناته الأربع.

وقال عقيل، عن ابن هشام، وذكر بناته وقال: والقاسم والطاهر.

وقال قتادة: ولدت له خديجة غلامين، وأربع بنات: القاسم وبه كان يكنى، وعاش حتى مشى، وعَبْد الله مات صغيرًا.

وقال الزبير: ولدت لرسول الله ﷺ والقاسم وهو أكبر ولده ثم زينب ثم عَبْد الله وكان، يقال له الطيب، ويقال له الطاهر، ثم مات القاسم بمَكَّة، وهو أول ميت مات من ولده، ثم عَبْد الله مات أيضاً بمَكَّة.

وقال الزبير أيضًا: حدثني إبراهيم بن المنذر، عن ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحْمَن: أن خديجة بِنْت خويلد ولدت لرسول الله ﷺ القاسم، والطاهر، والطيب، وعَبْد الله، وزينب ورقية، وأم كُلْثُوم، وفاطِمَة.

وقال علي بن عَبْد العزيز الجرجاني: أولاد رسول الله ﷺ: القاسم وهو أكبر ولده ثم زينب، قال: وقال الكلبي: زينب والقاسم، ثم أم كُلْثُوم، ثم فاطِمَة، ثم رقية، ثم عَبْد الله

وكان يقال له الطيب والطاهر. قال: وهذا هو الصحيح، وغيره تخليط»[١].

عباد الله...

أما إسلامها:

فروى البُخَارِيُّ ومُسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِن الوَحيِ: الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوم، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤيَا إِلَّا جَاءَت مِثلَ فَلَقِ الصُّبحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيهِ الخَلَاءُ وَكَانَ يَخلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبلَ أَن يَنزِعَ[٢] إِلَى أَهلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: «اقرَأ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئ قَالَ: **فَأَخَذَنِي فَغطَّنِي[٣] حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهدَ ثُمَّ أَرسَلَنِي فَقَالَ: اقرَأ، قُلتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهدَ، ثُمَّ أَرسَلَنِي فَقَالَ: اقرَأ، فَقُلتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقرَأ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِن عَلَقٍ * اقرَأ وَرَبُّكَ الأَكرَمُ﴾**.

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنتِ خُوَيلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي[٤] زَمِّلُونِي**» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنهُ الرَّوعُ[٥]، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخبَرَهَا الخَبَرَ: «**لَقَد خَشِيتُ عَلَى نَفسِي**».

فَقَالَت خَدِيجَةُ: كَلَّا، وَاللَّهِ مَا يُخزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحمِلُ الكَلَّ[٦]، وَتَكسِبُ المَعدُومَ[٧]، وَتَقرِي[٨] الضَّيفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ.

---

(١) «أسد الغابة» (٧/ ٧٦ - ٧٧).

(٢) ينزع: يرجع.

(٣) أي: ضمّه وعصره.

(٤) زملوني: لفوني بغطاء.

(٥) الرَّوع: الخوف والفزع.

(٦) الكلّ: المحتاج إلى المساعدة.

(٧) المعدوم: الفقير.

(٨) تقري: تُطعم.

فَانطَلَقَت بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَت بِهِ وَرَقَةَ بنَ نَوفَلِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبدِ العُزَّى ابنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امرَأً قَد تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكتُبُ الكِتَابَ العِبرَانِيَّ فَيَكتُبُ مِن الإِنجِيلِ بِالعِبرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَن يَكتُبَ، وَكَانَ شَيخًا كَبِيرًا قَد عَمِيَ، فَقَالَت لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابنَ عَمِّ اسمَع مِن ابنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابنَ أَخِي: مَاذَا تَرَى؟ فَأَخبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى.

فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ[1] الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيتَنِي فِيهَا جَذَعًا[2] لَيتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذ يُخرِجُكَ قَومُكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَمُخرِجِيَّ هُم؟» قَالَ: نَعَم، لَم يَأتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثلِ مَا جِئتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِن يُدرِكنِي يَومُكَ أَنصُركَ نَصرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَم يَنشَب وَرَقَةُ أَن تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحيُ».

قال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ الله - في شرحه لهذا الحديث:

«قَوله: (مِن الوَحي) يُحتَمَل أَن تَكُون (مِن) تَبعِيضِيَّة، أَي: مِن أَقسَام الوَحي، وَيُحتَمَل أَن تَكُون بَيَانِيَّة وَرَجَّحَهُ القَزَّاز. وَالرُّؤيَا الصَّالِحَة وَقَعَ فِي رِوَايَة مَعمَر وَيُونُس عِند المُصَنِّف فِي التَّفسِير (الصَّادِقَة) وَهِيَ الَّتِي لَيسَ فِيهَا ضِغث، وَبُدِئَ بِذَلِكَ لِيَكُونَ تَمهِيدًا وَتَوطِئَة لِليَقَظَةِ، ثُمَّ مَهَّدَ لَهُ فِي اليَقَظَة أَيضًا رُؤيَة الضَّوء وَسَمَاع الصَّوت وَسَلَام الحَجَر.

قَوله: (فِي النَّوم) لِزِيَادَةِ الإِيضَاح، أَو لِيُخرِج رُؤيَا العَين فِي اليَقَظَة لِجَوَازِ إِطلَاقهَا مَجَازًا.

قَوله: (مِثل فَلَق الصُّبح) بِنَصبِ مِثل عَلَى الحَال، أَي: مُشبِهَة ضِيَاء الصُّبح، أَو عَلَى أَنَّهُ صِفَة لِمَحذُوفٍ، أَي: جَاءَت مَجِيئًا مِثل فَلَق الصُّبح. وَالمُرَاد بِفَلَقِ الصُّبح ضِيَاؤُهُ. وَخُصَّ بِالتَّشبِيهِ لِظُهُورِهِ الوَاضِح الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ.

قَوله: (حُبِّبَ) لَم يُسَمَّ فَاعِله لِعَدَمِ تَحَقُّق البَاعِث عَلَى ذَلِكَ وَإِن كَانَ كُلّ مَن عِند

---

(١) **الناموس**: يعني جبريل عليه السلام، والناموس: صاحب السرّ.

(٢) **جذعًا**: شابًّا.

الله، أو لِيُنَبِّه عَلَى أَنَّهُ لَم يَكُن مِن بَاعِث البَشَر، أَو يَكُون ذَلِكَ مِن وَحي الإِلهَام. وَالخَلَاء بِالمَدِّ الخَلوَة، وَالسِّرّ فِيهِ أَنَّ الخَلوَة فَرَاغ القَلب لِمَا يَتَوَجَّه لَهُ. وَحِرَاء بِالمَدِّ وَكَسر أَوَّله كَذَا فِي الرِّوَايَة وَهُوَ صَحِيح، وَفِي رِوَايَة الأَصِيلِيّ بِالفَتحِ وَالقَصر وَقَد حُكِيَ أَيضًا، وَحُكِيَ فِيهِ غَير ذَلِكَ جَوَازًا لَا رِوَايَة. هُوَ جَبَل مَعرُوف بِمَكَّة. وَالغَار نَقب فِي الجَبَل وَجمعه غِيرَان.

قَوله: (فَيَتَحَنَّث) هِيَ بِمَعنَى يَتَحَنَّف، أَي: يَتَّبع الحَنِيفِيَّة وَهِيَ دِين إِبرَاهِيم.

قَوله: (وَهُوَ التَّعَبُّد) هَذَا مُدرَج فِي الخَبَر، وَهُوَ مِن تَفسِير الزُّهرِيّ كَمَا جَزَمَ بِهِ الطِّيبِيُّ وَلَم يَذكُر دَلِيله.

قَوله: (اللَّيَالِي ذَوَات العَدَد) يَتَعَلَّق بِقَولِهِ: (يَتَحَنَّث)، وَإِبهَام العَدَد لِاختِلَافِهِ، كَذَا قِيلَ. وَهُوَ بِالنِّسبَةِ إِلَى المُدَد الَّتِي يَتَخَلَّلهَا مَجِيئُهُ إِلَى أَهله، وَإِلَّا فَأَصل الخَلوَة قَد عُرِفَت مُدَّتهَا وَهِيَ شَهر، وَذَلِكَ الشَّهر كَانَ رَمَضَان.

قَوله: (لِمِثلِهَا) أَي: اللَّيَالِي. وَالتَّزَوُّد اِستِصحَاب الزَّاد.

قَوله: (حَتَّى جَاءَهُ الحَق) أَي: الأَمر الحَقّ.

وَقَد وَقَعَ فِي رِوَايَة أَبِي الأَسوَد عَن عُروَة عَن عَائِشَة قَالَت: إِنَّ النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوَّل شَأنه يَرَى فِي المَنَام، وَكَانَ أَوَّل مَا رَأَى جِبرِيل بِأَجيَاد، صَرَخَ جِبرِيل «يَا مُحَمَّد» فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَم يَرَ شَيئًا، فَرَفَعَ بَصَره فَإِذَا هُوَ عَلَى أُفُق السَّمَاء فَقَالَ: «يَا مُحَمَّد، جِبرِيل» فَهَرَبَ فَدَخَلَ فِي النَّاس فَلَم يَرَ شَيئًا، ثُمَّ خَرَجَ عَنهُم فَنَادَاهُ فَهَرَبَ. ثُمَّ اِستَعلَنَ لَهُ جِبرِيل مِن قِبَل حِرَاء، فَذَكَر قِصَّة إِقرَائِهِ ﴿**اقرَأ بِاسمِ رَبِّك**﴾ [العلق: ١].

قَوله: (مَا أَنَا بِقَارِئ) ثَلَاثًا. (مَا) نَافِيَة.

فَإِن قِيلَ: لِمَ كَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثًا ؟

أَجَابَ أَبُو شَامَة: بِأَن يُحمَل قَوله أَوَّلًا (مَا أَنَا بِقَارِئ) عَلَى الاِمتِنَاع، وَثَانِيًا عَلَى الإِخبَار بِالنَّفيِ المَحض، وَثَالِثًا عَلَى الاِستِفهَام.

قَوله: (فَغَطَّنِي) وَفِي رِوَايَة الطَّبَرِيّ بِتَاءٍ مُثَنَّاة مِن فَوق كَأَنَّهُ أَرَادَ ضَمَّنِي وَعَصَرَنِي، وَالغَطّ حَبس النَّفَس.

قَوله: (حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجهد) أَي: بَلَغَ الغَطّ مِنِّي غَايَة وُسعِي.

قَوله: (فَرَجَعَ بِهَا) أَي: بِالآيَاتِ أَو بِالقِصَّةِ.

قَوله: (فَزَمَّلُوهُ) أَي: لَفُّوهُ. وَالرَّوع بِالفَتحِ الفَزَع.

قَوله: (لَقَد خَشِيت عَلَى نَفسِي) دَلَّ هَذَا مَعَ قَوله: (يَرجُف فُؤَاده) عَلَى اِنفِعَال حَصَلَ لَهُ مِن مَجِيء المَلَك، وَمِن ثَمَّ قَالَ: (زَمِّلُونِي).

قَوله: (فَقَالَت خَدِيجَة كَلَّا) مَعنَاهَا: النَّفي وَالإِبعَاد.

وَقَولهَا: (وَتَكسِب المَعدُوم) فِي رِوَايَة الكُشمِيهَنِيّ (وَتُكسِب) بِضَمّ أَوَّله، وَعَلَيهَا قَالَ الخَطَّابِيُّ: الصَّوَاب المُعدِم بِلَا وَاو أَي: الفَقِير؛ لِأَنَّ المَعدُوم لَا يَكسِب.

قُلت: وَلَا يَمتَنِع أَن يُطلَق عَلَى المُعدِم المَعدُوم لِكَونِهِ كَالمَعدُوم المَيِّت الَّذِي لَا تَصَرُّف لَهُ، وَالكَسب هُوَ الِاستِفَادَة. فَكَأَنَّهَا قَالَت: إِذَا رَغِبَ غَيركَ أَن يَستَفِيد مَالًا مَوجُودًا رَغِبت أَنتَ أَن تَستَفِيد رَجُلًا عَاجِزًا فَتُعَاوِنَه.

وَقَولهَا: (وَتُعِين عَلَى نَوَائِب الحَقّ) هِيَ كَلِمَة جَامِعَة لِأَفرَادٍ مَا تَقَدَّمَ وَلِمَا لَم يَتَقَدَّم.

(وَتَصدُق الحَدِيث) وَهِيَ مِن أَشرَف الخِصَال.

وَفِي هَذِهِ القِصَّة مِن الفَوَائِد: اِستِحبَاب تَأنِيس مَن نَزَلَ بِهِ أَمر بِذِكرِ تَيسِيره عَلَيهِ وَتَهوِينه لَدَيهِ، وَأَنَّ مَن نَزَلَ بِهِ أَمر اُستُحِبَّ لَهُ أَن يُطلِع عَلَيهِ مَن يَثِق بِنَصِيحَتِهِ وَصِحَّة رَأيه.

قَوله: (فَانطَلَقَت بِهِ) أَي: مَضَت مَعَهُ.

وَقَوله: (اِبن عَمّ خَدِيجَة) هُوَ بِنَصبِ اِبن وَيُكتَب بِالأَلِفِ، وَهُوَ بَدَل مِن وَرَقَة أَو صِفَة أَو بَيَان، وَلَا يَجُوز جَرّه فَإِنَّهُ يَصِير صِفَة لِعَبدِ العُزَّى، وَلَيسَ كَذَلِكَ، وَلَا كَتبه بِغَيرِ أَلِف؛ لِأَنَّهُ لَم يَقَع بَين عَلَمَينِ.

قَوله: (تَنَصَّرَ) أَي: صَارَ نَصرَانِيًّا، وَكَانَ قَد خَرَجَ هُوَ وَزَيد بن عَمرو بن نُفَيل لَمَّا كَرِهَا عِبَادَة الأَوثَان إِلَى الشَّام وَغَيرهَا يَسأَلُونَ عَن الدِّين، فَأَمَّا وَرَقَة فَأَعجَبَهُ دِين النَّصرَانِيَّة فَتَنَصَّرَ، وَكَانَ لَقِيَ مَن بَقِيَ مِن الرُّهبَان عَلَى دِين عِيسَى وَلَم يُبَدَّل، وَلِهَذَا أَخبَرَ بِشَأنِ النَّبِيّ ﷺ وَالبِشَارَة بِهِ، إِلَى غَير ذَلِكَ مِمَّا أَفسَدَهُ أَهل التَّبدِيل.

قوله: (فَكَانَ يَكتُب الكِتَاب العِبرَانِيّ فَيَكتُب مِن الإنجِيل بِالعِبرَانِيَّةِ)، وَفِي رِوَايَة يُونُس وَمَعمَر: (وَيَكتُب مِن الإنجِيل بِالعَرَبِيَّةِ). وَلِمُسلِم: (فَكَانَ يَكتُب الكِتَاب العَرَبِيّ). وَالجَمِيع صَحِيح؛ لِأَنَّ وَرَقَة تَعَلَّمَ اللِّسَان العِبرَانِيّ وَالكِتَابَة العِبرَانِيَّة فَكَانَ يَكتُب الكِتَاب العِبرَانِيّ كَمَا كَانَ يَكتُب الكِتَاب العَرَبِيّ، لِتَمَكُّنِهِ مِن الكِتَابَينِ وَاللِّسَانَينِ.

قَولهَا: (يَا اِبن عَمّ) هَذَا النِّدَاء عَلَى حَقِيقَته.

قَوله: (مَاذَا تَرَى ؟) فِيهِ حَذف يَدُلّ عَلَيهِ سِيَاق الكَلَام، وَقَد صَرَّحَ بِهِ فِي دَلَائِل النُّبُوَّة لِأَبِي نُعَيم بِسَنَدٍ حَسَن إِلَى عَبد الله بن شَدَّاد فِي هَذِهِ القِصَّة قَالَ: فَأَتَت بِهِ وَرَقَة اِبن عَمّهَا فَأَخبَرَته بِالَّذِي رَأَى.

قَوله: (هَذَا النَّامُوس الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى). وَالنَّامُوس: صَاحِب السِّرّ كَمَا جَزَمَ بِهِ المُؤَلِّف فِي أَحَادِيث الأَنبِيَاء. وَزَعَمَ اِبن ظَفَر أَنَّ النَّامُوس صَاحِب سِرّ الخَير، وَالجَاسُوس صَاحِب سِرّ الشَّرّ. وَالأَوَّل الصَّحِيح الَّذِي عَلَيهِ الجُمهُور. وَالمُرَاد بِالنَّامُوسِ هُنَا جِبرِيل عَلَيهِ السَّلَام.

وَقَوله (عَلَى مُوسَى) وَلَم يَقُل: (عَلَى عِيسَى) مَعَ كَونه نَصرَانِيًّا؛ لِأَنَّ كِتَاب مُوسَى عَلَيهِ السَّلَام مُشتَمِل عَلَى أَكثَر الأَحكَام، بِخِلَافِ عِيسَى. وَكَذَلِكَ النَّبِيّ ﷺ.

قَوله: (يَا لَيتَنِي فِيهَا جَذَع) وَالجَذَع - بِفَتحِ الجِيم وَالذَّال المُعجَمَة - هُوَ الصَّغِير مِن البَهَائِم، كَأَنَّهُ تَمَنَّى أَن يَكُون عِند ظُهُور الدُّعَاء إِلَى الإِسلَام شَابًّا لِيَكُونَ أَمكَنَ لِنَصرِهِ، وَبِهَذَا يَتَبَيَّن سِرّ وَصفه بِكَونِهِ كَانَ كَبِيرًا أَعمَى.

قَوله: (إِذ يُخرِجك) قَالَ اِبن مَالِك فِيهِ اِستِعمَال (إِذ) فِي المُستَقبَل كَإِذَا، وَهُوَ صَحِيح.

وَفِيهِ دَلِيل عَلَى جَوَاز تَمَنِّي المُستَحِيل إِذَا كَانَ فِي فِعل خَير؛ لِأَنَّ وَرَقَة تَمَنَّى أَن يَعُود شَابًّا، وَهُوَ مُستَحِيل عَادَة. وَيَظهَر لِي أَنَّ التَّمَنِّي لَيسَ مَقصُودًا عَلَى بَابه، بَل المُرَاد مِن هَذَا التَّنبِيه عَلَى صِحَّة مَا أَخبَرَهُ بِهِ، وَالتَّنوِيه بِقُوَّةِ تَصدِيقه فِيمَا يَجِيء بِهِ.

قَوله: (أَوَمُخرِجِيَّ هُم؟) بِفَتحِ الوَاو وَتَشدِيد اليَاء وَفَتحهَا جَمع مُخرِج، فَهُم مُبتَدَأ مُؤَخَّر وَمُخرِجِيَّ خَبَر مُقَدَّم قَالَهُ اِبن مَالِك.

وَاستَبعَدَ النَّبِيّ ﷺ أَن يُخرِجُوهُ؛ لِأَنَّهُ لَم يَكُن فِيهِ سَبَب يَقتَضِي الإِخرَاج، لِمَا اِشتَمَلَ عَلَيهِ مِن مَكَارِم الأَخلَاق الَّتِي تَقَدَّمَ مِن خَدِيجَة وَصفهَا.

قَوله: (إِلَّا عُودِيَ) فَذَكَرَ وَرَقَة أَنَّ العِلَّة فِي ذَلِكَ مَجِيئُهُ لَهُم بِالِانتِقَالِ عَن مَأْلُوفهم؛ وَلِأَنَّهُ عَلِمَ مِن الكُتُب أَنَّهُم لَا يُجِيبُونَهُ إِلَى ذَلِكَ.

قَوله: (إِن يُدرِكنِي يَومك) وَلِابنِ إِسحَاق (إِن أَدرَكت ذَلِكَ اليَوم) يَعنِي يَوم الإِخرَاج.

قَوله: (مُؤَزَّرًا) بِهَمزَةٍ أَي: قَوِيًّا مَأْخُوذ مِن الأَزر وَهُوَ القُوَّة، وَأَنكَرَ القَزَّاز أَن يَكُون فِي اللُّغَة مُؤَزَّر مِن الأَزر.

قَوله: (ثُمَّ لَم يَنشَب) بِفَتحِ الشِّين المُعجَمَة أَي لَم يَلبَث. وَأَصل النُّشُوب التَّعَلُّق، أَي: لَم يَتَعَلَّق بِشَيءٍ مِن الأُمُور حَتَّى مَاتَ.

فَائِدَة:

وَقَعَ فِي تَارِيخ أَحمَد بن حَنبَل عَن الشَّعبِيّ أَنَّ مُدَّة فَترَة الوَحي كَانَت ثَلَاث سِنِينَ، وَبِهِ جَزَمَ اِبن إِسحَاق، وَحَكَى البَيهَقِيّ أَنَّ مُدَّة الرُّؤيَا كَانَت سِتَّة أَشهُر، وَعَلَى هَذَا فَابتِدَاء النُّبُوَّة بِالرُّؤيَا وَقَعَ مِن شَهر مَولِده وَهُوَ رَبِيع الأَوَّل بَعد إِكمَاله أَربَعِينَ سَنَة، وَابتِدَاء وَحي اليَقَظَة وَقَعَ فِي رَمَضَان. وَلَيسَ المُرَاد بِفَترَةِ الوَحي المُقَدَّرَة بِثَلَاثِ سِنِينَ وَهِيَ مَا بَين نُزُول ﴿اقرَأ﴾ وَ ﴿يَا أَيُّهَا المُدَّثِّر﴾ عَدَم مَجِيء جِبرِيل إِلَيهِ، بَل تَأَخُّر نُزُول القُرآن فَقَط». ا.هـ. ملخصًا.

عباد الله...

«وكان موقف خديجة رضي الله عنها من أشرف المواقف التي تُحمد لامرأة في الأولين والآخرين.

طمأنته حين قلق.

وأراحته حين جهد.

وذكّرته بما فيه من فضائل، مؤكّدة له أن الأبرار أمثاله لا يُخذلون أبدًا، وإن الله إذا طبع رجلًا عَلَى المكارم الجزلة والمناقب السمحة فلكيما يجعله أهل إعزازه وإحسانه.

وبهذا الرأي الراجح والقلب الصالح استحقت أُمّ المؤمنين خديجة أن يُحيّيها ربّ العالمين فيرسل إليها بالسلام مع الرّوح الأمين»(١).

عباد الله...

«وعندما صدع النبيّ ﷺ بالدّعوة وجهر بها، قاطعت قريش بني هاشم، واشتدت الأزمات، وتفاقمت الأحداث، غير أن المسلمين صبروا صبر الكرام.

وظلّت أُمّنا خديجة من وراء رسول الله ﷺ تشدُّ أزره، وتشاركه في حَمْلِ الأذى من قومه بنفس راضية صابرة محتسبة، حتى قضى الله تَعَالَى قضاءه في هذه المقاطعة الظالمة التي مكثت سيفًا مصلتًا عَلَى أعناق المحاصرين المؤمنين.

وانتهى الحصار، وخرجت الطاهرة من الحصار ظافرة بثمرة صبرها، لتتابع مع رسول الله ﷺ سيرها في الحياة، زوجة أمينة»(٢).

أيُّهَا المسلمون...

وقَدْ جاء في فضائل خديجة رَضِيَ الله عَنْهَا عدة أحاديث، منها:

(١) قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**خَيْرُ نِسَاءِ العَالَمِينَ: مَرْيمُ بِنْتُ عِمْرانَ، وآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وفاطِمَةُ بنتُ محمَّدٍ**»(٣).

(٢) وعَن أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»(٤).

قَالَ النووي - رَحِمَهُ الله -:

«قَوْله أَوَّلًا: (قَدْ أَتَتْك) مَعْنَاهُ: تَوَجَّهَتْ إِلَيْك.

---

(١) «فقه السيرة» للغزالي (٩٣، ٩٤).

(٢) «نساء مبشرات بالجنة» للأستاذ/ أحمد خليل جمعة (١/ ٣٥، ٣٦) باختصار.

(٣) **صحيح**: انظر «صحيح الجامع» (٣٣٢٨).

(٤) رواه البخاري (٣٨١٧)، ومسلم (٢٤٣٢).

وَقَوْله: (فَإِذَا هِيَ أَتَتْك) أَيْ: وَصَلَتْك فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَام أَيْ سَلِّمْ عَلَيْهَا.

وَهَذِهِ فَضَائِل ظَاهِرَة لِخَدِيجَة رَضِيَ الله عَنْهَا

وَقَوْله: (بِبَيْتٍ مِنْ قَصَب) قَالَ جُمْهُور الْعُلَمَاء: الْمُرَاد بِهِ قَصَب اللُّؤْلُؤ الْمُجَوَّف كَالْقَصْرِ الْمُنِيف، وَقِيلَ: قَصَب مِنْ ذَهَب مَنْظُوم بِالْجَوْهَرِ. وَأَمَّا (الصَّخَب) فَهُوَ الصَّوْت الْمُخْتَلِط الْمُرْتَفِع، (وَالنَّصَب) الْمَشَقَّة وَالتَّعَب». اهـ[1].

عباد الله...

وبلغ من كرم خديجة رَضِيَ الله عَنْهَا وحُسن تبعّلها لزوجها ﷺ: أنها كانت تُكرم مَن أكرمه، وتُحسن لمن أحسن إليه: «لَـمَّا أصابت النَّاس سنة جدب بعد زواجها من رسول الله ﷺ جاءت «حليمة السعدية» مرضعته ﷺ زائرة، فعادت من عنده ومعها من مال خديجة بعير يحمل الماء وأربعون رأسًا من الغنم»[2].

إنها تُعطي نساء الأمة درسًا مهمًا في حُسن التبعّل للزوج.

إنه الكرم.

إنه الوفاء في أسمى صوره، وأحلى معانيه.

إنه الإسلام الذي صاغ الفضائل.

فالحمد لله عَلَى نعمة الإسلام وكفى بها نعمة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ولما خرجت أُمُّ المؤمنين خديجة من الحصار الظالم، ظافرة منتصرة، لم تلبث إلَّا قليلًا

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٥/ ٥٧٠، ٥٧١).

(٢) «نساء مبشرات بالجنة» (١/ ٣٢).

حتى لبَّت نداء ربِّها.

قال عروة: ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين. ودفنت رضي الله عنها بالحَجُون.

ولله دَرّ القائل:

ولــو كــان بالنــساء كمَــن فقَــدْنا   لفُــضِّلت النِّــساء علَــى الــرِّجال

عباد الله...

لم ينس النَّبيُّ ﷺ أيام خديجة، بل كانت دائمًا في ذاكرته، واسمها عَلَى لسانه، يُحبّ مَن أحبها، ويُكرم من أكرمها.

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَلَقَدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ فِي الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلِهَا»[(١)].

قال النووي -رَحِمَهُ الله - : قَوْله: (عَنْ عَائِشَة قَالَتْ: هَلَكَتْ خَدِيجَة قَبْل أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ) تَعْنِي: قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، لَا قَبْل العَقْد، وَإِنَّمَا كَانَ قَبْل العَقْد بِنَحْوِ سَنَة وَنِصْف.

قَوْله: (يُهْدِيهَا إِلَى خَلَائِلهَا) أَيْ: صَدَائِقهَا، جَمْع خَلِيلَة وَهِيَ الصَّدِيقَة» ا.هـ[(٢)].

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: «**أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ**»، قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا**»[(٣)].

قال النووي -رَحِمَهُ الله - : «قَوْله ﷺ: (**رُزِقْت حُبَّهَا**) فِيهِ إِشَارَة إِلَى أَنَّ حُبَّهَا فَضِيلَةٌ حَصَلَتْ» ا.هـ[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (٢٤٣٥).

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٥/ ٥٧١).

(٣) رواه مسلم (٢٤٣٥).

(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٥/ ٥٧١).

عباد الله...

أرأيتم وفاءً يداني هذا الوفاء؟!

ما أجمل الحياة في ظلّ الإسلام.

اللَّهُمَّ إنَّا نَسْتَهدِيك لأرشد أمورنا، ونَستَجِيرُك من شَرِّ أنفسنا، سُبحانك رَبّنا الأعلى الوهاب.

۞۞۞۞۞

الخطبة الحادية والأربعون بعد المائة:

زينب بنت النَّبي ﷺ

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن قصص أهل البيت.

ولقاؤنا اليوم - إن شاء الله تَعَالَى - مع «**زينب بنت رسول الله ﷺ**».

عباد الله...

وزينب - رَضِي الله عَنْهَا - أكبر بنات النَّبيِّ ﷺ .

وُلدت ولرسول الله ﷺ ثلاثون سنة، وماتت سنة ثمان في حياة رسول الله ﷺ .

وأُمُّها: خديجة بنت خويلد رَضِي الله عَنْهَا.

تزوجها أبو العاص بن الربيع.

وكان لزواجها قصَّة:

وأبو العاص هو: أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشيّ العبشميُّ.

صهر رسول الله ﷺ وزوج بنته زينب، وهو والد أُمامة التي كان يحملها النبي ﷺ في صلاته.

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِأَبِي العَاصِ الرَّبِيعِ، فإِذَا قَامَ حَمَلَهَا، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا.

وأبو العاص بن الربيع رَضِيَ الله عَنْهُ هو آخر أصهار الرسول ﷺ إسلامًا، فقد أسلم قبل الحديبية بخمسة أشهر.

وهو ابن أخت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، أُمُّه هي هالة بنت خويلد، وكان أبو العاص يُدعى جرو البطحاء.

قَالَ ابن إسحاق: وكان أبو العاص من رجال مَكَّة المعدودين مالًا، وأمانةً، وتجارةً.

عباد الله...

تزوج أبو العاص بن الربيع بالسيدة زينب، وكانت السيدة خديجة هي التي سألت رسول الله ﷺ أن يزوِّجه بابنتها زينب، وذلك قبل الوحي، وكان ﷺ قَدْ زوَّج ابنته رُقَيَّة من عُتبة بن أبي لهب، فلما جاء الوحي وبُعث النبي ﷺ قَالَ أبو لهب: اشغلوا مُحَمَّدًا بنفسه، وأمر ابنه عتبة فطلَّق ابنة رسول الله ﷺ قبل الدخول بها.

ومشوا إلى أبي العاص فقالوا: فارق صاحبتك، ونحن نُزوجك بأيّ امرأةٍ من قريش شئت، فقال: لا والله، لا أفارق صاحبتي، وما أحبّ أن لي بامرأتي امرأة من قريش.

وخاب مسعى قريش، وظل حبل الزوجية متصلًا وثيقًا، وإن كانت الزوجة مؤمنة، والزوج **مشركًا**، فقد كان أبو العاص يرى في زينب زوجة مثالية لا ترقى إلى

أخلاقها واحدة من نساء قريش، ولا تبلغ امرأة في مَكَّة ما بلغته زينب من أدب وسلوك طيب وشمائل رقيقة، ولذلك رفض أن ينفصل عنها، وإن كان في نفس الوقت رفض أن ينفصل عن شركه ووثنيته.

ظل أبو العاص عَلَى شركه، وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وخلف زينب في بيت زوجها بمكة، ثم دارت عجلة الزمن، وجاءت غزوة بدر الكبرى، التي دارت رحاها بين المسلمين والمشركين، وقف أبو العاص مع المشركين يحارب النبي ﷺ وأصحابه، وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة للمشركين، حيث لقي بعضهم مصرعه، ووقع البعض أسرى في يد المسلمين، وكان من بين الأسرى أبو العاص بن الربيع.

واشترط النبي ﷺ لكي يُطلق سراح الأسرى أن يُقدِّم كلٌّ منهم فدية، أو يُعلِّم عشرةً من المسلمين، وقبلت قريش هذا الشرط.

فماذا حدث؟

تقول عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا: «لَـمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي فِدَاءِ أَبِي العَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ لِخَدِيجَةَ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي العَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: «**إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا فَافْعَلُوا**»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَطْلَقُوهُ وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا»[١].

فكان مِمَّن مَنَّ عليه رسول الله ﷺ من الأسرى بغير فداء، وقَدْ كان رسول الله ﷺ قَدْ أخذ عليه أن يُخلِّي سبيل زينب لتهاجر إلى المدينة، فوعده أبو العاص، ووفَّى بوعده، وفارقها مع شدّة حُبِّه لها، واستكتمه النبيُّ ﷺ ذَلِكَ، وبعث زيد بن حارثة ورجلًا من الأنصار فقال: «**كونا ببطن يأجج، حَتَّى تمرَّ بكما زينب فتصحبانها**».

وذلك بعد «بدر» بشهر، فلما قدم أبو العاص مكة، أمرها باللحوق بأبيها، فتجهزت، فقدم أخو زوجها كنانة[٢] بعيرًا، فركبت، وأخذ قوسه وكنانته نهارًا،

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٦)، وقال: صحيح، ووافقه الذهبيّ.

(٢) هو كنانة بن الربيع.

فخرجوا في طلبها، فبرك كنانة، ونثر كنانته بـ «ذي طوى»، وكان أول من سبق إليها «هبَّار بن الأسود بن المطلب» فروّعها هبَّار بالرمح، وهي في الهودج، وكانت حاملًا فطرحت جنينها.

وفي «الاستيعاب» لابن عبد البر: أن هبَّار نخس الراحلة فسقطت عَلَى صخرة فهلك جنينها، ولم تزل تنزف دمًّا حَتَّى ماتت بالمدينة[1]، أما كنانة فلمَّا رأى ذَلِكَ برك ونثر كنانته ثم قَالَ: والله لا يدنو أحد إلا وضعتُ فيه سهمًا، فتكركر النَّاس عنه، وأتى أبو سفيان في جلّة من قريش، فقال: يا أيها الرجل كفّ عنا نبلك حتى نكلّمك، فكفّ، فأقبل أبو سفيان حَتَّى وقف عليه، فقال: إنك لم تصب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا - يعني في بدر - وما دخل علينا من مُحَمَّد، فيظن الناس إذ خرجت بابنته إليه علانية عَلَى رؤوس النَّاس من بين أظهرنا أن ذلك عن ذلّ أصابنا، ولعمري ما بنا بحبسها عن أبيها من حاجة، ارجع بها، حتى إذا هدت الأصوات، وتحدّث الناس أنَّا رددناها، فسلها سرًّا، وألحقها بأبيها، قال: ففعل.

قَالَ ابن إسحاق: فأقامت ليالٍ حَتَّى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلًا حَتَّى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها ليلًا عَلَى رسول الله ﷺ.

فكان رسول الله ﷺ يثني عَلَى أبي العاص ويقول: «**حدثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي**». متفق عليه.

أَمَّا عن هبَّار بن الأسود الذي تسبب في موت زينب فقد أمر الرسول بقتله.

يقول أبو هريرة رَضِيَ الله عَنْهُ: بعث النبي ﷺ سرية أنا فيها فقال: «**إن ظفرتم بهبار ابن الأسود والرجل الذي سبق معه إلى زينب فحرِّقوهما بالنار**»، فلما كان الغد بعث إلينا فقال: «**إني قَدْ كنتُ أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيتُ أَنَّهُ لا ينبغي لأحد أن يُحرِّق بالنار إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما**». أخرجه ابن إسحاق وهو عَلَى شرط السنن، ولم يخرجوه.

---

(١) الظاهر أنها لم تمت فور وصولها، بل عاشت سنين عددًا، ولعلّها ماتت بعد ذلك متأثرة به، والله أعلم.

وفي رواية البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْثٍ وَقَالَ لَنَا: **«إِنْ لَقِيتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا - لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْش سَمَّاهُمَا - فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ»**، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْنَاهُ نُوَدِّعُهُ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ فَقَالَ: **«إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحَرِّقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا بِالنَّارِ وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ فَإِنْ أَخَذْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا»**.

قَالَ أبو نجيح: فلم تصبه السَّرية[١]، وأصابه الإسلام، فهاجر، فذكر قصة إسلامه. رواه سعيد بن منصور في «سننه».

عباد الله...

أقام أبو العاص بمكة عَلَى كفره، واستمرَّت زينب عند أبيها بالمدينة حَتَّى إذا كان قُبيل فتح مَكَّة، خرج أبو العاص في تجارة لقريش، فلما قفل من الشام لقيته سريّة من سرايا المسلمين، فأخذوا ما معه، وأعجزهم هربًا، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب رَضِيَ الله عَنْهَا فاستجار بها فأجارته، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبَّر وكبَّر النَّاس صرخت من صُفّة[٢] النساء: أيُّها النَّاس إني قَدْ أجرتُ أبا العاص بن الربيع، فلما سلَّم رسول الله ﷺ أقبل عَلَى النَّاس فقال: **«أيُّها النَّاس هل سمعتم الذي سمعتُ؟»** قالوا: نعم، قَالَ: **«أما والذي نفس مُحَمَّد بيده ما علمتُ بشيء حَتَّى سمعتُ ما سمعتم، وإنه يجير عَلَى المسلمين أدناهم»**.

ثم انصرف النبي ﷺ فدخل عَلَى ابنته زينب فقال: **«أي بُنيَّةُ أكرمي مثواه، ولا يَخلُصَنَّ إليك، فإنك لا تَحِلِّين له»**[٣].

وبعث رسول الله ﷺ فحثَّهم عَلَى ردّ ما كان معه، فَرَدُّوه بأسره لا يفقد منه شيئًا، فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مَكَّة فأعطى كل إنسان ما كان له، ثم قَالَ: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيرًا، فقد

---

(١) هبار بن الأسود؛ قال الحافظ: ولم أقف لرفيقه عَلَى ذكر في الصحابة، فلعله مات قبل أن يُسلم.

(٢) **الصّفة**: السقيفة.

(٣) **رجاله ثقات**: أخرجه الحاكم (٤/ ٤٥)، وكان الله تَعَالى قد حرَّم المسلمات عَلَى المشركين عام الحديبية سنة ستّ من الهجرة.

وجدناك وفيًّا كريمًا، قَالَ: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلَّا تخوّف أن تظنوا أني إنَّما أردتُ أن آكل أموالكم، فلما أدَّاها الله إليكم وفرغتُ منها أسلمت.

ثم خرج حَتَّى قَدِمَ عَلَى رسول الله ﷺ في المحرم سنة سبع.

قَالَ ابن إسحاق: عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردَّ ابنته إلى أبي العاص بعد سنين بنكاحها الأول ولم يُحدِث صداقًا[1].

قَالَ الحافظ ابن كثير: والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ ردّها بالنكاح الأول. وقال الترمذي: هذا حديث في إسناده مقال، والعمل عليه عند أهل العلم: أن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها ثم أسلم زوجها أنه أحقّ بها ما كانت في العدَّة، وهو قول مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق، وقال آخرون: بل الظاهر انقضاء عدتها، ومن روى أنه جدَّد لها نكاحًا فضعيف، ففي قضية زينب والحالة هذه دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها فنكاحها لا ينفسخ بمجرد ذلك بل يبقى بالخيار إن شاءت تزوجت غيره وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها أي وقت، كان، وهي امرأته ما لم تتزوج، وهذا القول فيه قوّة وله حظ من جهة الفقه والله أعلم» ا.هـ[2].

وانضوى أبو العاص بن الربيع رَضِيَ الله عَنْهُ تحت راية التوحيد، عابدًا ومجاهدًا، واستأنف حياته الزوجية مع زوجته الوفية زينب من جديد.

والحمد لله الذي بنعته تتم الصالحات.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) **صحيح:** أخرجه ابن هشام، وأحمد، والترمذي، وغيرهم.

(٢) «البداية» (٣/ ١٠٥، ١٠٦).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ولم تدم حياةُ زينب رَضِي الله عَنْهَا كثيرًا في ظل زوجها؛ ففي سنة ثمان من الهجرة، لبَّت نداء ربِّها، وغسّلتها أُمُّ عطية، وعاشت رَضِي الله عَنْهَا نحو ثلاثين سنة.

ولازم أبو العاص النبيَّ ﷺ إلى أن لحق النبيُّ ﷺ بالرفيق الأعلى، وفي شهر ذي الحجة سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه انتقل أبو العاص إلى جوار ربه راضيًا مرضيًّا.

۞۞۞۞۞

الخطبة الثانية والأربعون بعد المائة:

رُقيَّة وأُمّ كلثوم، رضي الله عنهما

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن قصص أهل بيت النبي ﷺ.

ولقاؤنا اليوم - إن شاء الله - مع ابنتي النَّبيّ ﷺ «رقيّة وأُمّ كلثوم».

عباد الله...

أما رُقَيَّة:

فهي رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ، وأُمُّها خديجة بنت خويلد.

وكان رسول الله ﷺ قَدْ زوّج رقية من عتبة بن أبي لهب، وزوّج ابنته أُمّ كلثوم من

عُتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة «تبت» قَالَ لهما أبوهما أبو لهب وأُمهما أُمّ جميل بنت حرب بن أُميّة حمَّالة الحطب: «فارقا ابنَتَي مُحَمَّد».

ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما، كرامةً من الله تَعَالى لهما وهوانًا لابني أبي لهب.

فتزوّج عثمان بن عفان رُقيّة بمكة، وهاجرت معه إلى الحبشة، وولدت له هناك ولدًا، فسمَّاه عبد الله.

وكان عثمان يُكنى به، فبلغ الغلام ستّ سنين، فنقر عينه ديكٌ فَوَرِمَ وجهه ومرض ومات، وكان موته في جمادى الأولى سنة أربع، وصلّى عليه رسول الله ﷺ ونزل أبوه عثمان في حفرته.

عباد الله...

ولما سار رَسُول الله ﷺ إلى بدرٍ كانت ابنتهُ رُقيّة مريضة، فتخلّف عن الغزوة عثمان بأمر رسول الله ﷺ له بذلك، فتوفّيت يوم وصول زيد بن حارثة مبشّرًا بِظَفَر رَسُول الله ﷺ بالمشركين، وكانت قَدْ أصابتها الحصبة، فماتت بها، رَضِيَ الله عَنْهَا وأرضاها.

وفي موتها عظة وعبرة:

فلو كان الموت مُبقيًا لأحد لأبقى رقية لأبيها وزوجها، ولكن الأجل محسوم.

قَالَ تَعَالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

فَسُبحانَ مَن تفرَّد بالبقاء.

أمَّا أُمّ كلثوم:

فهي بنت رَسُول الله ﷺ، وأُمُّها خديجة رَضِي الله عَنْهَا.

تزوجها عثمان رَضِي الله عَنْهُ بعد وفاة رُقيّة.

قال ابن الأثير: وهذا يدل عَلَى أن رُقية أكبر من أُم كلثوم. ا.هـ[١].

تزوجها عثمان وهي بكر، في ربيع الأول سنة ثلاث، فلم تلد له.

---

(١) «أسد الغابة» (٧/ ١٠٧).

وتُوفيِّت رَضِي الله عَنْهَا سنة تسعٍ، وصلَّى عليها الرَّسُول ﷺ.

ويقُصُّ علينا أنسٍ بن مالك رَضِي الله عَنْهُ هذا المشهد المؤثِّر في حياة الرَّسُول ﷺ فيقول: رأيت رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسًا عَلَى قَبرها، فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ، فَقَالَ ﷺ: «**هَلْ مِنْكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفْ اللَّيْلَةَ؟**» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا، قَالَ: «**فَانْزِلْ**»، فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا[1].

يقارف: المقارفة في الأصل ارتكاب الذنوب، وهي هنا كناية عن الجِماع، ومباشرة النساء.

قال الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ الله - : «وَفِي هَذَا الحَدِيث جَوَاز البُكَاء، وَإِدْخَال الرِّجَال المَرْأَة قَبْرَهَا لِكَوْنِهِمْ أَقْوَى عَلَى ذَلِكَ مِنْ النِّسَاء، وَإِيثَار البَعِيد العَهْد عَنْ المَلَاذ فِي مُوَارَاة المَيِّت - وَلَوْ كَانَ اِمْرَأَة - عَلَى الأَب وَالزَّوْج.

وَقِيلَ: إِنَّمَا آثَرَهُ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ صَنْعَتُهُ، وَفِيهِ نَظَر فَإِنَّ ظَاهِر السِّيَاق أَنَّهُ ﷺ اِخْتَارَهُ لِذَلِكَ لِكَوْنِهِ لَمْ يَقَع مِنْهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَة جِمَاع، وَعَلَّلَ ذَلِكَ بَعْضهمْ بِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَأْمَن مِنْ أَنْ يُذَكِّرهُ الشَّيْطَان بِمَا كَانَ مِنْهُ تِلْكَ اللَّيْلَة».

وَحُكِيَ عَنْ اِبْن حَبِيب: أَنَّ السِّرّ فِي إِيثَار أَبِي طَلْحَة عَلَى عُثْمَان؛ أَنَّ عُثْمَان كَانَ قَدْ جَامَعَ بَعْض جَوَارِيه فِي تِلْكَ اللَّيْلَة فَتَلَطَّفَ ﷺ فِي مَنْعه مِنْ النُّزُول فِي قَبْر زَوْجَته بِغَيْرِ تَصْرِيح» ا.هـ[2].

عباد الله...

وهكذا شاهد النبيُّ ﷺ دفن ابنته بنفسه، ليعطينا درسًا في الصَّبر لا يُنسى.

رضي الله عن أُمِّ كلثوم وأرضاها.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٢)، وأحمد (٣/ ١٢٦)، والترمذي (٣١٢) وغيرهم.
(٢) «فتح الباري» (٣/ ١٨٩).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فقد جاء في الصحيحين عن أنسٍ، قال: رأيتُ النبيّ ﷺ جالسًا عَلَى قبرها - يعني قبر أُم كلثوم - وعيناه تدمعان.

وهذه الرواية لا تتعارض مع قوله ﷺ: «**إِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**»[١]، فقد قال الشيخ الألباني -رَحِمَهُ الله -: «ليس المراد به مطلق البكاء، بل بكاء خاص وهو النياحة» ا.هـ[٢].

قلت: وهذا الذي قاله صحيح، فقد قال عبيد بن عمير -رَحِمَهُ الله -: ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القلب، ولكن الجزع القول السَّيئ والظنّ السَّيئ.

وهناك مواقف شبيهة بهذا الموقف المتقدّم بكى فيها الحبيب ﷺ؛ منها:

(١) عَن أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَائْتِنَا. فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلاَمَ وَيَقُولُ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**».

فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ ابْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا شَنٌّ[٣]، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»[٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) «أحكام الجنائز» (٢٨).

(٣) **الشَّنَّة**: القربة البالية، ومعناه: لا صوت وحشرجة.

(٤) رواه البخاري (٣/ ١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣).

(٢) وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا حُضِرَتْ بِنْتٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَغِيرَةٌ فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَضَمَّهَا إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَقَضَتْ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَتْ أُمُّ أَيْمَنَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا أُمَّ أَيْمَنَ أَتَبْكِينَ وَرَسُولُ اللَّهِ عِنْدَكِ**». فَقَالَتْ: مَا لِي لاَ أَبْكِي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْكِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي لَسْتُ أَبْكِي وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ تُنْزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

(٣) وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَّةٍ فَقَالَ: «**أَقَدْ قَضَى؟**». قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَكَوْا فَقَالَ: «**أَلاَ تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ**»(٢).

(٤) وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ فَوَجَدَهُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ - أي يحتضر - فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ فَبَكَى، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَتَبْكِي؟ أَوَلَمْ تَكُنْ نَهَيْتَ عَنِ الْبُكَاءِ؟! قَالَ: «**لاَ وَلَكِنْ نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ صَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ خَمْشِ وُجُوهٍ وَشَقِّ جُيُوبٍ وَرَنَّةِ شَيْطَانٍ**»(٣).

(٥) وفي رواية في «الصحيحين» عن أنسٍ بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال عندما مات ابنه إبراهيم: «**تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ**».

(٦) وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ

---

(١) صحيح: رواه النسائي وغيره، وانظر «الصحيحة» (١٦٣٢).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

القَيْنِ - وَكَانَ ظِئْرًا[١] لإِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ». ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[٢].

عباد الله...

وفي الخطبة القادمة نواصل الحديث - إن شاء الله تَعَالى - عن أهل البيت، فإلى اللقاء.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك الرِّضا بَعد القَضَاء، وبَرْدَ العَيْش بعد الموت، ولذّة النَّظر إلى وَجْهِك الكريم.

۞۞۞۞۞

(١) أي: زوج مرضعة إبراهيم عليه السلام ابن النبي ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٣٥)، ومسلم، والبيهقي (٤/ ٦٩) بنحوه.

الخطبة الثالثة والأربعون بعد المائة:

فاطمة بنت رسول الله ﷺ

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن «**أهل البيت**».

ولقاؤنا اليوم - إن شاء الله تَعَالَى - مع «**فاطمة بنت النَّبي ﷺ**».

عباد الله...

وفاطمة رَضِيَ الله عَنْهَا هي بنت النَّبي ﷺ وحسبها ذَلِكَ.

وأُمُّها خديجة بنت خويلد رَضِيَ الله عَنْهَا.

ولدت فاطمة رَضِيَ الله عَنْهَا قبل البعثة بقليل، قيل: بخمس سنين.

وكانت من أحبّ النّاس إلى رسول الله ﷺ وأشبههم به، ويدلّ عَلَى ذَٰلِكَ:

قول عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلًّا وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللهِ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وكانتْ إذا دَخَلَتْ عليهِ قامَ إليها، وقَبَّلها، ورحَّبَ بها، وأَخذَ بيدِها، وأَجلَسَها في مَجْلِسِهِ، وكانت هي إذا دخلَ عليها، قَامَتْ إليهِ، فقبَّلَتْهُ، وأخذتْ بيدِهِ، فَدَخَلَتْ عليهِ في مرضِهِ الذي توفي فيه، فأسرَّ إليها، فَبَكَتْ، ثمَّ أسرَّ إليها فَضحِكَتْ، فلما تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ، سألتُها عَنْ ذٰلكَ، فقالتْ: أسرَّ إليَّ أنه ميتٌ، فبكيتُ، ثُمَّ أسرَّ إليَّ، فأخبرني أنِّي أَوَّلُ أهلِهِ لحوقًا بِهِ، فضحكتُ»[1].

سمتًا ودلًّا وهديًا: هذه الألفاظ متقاربة المعاني، فمعناها: الهيئة والطريقة، وحسن الحال، ونحو ذلك.

وفُسر الدّل بحسن الشمائل، وأصله من دلّ المرأة؛ وهو شكلها، وما يُستجد منها.

وكأنها أشارت بالسّمت إلى ما يرى على الإنسان من الخشوع والتواضع لله تعالى، وبالهدى ما يتحلى من السكينة والوقار، وإلى ما يسلكه من المنهج المرضي، وبالدّل حسن الخُلُق، ولطف الحديث.

«قام إليها» أي: مستقبلًا لها، ومتوجهًا إليها مرحبًا ومسرورًا بقدومها.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي». ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ.

ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ.

فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ؟ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ.

قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ لَمَا

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٢٤٠)، وأبو داود (٥٢١٧)، وغيرهما.

حَدَّثَتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ . فَقَالَتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي المَرَّةِ الأُولَى فَأَخْبَرَنِي: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ وَإِنِّي لاَ أُرَى الأَجَلَ إِلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ». قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَيْ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ». قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ» (١).

عباد الله...

وتحمّلت فاطمة الأذى مع أبيها ﷺ في سبيل الله تَعَالى، يدل عَلَى ذَلِكَ:

قَالَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ - وقَدْ سُئِلَ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -: «أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْرِفُ مَنْ كَانَ يَغْسِلُ جُرْحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ كَانَ يَسْكُبُ المَاءَ وَبِمَا دُووِيَ؛ كَانَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلاَمُ - بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَغْسِلُهُ وَعَلِيٌّ يَسْكُبُ المَاءَ بِالمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ المَاءَ لاَ يَزِيدُ الدَّمَ إِلاَّ كَثْرَةً أَخَذَتْ قِطْعَةً مِنْ حَصِيرٍ، فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ» (٢).

واشتركت رَضِيَ الله عَنْهَا في غزو ة أُحُد، والخندق، وخيبر، وفتح مَكَّة.

تزوجّها عليّ بن أبي طالب رَضِيَ الله عَنْهُ، فيا ترى ما كان مهرها؟

اسمعوا يا مسلمون...

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا زَوَّجَهُ فَاطِمَةَ بَعَثَ مَعَهُ بِخَمِيلَةٍ (٣)، وَوِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وَرَحَيَيْنِ (٤)، وَسِقَاءٍ (٥)، وَجَرَّتَيْنِ (٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨٦)، ومسلم (٢٤٥٠)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٧)، (٤٠٧٥).

(٣) القطيفة المخملة.

(٤) يعني صخرتين يطحن بهما الحبّ من قمح ونحوه.

(٥) كوز يُشرب فيه.

(٦) الجرّة: إناء من فخار يحفظ الماء.

فَقَالَ عَلِيٌّ لِفَاطِمَةَ ذَاتَ يَوْمٍ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ[١] حَتَّى لَقَدِ اشْتَكَيْتُ صَدْرِى. وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ أَبَاكِ بِسَبْيٍ فَاذْهَبِى فَاسْتَخْدِمِيهِ[٢]. فَقَالَتْ فاطمة رَضِيَ الله عَنْها: وَأَنَا وَاللَّهِ قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَتْ[٣] يَدَاىَ.

فذهبت رَضِيَ الله عَنْهَا إلى الرسول ﷺ لكي تسأله جارية تخدمها، فلما دخلت إلى بيت والدها ﷺ لم تجده، ووجدت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا، فذكرت ذَلِكَ لها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بما كان من أمر فاطمة رَضِيَ الله عَنْهَا.

وفي رواية أخرى: فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا جَاءَ بِكِ أَيْ بُنَيَّةُ؟**». قَالَتْ: جِئْتُ لأُسَلِّمَ عَلَيْكَ، وَاسْتَحْيَتْ أَنْ تَسْأَلَهُ وَرَجَعَتْ.

فَقَالَ لها عليّ: مَا فَعَلْتِ؟ قَالَتْ: اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ.

فَأَتَيْنَاهُ جَمِيعاً فَقَالَ عَلِيٌّ: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى اشْتَكَيْتُ صَدْرِى. وَقَالَتْ فَاطِمَةُ: قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَتْ يَدَاىَ، وَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ بِسَبْيٍ وَسَعَةٍ فَأَخْدِمْنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَاللَّهِ لاَ أُعْطِيكُمَا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ[٤] تَطْوَى بُطُونُهُمْ لاَ أَجِدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ وَلَكِنِّى أَبِيعُهُمْ وَأُنْفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ**».

فَرَجَعَا، فَأَتَاهُمَا النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ دَخَلاَ فِى قَطِيفَتِهِمَا إِذَا غَطَّتْ رُءُوسَهُمَا تَكَشَّفَتْ أَقْدَامُهُمَا، وَإِذَا غَطَّيَا أَقْدَامَهُمَا تَكَشَّفَتْ رُءُوسُهُمَا، فَثَارَا، فَقَالَ: «**مَكَانَكُمَا**». ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِى؟**». وفي رواية: «**أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَير لَكُمَا مِن خَادِمٍ؟**» قَالاَ: بَلَى.

فَقَالَ: «**كَلِمَاتٌ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ- فَقَالَ- تُسَبِّحَانِ فِى دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ عَشْراً وَتَحْمَدَانِ عَشْراً وَتُكَبِّرَانِ عَشْراً وَإِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَاحْمَدَا ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَكَبِّرَا أَرْبَعاً وَثَلاَثِينَ**».

---

(١) **سنوت**: استقيت من البئر.

(٢) أي: اطلبي منه خادمة لخدمتك.

(٣) **مجلت**: تعبت حتى غلظت جلدها، والمجل: التقطيع.

(٤) هم فقراء الصحابة الذين أسلموا، ولم يكن لهم مال ولا دار.

قَالَ: فَوَاللهِ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فقيل له: وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ»[١].

عباد الله...

ويُستفاد من هذا الموقف[٢]:

حَمْلُ الإِنسَانِ أَهلَهُ عَلَى مَا يَحمِلُ عَلَيهِ نَفسَهُ مِن التَّقَلُّلِ وَالزُّهدِ فِي الدُّنيَا وَالقُنُوعِ بِمَا أَعَدَّ اللهُ لِأَولِيَائِهِ الصَّابِرِينَ فِي الآخِرَةِ.

وفيه: أَنَّ الَّذِي يُلَازِم ذِكر الله يُعطَى قُوَّة أَعظَم مِن القُوَّة الَّتِي يَعمَلهَا لَهُ الخَادِم، أَو تَسهُل الأُمُور عَلَيهِ بِحَيثُ يَكُون تَعَاطِيه أُمُوره أَسهَلَ مِن تَعَاطِي الخَادِم لَهَا، هَكَذَا إِستَنبَطَهُ بَعضهم مِن الحَدِيث، وَالَّذِي يَظهَر أَنَّ المُرَاد: أَنَّ نَفع التَّسبِيح مُختَصّ بِالدَّارِ الآخِرَة وَنَفع الخَادِم مُختَصّ بِالدَّارِ الدُّنيَا، وَالآخِرَة خَيرٌ وَأَبقَى.

قَالَ الطَّبَرِيُّ: يُؤخَذ مِنهُ: أَنَّ كُلّ مَن كَانَت لَهَا طَاقَة مِن النِّسَاء عَلَى خِدمَة بَيتهَا فِي خَبز أَو طَحن أَو غَير ذَلِكَ، أَنَّ ذَلِكَ لَا يَلزَم الزَّوج إِذَا كَانَ مَعرُوفًا أَنَّ مِثلهَا يَلِي ذَلِكَ بِنَفسِهِ.

لأنَّ فَاطِمَة لَمَّا سَأَلَت أَبَاهَا ﷺ الخَادِم، لَم يَأمُر زَوجهَا بِأَن يَكفِيهَا ذَلِكَ إِمَّا بِإِخدَامِهَا خَادِمًا أَو بِاستِئجَارِ مَن يَقُوم بِذَلِكَ، أَو بِتَعَاطِي ذَلِكَ بِنَفسِهِ، وَلَو كَانَت كِفَايَة ذَلِكَ إِلَى عَلِيّ لَأَمَرَهُ بِهِ، كَمَا أَمَرَهُ أَن يَسُوق إِلَيهَا صَدَاقهَا قَبل الدُّخُول، مَعَ أَنَّ سَوق الصَّدَاق لَيسَ بِوَاجِبٍ إِذَا رَضِيَت المَرأَة أَن تُؤَخِّرهُ، فَكَيف يَأمُرهُ بِمَا لَيسَ بِوَاجِبٍ عَلَيهِ وَيَترُك أَن يَأمُرهُ بِالوَاجِبِ؟

قال مَالِك -رَحِمَهُ الله-: إِنَّ خِدمَة البَيت تَلزَم المَرأَة، وَلَو كَانَت الزَّوجَة ذَات قَدر وَشَرَف إِذَا كَانَ الزَّوج مُعسِرًا، وَلِذَلِكَ أَلزَمَ النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ بِالخِدمَةِ البَاطِنَة وَعَلِيًّا بِالخِدمَةِ الظَّاهِرَة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١١٣)، ومسلم (٢٧٢٧)، وغيرهما.

(٢) «سيرة آل بيت النبي الأطهار» للأستاذ/ مجدي فتحي السيد (٦٦٠ وما بعدها).

وَحَكَى اِبن بَطَّالٍ أَنَّ بَعض الشُّيُوخ قَالَ: إِنَّمَا جَرَى الأَمر بَينهم عَلَى مَا تَعَارَفُوهُ مِن حُسن العِشرَة وَجَمِيل الأَخلَاق، وَأَمَّا أَن تُجبَر المَرأَة عَلَى شَيء مِن الخِدمَة فَلَا أَصل لَهُ، بَل الإِجمَاع مُنعَقِد عَلَى أَنَّ عَلَى الزَّوج مُؤنَة الزَّوجَة كُلّهَا.

وَنَقَلَ الطَّحَاوِيُّ الإِجمَاع عَلَى أَنَّ الزَّوج لَيسَ لَهُ إِخرَاج خَادِم المَرأَة مِن بَيته، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَلزَمهُ نَفَقَة الخَادِم عَلَى حَسب الحَاجَة إِلَيهِ.

قوله: «فقيل له: وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ».

وَالمُرَاد بِلَيلَةِ صِفِّين: الحَرب الَّتِي كَانَت بَين عَلِيّ وَمُعَاوِيَة بِصِفِّين، وَهِيَ بَلَد مَعرُوف بَين العِرَاق وَالشَّام، وَأَقَامَ الفَرِيقَانِ بِهَا عِدَّة أَشهُر، وَكَانَت بَينهم وَقَعَات كَثِيرَة.

قَالَ اِبن بَطَّال -رَحِمَهُ الله-: هَذَا نَوعٌ مِن الذِّكر عِند النَّوم، وَيُمكِن أَن يَكُون ﷺ كَانَ يَقُول جَمِيع ذَلِكَ عِند النَّوم، وَأَشَارَ لِأُمَّتِهِ بِالِاكتِفَاءِ بِبَعضِهَا إِعلَامًا مِنهُ أَنَّ مَعنَاهُ الحَضّ وَالنَّدب لَا الوُجُوب.

وَفِي هَذَا الحَدِيث حُجَّة لِمَن فَضَّلَ الفَقر عَلَى الغِنَى لِقَولِهِ: «**أَلَا أَدُلّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَير لَكُمَا مِن خَادِم**» فَعَلَّمَهُمَا الذِّكر، فَلَو كَانَ الغِنَى أَفضَل مِن الفَقر لَأَعطَاهُمَا الخَادِم وَعَلَّمَهُمَا الذِّكر فَلَمَّا مَنَعَهُمَا الخَادِم وَقَصَرَهُمَا عَلَى الذِّكر عُلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا اِختَارَ لَهُمَا الأَفضَل عِند الله.

قُلت: وَهَذَا إِنَّمَا يَتِمّ أَن لَو كَانَ عِنده ﷺ مِن الخُدَّام فَضلَة، وَقَد صَرَّحَ فِي الخَبَر أَنَّهُ كَانَ مُحتَاجًا إِلَى بَيع ذَلِكَ الرَّقِيق لِنَفَقَتِهِ عَلَى أَهل الصُّفَة، وَمِن ثَمَّ قَالَ عِيَاض: لَا وَجه لِمَن اِستَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الفَقِير أَفضَل مِن الغَنِيّ[(١)].

قَالَ عِيَاض: ظَاهِره أَنَّهُ أَرَادَ أَن يُعَلِّمهُمَا أَنَّ عَمَل الآخِرَة أَفضَل مِن أُمُور الدُّنيَا عَلَى كُلّ حَال، وَإِنَّمَا اِقتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ لَمَّا لَم يُمكِنهُ إِعطَاء الخَادِم، ثُمَّ عَلَّمَهُمَا إِذ فَاتَهُمَا مَا طَلَبَاهُ ذِكرًا يُحَصِّل لَهُمَا أَجرًا أَفضَل مِمَّا سَأَلَاهُ.

وَقَالَ القُرطُبِيّ: إِنَّمَا أَحَالَهُمَا عَلَى الذِّكر لِيَكُونَ عِوَضًا عَن الدُّعَاء عِند الحَاجَة، أَو لِكَونِهِ أَحَبَّ لِابنَتِهِ مَا أَحَبَّ لِنَفسِهِ مِن إِيثَار الفَقر وَتَحَمُّل شِدَّته بِالصَّبرِ عَلَيهِ

---

(١) «شرح النووي عَلَى مسلم» (١٦/ ٦).

تَعظِيمًا لِأَجرِهَا.

وَقَالَ الْمُهَلَّب: عَلَّمَ ﷺ اِبنَته مِن الذِّكر مَا هُوَ أَكثَر نَفعًا لَهَا فِي الآخِرَة، وَآثَرَ أَهل الصُّفَّة لِأَنَّهُم كَانُوا وَقَفُوا أَنفُسهم لِسَمَاعِ العِلم وَضَبط السُّنَّة عَلَى شِبَع بُطُونهم لَا يَرغَبُونَ فِي كَسب مَال وَلَا فِي عِيَال، وَلَكِنَّهُم اِشتَرَوا أَنفُسهم مِن الله بِالقُوتِ.

وَفِي الحَدِيث مَنقَبَة ظَاهِرَة لِعَلِيٍّ وَفَاطِمَة عَلَيهِمَا السَّلَام. وَفِيهِ: بَيَان إِظهَار غَايَة التَّعَطُّف وَالشَّفَقَة عَلَى البِنت وَالصِّهر وَنِهَايَة الِاتِّحَاد بِرَفعِ الحِشمَة وَالحِجَاب حَيثُ لَم يُزعِجهُمَا عَن مَكَانهمَا فَتَرَكَهُمَا عَلَى حَالَة اِضطِجَاعهمَا، وَبَالَغَ حَتَّى أَدخَلَ رِجله بَينهمَا وَمَكَثَ بَينهمَا حَتَّى عَلَّمَهُمَا مَا هُوَ الأَولَى بِحَالِهِمَا مِن الذِّكر عِوَضًا عَمَّا طَلَبَاهُ مِن الخَادِم، فَهُوَ مِن بَاب تَلَقِّي الْمُخَاطَب بِغَيرِ مَا يَطلُب إِيذَانًا بِأَنَّ الأَهَمّ مِن الْمَطلُوب هُوَ التَّزَوُّد لِلمَعَادِ وَالصَّبر عَلَى مَشَاقّ الدُّنيَا وَالتَّجَافِي عَن دَار الغُرُور.

وَقَالَ الطِّيبِيُّ: فِيهِ دَلَالَة عَلَى مَكَانَة أُمّ الْمُؤمِنِينَ مِن النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ حَيثُ خَصَّتهَا فَاطِمَة بِالسِّفَارَةِ بَينهَا وَبَين أَبِيهَا دُون سَائِر الأَزوَاج.

وَفِيهِ: أَنَّ مَن وَاظَبَ عَلَى هَذَا الذِّكر عِند النَّوم لَم يُصِبهُ إِعيَاء لِأَنَّ فَاطِمَة شَكَت التَّعَب مِن العَمَل فَأَحَالَهَا ﷺ عَلَى ذَلِكَ[1].

عباد الله...

ولما تُوفي أبوها ﷺ حزنت عليه حزنًا شديدًا، وبكته، وقالت: يا أبتاه، إلى جبريل نعاه، يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه.

وقالت بعد دفنه: يا أنس، كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب عَلَى رَسُول الله ﷺ ؟ رواه البخاري.

أيها المسلمون...

ومن المواقف التي تحتاج إلى بيان، ما روته عائشةُ رَضِي الله عَنْهَا فتقول: «إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِمَّا

---

(١) «شرح النووي عَلَى مسلم» (١٦/ ٦).

أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكٍ[١]، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْمَالِ**»[٢]. وَإِنِّي وَاللَّهِ لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلأَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وفي رواية: «فَأَمَّا صَدَقَتُهُ بِالْمَدِينَةِ فَدَفَعَهَا عُمَرُ إِلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ، فَأَمَّا خَيْبَرُ وَفَدَكٌ فَأَمْسَكَهَا عُمَرُ[٣] وَقَالَ: هُمَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتَا لِحُقُوقِهِ الَّتِي تَعْرُوهُ وَنَوَائِبِهِ، وَأَمْرُهُمَا إِلَى مَنْ وَلِيَ الأَمْرَ».

فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ شَيْئًا، فَوَجَدَتْ[٤] فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ، فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَيْلاً وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ، وَصَلَّى عَلَيْهَا عَلِيٌّ[٥]، وَكَانَ لِعَلِيٍّ مِنَ النَّاسِ وِجْهَةٌ حَيَاةَ فَاطِمَةَ فَلَمَّا تُوُفِّيَتِ اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ وُجُوهَ النَّاسِ[٦].

---

(١) **فَدَك**: بفتح الفاء والدال: بلدة بينها وبين المدينة ثلاث مراحل.

(٢) أي: الذي تركناه فهو صدقة، والحكمة في أن الأنبياء لا يُورّثون: أنه لا يؤمن في الورثة مَن يتمنى موته فيهلك، ولئلا يظن بهم الرغبة في الدنيا لوارثهم فيهلك الظان، وينفر الناس عنهم.

(٣) أي: لم يدفعها لغيره، وبيَّن سبب ذلك، وقد ظهر بهذا أن صدقة النبي ﷺ تختصّ بما كان من بني النضير، وأما سهمه من خيبر وفدك فكان حكمه إلى مَن يقوم بالأمر بعده، وكان أبو بكر يقدّم نفقة نساء النبي ﷺ وغيرها مِمَّا كان يصرفه، فيصرفه من خيبر وفدك، وما فضل من ذلك جعله في المصالح. وعمل عمر بعده بذلك، فلما كان عثمان؛ تصرف في فدك بحسب ما رآه.

(٤) **وَجَدت**: حزنت.

(٥) كان ذلك بوصية منها لإرادة الزيادة في التستر، ولعله لم يعلم أبا بكر بموتها لأنه ظن أن ذلك لا يخفى عنه، وليس في الخبر ما يدل عَلَى أن أبا بكر لم يعلم بموتها ولا صلى عليها.

(٦) أي: كان الناس يزيدون في احترامه إكرامًا لفاطمة رَضِي الله عَنْهَا، فلما ماتت واستمر عَلَى عدم الحضور عند أبي بكر، قصر الناس عن ذلك الاحترام لإرادة دخوله فيما دخل فيه الناس، ولذلك قالت عائشة في آخر الحديث: «لما جاء وبايع كان الناس قريبًا إليه حين راجع الأمر بالمعروف»، وكأنهم كانوا يعذرونه في التخلف عن أبي بكر في مدة حياة فاطمة لشغله بها وتمريضها، وتسليتها عما هي فيه من الحزن عَلَى أبيها ﷺ، ولأنها لما غضبت من رد أبي بكر عليها فيما سألته من الميراث =

فَالتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ[١]، وَلَمْ يَكُنْ بَايَعَ تِلْكَ الأَشْهُرَ[٢]، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنِ ائْتِنَا وَلاَ يَأْتِنَا مَعَكَ أَحَدٌ - كَرَاهِيَةَ مَحْضَرِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ[٣].

فَقَالَ عُمَرُ لأَبِي بَكْرٍ: وَاللهِ لاَ تَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَحْدَكَ[٤].

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا عَسَاهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِي؟! إِنِّي وَاللهِ لآتِيَنَّهُمْ. فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ. فَتَشَهَّدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ وَمَا أَعْطَاكَ اللهُ، وَلَمْ نَنْفَسْ[٥] عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللهُ إِلَيْكَ، وَلَكِنَّكَ اسْتَبْدَدْتَ عَلَيْنَا بِالأَمْرِ[٦]، وَكُنَّا نَحْنُ

= رأى عليٌّ أن يوافقها في الانقطاع.

(١) يعني البيعة العامة، وإلا فالبيعة الخاصة مرت.

(٢) قال المازري: العذر لعلي رَضِيَ الله عَنْهُ في تخلفه مع ما اعتذر: هو أنه يكفي في بيعة الإمام أن تقع من أهل الحل والعقد، ولا يجب الاستيعاب، ولا يلزم كل أحد أن يحضر عنده ويضع يده في يده، بل يكفي طاعته والانقياد له بألا يخالفه، ولا يشقّ العصا عليه، وهذا كان حال علي، لم يقع منه إلا التأخر في الحضور عند أبي بكر رَضِيَ الله عَنْهُ.

وقال النووي: أما تأخر علي بن أبي طالب رَضِيَ الله عَنْهُ عن البيعة فقد ذكره في الحديث، واعتذر أبو بكر رَضِيَ الله عَنْهُ، ومع هذا فتأخره ليس بقادحٍ في البيعة، ولا فيه. «شرح النووي عَلَى مسلم» (١٢/ ٧٨).

(٣) السبب في ذلك: ما أَلِفوهُ من قوة عمر رَضِيَ الله عَنْهُ وصلابته في القول والفعل، وكان أبو بكر رقيقًا لينًا، فكأنهم خشوا من حضور عمر كثرة المعاتبة التي قد تفضي إلى خلاف ما قصدوه من المصافاة.

وقال النووي: أما كراهيتهم لمحضر عمر، فلما علموا من شدته وصدعه بما يظهر له، فخافوا أن ينتصر لأبي بكر رَضِيَ الله عَنْهُ فيتكلم بكلام يوحش قلوبهم من أبي بكر، وكانت قلوبهم قد طابت عليه، وانشرحوا له فخافوا أن يكون حضور عمر سببًا لتغيرها. «الفتح» (٧/ ٤٩٤)، «شرح النووي» (١٢/ ٧٨).

(٤) معناه: أن عمر رَضِيَ الله عَنْهُ خاف أن يغلظوا عَلَى أبي بكر في المعاتبة، ويحملهم عَلَى الإكثار من ذلك لين أبي بكر، وصبره عن الجواب عن نفسه، وربما رأى من كلامهم ما غيّر قلبه، فيترتب عَلَى ذلك مفسدة خاصة أو عامة، وإذا حضر عمر امتنعوا من ذلك، فالمراد من قوله: لا تدخل عليهم لئلا يتركوا من تعظيمك ما يجب لك.

(٥) لم ننفس؛ أي: لم نحسدك.

(٦) أي: لم تشاورنا في مسألة الخلافة.

نَرَى لَنَا حَقًّا[(١)] لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ[(٢)].

فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي، وَأَمَّا الَّذِي شَجَرَ[(٣)] بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَمْوَالِ فَإِنِّي لَمْ آلُ فِيهِ عَنِ الحَقِّ وَلَمْ أَتْرُكْ أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُهُ فِيهَا إِلاَّ صَنَعْتُهُ.

فَقَالَ عَلِيٌّ لأَبِي بَكْرٍ: مَوْعِدُكَ العَشِيَّةُ[(٤)] لِلْبَيْعَةِ.

فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ صَلاَةَ الظُّهْرِ رَقِيَ[(٥)] عَلَى المِنْبَرِ فَتَشَهَّدَ، وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ وَتَخَلُّفَهُ عَنِ البَيْعَةِ وَعُذْرَهُ بِالَّذِي اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللهَ.

وَتَشَهَّدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلاَ إِنْكَارًا لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللهُ بِهِ، وَلَكِنَّا كُنَّا نَرَى لَنَا فِي الأَمْرِ نَصِيبًا، فَاسْتُبِدَّ عَلَيْنَا بِهِ فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا[(٦)].

---

(١) فسبب العتب من عليٍّ أنه مع وجاهته وفضيلته في نفسه، وقربه من النبي ﷺ، وغير ذلك، لم يستشر في مسألة الخلافة أولًا، وكان عذر أبي بكر وسائر الصحابة واضحًا لأنهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين وخافوا إن أخروها حصول خلاف، ونزاع يترتب عليه مفاسد عظيمة، ولهذا أخروا دفن النبي ﷺ حتى عقدوا البيعة، لكونها كانت من أهم الأمور كي لا يقع نزاع في مدفنه أو كفنه أو غسله أو الصلاة عليه، أو غير ذلك وليس لهم من يفصل الأمور، فرأوا تقدم البيعة أهم الأشياء، فالعذر لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه خشي من التأخر عن البيعة الاختلاف لما كان وقع من الأنصار كما في قصة السقيفة، فلم ينتظروه، بل جيء به للمبايعة عَلَى الفور.

(٢) أي: لم يزل عليّ يذكر قرابته من رسول الله ﷺ حتى فاضت عينا أبي بكر من الرقة.

(٣) شجر: اختلف وتنازع، والشجار: الاختلاف والمنازعة.

(٤) **العشية**: هي من زوال الشمس.

(٥) **رقي**: علا.

(٦) قال القرطبي: مَن تأمل ما دار بين أبي بكر وعليٍّ رضي الله عنهما من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الإنصاف؛ عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة عَلَى الاحترام والمحبة وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانًا، لكن الديانة ترد ذلك.

فَسُرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ وَقَالُوا أَصَبْتَ. فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا[١] حِينَ رَاجَعَ الأَمْرَ الْمَعْرُوفَ»[٢].

يقول ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ -: «فهذه البيعة التي وقعت من علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بعد وفاة فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بيعة مؤكدة للصلح الذي وقع بينهما، وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها أولا يوم السقيفة، ولم يكن علي مجانبا لأبي بكر هذه الستة الأشهر بل كان يصلي وراءه ويحضر عنده للمشورة، وفي «صحيح البخاري» أن أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صلى العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال ثم خرج من المسجد فوجد الحسن بن علي يلعب مع الغلمان فاحتمله على كاهله وجعل يقول: «بأبي، شبه النبي ليس شبيهًا بعلي» وعلي يضحك[٣].

ولكن لما وقعت هذه البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليا لم يبايع قبلها فنفى ذلك والمثبت مقدم على النافي.

وأما غضب فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأرضاها على أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه، فما أدري ما وجهه، فإن كان لمنعه إياها ما سألته من الميراث فقد اعتذر اليها بعذر يجب قبوله وهو ما رواه عن أبيها رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**لا نورث ما تركنا صدقة**» وهي ممن ينقاد لنص الشارع الذي خفي عليها قبل سؤالها الميراث كما خفي على أزواج النبي ﷺ، حتى أخبرتهن عائشة بذلك ووافقنها عليه.

وليس يظن بفاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها اتهمت الصديق رضي الله عنه فيما أخبرها به، حاشاها وحاشاه من ذَلِكَ، كيف وقد وافقه على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) أي: كان ودّهم له قريبًا عندما دخل فيما دخل فيه الناس.

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٩٢)، (٤٢٤٠)، ومسلم (١٧٥٩)، وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٥٠).

وإن كان غضبها لأجل ما سألت الصِّدِّيق إذ كانت هذه الأراضي صدقة لا ميراثًا أن يكون زوجها ينظر فيها، فقد اعتذر بما حاصله أنه لما كان خليفة رسول الله ﷺ فهو يرى أن فرضًا عليه أن يعمل بما كان يعمله رسول الله ﷺ ويلي ما كان يليه رسول الله ﷺ» ا.هـ[١].

وهي رَضِيَ الله عَنْهَا امرأةٌ من بنات آدم تأسف كما يأسفن، وليست بواجبة العصمة مع وجود نص رسول الله ﷺ، ومخالفة أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ الله عَنْهُ وهو الصادق البار، الراشد، التابع للحق، واحتاج عليٌّ أن يراعي خاطرها بعض الشيء.

فلما ماتت رَضِيَ الله عَنْهَا رأى عليٌّ أن يُجدد البيعة[٢].

وقَدْ جاء التصريح بأسباب تأخر عليٍّ والزبير عن البيعة فيما رواه عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ الله عَنْهُ فقال: «قَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَخَطَبَ النَّاسَ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: «وَاللَّهِ مَا كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الإِمَارَةِ يَوْمًا وَلاَ لَيْلَةِ قَطُّ، وَلاَ كُنْتُ فِيهَا رَاغِبًا، وَلاَ سَأَلْتُهَا اللَّهَ فِي سِرٍّ وَلاَ عَلاَنِيَةٍ، وَلَكِنِّي أَشْفَقْتُ مِنَ الفِتْنَةِ وَمَا لِي فِي الإِمَارَةِ مِنْ رَاحَةٍ، وَلَكِنْ قُلِّدْتُ أَمْرًا عَظِيمًا مَا لِي بِهِ طَاقَةٌ وَلاَ يَدَانِ إِلاَّ بِتَقْوِيَةِ اللَّهِ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ أَقْوَى النَّاسِ عَلَيْهَا مَكَانِي عَلَيْهَا الْيَوْمَ».

فَقَبِلَ الْمُهَاجِرُونَ مِنْهُ مَا قَالَ وَمَا اعْتَذَرَ بِهِ، وَقَالَ عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا غَضِبْنَا إِلاَّ لأَنَّا أُخِّرْنَا عَنِ الْمُشَاوَرَةِ، وَإِنَّا نَرَى أَبَا بَكْرٍ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِنَّهُ لِصَاحِبُ الغَارِ، وَثَانِي اثْنَيْنِ، وَإِنَّا لَنَعْرِفُ شَرَفَهُ وَكِبَرَهُ، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالصَّلاَةِ بِالنَّاسِ وَهُوَ حَيٌّ»[٣].

وبهذا ينتهي موقف فاطمة رَضِيَ الله عَنْهَا من ميراث النبي ﷺ وما حوله من ملابساتٍ، ومن الله العون والسداد[٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٨٧) لابن كثير.
(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٨٩).
(٣) صحيح: أخرجه الحاكم (٣/ ٦٦، ٦٧)، وصحّحه وأقرّه الذهبي.
(٤) «سيرة آل بيت النبي الأطهار» (٦٦٥ - ٦٧٠).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وبعد وفاة النبيّ ﷺ بخمسة أشهر أو نحوها، تُوفيت فاطمة رَضِي الله عَنْهَا.

وعاشت أربعًا أو خمسًا وعشرين سنة[(١)].

ماتت أُم الحَسنين؛ الحسن والحُسين، رَضِي الله عَنْهَا.

وقبل موتها وبالتحديد في مرض موتها، حدث أمرٌ يدلّ عَلَى أدبها، واحترامها لزوجها:

عن الشَّعبيّ قال: لما مرضت فاطمة، أتى أبو بكر فاستأذن، فقال عليٌّ: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذنُ عليكِ، فقالت: أتُحِبُّ أن آذن له؟ قال: نعم.

قال الإمام الذهبي - رَحِمَهُ الله - معلقًا: «عملت السُّنّة رَضِي الله عَنْهَا، فلم تأذن في بيت زوجها إلّا بأمره» ا.هـ.

۞۞۞۞۞

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٢٢).

الخطبة الرابعة والأربعون بعد المائة:

[أ] عائشة بنت أبي بكر

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فلقاؤنا اليوم - إن شاء الله - مع الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق رَضِي الله عَنْهَا.

عباد الله...

والصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق هي أُم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق، وزوجة رسول الله ﷺ، وأحب أزواجه إليه، المبرأة من فوق سبع سموات رَضِي الله عَنْهَا وعن أبيها.

وأُمُّها هي أُمّ رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية.

وتُكنى عائشة بأم عبد الله، قيل: كناها بذلك رسول الله ﷺ بابن أختها عبد الله بن الزبير.

وقيل: إنها أسقطت من رسول الله سقطًا فسمَّاه عبد الله.

ولم يتزوج رسولُ الله ﷺ بكرًا غيرها، ولم ينزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها، ولم يكن في أزواجه أحبّ إليه منها.

تزوجها النبي ﷺ بمكة بعد وفاة خديجة، وقَدْ أتاه المَلَك بها في المنام في سرقة من حريرة، مرتين أو ثلاثًا، فيقول: هَذِهِ زوجتك.

وكان عمرها إذ ذاك ست سنين، ثم دخل بها وهي بنت تسع سنين، بعد «بدر» في شوال من سنة اثنتين من الهجرة.

ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان، غار الله لها فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تتلى عَلَى تعاقب الزمان، وقَدْ أجمع العلماء عَلَى تكفير من قذفها بعد براءتها رَضِيَ الله عَنْهَا.

عباد الله...

وتحكي لنا أم المؤمنين عائشة قصة زواجها المبارك بالرسول ﷺ فتقول: «لَـمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلاَ تَزَوَّجُ؟

قَالَ: «مَنْ؟».

قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْراً وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّباً.

قَالَ: «فَمَنِ الْبِكْرُ؟».

قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِى بَكْرٍ.

قَالَ: «وَمَنِ الثَّيِّبُ؟». قَالَتْ: سَوْدَةُ ابْنَةُ زَمْعَةَ، قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا تَقُولُ.

قَالَ: «فَاذْهَبِى فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ». فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِى بَكْرٍ فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ. قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ

أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ.

قَالَتْ انْتَظِرِى أَبَا بَكْرٍ حَتَّى يَأْتِىَ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ. قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ.

قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ؟ إِنَّمَا هِىَ ابْنَةُ أَخِيهِ.

فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ.

قَالَ: «**ارْجِعِى إِلَيْهِ فَقُولِى لَهُ: أَنَا أَخُوكَ وَأَنْتَ أَخِى فِى الإِسْلَامِ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِى**».

فَرَجَعْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فقَالَ: ادْعِى لِى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَتْهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ»[١].

عباد الله...

ومن خصائصها رَضِيَ الله عَنْهَا:

- أنها كان لها في القسم يومان، يومها ويوم سودة، حين وهبتها ذَلِكَ تقربًا إلى رسول الله ﷺ.
- وأَنَّهُ ﷺ مات في يومها وفي بيتها وبين سحرها[٢] ونحرها[٣]، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا، وأول ساعة من الآخرة.

  قلت: وذلك عندما أراد السواك فبلَّته له بريقها.
- وأَنَّهُ ﷺ دُفن في بيتها.
- **ومن خصائصها:** أنها كانت من أحب نسائه إليه، قال ﷺ في مرض موته: «**إِنَّهُ لَيُهَوِّنُ عَلَىَّ أَنِّى رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّ عَائِشَةَ فِى الجَنَّةِ**»[٤].

---

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث. «المجمع» برقم (١٥٢٨٥).

(٢) **السحر:** الصدر.

(٣) **النحر:** الرقبة.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» برقم (٢٥١٣٠).

قَالَ ابن كثير: «وهذا في غاية ما يكون من المحبَّة العظيمة أن يرتاح لأنه رأى بياض كفِّها أمامه في الجَنَّة» ا.هـ[١].

- **ومن خصائصها كذلك:** أنها أعلم نساء النبي ﷺ، بل هي أعلم النساء عَلَى الإطلاق.

قَالَ الزهريّ: لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أزواجه، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل.

وقال عطاء بن أبي ربّاح: كانت عائشة أفقه النَّاس، وأعلم النَّاس، وأحسن النَّاس رأيًا في العامة.

وقال عروة: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة، ولم ترو امرأة ولا رجل غير أبي هريرة عن رسول الله ﷺ من الأحاديث بقدر روايتها رَضِيَ الله عَنْهَا.

وقَدْ تفردت رَضِيَ الله عَنْهَا بمسائل عن الصحابة لم توجد إلا عندها، وانفردت باختيارات أيضًا وردت أخبار بخلافها بنوع من التأويل.

- وفي صحيح البخاري عن أبي موسى رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»**.

- وفي صحيح البخاري أيضًا، عن أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَاجْتَمَعَ صَوَاحِبِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقُلْنَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ وَإِنَّا نُرِيدُ الخَيْرَ كَمَا تُرِيدُهُ عَائِشَةُ، فَمُرِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ أَنْ يُهْدُوا إِلَيْهِ حَيْثُ مَا كَانَ. قَالَتْ: فَذَكَرَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ: **«يَا أُمَّ سَلَمَةَ لاَ تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا»**.

---

(١) «البداية» (٥/ ٥٩١).

عباد الله...

هَذِهِ بعض فضائل عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا، وما ذكرناه يُعَدُّ غيضًا من فيض، وفيه - إن شاء الله - الكفاية، ولله الحمد والمنة.

أمّا عن كرمها وزهدها:

فعن أُمّ ذرة وكانت تغشى عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا، قالت: بعث إليها ابن الزبير بمال في غِرارتين، قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذٍ صائمة، فجلست تقسّمه بين النَّاس، فأمست وما عندها من ذَلِكَ درهم، فلما أمست قالت: يا جارية هلّمي فِطري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذرة: أما استطعت مِمَّا قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟ فقالت لها: لا تُعنّفيني، لو كنتِ ذكّرتيني لفعلت.

وقال عروة: لقد رأيت عائشة تُقسّم سبعين ألفًا وهي ترقع درعها.

عباد الله...

وكانت عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا تخشى الله وتَتَقّه:

فَعَنْ عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ - هُوَ ابْنُ الحَارِثِ وَهْوَ ابْنُ أَخِى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ لأُمِّهَا -: أَنَّ عَائِشَةَ حُدِّثَتْ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ فِى بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ: وَاللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ، أَوْ لأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا.

فَقَالَتْ: أَهُوَ قَالَ هَذَا؟

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَتْ: هُوَ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ، أَنْ لاَ أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا.

فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا، حِينَ طَالَتِ الهِجْرَةُ فَقَالَتْ: لاَ وَاللهِ لاَ أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَدًا، وَلاَ أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِى.

فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ كَلَّمَ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، وَهُمَا مِنْ بَنِى زُهْرَةَ، وَقَالَ لَهُمَا: أَنْشُدُكُمَا بِاللهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِى عَلَى عَائِشَةَ، فَإِنَّهَا لاَ يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذُرَ قَطِيعَتِى.

فَأَقْبَلَ بِهِ المِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالاَ:

السَّلاَمُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَنَدْخُلُ؟ قَالَتْ عَائِشَةُ: ادْخُلُوا. قَالُوا: كُلُّنَا؟ قَالَتْ: نَعَم، ادْخُلُوا كُلُّكُمْ، وَلاَ تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ.

فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الحِجَابَ، فَاعْتَنَقَ[١] عَائِشَةَ وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ المِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلاَّ مَا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ، وَيَقُولاَنِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الهِجْرَةِ، فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ.

فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا نَذْرَهَا وَتَبْكِي وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ، وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ.

فَلَمْ يَزَالاَ بِهَا حَتَّى كَلَّمَتِ ابْنَ الزُّبَيْرِ، وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً.

وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَبْكِي، حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا»[٢].

عباد الله...

هكذا كانت تربية المسلمين رجالًا ونساءً، فأين هَذِهِ الأخلاق في حياة المسلمين اليوم؟!

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وكانت عائشة رَضِي الله عَنْهَا شديدة الخوف من ربِّها، ترجو رحمته، وتخشى عذابه.

عن القاسم: أن عائشة رَضِي الله عَنْهَا كانت تصوم الدَّهر ولا تُفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر.

وعنه، قال: كنت إذا غدوتُ أبدأ ببيت عائشة أُسلم عليها، فغدوت يومًا فإذا هي

---

(١) وكانت رَضِي الله عَنْهَا خالته، فهو ابن أسماء رَضِي الله عَنْهَا.

(٢) رواه البخاري.

قائمة تسبّح وتقرأ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]. وتدعو وتبكي وتردّدها، فقمت حتى مَللتُ القيام، فذهبتُ إلى السوقِ لحاجتي ثم رجعتُ فإذا هي قائمة كما هي، تصلّي وتبكي[١].

عباد الله...

وهكذا كانت القلوب رقيقة نديّة، يبكي أصحابُها، مِمَّا عرفوا من الحقّ، أو مِمَّا اجترحوا مع الخلق.

فأين هذه القلوب الآن ؟!

يا رب؛ إنَّ ظُلْمَةَ ظُلْمِنا لأنفسنا قد عَمَّت، وبحارُ الغفلة عَلَى قلوبنا قد طَمَّت، فالعَجْزُ شامِل، والتَّسليمُ أسْلَم، وأنت بالحالِ أعلم.

۞۞۞۞۞

(١) «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣).

الخطبة الخامسة والأربعون بعد المائة:

[ب] عائشة بنت أبي بكر

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن أهل البيت، ونكمل اليوم - إن شاء الله تَعَالَى - حديثنا عن أُم المؤمنين عائشة رَضِي الله عَنْهَا.

عباد الله...

ومن المواقف الصعبة التي تعرّضت لها أُم المؤمنين عائشة رَضِي الله عَنْهَا: رَميها بالإفك والبهتان عقب عودة المسلمين من غزوة «المريسيع».

فماذا حدث؟

ندع المجال لأُمِّنا عائشة تحكيه بالتفصيل:

قالت رَضِيَ الله عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ.

فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا[١] فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالتَمَسْتُ عِقْدِي فَاحْتَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ.

وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ بِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي[٢] فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنِّي فِيهِ.

وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُثْقِلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ[٣] مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ ثِقَلَ الهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلاَ مُجِيبٌ، فَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ وَظَنَنْتُ أَنَّ القَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُوا إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ وَرَاءَ الجَيْشِ[٤]، فَأَدْلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيَّ الحِجَابُ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، فَوَاللهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ[٥] فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي

---

(١) هي غزوة بني المصطلق، وتسمّى «المريسيع».
(٢) **الهودج**: مركب من مراكب العرب أُعدّ للنساء، له قُبة تُستر بالثياب.
(٣) أي: القليل.
(٤) كان صفوان صاحب ساقة رسول الله ﷺ في غزواته لشجاعته.
(٥) **التعريس**: النزول آخر الليل في السّفر لنومٍ أو استراحة.

شَأْنِي وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ ابْنِ سَلُولَ.

فَقَدِمْتُ المَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا شَهْراً، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ وَلَمْ أَشْعُرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟». فَذَاكَ يَرِيبُنِي وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقِهْتُ[1]، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ العَرَبِ الأُوَلِ فِي البَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟

فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ فَقَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟»، فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ.

قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟

فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا.

فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا؟

قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا نَعْلَمُ وَاللهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ.

---

(١) نقه من مرضه؛ أي: برئ.

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «**يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟**».

فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ العَجِينِ فَتَأْتِي الدَّاجِنُ(١) فَتَأْكُلُهُ.

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «**مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي**».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنْ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنْ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ - وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ المُنَافِقِينَ، فَثَارَ الحَيَّانِ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ البُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي.

قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، إِذْ اسْتَأْذَنَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالت: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ**».

فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي:

---

(١) **الداجن**: الشاة التي تألف البيوت ولا تخرج إلى المرعى.

أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: ١٨].

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللهُ، وَلَكِنْ وَاللهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ، فَوَاللهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ.

فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: «**يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللهَ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللهُ**».

فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**﴾ الآيَاتِ.

فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ -: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢]. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ: «**يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ؟**» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا

خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي[١]، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالوَرَعِ»[٢].

عباد الله...

هَذِهِ قصة الإفك بتمامها وكما حكتها أُم المؤمنين عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا.

وهي تكشف عن طبيعة المنافقين، وأهدافهم.

وعقب ذكر هَذِهِ الحادثة قَالَ الشيخ مُحَمَّد الغزالي - رَحِمَهُ الله -: «لم يَدُر بخاطر أحدٍ أن هَذِهِ الأوبة المتعجلّة - يعني من غزوة المريسيع - سوف تتمخض عن أكذوبة دنيئة يحيك أطرافها عبد الله بن أُبي ابن سلول، ثم يرمي بها بين النَّاس، فتسير مسير الوباء الفاتك.

لقد كان أبو جهل خصمًا لدودًا لكل مَن دخل في هذا الدِّين، وكان طاغية عنيدًا لا تنتهي لجاجته، إلا أَنَّهُ كان كالضّبع المفترس لا يُحسن الالتواء والوقيعة، حمل السيف في وضح النهار، وما زال يُقاتل حَتَّى صُرع، أما عبد الله بن أُبي فقد اختفى كالعقرب الخائنة، ثم شرع يلسع الغافلين.

قبع هذا المنافق في جنح الظلام، وبدأ ينفث الإشاعات المريبة، وتدلّى - في غوايته - إلى حضيض بعيد، فلم يبال أن يتهجّم عَلَى الأعراض المصونة، وأن ينسج حولها مفتريات يندي لها جبين الحرائر العفيفات، في عودة الرسولُ ﷺ من غزوة بني المصطلق إلى المدينة، نبت حديث الإفك وشاع، واجتهد خصوم الله ورسوله أن ينقلوا شرره في كل مكان قاصدين من وراء هذا الأسلوب الجديد في حرب الإسلام أن يدمروا عَلَى الرسول ﷺ بيته، وأن يسقطوا مكانة أقرب الرجال لديه - يعني صفوان - وأن يدعوا جمهور المسلمين بعد ذَلِكَ يضطرب في عماية من الأسى والغم.

وللوصول إلى هَذِهِ الغاية، استباح ابنُ أُبي لنفسه أن يرمي بالفحشاء سيّدة لم تجاوز مرحلة الطفولة البريئة، لا تعرف الشّر، ولا تهم بمنكر ولا تُحسن الحياة إلا في فلك النبوّة العالي.

---

(١) تسامِيني: تضاهيني بجمالها ومكانتها عند النبي ﷺ.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وهي التي تربّت في حِجر صِّديق وأُعِدَت لِصُحبة نبيٍّ في الدنيا والآخرة، وتلّقف العامة هذا الحديث الغريب، وهم في غمرة الدهشة لا يدرون مبلغ الخطر الكامن في قبوله ونقله». ا.هـ[(١)].

عباد الله...

وفي هَذِهِ الغزوة غزوة «المريسيع» فوائد كثيرة، نذكرها بعد قليل إن شاء الله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ومن الدروس المستفادة من هذه الغزوة:

١- مَشرُوعِيَّة القُرعَة حَتَّى بَينَ النِّسَاء وَفِي المُسَافَرَة بِهِنَّ وَالسَّفَر بِالنِّسَاءِ حَتَّى فِي الغَزو.

٢- جَوَاز حِكَايَة مَا وَقَعَ لِلمَرءِ مِن الفَضلِ وَلَو كَانَ فِيهِ مَدح نَاسٍ وَذَمُّ نَاسٍ إِذَا تَضَمَّنَ ذَلِكَ إِزَالَة تَوَهُّم النَّقص عَن الحَاكِي إِذَا كَانَ بَرِيئًا عِندَ قَصد نُصح مَن يَبلُغهُ ذَلِكَ لِئَلَّا يَقَع فِيمَا وَقَعَ فِيهِ مِن سَبق وَأَنَّ الِاعتِنَاء بِالسَّلَامَةِ مِن وُقُوع الغَير فِي الإِثم أَولَى مِن تَركه يَقَع فِي الإِثم وَتَحصِيل الأَجر لِلمَوقُوع فِيهِ.

٣- وَفِيهِ: أَنَّ الهَودَج يَقُوم مَقَامَ البَيت فِي حَجب المَرأَة، وَجَوَاز رُكُوب المَرأَة الهَودَج عَلَى ظَهر البَعِير وَلَو كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَشُقّ عَلَيهِ حَيثُ يَكُونُ مُطِيقًا لِذَلِكَ.

٤- وَفِيهِ: جواز خِدمَة الأَجَانِب لِلمَرأَةِ مِن وَرَاءِ الحِجَاب.

٥- وفيه: جَوَاز تَسَتُّر المَرأَة بِالشَّيءِ المُنفَصِل عَن البَدَنِ.

٦- جَوَاز تَوَجُّه المَرأَة لِقَضَاءِ حَاجَتِهَا وَحدَهَا وَبِغَيرِ إِذن خَاصّ مِن زَوجهَا، بَل اِعتِمَادًا عَلَى الإِذن العَامّ المُستَنِد إِلَى العُرف العَامّ.

---

(١) «فقه السيرة» (٣٠٧، ٣٠٨).

٧- وَجَوَاز تَحَلِّي المَرأَة فِي السَّفَر بِالقِلَادَةِ وَنَحوِهَا.

٨- وَصِيَانَة المَال وَلَو قَلَّ لِلنَّهيِ عَن إِضَاعَة المَال، فَإِنَّ عِقد عَائِشَة لَم يَكُن مِن ذَهَب وَلَا جَوهَر.

٩- وَفِيهِ: شُؤم الحِرص عَلَى المَال لِأَنَّهَا لَو لَم تُطِل فِي التَّفتِيش لَرَجَعَت بِسُرعَةٍ فَلَمَّا زَادَ عَلَى قَدر الحَاجَة أَثَّرَ مَا جَرَى.

١٠- وفيه: استِعمَال بَعض الجَيش سَاقَة يَكُونُ أَمِينًا لِيَحمِل الضَّعِيف وَيَحفَظ مَا يَسقُط وَغَير ذَلِكَ مِن المَصَالِح.

١١- الِاستِرجَاع عِندَ المُصِيبَة، وَتَغطِيَة المَرأَة وَجهها عَن نَظَر الأَجنَبِيّ.

١٢- إِغَاثَة المَلهُوف، وَعَونِ المُنقَطِع، وَإِنقَاذ الضَّائِع، وَإِكرَام ذَوِي القَدر وَإِيثَارهم بِالرُّكُوبِ وَتَجَشُّم المَشَقَّة لِأَجلِ ذَلِكَ.

١٣- حُسنِ الأَدَب مَعَ الأَجَانِب خُصُوصًا النِّسَاء لَا سِيَّمَا فِي الخَلوَة.

١٤- المَشي أَمَام المَرأَة لِيَستَقِرَّ خَاطِرهَا، وَتَأمَنَ مِمَّا يُتَوَهَّم مِن نَظَره لِمَا عَسَاهُ يَنكَشِف مِنهَا فِي حَرَكَة المَشي.

١٥- وَفِيهِ: مُلَاطَفَة الزَّوجَة وَحُسنُ مُعَاشَرَتهَا وَالتَّقصِير مِن ذَلِكَ عِندَ إِشَاعَة مَا يَقتَضِي النَّقص وَإِن لَم يَتَحَقَّق، وَفَائِدَة ذَلِكَ أَن تَتَفَطَّنَ لِتَغيِير الحَال فَتَعتَذِر أَو تعتَرِف، وَأَنَّهُ لَا يَنبَغِي لِأَهلِ المَرِيض أَن يُعلِمُوهُ بِمَا يُؤذِي بَاطِنَهُ لِئَلَّا يَزِيد ذَلِكَ فِي مَرَضه.

١٦- وَفِيهِ: السُّؤَال عَن المَرِيض وَإِشَارَة إِلَى مَرَاتِب الهِجرَان بِالكَلَام وَالمُلَاطَفَة، فَإِذَا كَانَ السَّبَب مُحَقَّقًا فَيُترَك أَصلًا، وَإِن كَانَ مَظنُونًا فَيُخَفَّف، وَإِن كَانَ مَشكُوكًا فِيهِ أَو مُحتَمَلًا فَيَحسُن التَّقلِيل مِنهُ لَا لِلعَمَلِ بِمَا قِيلَ بَل لِئَلَّا يُظَنّ بِصَاحِبِهِ عَدَم المُبَالَاة بِمَا قِيلَ فِي حَقِّه، لِأَنَّ ذَلِكَ مِن خَوَارِم المُرُوءَة.

١٧- وَفِيهِ: أَنَّ المَرأَة إِذَا خَرَجَت لِحَاجَةٍ تَستَصحِب مَن يُؤنِسُهَا أَو يَخدِمهَا مِمَّن يُؤمَن عَلَيهَا.

١٨- وَفِيهِ: ذَبّ المُسلِم عَن المُسلِم خُصُوصًا مَن كَانَ مِن أَهل الفَضل، وَردع مَن يُؤذِيهِم.

١٩- وَفِيهِ: مَشرُوعِيَّة التَّسبِيح عِندَ سَمَاع مَا يَعتَقِد السَّامِع أَنَّهُ كَذِب.

٢٠- وَفِيهِ: اِستِشَارَة المَرء أَهل بِطَانَته مِمَّن يَلُوذ بِهِ بِقَرَابَةٍ وَغَيرهَا، وَتَخصِيص مَن جُرِّبَت صِحَّة رَأيه مِنهُم بِذَلِكَ وَلَو كَانَ غَيره أَقرَب.

٢١- وَفِيهِ: التَّثَبُّت فِي الشَّهَادَة، وَفِطنَة الإِمَام عِندَ الحَادِث المُهِمّ.

٢٢- وَفِيهِ: مُسَاعَدَة مَن نَزَلَت فِيهِ بَلِيَّة بِالتَّوَجُّعِ وَالبُكَاء وَالحُزن.

٢٣- وَفِيهِ: أَنَّ الشِّدَّة إِذَا اِشتَدَّت أَعقَبَهَا الفَرَج، وَفَضل مَن يُفَوِّض الأَمر لِرَبِّهِ، وَأَنَّ مَن قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ خَفَّ عَنهُ الهَمّ وَالغَمّ كَمَا وَقَعَ فِي حَالَتَي عَائِشَة قَبلَ اِستِفسَارهَا عَن حَالهَا وَبَعدَ جَوَابهَا بِقَولِهَا: وَاَللَّه المُستَعَان[1].

عباد الله...

وفي الخطبة القادمة نواصل الحديث عن أُمّ المؤمنين عائشة رَضِي الله عَنْهَا، فإلى اللقاء - إن شاء الله.

۞۞۞۞۞

(١) «فتح الباري» (٨/ ٣٧) حديث رقم (٤٧٥٠).

الخطبة السادسة والأربعون بعد المائة:

[جـ] عائشة بنت أبي بكر

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن أُمّ المؤمنين عائشة رَضِي الله عَنْهَا.

عباد الله...

ومن المواقف الصعبة أيضًا في حياة أُمّ المؤمنين عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا: اشتراكها في موقعة الجمل.

في سنة ستٍّ وثلاثين من الهجرة دارت رَحَى هَذِهِ الموقعة بين عليّ رَضِيَ الله عَنْهُ من جهة، وبين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم من جهة أخرى.

وكان النبيُّ ﷺ قَدْ أخبر بوقوعها في أحاديث، منها:

(١) عن قَيْسٌ بن أبي حازم، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَتْ[١] عَائِشَةُ بَلَغَتْ مِيَاهَ بَنِى عَامِرٍ لَيْلاً نَبَحَتِ الكِلاَبُ، قَالَتْ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟

قَالُوا: مَاءُ الحَوْأَبِ[٢].

قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِى إِلاَّ أَنِّى رَاجِعَةٌ.

فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا: بَلْ تَقْدَمِينَ فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ فَيُصْلِحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَاتَ بَيْنِهِمْ.

قَالَتْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ: «**كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلاَبُ الحَوْأَبِ؟**»[٣].

(٢) وعن أبي حرب بن الأسود الديلي، قَالَ: شهدتُ الزُّبير خرج يُريد عليًّا، فقال له عليٌّ: أنشدك الله، هل سمعتَ رَسُول الله ﷺ يقول: «**تُقاتِله وأنت له ظالم؟**» فقال: أذكر، ثم مضى الزُّبير مُنصرفًا[٤].

عباد الله...

أما أحداثها، فملخَّصها:

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - ما مختصره: «أن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رَضِي الله عَنْهُ - لَـمَّا تولى الخلافة، ولى عبد الله بن عباس على اليمن، وولى سمرة بن جندب على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية، فسار سهل حتى بلغ تبوك فتلقته خيل معاوية، فردّوه. فرجع إلى عليّ.

وأمَّا قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر، فبايع له الجمهور وقالت طائفة: لا

---

(١) يعني من المدينة قاصدة البصرة.

(٢) الحوأب: ماء قريب من البصرة عَلَى طريق مكة.

(٣) صحيح: رواه أحمد والبزار وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (٤٧٤).

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

نبايع حتى نقتل قتلة عثمان، وكذلك أهل البصرة.

وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميرًا على الكوفة فصدَّه عنها طلحة بن خويلد[١] غضبًا لعثمان، فرجع إلى عليّ فأخبره.

وانتشرت الفتنة، وتفاقم الأمر، واختلفت الكلمة، وبعث علي إلى معاوية كُتبًا كثيرة فلم يرد عليه جوابها.

ثم بعث معاوية طومارًا مع رجل فدخل به على عليّ فقال: ما وراءك؟

قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلَّا القَود[٢] كلهم مَوتور [٣]، تركتُ سبعين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق.

فقال علي: اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك من دم عثمان.

وعزم على - رَضِي الله عَنْهُ - على قتال أهل الشام، وكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم، وإلى أبي موسى بالكوفة، وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك، وخطب الناس فحثهم على ذلك، وعزم على التجهّز وخرج من المدينة واستخلف عليها قثم بن العباس وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه مَنْ عصاه وخرج عن أمره.

ورتب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد ابن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمرو بن أبي سلمة على الميسرة، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمرو بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة، واستخلف على المدينة قثم بن العباس، ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصدًا إلى الشام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك كله وهو: أَنَّهُ لَـمَّا وقع قتل عثمان - رَضِي الله عَنْهُ - بعد أيام التشريق كان أزواج النبيّ ﷺ قَدْ خرجنّ إلى الحج في هذا العام فرارًا من الفتنة، فلما بلغ النَّاس أنَّ عثمان قد قُتل أقمنّ بمكة بعد ما خرجوا منها، ورجعوا إليها وأقاموا بها وجعلوا ينتظرون ما يصنع النَّاس.

فلما بويع لعليّ وصار حظ النَّاس عنده بحكم الحال وغلبة الرأي لا عن اختيار منه

---

(١) أسلم ثم ارتد، ثم أسلم وحسن إسلامه، وقُتِلَ شهيدًا رَضِي الله عَنْهُ.

(٢) **القود**: أن يقتل القاتل بالقتيل.

(٣) **الموتور**: صاحب الثأر.

لذلك رءُوس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان، مع أن عليًّا في نفس الأمر يكرههم ولكنه تربص بهم الدوائر ويودّ لو تمكّن منهم ليأخذ حقّ الله منهم، ولكن لَـمَّا وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه وحجبوا عنه عِلِيةَ الصَّحابة، فرّ جماعة من بني أمية(١) وغيرهم إلى مكة، واستأذنه طلحة والزبير في الاعتمار، فأذن لهما فخرجا إلى مكة وتبعهم خَلقٌ كثير.

... وقدم إلى مكَّة أيضًا في هذا العام يعلى بن أميّة من اليمن، وكان عاملًا عليها لعثمان ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم، وقدم لها عبد الله بن عامر من البصرة وكان نائبها لعثمان فاجتمع فيها خلق من سادات الصحابة وأمهات المؤمنين فقامت عائشة رضي الله عنها في الناس تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان، فاستجاب الناس لها وقالوا لها: حيثما ما سِرتِ سِرنَا معك.

فقال قائل: نذهب إلى الشام، فقال بعضهم: إن معاوية قد كفاكم أمرها.

وقال آخرون: نذهب إلى المدينة فنطلب من علي أن يسلّم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا.

وقال آخرون: بل نذهب إلى البصرة فنتقوىّ من هنالك بالخيل والرجال، ونبدأ بمن هناك من قتلة عثمان، فاتفق الرأى على ذلك.

وجهز الناس يعلى بن أمية وابن عامر، وسار الناس خلف عائشة في ثلاثة آلاف فارس، وأم المؤمنين عائشة تُحمل في هودج على جمل اسمه «عسكر»، وسار الناس قاصدين البصرة، وكان الذي يصلي بالناس عن أمر عائشة ابن أختها عبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم يؤذن للناس في أوقات الصلوات.

وقد مرّوا في مسيرهم ليلًا بماءٍ يقال له: الحوأب، فنبحتهم كلاب عنده، فلما سمعت ذلك عائشة قالت: ما اسم هذا المكان؟ قالوا: الحوأب، فضربت بإحدى يديها على الأخرى وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون ما أظنني إلا راجعة، قالوا: ولم؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه: «**ليتَ شِعْرِي أَيَّتكنَّ التي تَنبحَهُا كِلابُ الحَوأَبِ**».

---

(١) منهم الوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن عامر، وسعيد بن العاص.

ثم ضربت عضد[١] بعيرها فأناخته، وقالت: ردُّوني ردُّوني، أنا والله صاحبة ماء الحوأب.

فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ: تَرْجِعِينَ! عَسَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُصْلِحَ بِكِ بَيْنَ النَّاسِ[٢].

فارتحلوا نحو البصرة، فلما اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رءوس النَّاس أنَّها قَدْ قدمت، فبعث عثمانُ بنُ حنيف عمران بن حصين[٣] وأبا الأسود الدؤلي إليها ليعلما ما جاءت له.

فلما قدما عليها سَلَّما عليها واستَعْلَمَا منها ما جاءت له، فذكرت لهما ما الذي جاءت له من القيام بطلب دم عثمان.

فخرجا من عندها فجاءا إلى طلحة فقالا له: ما أقدمك؟

فقال: الطلب بدم عثمان.

فقالا: ما بايعتَ عليًّا؟

قال: بلى، والسّيف على عنقي، ولا أستقبله إن هو لم يُخلِ بيننا وبين قتلة عثمان.

فذهبا إلى الزبير فقال مثل ذلك، قال فرجع عمرانُ وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف فأخبراه بما سمعا، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، رَحَى الإسلام وربّ الكعبة.

ونادى في النَّاس يأمرهم بلبس السلاح.

وقدمت أُمّ المؤمنين بمن معها من النَّاس فنزلوا المربد[٤] من أعلاه قريبًا من البصرة، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يكون معها، وخرج عثمان بن حنيف بالجيش فاجتمعوا بالمربد.

ولما التقى الفريقان تكلم طلحة فندب إلى الأخذ بثأر عثمان والطلب بدمه، وتابعه

---

(١) **العضد**: ما بين المرفق إلى الكتف.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الخزاعي، صاحب راية النبي ﷺ على خزاعة يوم الفتح.

(٤) **مربد البصرة**: موضع كانت تقام فيه سوق الإبل خارج البلدة، ثم صارت تكون فيه مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء، ثم اتسع عمران البصرة فدخل المربد في العمران فكان من أجلّ شوارعها.

الزبير فتكلم بمثل مقالته، فردّ عليهما ناسٌ من جيش عثمان بن حنيف، وتكلمت أم المؤمنين فحرضت وحثت على القتال، فتناور طوائف من أطراف الجيش فتراموا بالحجارة، ثم تحاجز الناس ورجع كلُّ فريق إلى حوزته، وقد صارت طائفةٌ من جيش عثمان بن حنيف إلى جيش عائشة، فكثروا... وحجز الليل بينهم.

فلما كان اليوم الثاني قصدوا للقتال فاقتتلوا قتالًا شديدًا، إلى أن زال النهار، وكان على خيل عثمان بن حنيف: حكيمُ بنُ جَبَلة[١] - أحد المحرضين على القتال - وقُتل خلقٌ كثير من أصحاب ابن حنيف، وكثرت الجراح في الفريقين، فلما عضتهم الحربُ تداعوا إلى الصلح على أن يكتبوا بينهم كتابًا:

- أن يكفّوا عن القتال.
- ولعثمان دار الإمارة، والمسجد، وبيت المال.
- وأن ينزل طلحةُ والزُّبير من البصرة حيث شاءا.
- ولا يعرض بعضهم لبعض حَتَّى يقدم عليٌّ رَضِي الله عَنْهُ.

وجمع طلحةُ والزُّبير النَّاس وقصدوا المسجد وانتظروا عثمان بن حنيف فأبطأ ولم يحضر، وكان قَدْ بلغ عليًّا - رَضِي الله عَنْهُ - ما وقع، فكتب إلى عثمان بن حنيف يصفه بالعجز، ووقعت فتنة في المسجد من رعاع البصرة أتباع حكيم بن جبلة، وكان لها ردّ فعل من أُناس ذهبوا إلى عثمان بن حنيف قصره، فأخرجوه إلى طلحة والزبير، ولم يبق في وجهه شعرة إلَّا نتفوها[٢]، فاستعظما ذلك وبعثا إلى عائشة فأعلماها الخبر، فأمرت أن يخلّى سبيله، فأطلقوه، وولوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبي بكر، وقسّم طلحة والزبير أموال بيت المال في النَّاس، وأخذوا الحرس، واستبدوا في الأمر بالبصرة، فحمى لذلك جماعة من قوم قتلة عثمان وأنصارهم، فركبوا في جيش قريب من ثلثمائة ومقدمهم حكيم بن جبلة - وهو أحد من باشر قتل عثمان - فبارزوا وقاتلوا، فضرب

---

(١) أحد من باشر قتل عثمان.

(٢) في «تاريخ الطبري» (٥/ ١٧٨): «أمرهم بذلك مجاشع بن مسعود السّلمي، زعيم هوازن وبني سلم والأعجاز من قبائل البصرة».

رَجُلٌ رِجْلَ حكيم بن جبلة فقطعها، فزحف حتى أخذها وضرب بها ضاربه فقتله، ثم أتكأ عليه، فمر عليه رجل وهو متكئ برأسه على ذلك الرجل فقال له: من قتلك؟ فقال له: وسادتي.

ثم مات حكيم قتيلا هو ونحو من سبعين من قتلة عثمان وأنصارهم أهل المدينة، فضعف جأش من خالف طلحة والزبير من أهل البصرة، ويقال: إن أهل البصرة بايعوا طلحة والزبير.

وقد كانت هذه الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخرة سنة ست وثلاثين» ا.هـ.

عباد الله...

تقدَّم أن عليًّا رَضِيَ الله عَنْهُ كان قد تجهز قاصدًا الشام، فلما بلغه قصْد طلحة والزبير البصرة، خطب الناس وحثّهم على المسير إلى البصرة ليمنع أولئك من دخولها إن أمكن أو يطردهم عنها إن كانوا قد دخلوها، فتثاقل عنه أكثر أهل المدينة واستجاب له بعضهم.

قال الشَّعبيُّ: ما نهض معه في هذا الأمر غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع[1].

وسار عليّ رَضِيَ الله عَنْهُ من المدينة نحو البصرة في نحو من تسعمائة مقاتل، ولما بلغه خبرُ ما صنع القوم بالبصرة، كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر: «إني قد اخترتكم على الأمصار، فرغبت إليكم وفرغت لما حدث، فكونوا لدين الله أعوانًا وأنصارًا وانهضوا إلينا فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخوانًا»، فمضيا.

وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودوابّ، وقام في الناس خطيبًا فقال: «إن الله أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناسُ على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم، والحق قائم بينهم، والكتاب إمامهم، حتى أُصيب هذا الرجل[2] بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان[3] لينزغ

(١) منهم: أبو الهيثم بن التيهان، وأبو قتادة الأنصاري، وزياد بن حنظلة.
(٢) يقصد عثمان بن عفان رَضِي الله عَنْهُ.
(٣) نزغ: أفسد وأغوى.

بين هذه الأمّة، ألا وإن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن.

ثم عاد ثانية فقال: إنه لا بد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأُمّة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة؛ شرّها فرقة تحبّني ولا تعمل بعملي، وقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم، واهتدوا بهديي؛ فإنه هدى نبيكم واتبعوا سنته وأعرضوا عما أشكل عليكم حتى تعرضوه الكتاب، فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربا وبالاسلام دينًا وبمحمد نبيًّا وبالقرآن حَكَمًا وإمامًا».

فلما عزم على المسير من «الرّبذة» قام إليه ابنُ أبي رفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين أيُّ شيء تريد؟ وأين تذهب بنا؟

فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابوا إليه.

قَالَ: فإن لم يجيبوا إليه؟

قَالَ: ندعهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر.

قَالَ: فإن لم يرضوا؟

قَالَ: ندعهم ما تركونا.

قَالَ: فإن لم يتركونا؟

قَالَ: امتنعنا منهم.

قَالَ: فنعم إذًا.

وأتت جماعة من طيء وعليّ بالربذة فقيل له: هؤلاء جماعة جاؤا من طيء منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد السلام عليك، فقال: جزى الله كلًّا خيرًا ﴿وَفَضَّلَ اللَّـهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

قالوا: فسار عليّ من «الربذة» على تعبئته وهو راكب ناقة حمراء يقود فرسًا كميتًا[١]، وجاء رجلٌ من أهل الكوفة يقال له «عامر بن مطر الشيباني» فقال له عليّ: ما وراءك؟

(١) الكميت: بين الأسود والأحمر.

فأخبره الخبر.

فسأله عن أبي موسى فقال: إن أردت الصُّلح فأبو موسى صاحبه، وإن أردت القتال فليس بصاحبه.

فقال علي: والله ما أريد إلا الصُّلح مِمَّن تمَرَّد علينا.

وسار، فلما اقترب من الكوفة وجاءه الخبر بما وقع من الأمر على جليته من قَتلٍ ومن إخراج «عثمان بن حنيف» [1] من البصرة وأخذهم أموال بيت المال، جعل يقول: «اللَّهُمَّ عافني مما ابْتَلَيْتَ به طَلحَةَ والزُّبَيْر».

فلما انتهى إلى «ذي قار» أتاه عثمان بن حنيف مهشما وليس في وجهه شعرة، فقال: يا أمير المؤمنين بعثتني إلى البصرة وأنا ذو لحية وقد جِئتُك أمردًا.

فقال: «أصَبْتَ خَيرًا وأجرًا».

وأقام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بـ«ذي قار» ينتظر جواب ما كتب به مع محمد بن أبي بكر وصاحبه محمد بن جعفر، وكانا قد قدما بكتابه على أبي موسى وقاما في الناس بأمره، فلم يجابا في شيء، فلما أمسوا دخل أناسٌ من ذوي العقول على أبي موسى يعرضون عليه الطاعة لعليّ، فقال: كان هذا بالأمس. فغضب محمد ومحمد فقالا له قولاً غليظًا[2].

فقال لهما: والله إن بيعة عثمان لفي عنقي وعنق صاحبكما، فإن لم يكن بدٌّ من قتال فلا نقاتل أحدًا حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا ومن كانوا.

فانطلقا إلى علي فأخبراه الخبر وهو بذي قار، فأرسل عليٌّ إليه الحسن بن عليّ، وعمَّار ابن ياسر، وقال لعمار: انطلق فأصلح ما أفسدت، فانطلقا حتى دخلا المسجد، فلما رأى أبو موسى الحسن ضمَّه إليه وقال لعمار: يا أبا اليقظان أَعَدوتَ على أمير المؤمنين عثمان قتلته؟!

---

(١) أُنبِّه إلى أن عثمان بن حنيف صحابيّ جليل من الأنصار.

(٢) ليس فيه شيءٌ من السّب أو اللّعن كما يروي القصَّاص.

فقال: لم أفعل.

فقطع عليهما الحسن بن علي فقال لأبي موسى: لم تثبط[1] الناس عنا؟ فوالله ما أردنا إلا الإصلاح.

فقال: صدقت، بأبي وأمي، ولكن المستشار مؤتمن، سمعت من النبي ﷺ يقول: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ القَائِمِ، وَالقَائِمُ خَيْرٌ مِنْ المَاشِي، وَالمَاشِي خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي**»[2].

وقد جعلنا الله إخوانا وحرّم علينا دماءنا وأموالنا.

فقام زيد بن صوحان فقال: «أيُّها النَّاس سيروا إلى أمير المؤمنين وسيِّد المسلمين، سيروا إليه أجمعون».

فقام القعقاع بن عمرو فقال: «إن الحق ما قاله الأمير[3]، ولكن لا بد للناس من أمير يردع الظالم ويعدي المظلوم وينتظم به شمل النَّاس، وأمير المؤمنين عليّ ولّي بما ولّي وقد أنصف بالدُّعاء، وإنما يريد الإصلاح فانفروا إليه». ثم تراسل الناسُ في الكلام.

وسمع عمّار رجلاً يسبّ عائشة، فقال: اسكت مقبوحًا منبوحًا، والله إنها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها»[4].

وقام حجر بن عدي فقال: أيُّها النَّاس سيروا إلى أمير المؤمنين، ﴿**انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة: ٤١]، واستجاب النَّاس للنفير[5]، فخرج مع الحسن تسعة آلاف في البرّ وفي دجلة ويقال سار معه اثنى عشر ألف رجل ورجل واحد، وقدموا على أمير المؤمنين

---

(١) ثبطه: بطّأه، وعوّقه، لوّاه عن سيره.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) يقصد أبا موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) رواه البخاري (٧١٠٠).

(٥) ويقال: إن عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعث الأشتر فعزل أبا موسى عن الكوفة وأخرجه من قصر الإمارة من تلك الليلة.

فتلقّاهم بذي قار، فرحب بهم وقال: يا أهل الكوفة أنتم لقيتم ملوك العجم ففضضتم جموعهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك الذي نريده، وإن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤنا بالظلم، ولم ندع أمرًا فيه صلاح إلَّا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تَعَالَى».

فاجتمعوا عنده بذي قار، وكان من المشهورين من رؤساء من انضاف إلى عليّ: القعقاع بن عمرو، وسعد بن مالك، وهند بن عمرو، والهيثم بن شهاب، وزيد بن صوحان، والأشتر، وعدي بن حاتم، والمسّيب بن نجية، ويزيد بن قيس، وحجر بن عدي، وأمثالهم.

عباد الله...

ثم ماذا؟

نواصل الحديث بعد قليل، إن شاء الله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

كانت عبد القيس بكمالها بين عليّ وبين البصرة ينتظرونه وهم ألوف، فبعث عليٌّ القعقاع رسولًا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الأُلفة والجماعة، ويعظّم عليهما الفرقة والاختلاف، فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أُمّ المؤمنين فقال: أي أُمّاه ما أقدمك هذا البلد؟

فقالت: أي بُنيّ، الإصلاح بين النَّاس.

فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا فقال القعقاع: إني سألتُ أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت: إنما جئت للإصلاح بين النَّاس، فقالا: ونحن كذلك.

قَالَ: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ وعلى أي شيء يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحنّ ولئن أنكرناه لا نصطلحنّ.

قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركًا للقرآن.

فقال: قتلتُما قتلته من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف، فاعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير[1] فمنعه ستة آلاف، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذي حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه[2]،وكما أنكم عجزتم عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير لقيام ستة آلاف في منعه ممن يريد قتله فعليّ أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإنما أخر قتل قتلة عثمان إلى أن يتمكن منهم فإن الكلمة في جميع الأمصار مختلفة.

ثم أعلمهم أن خَلقًا من ربيعة ومُضَرَ قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذي وقع.

فقالت له عائشة أم المؤمنين: فماذا تقول أنت؟

قَالَ: أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا[3]، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة، وإدراك الثأر، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر وائتنافه كانت علامة شر وذهاب هذا المُلك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا، ولا تعرّضونا للبلاء فتتعرّضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقول قولي هذا وأدعوكم إليه وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل، فإن هذا الأمر الذي قد حدث أمر

---

(١) أحد المشاركين في قتل عثمان، والخارجين عليه، وهو رأس الخوارج.

(٢) انطلاقًا من القاعدة الأصولية التي تقول: يُختار أعلى المصلحتين، ويُرتكب أخفّ المفسدتين عند التزاحم.

(٣) **اختلجوا:** تحركوا.

عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة القبيلة.

فقالوا: قد أصبت وأحسنت، فارجع فإن قَدِمَ عليٌّ وهو على مثل رأيك صلح الأمر.

قال فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح.

عباد الله...

فهل تم الصلح فعلًا؟

هذا ما سوف نذكره في الخطبة القادمة - إن شاء الله - فإلى اللقاء.

۞۞۞۞۞

الخطبة السابعة والأربعون بعد المائة:

[د] عائشة بنت أبي بكر

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن أُمِّ المؤمنين عائشة رَضِي الله عَنْهَا.

عباد الله...

ونكمل اليوم - إن شاء الله - الحديث عن موقعة الجمل.

قلنا في الخطبة الماضية، أن المسلمين أشرفوا عَلَى الصُّلح.

وأرسلت عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا إلى عليّ تعلمه أنها إنما جاءت للصّلح، ففرح هؤلاء وهؤلاء، وقام عليٌّ في الناس خطيبًا، فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الإسلام

وسعادة أهله بالألفة والجماعة... ثم قَالَ: ألا إني مرتحل غدًا فارتحلوا ولا يرتحل معي أحد أعان على قتل عثمان بشيء من أمور النَّاس، فلما قال هذا اجتمع من رءوس الثوّار - الذين خرجوا عَلَى عثمان - جماعة كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء[١]، وسالم بن ثعلبة، وغلاب بن الهيثم، وغيرهم في ألفين وخمسمائة وليس فيهم صحابي ولله الحمد، فقالوا: غدا يجمع عليكم النَّاس، وإنما يريد القوم كلّهم أنتم.

فقال الأشتر: فإنما اصطلحوا على دمائنا.

وبعد محاورات ومشاورات، قال ابن السوداء - قبَّحه الله-: يا قوم إن عيركم في خلطة النَّاس[٢]، فإذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون.

فلقي كلامه استحسانًا وتفرقوا عليه، وأصبح علي مرتحلا، ومرّ بعبد القيس فساروا معه حتى نزلوا بالزاوية، وسار منها يريد البصرة.

وسار طلحةُ والزُّبير ومن معهما للقائه، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد، ونزل الناس كل في ناحية.

فمكثوا ثلاثة أيام والرسل بينهم، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين.

وجاء في غبون ذلك «الأحنف بن قيس» في جماعة فانضاف إلى علي، وكان قد بايع عليًّا بالمدينة، وذلك أنه قدم المدينة وعثمان محصور فسأل عائشة وطلحة والزبير: إن قُتل عثمان مَن أُبايع؟ فقالوا: بايع عليًّا. فلما قتل عثمان بايع عليًّا.

والمقصود: أن الأحنف لما انحاز إلى علي ومعه ستة آلاف قوس، فقال لعليّ: إن شئت قاتلت معك، وإن شئت كففتُ عنك عشرة آلاف سيف.

---

(١) اليهوديّ الذي دخل الإسلام ظاهرًا، وأبطن الكفر، هو رأس الأفعى، مدبر المؤامرات، ومحرّك الفتن.

(٢) أي للصلح.

فقال: اكفف عنا عشرة آلاف سيف.

ثم بعث علي إلى طلحة والزبير يقول: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر.

فأرسلا إليه في جواب رسالته: إنا على ما فارقنا القعقاع بن عمرو من الصلح بين النَّاس، فأطمأنت النفوس وسكنت، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم وبعثوا إليه محمد بن طليحة السّجّاد، وبات النّاسُ بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشرّ ليلة، وباتوا يتشاورون[1]، وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس[2]، فنهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألفي رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف، فثارت كُلّ طائفة إلى قومهم ليمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح فقالوا: طرقتنا أهل الكوفة ليلا، وبيّتونا وغدروا بنا، وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب علي، فبلغ الأمرُ عليًّا فقال: ما للناس؟

فقالوا: بيّتنا أهل البصرة، فثار كُلّ فريق إلى سلاحه، ولبسوا اللأمة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحدٌ منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

وقامت الحرب على ساق وقدم، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان، وتواقف الفريقان، وقد اجتمع مع علي عشرون ألفًا والتفّ على عائشة ومن معها نحوًا من ثلاثين ألفًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

والسابئة أصحاب ابن السوداء - قبحه الله - لا يفترون[3] عن القتل، ومنادى علي ينادي: ألا كفُّوا، إلا كفُّوا، فلا يسمع أحدٌ.

وجاء كعب بن سوار قاضي البصرة فقال: يا أم المؤمنين أدركي النَّاس، لعل الله أن يصلح بك بين النَّاس.

فجلست في هودجها فوق بعيرها، وسيروا الهودج بالدروع، وجاءت فوقفت

(١) يعني: قتلة عثمان.

(٢) الغلس: عند طلوع الفجر.

(٣) لا يفترون: لا يتوقفون.

بحيث تنظر إلى الناس عند حركاتهم، فتصاولوا وتجاولوا، وكان في جملة من تبارز: الزبير، وعمار، فجعل عمار ينخره بالرمح، والزبير كافّ عنه ويقول له: أتقتلني يا أبا اليقظان؟ فيقول: لا يا أبا عبد الله.

وإنما تركه الزبير لقول رسول الله ﷺ: «**تقتلكَ الفئةُ الباغية**»[١]. وإلا فالزبير أقدر عليه منه عليه، فلهذا كفّ عنه، وقد كان من سنَّتهم في هذا اليوم أنه لا يذففُ عَلَى جريح ولا يتبع مدبر، وقَدْ قُتل مع هذا خلق كثير جدًّا.

قال مبارك بن فضالة عن الحسن بن أبي بكرة: لَـمَّا اشتد القتال يوم الجمل ورأى عليّ الرءوس تندر[٢]، أخذ عليٌّ ابنه الحسن فضمّه إلى صدره ثم قَالَ: «إنا لله يا حسن، أيُّ خير يُرجى بعد هذا؟».

وفي رواية أخرى: «ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عامًا»[٣].

وعن حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال: لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير ودنت الصفوف بعضها من بعض، خرج علي وهو على بغلة رسول الله ﷺ فنادى: ادعوا لي الزبير بن العوّام فأنّي عليّ، فدُعي له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال علي: يا زبير نشدتك الله أتذكر يوم مرّ بك رسول الله ﷺ ونحن في مكان كذا وكذا فقال: «**يا زبير ألا تحب عليًّا؟**» فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي، وعلى ديني؟! فقال: «**يا زُبَيرُ أما والله لَتُقاتلنَّه وأنت ظالمٌ لَهُ**».

فقال الزبيرُ: بلى والله، لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ﷺ ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك[٤].

ثُمَّ مضى الزُّبير منصرفًا، فلقيه ابنه عبد الله بن الزبير فقال: جُبنًا جُبنًا، قال: قَدْ علم النَّاس أنّي لست بجبان، ولكن ذكّرني عليّ بشيء سمعتُهُ من رسول الله ﷺ فحلفتُ أن

(١) رواه البخاري ومسلم، وغيرهما.

(٢) **تندر**: تسقط.

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٤٦/ ٣٧٨٢٤).

(٤) أخرجه الحاكم بنحوه (٣/ ٣٣٦)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

لا أُقاتله، ثُمَّ قَالَ:

تـركُ الأمـور الـتي أخشى عَواقبها ... في الله أحـسَنُ في الدُّنـيا والـدِّين

والمقصود: أن الزُّبير لَـمَّا رجع يوم الجَملِ سار فنزل واديًا يقال له: وادي السِّباع، فاتبعه عمرو بن جرموز، فجاءه وهو نائم فقتله غيلة.

وأمَّا طلحة: فجاءه سهمٌ غربٌ[1]، فانتظم رجله مع فرسه فجمحت به الفرس فجعل يقول: «إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله»، فاتبعه مولى له فأمسكها، فقال له: «ويحَك، اعدِل بي إلى البيوت»، وامتلأ خُفّه دمًا، فقال لغلامه: «انزعه وأردِفني»، وذلك أَنَّهُ نزفه الدم وضعُف، فركب الغلامُ وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه رَضِي الله عَنْهُ.

وتقدمت عائشة رضي الله عنها في هودجها، وناولت كعب بن سوار قاضي البصرة مصحفًا وقالت: ادعهم إليه.

فلما تقدم «كعب بن سوار» بالمصحف يدعو إليه، استقبله مقدمة جيش الكوفيين، وكان عبد الله بن سبأ وهو ابن السوداء وأتباعه بين يدي الجيش يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة، فلما رأوا كعب بن سوار رافعًا المصحف رشقوه بنبالهم فقتلوه، ووصلت النبالُ إلى هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فجعلت تنادى: «الله الله يا بني، اذكروا يوم الحساب»، ورفعت يديها تدعو على أولئك النفر من قتلة عثمان، فضجّ النَّاس معها بالدُّعاء حتى بلغت الضجةُ إلى عليّ فقال: ما هذا؟

فقالوا: أُمّ المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم.

فقال: اللَّهُمَّ العن قتلة عثمان.

---

(١) غرب: لا يُدرى راميه. قَالَ ابن كثير في «البداية» (٥/ ٣٣٨): «يقال: رماه به مروان بن الحكم، فالله أعلم».

قلت: لا يصحّ، وإن صحّحه الحاكم، فالحاكم معروف بتساهله، وقول ابن كثير «يقال» فيه إشارة إلى ضعفه، والله أعلم. وللمزيد انظر «حاشية العواصم من القواصم» (١٦٠).

تنبيه: تنبأ النبي ﷺ باستشهاده، ففي «صحيح الترمذي» (٢٩٤٠) قَالَ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ**» وستأتي قصّته إن شاء الله تعالى.

وجعل أولئك النفر لا يقلعون عن رشق هودجها بالنّبال حتى بقى مثل القنفذ، وجعلت تحرّض النَّاس على منعهم وكَفّهم، فحملت مُضَر حملة فطردوهم حَتَّى وصلت الحملة إلى الموضع الذي فيه علي بن أبي طالب، فقال لابنه محمد ابن الحنفية: ويحك تقدم بالراية، فلم يستطع فأخذها عليّ من يده فتقدم بها، وجعلت الحرب تأخذ وتعطى، فتارة لأهل البصرة وتارة لأهل الكوفة، وقتل خلق كثير، وجمّ غفير، ولم تُر وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة، وقتل حول الجمل خلقٌ كثير، وكان منهم محمد بن طلحة المعروف بالسَّجاد، ثُمَّ جاء رجل فضرب الجمل عَلَى قوائمه فعقره وسقط إلى الأرض، ويقال: إن الذي أشار بعقر الجمل عليّ، وقيل: القعقاع بن عمرو لئلا تُصَاب أُمّ المؤمنين، فإنها بقيت غرضًا للرماة.

ولما سقط البعير إلى الأرض انهزم من حوله من النَّاس، وأمر عليّ نفرًا أن يحملوا الهودج من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر وعمَّارًا أن يضربا عليها قُبّة، وجاء إليها عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين مُسَلِّمًا فقال: كيف أنتِ يا أُمّه؟

قالت: بخير.

فقال: يغفر الله لكِ.

وجاء وجوهُ النَّاس من الأمراء والأعيان يسلمون عليها.

فلما كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرة، ومعها أخوها محمد بن أبي بكر، فنزلت في دار عبد الله بن خلف الخزاعي - وهي أعظم دار بالبصرة - على صفية بنت الحارث ابن أبي طلحة بن عبد العُزَّي بن عثمان بن عبد الدار، وهي أُمّ طلحة الطلحات عبد الله ابن خلف، وتسلل الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة، وأقام عليّ بظاهر البصرة ثلاثًا، وقد طاف عليّ بين القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحم عليه ثُمَّ صلى عَلَى القتلى من الفريقين، وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء، رحمهم الله ورضي عن الصحابة منهم.

وقد سأل بعض أصحاب عليّ عليًا أن يقسّم فيهم أموال أصحاب طلحة والزُّبير، فأبى عليه، فطعن فيه السبئيّة وقالوا: كيف يحلّ لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم؟

فبلغ ذلك عليًّا فقال: أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟ فسكت القوم.

ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها عليّ رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذِنَ لمن سَلِم ممن جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن يحب المقام، واختار لها أربعين امرأةً من نساء أهل البصرة المعروفات، وسَيَّر معها أخاها محمد بن أبي بكر، فلمَّا كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء عليّ فوقف على الباب وحضر النَّاس، وخرجت من الدار في الهودج فودّعت الناس ودعت لهم وقالت: «يا بني لا يعتب بعضنا على بعض».

وسار علي معها مودّعًا ومُشيّعًا أميالًا، وسّرح بنيه معها بقية ذلك اليوم، وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين، وقصدت في مسيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجّت عامها ذلك، ثم رجعت إلى المدينة رَضِيَ الله عَنْهَا.

عباد الله...

هذا ملخّص ما ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»، مع إضافات ألجأتنا الضرورة إليها.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وخلاصة الكلام:

(١) أنَّ عليّ بن أبي طالب - رَضِي الله عَنْهُ - رأى اجتماع شمل الأُمّة أوّلًا، ثُمَّ تعقُّب قَتلة عُثمان ثانيًا.

(٢) أما طلحة والزُّبير وعائشة رضي الله عنهم فرأوا تعقّب قَتلة عُثمان أوّلا، ثُمَّ اجتماع شمل الأُمة ثانيًا.

(٣) أن السبب في نشوب القتال بين الفريقين قتلةُ عُثمان بقيادة عبد الله بن سبأ، كما تقدّم.

(٤) أنَّ الحقّ - بلا شك - كان مع عليّ - رَضِيَ الله عَنْهُ - دون تأثيم الطرف الثاني، لأَنَّهُ مجتهد، والمجتهد مأجور.

قَالَ الشيخ الألباني - رحمه الله -: ولا نشك أن خروج أمّ المؤمنين كان خطأ من أصله، ولذلك همّت بالرجوع حين علمت بتحقق نبوءة النبي ﷺ عند الحوأب، ولكن الزُّبير أقنعها بترك الرجوع بقوله: «عسى الله أن يصلح بك بين الناس».

ولا شك أَنَّهُ كان مخطئًا في ذلك أيضًا، والعقل يقطع بأنه لا مناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى[١]، ولا شك أن عائشة رضي الله عنها هي المخطئة، لأسباب كثيرة وأدلة واضحة، ومنها ندمها عَلَى خروجها، وذلك هُوَ اللائق بفضلها وكمالها، وذلك مما يدلّ عَلَى أن خطأها من الخطأ المغفور، بل المأجور».

قَالَ الإمام الزيلعي[٢]: وقد أظهرت عائشة رضي الله عنها الندم، كما أخرجه ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب، عن ابن أبي عتيق، وهو عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصِّدِّيق - قَالَ: «قالت عائشة لابن عُمَر: يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قَالَ: رأيتُ رجلًا غلب عليك - يعني الزُّبير -. فقالت: أما والله، لو نهيتني ما خرجتُ» ا.هـ[١].

عباد الله...

وبقيت في قصة أُمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقيّة، نلتقي معها في الخطبة القادمة - إن شاء الله تعالى - فإلى اللقاء.

اللَّهمّ احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تُشمت بنا أعداء ولا حاسدين.

آمين... آمين... آمين

وآخر دعوانا؛ أن الحمد لله ربّ العالمين

---

(١) في «نصب الراية» (٤/ ٦٩، ٧٠).
(٢) آلاف، كما تقدّم.
(٣) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٨٥٤).

الخطبة الثامنة والأربعون بعد المائة:

[هـ] عائشة بنت أبي بكر

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن أُمِّ المؤمنين عائشة رَضِي الله عَنْهَا.

عباد الله...

نذكر اليوم - إن شاء الله تَعَالى - موقفًا حدث لعائشة رَضِي الله عَنْها مع النَّبيِّ الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فيه كثيرٌ من الدروس والعظَات والفوائد:

روى الإمام أحمد في «مسنده»[١]، ومسلم في «صحيحه»[٢]، وغيرهما عن مُحَمَّد بن قيس بن مخرمة بن المطلب؛ أَنَّهُ قَالَ يومًا: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ أُمِّي؟ فَظَنَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أُمَّهُ الَّتِي وَلَدَتْهُ، فَقَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ رَيْثَمَا ظَنَّ أَنِّي قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْداً وَانْتَعَلَ رُوَيْداً، وَفَتَحَ البَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْداً، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى أَثَرِهِ حَتَّى جَاءَ البَقِيعَ، فَقَامَ فَأَطَالَ القِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ إِلاَّ أَنِ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ فَقَالَ: «**مَا لَكِ يَا عَائِشُ حَشْيَاءَ رَابِيَةً؟**».

قَالَتْ: قُلْتُ: لاَ شَيْءَ يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**لَتُخْبِرِنَّنِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**».

قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ.

قَالَ: «**فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟**».

قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَزَنِي فِي ظَهْرِي لَهْزَةً فَأَوْجَعَتْنِي، وَقَالَ: «**أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ عَلَيْكِ اللهُ وَرَسُولُهُ؟**».

قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ.

قَالَ: «**نَعَمْ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي فَأَخْفَاهُ مِنْكِ، فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَدْخُلَ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنَّكِ قَدْ رَقَدْتِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ جَلَّ وَعَزَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ**

---

(١) «المسند» (٦/ ٢٢١).

(٢) «صحيح مسلم» (٩٧٤).

البَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ».

قَالَتْ: فَكَيْفَ أَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ: «**قُولِي السَّلاَمُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَلاَحِقُونَ**».

عباد الله...

وفي هَذِهِ القصّة فوائد[1]:

الفائدة الأولى:

أن أُمهات المؤمنين أمهات للجميع، وأن احترام أمهات المؤمنين واجبٌ، قَالَ تَعَالى: ﴿**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا**﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فهنّ محرمات علينا، والذي يقذف واحدة من أمهات المؤمنين بالفاحشة فهو كافر، لأنه كذَّب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لَـمَّا أخبر أن الطيبات للطيبين، فالنبي ﷺ أطيب الطيبين، وما جعل الله تحت نبي امرأة بغي.

هناك بعض الكفار يقولون: إن عائشة - والعياذ بالله - قَدْ ارتكبت الفاحشة، ويقولون: إن مهديهم سيخرج آخر الزمان ويخرجها من قبرها ويقيم عليها حدّ الرجم، لعنة الله عليهم.

فاحترام أمهات المؤمنين واجب، ومَن قذف عائشة بما برأها الله منه فهو كافر، لأن الله برأها مِمَّا رماها المنافقون به مِن فوق سبع سموات في سورة النور.

الفائدة الثانية:

أن النبيّ ﷺ كان رفيقًا لطيفًا حسن العشرة لزوجته، ولذلك بقي في الفراش حَتَّى ظنّ أن عائشة قَدْ نامت حَتَّى لا تستوحش إذا أيقظها وخرج، أو خرج قبل أن تنام.

الفائدة الثالثة:

استحباب إطالة الدعاء، لأن النبي ﷺ مكث عند البقيع وأطال الدعاء.

---

(١) «من القصص النبوي» لمحمد بن صالح المنجد (٢٩٢ وما بعدها)، بتصرف واختصار، وإضافة.

الفائدة الرابعة:

استحباب رفع اليدين في الدعاء، وقَدْ ورد هذا في أكثر من مائة حديث.

الفائدة الخامسة:

استحباب زيارة القبور، وزيارة القبور مشروعة للاتعاظ والتذكير بأمور الآخرة، شريطة ألا يكون هناك ما يغضب الرَّب، فكثيرًا ما يقع إغضاب الرب بل والشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ عند المقابر، كدعاء المقبورين والاستغاثة بالموتى من دون الله.

وهذه الأضرحة المبنية والقباب عَلَى القبور، والخرق المعقودة بشبابيك القبور، ووضع الأموال، وحلق الرأس عند القبر، والطواف بالقبر، وتقبيل الأعتاب، فهذه مغالة وشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، ونداء الميِّت، كل ذَلِكَ شرك بالله عز جل.

أما الزيارة الشرعيّة التي ليس فيها شركَ ولا بدعة ولا أمر محرَّم؛ فإنها للرجال عبادة وقُربة إلى الله، لقوله ﷺ: «**أَلَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فزوروها فإنها تُذكركم الآخرة، ولتزدكم زيارتها خيرًا، فمن أراد أن يزور فليزر وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا**»[1]. لا تقولوا شيئًا محرَّمًا فالهجر الكلام الفاسد، فإنه كان من عادة أهل الجاهلية أن يتكلموا بكلام جاهلي عند القبور.

ندبنا رسول الله ﷺ إلى زيارة القبور؛ لأن فيها موعظة، قَالَ ﷺ: «**إِنِّي نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً**»[2].

والعبرة هي تذكّر الموت، وأن المقبرة تذكرة الآخرة.

وفي رواية: «**أَلَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، ألا فَزُورُوهَا، فإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ العَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا**»[3].

ومعنى أنها ترق القلب: أي: تزيل قسوته، وهذا من فوائد زيارة القبور، وهذه أمور مرتبطة ببعض، فإن رقة القلب وتذكّر الموت وتذكرة الآخرة، كل هَذِهِ أشياءٌ

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٧)، وأبو داود (٣٢٣٥)، والنسائي (٢٠٢٣)، (٤٤٢٩)، وأحمد.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٣٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٢٨٧).

(٣) حسن: أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٧)، والحاكم، وحسنه الألباني.

مترابطة.

وكذلك فإن الزيارة - كما قلنا - خاصة بالرجال عَلَى الراجح، لحديث: «**لعن الله زوارات القبور**»، «**لعن الله زائرات القبور**»، وأما الأحاديث التي يؤخذ منها جواز زيارة النساء للقبور فهي منسوخة بأحاديث النهي، ولعن زوارات القبور يدل عَلَى التحريم ولا شك؛ لأن النبي ﷺ لا يلعن عَلَى شيء مباح أو مكروه، فلا يكون اللعن إلا عَلَى شيء محرّم.

ولكن كما قلنا: إن المرأة إذا مرت بقبر النبي ﷺ وهي داخلة من باب الحرم أو خارجة من باب الحرم أو مرّت بالقبور وهي سائرة فإنها تُسلم وتقول كما علَّم النبي ﷺ عائشة» ا.هـ.

قلت[1]: وفي مسألة الزيارة للنساء أقوال أخرى:

قَالَ الشيخ الألباني - رَحِمَهُ الله -: «والنساء كالرجال في استحباب زيارة القبور، لوجوه:

الأول: عموم قوله ﷺ: «..**فزوروا القبور**» فيدخل فيه النساء.

وبيانه: أن النبي ﷺ لما نهى عن زيارة القبور في أول الأمر، فلا شك أن النهي كان شاملا للرجال والنساء معًا، فلما قَالَ: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ**» كان مفهومًا أنه كان يعني الجنسين، فإذا كان الأمر كذلك، كان لزاما أن الخطاب في الجملة الثانية من الحديث وهو قوله: «فزوروها» إنما أراد به الجنسين أيضًا.

ويؤيده أن الخطاب في بقية الأفعال المذكورة في روايته: «**وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الأَضَاحِيِّ أَنْ تُمْسِكُوهَا فَوْقَ ثَلَاثٍ فَأَمْسِكُوهَا مَا بَدَا لَكُمْ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ النَّبِيذِ إِلَّا فِي سِقَاءٍ فَاشْرَبُوا فِي الأَسْقِيَةِ كُلِّهَا وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا**».

أقول: فالخطاب في جميع هذه الأفعال موجه إلى الجنسين قطعًا، كما هو الشأن في الخطاب الأول: «كنت نهيتكم».

---

(١) سعد يوسف أبو عزيز.

فإذا قيل بأن الخطاب في قوله: «فزوروها» خاص بالرجال، اختل نظام الكلام وذهبت طلاوته، الأمر الذي لا يليق بمن أوتي جوامع الكلم، ومن هو أفصح من نطق بالضاد، ﷺ، ويزيده تأييدًا الوجوه الآتية:

الثاني: مشاركتهن الرجال في العلة التي من أجلها شرعت زيارة القبور: «**فإنَّهَا تُرِقُّ القَلْبَ، وَتُدْمِعُ العَيْنَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ**».

الثالث: أن النبي ﷺ قد رخَّص لهنّ في زيارة القبور، في حديثين حفظتهما لنا أُمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

١ - عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَقْبَلَتْ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ المَقَابِرِ فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ؟ قَالَتْ: مِنْ قَبْرِ أَخِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لَهَا: أَلَيْسَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ كَانَ نَهَى، ثُمَّ أَمَرَ بِزِيَارَتِهَا.

وفي رواية عنها: «أن رسول الله ﷺ رخّص في زيارة القبور».

٢ - عن مُحَمَّد بن قيس بن مخرمة بن المطلب؛ أَنَّهُ قَالَ يومًا: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ أُمِّي؟ فَظَنَنَّا أَنَّهُ يُرِيدُ أُمَّهُ الَّتِي وَلَدَتْهُ، فَقَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ رَيْثَمَا ظَنَّ أَنِّي قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْداً وَانْتَعَلَ رُوَيْداً، وَفَتَحَ البَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْداً، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي وَاخْتَمَرْتُ وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي[1]، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى أَثَرِهِ حَتَّى جَاءَ البَقِيعَ، فَقَامَ فَأَطَالَ القِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ إِلاَّ أَنِ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ فَقَالَ: «**مَا لَكِ يَا عَائِشُ**[2] **حَشْيَاءَ**[3] **رَابِيَةً؟**».

---

(١) بغير باء التعدية، بمعنى: لبست إزاري، فلهذا عدي بنفسه.

(٢) يجوز في عائش فتح الشين وضمها، وهما وجهان جاريان في كل المرخمات.

(٣) بفتح المهملة وإسكان المعجمة، معناه: وقع عليك الحشا، وهو الربو والتهيج الذي يعرض =

قَالَتْ: قُلْتُ: لاَ شَيْءَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «لَتُخْبِرِنِّني أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الخَبِيرُ». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ: «فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟». قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَزَنِي فِي ظَهْرِي لَهْزَةً[1] فَأَوْجَعَتْنِي، وَقَالَ: «أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ عَلَيْكِ اللهُ وَرَسُولُهُ؟». قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ.

قَالَ: «نَعَمْ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي فَأَخْفَاهُ مِنْكِ، فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَدْخُلَ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنَّكِ قَدْ رَقَدْتِ. فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ جَلَّ وَعَزَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ البَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ». قَالَتْ: فَكَيْفَ أَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «قُولِي السَّلاَمُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمُ اللهُ المُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلاَحِقُونَ»[2].

لكن لا يجوز لهنّ الإكثار من زيارة القبور والتردد عليها، لأن ذَلِكَ قَدْ يفضي بهن إلى مخالفة الشريعة، مثل الصياح والتبرج، واتخاذ القبور مجالس للنزهة، وتضييع الوقت في الكلام الفارغ، كما هو مشاهد اليوم في بعض البلاد الإسلامية، وهذا هو المراد - إن شاء الله - بالحديث المشهور: «لعن رسول الله ﷺ - وفي لفظ: لعن الله - زوّارات القبور»[3].

قَالَ القرطبي: «اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة، ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج، وما ينشأ من الصياح ونحو ذَلِكَ، وقد يقال: إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهنّ، لأن تذكّر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء».

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٤ / ٩٥): «وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة في الظاهر» ا.هـ[4].

= للمسرع في مشيه من ارتفاع النفس وتواتره، وقوله: رائبة: أي مرتفعة البطن.

(١) اللهز: الضرب بجمع الكف.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٤)، وغيره.

(٣) صحيح.

(٤) «تلخيص أحكام الجنائز» للألباني (٧٨ - ٨١).

ويجوز زيارة قبر مَن مات عَلَى غير الإسلام للعبرة فقط، فقد جاء في هذا أحاديث، منها:

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِى أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِى، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِى أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِى، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»(١).

وفي حديث النهي عن الاستغفار للكفار لأن النبي ﷺ لم يؤذن له بالاستغفار لأمه لأنها ماتت عَلَى الشِّرك.

عباد الله...

وقَدْ يسأل سائل: وما حُكم الإسلام في قراءة القرآن عَلَى المقابر؟

والجواب سيأتي بعد قليل إن شاء الله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

أما قراءة القرآن عند زيارة المقبرة كالفاتحة، فإنه لا أصل له في السُّنة أبدًا، ولم يرد ذلك عن النبي ﷺ في حديث صحيح واحد، ومَن زعم غير ذلك فليأتِ بعلم إن كان من الصادقين.

ولما علَّم النبي ﷺ عائشة رَضِي الله عَنْهَا علَّمها السلام والدُّعاء، ولم يعلمها أن تقرأ الفاتحة أو غيرها من القرآن.

وقال ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»(٢)، فقد أشار ﷺ أن القبور ليست موضعًا لقراءة القرآن شرعًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦)، وأبو داود (٣٢٣٤)، والنسائي (٢٠٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٠).

وقال ﷺ: «صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا» (١). لأن المقابر لا يجوز الصلاة فيها، إلا صلاة الجنازة لمن فاتته صلاتها فيجعل القبر بينه وبين القبلة ويصلي، فصلاة الجنازة هي الجائزة فقط، وأي صلاة أخرى في القبور لا تجوز. وذلك مذهب جمهور السلف، كأبي حنيفة ومالك وغيرهما، كراهة قراءة القرآن عند القبور.

قال أبو داود -رَحِمَهُ الله - : سمعت أحمد سُئل عن القراءة عند القبور، فقال: لا.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» (٢): «ولا يحفظ عن الشافعي نفسه في هذه المسألة كلامًا؛ لأن ذلك كان عنده بدعة، وقال مالك: ما علمت أحدًا يفعل ذلك، فعلم أن الصحابة والتابعين ما كانوا يفعلونه» ا.هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاختيارات العلمية»: «والقراءة عَلَى الميت بعد موته بدعة».

فقط الذي جاء في القراءة عن الصحابة بعض الآثار في قراءة «يس» عَلَى المحتضر وليس عَلَى الميت، فقد ورد عن بعض الصحابة وليس حديثًا مرفوعًا، أما الميت فلا يُقرأ عنده لا «يس» ولا غير «يس» لا قبل الدفن ولا بعد الدفن.

عباد الله...

وللحديث بقية - إن شاء الله - فإلى اللقاء.

✡✡✡✡✡

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٧).
(٢) ص (٣٨٠).

الخطبة التاسعة والأربعون بعد المائة:

[و] عائشة بنت أبي بكر

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن سيرة أُم المؤمنين عائشة رَضِي الله عَنْهَا.

عباد الله...

وما زال الحديث موصولًا أيضًا عن الفوائد المأخوذة من حديث زيارة النَّبيّ ﷺ للبقيع.

وقلنا: إن الفائدة الخامسة: استحباب زيارة القبور، وتكلمنا عقب هذه الفائدة عن مشروعية زيارة القبور للرجال، قولًا واحدًا، والنساء عَلَى الراجح.

وقلنا: لا تجوز قراءة القرآن عَلَى القبر، وقلنا كذلك بجواز زيارة قبر المشركين للاتعاظ، ولكن لا نستغفر لهم.

ومن الأمور التي تتعلق بزيارة قبور المسلمين أيضًا:

الدعاء لهم:

والإنسان إذا دعا عند القبور يرفع يديه في الدعاء، للحديث الذي مر معنا، والدعاء عبادة فيجب أن يفعل بالطريقة الشَّرعيَّة.

قَالَ شيخ الإسلام - رَحِمَهُ الله -: «وهذا أصل مستمر فإنه لا يستحب للداعي أن يستقبل إلا ما يستحب أن يصلي إليه، ألا ترى أن المسلم لَـمَّا نهي عن الصلاة إلى جهة المشرق وغيرها فإنه يُنهى أن يتحرى استقبالها وقت الدعاء.

ومن النَّاس من يتحرى وقت دعائه استقبال الجهة التي دُفن فيها رجل صالح، وهذا ضلال بيِّن وشرك واضح، كما أنه يمتنع من استدبار الجهة التي فيها بعض مقدسيهم من الصالحين، ويستدبر الجهة التي فيها بيت الله، وكل ذَلِكَ من البدع التي تضاهي دين النصارى»[1].

إذًا لا يستلم القبر بيده ولا يُقبله ولا يستقبله في الدعاء، فإذا قصد السلام عَلَى ميِّت جاءه فسلم عليه من قِبَل وجهه، فإذا أراد التحول للدعاء فإنه يتجه إلى الكعبة ويستقبل القبلة.

قَالَ شيخ الإسلام - رَحِمَهُ الله - في «القاعدة الجليلة التوسل والوسيلة»: «ومذهب الأئمة الأربعة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة الإسلام: أن الرجل إذا سلم عَلَى النبي ﷺ وأراد أن يدعو لنفسه فإنه يستقبل القبلة».

فإذا دخلت المسجد النبوي وأرادت أن تُسلِّم عَلَى النبي؛ تقف أمام القبر وتُسلِّم عليه وتقول: السلام عليك يا رسول الله، وإذا أرادت أن تدعو؛ تستدبر وتستقبل القبلة.

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٣٦٥).

وللأسف ترى بعض الجهلاء وبعض الصوفية يستقبلون القبر ويستدبرون الكعبة، فيدعو للقبر والكعبة ورائه.

قَالَ شيخ الإسلام: «قَالَ الثلاثة؛ مالك والشافعي وأحمد: يستقبل الحجرة ويُسلم عليه من تلقاء وجهه، وقال أبو حنيفة: لا يستقبل الحجرة وقت السلام، كما لا يستقبلها وقت الدعاء».

وهؤلاء الجهلة من الصوفية يقولون: إن مذهبهم حنفي.

وفي الدعاء لم يتنازع الأئمة الأربعة في أَنَّهُ يستقبل الكعبة لا الحجر.

عباد الله...

أما بالنسبة لزيارة قبر الكافر فلا يُسلم عليه، ولا يدعو له؛ بل عليه أن يبشره بالنار، كما جاء في حديث سعد بن أبي وقاص قَالَ: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: إن أبي كان يصل الرحم، وكان وكان فأين هو؟ قَالَ: «**في النار**»، فكأن الأعرابي وجد من ذَلِكَ، فقال: يا رَسُول الله فأين أبوك؟ قَالَ: «**أبي وأبوك في النَّار**»، وفي رواية أخرى: «**وحيثما مررت بقبر كافر فبشّره بالنار**»، فأسلم الأعرابي بعد وقال: «لقد كلفني رسول الله تعبًا، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار». رواه ابن ماجه والطبراني وغيرهما[١].

وما يفعله النَّاس من وضع جريد النخل عَلَى المقابر[٢] فلا يجوز ذَلِكَ، فإن قَالَ قائل: إن النبي ﷺ وضعه، فنقول: إن ذَلِكَ خاص بالنبي ﷺ وأَنَّهُ ﷺ ما وضع ذَلِكَ في كل مقبرة، وإنَّما في حالة واحدة وضعه لسبب، وهو رجاء أن يخفف عنهما ما لم ييبسا، وهذه مسألة غيبية ما ندري أخفف عنهما أم لا؟ لذلك فلا يجوز أن نفعلها فإنها خاصة بالنبي ﷺ ، والدليل عَلَى ذَلِكَ أن الصحابة ما فعلوها ولا السلف.

ونجد مقابر النصارى يزرعون حولها حدائق غناء، ولكن لا فائدة فإنهم في النار، فهذا الحديث: «**لعله يُخفف عنهما ما لم يَيْبَسا**»[٣]، خاص بالحالة التي كان فيها النَّبيُّ ﷺ ،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٣)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١٤٥).

(٢) عَلَى مقابر المسلمين.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

وإلا فإن هناك مقابر كفار حولها أشجار خضراء فما تنفعهم.

وقَدْ قَالَ ﷺ: «إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا، مَا دَامَ الغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ»[1]، فسبب التخفيف الشفاعة لا وضع الغصن.

فوضع أكاليل الزهور والرياحين عَلَى القبور بدعة وضلالة وتقليد للكفار، ولا يجوز للمسلم أن يفعله» ا.هـ[2].

قلت: غرز الجريد عَلَى القبر خاصّ بالنبي ﷺ.

قَالَ الشيخ ابن باز - رَحِمَهُ الله -: «القول بالخصوصية هو الصواب، لأن الرسول ﷺ لم يغرز الجريدة إلَّا عَلَى قبور عَلَمَ تعذيب أهلها، ولم يفعل ذَلِكَ لسائر القبور، ولو كان سنّة لفعله بالجميع؛ ولأن الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة لم يفعلوا ذَلِكَ، ولو كان مشروعًا لبادروا إليه» ا.هـ[3].

وقال البخاري تحت باب: «الجريدة عَلَى القبر»: رأى ابنُ عمر رَضِيَ الله عَنْهُمَا فُسطاطًا عَلَى قبر عبد الرحمن فقال: انزْعهُ يا غلام، فإنَّما يظلُّه عَمَلُه.

قَالَ الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ الله -: «الفُسطاط: هو البيت من الشَّعر، وعبد الرحمن هو ابن أبي بكر الصِّدِّيق بيَّنه ابن سعد في روايته موصولًا من طريق أيوب بن عبد الله ابن يسار، قَالَ: مَرّ عبد الله بن عمر عَلَى قبر عبد الرحمن بن أبي بكر أخي عائشة وعليه فسطاط مضروب، فقال: يا غلام انزعه، فإنما يظلّه عمله، قَالَ الغلام: تضربني مولاتي، قَالَ: كلا، فنزعه». ا.هـ[4].

عباد الله...

الفائدة السادسة:

أَنَّهُ لا بأس بزيارة القبور ليلًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠١٤).

(٢) «من القصص النبوي» للمنجد (٣٠٣ - ٣٠٦).

(٣) هامش «فتح الباري» (٣/ ٢٦٤) ط. دار الريان.

(٤) «فتح الباري» (٣/ ٢٦٤، ٢٦٥) باختصار.

الفائدة السابعة:

أن الدعاء عند القبور واقفًا أفضل من الدعاء فيها جالسًا.

الفائدة الثامنة:

وجوبِ العدل بين الزوجات، وأَنَّهُ لا يجوز للزوج أن يذهب في ليلة زوجة إلى غيرها إلَّا بإذنها، أما في حالة الطوارئ والضرورة فلا حرج، أما في ليلة الزوجة فلا يجوز أن يتركها ويذهب إلى زوجة أخرى، وهذا حكم شرعي من أحكام العدل بين الزوجات.

الفائدة التاسعة:

أن تأديب الزوجة لا يكون بما يجرح أو يسيل الدَّم أو يُكسر العظم، أو يفقأ العين، أو يضرب الوجه، فإن ذَلِكَ حرام، كذلك لا يكون بشيء مؤذٍ كالكسر أو الجرح، فالنبي ﷺ لهز عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا لهزةً أوجعتها فلم تكن لهزة تكسر أو تؤذي.

الفائدة العاشرة:

أن الموتى هم أهل المكان وساكنيه، فلا يجوز الاعتداء عليهم، فالميت إذا سبق الحي إلى الأرض فهو ساكنها، لذلك لا يجوز نبش القبور ولا إخراج الجثث، ولا يجوز أن نأتي لقبر مسلم وننبشه ونأخذ عظامه، ولا يجوز أن يُبنى عليها، وهذه حرمة للميت لا يجوز انتهاكها، ولا يجوز إخراجهم منها إلا لأمر طارئ وضروري، كما إذا جاء سيل أخرج العظام عن مكانها أو أن المكان صار ليس فيه حرمة، فتنقل حينئذٍ الجثث والعظام إلى مكان آمن.

ونَبَّاش القبور عند بعض العلماء سارق تقطع يده، لأنه سرق من حرز الأرض، ويدل عَلَى ذَلِكَ قوله تَعَالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦]، فالأرض حرز للجثة، فمن سرق الجثة تُقطع يده، وهو مرتكب لكبيرة من الكبائر.

وبعض النَّاس يتساءلون عن جواز إخراج جثث الأموات لبناء بيت، أو إقامة مزرعة ونحوِ ذَلِكَ، فهذا حرام لا يجوز مطلقًا فعله.

وكل ما سبق خاص بمقابر المسلمين، أما مقابر الكفار فليس لها حرمة، فيمكن إخراج جثث الكفار ونقلها لمكان آخر عند الحاجة.

والدليل عَلَى ذَلِكَ: أن النبي ﷺ لَـمَّا أراد بناء المسجد أمر بنقل جثث الكفار التي كانت مدفونة في ذَلِكَ المكان[1]، فدل ذَلِكَ عَلَى حواز نقل جثث الكفار لمصلحة.

أما قبور المسلمين فلا يجوز العبث بها مطلقًا، ويجب أن تسوى المقبرة حَتَّى تكون مصانة عن أيدي العابثين، وألا تكون مجمع للقمامة والنفايات، ويجب أن تصان القبور عن كل شيء يفسدها أو يضر بها، كالمشي فوقها أو المشي بينها بالنعال، أو القعود عليها، أو جعلها مأوى للكلاب الضالة، ونحو ذَلِكَ.

الفائدة الحادية عشرة:

الإيمان بالغيب والملائكة وجبريل عليه السلام، وكيف أَنَّهُ جاءه ﷺ وكلمه وعائشة رَضِيَ الله عَنْهَا ما أحسَّت مع أنها كانت مستقيظة» ا.هـ[2].

عباد الله...

هَذِهِ بعض الفوائد من قصّة زيارة النبي ﷺ للبقيع.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وفي سنة ثمان وخمسين عَلَى الراجح، ولما بلغت رَضِي الله عَنْهَا سبعًا وستين سنة، لبّت رَضِي الله عَنْهَا نداء ربها، وقبل أن تصعد الروحُ الطيبة الطاهرة إلى ربّها دخل عليها ابن عباس، ونترك المجال لذكوان حاجبها ليقصّ علينا ما دار بينه وبينها:

---

(١) انظر «صحيح البخاري» (٤٢٨)، ومسلم (٥٢٤).

(٢) «من القصص النبوي» (٢٩٤ - ٢٩٧) باختصار.

يقول ذكوان: «جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى عَائِشَةَ فَجِئْتُ وَعِنْدَ رَأْسِهَا ابْنُ أَخِيهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقُلْتُ: هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهَا ابْنُ أَخِيهَا عَبْدُ اللهِ فَقَالَ: هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ. وَهِيَ تَمُوتُ فَقَالَتْ: دَعْنِى مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

فَقَالَ: يَا أُمَّتَاهُ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ صَالِحِى بَنِيكِ، يُسَلِّمْ عَلَيْكِ وَيُوَدِّعْكِ.

فَقَالَتِ: ائْذَنْ لَهُ إِنْ شِئْتَ.

قَالَ: فَأَدْخَلْتُهُ، فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ: أَبْشِرِى، مَا بَيْنَكِ وَبَيْنَ أَنْ تَلْقَىْ مُحَمَّداً ﷺ وَالأَحِبَّةَ إِلاَّ أَنْ تَخْرُجَ الرُّوحُ مِنَ الجَسَدِ، كُنْتِ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ يُحِبُّ إِلاَّ طَيِّبًا، وَسَقَطَتْ قِلاَدَتُكِ لَيْلَةَ الأَبْوَاءِ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى يُصْبِحَ فِى المَنْزِلِ وَأَصْبَحَ النَّاسُ لَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سَبَبِكِ، وَمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الرُّخْصَةِ، وَأَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ جَاءَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ فَأَصْبَحَ لَيْسَ لِلَّهِ مَسْجِدٌ مِنْ مَسَاجِدِ اللهِ يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ إِلاَّ يُتْلَى فِيهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ.

فَقَالَتْ: دَعْنِى مِنْكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّى كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا».

وفاضت الروح الكريمة إلى ربها الكريم الرحيم، فاضت الروح لتخرج من سجن الدنيا، وتعبها إلى حيث النعيم المقيم، وصلّى عليها أبو هريرة رَضِي الله عَنْهُ، ودُفنت بالبقيع رَضِي الله عَنْهَا.

✪✪✪✪✪

الخطبة الخمسون بعد المائة:

[أ] أم سلمة

إسلامها - هجرتها - دروس وعبر من صبرها

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إِلَى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فلقاؤنا اليوم - إن شاء الله - مع أُمِّ المؤمنين «**أُم سلمة**» رَضِي الله عَنْهَا.

عباد الله...

وقصّة أُمّ سلمة رَضِي الله عَنْهَا فيها فوائد كثيرة، ومواعظ بالغة، نحتاج إليها في كل وقت وحين.

فإلى الراغبين فيما عند الله، وإلى السائرين عَلَى درب الإيمان، نقدّم قصّة أُمّ سلمة،

وما فيها من دروس وعظات.

سائلًا المولى - جلّت قدرته - التوفيق لطاعته.

أيها المسلمون...

وأمّ سلمة هي هند بنت أميَّة بن المغيرة، القرشيّة المخزوميّة.

واسم أبيها: أبي أميَّة حذيفة، وكان من أجود قريش كفًّا، وأكثرهم عطاءًا.

وأمها: عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك.

تزوجت أم سلمة بأبي سلمة بن عبد الأسد المخزوميّ القرشيّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا.

ولما بعث النبيّ ﷺ بالهدى ودين الحق، سارع أبو سلمة وزوجه إلى الإسلام دون تردد.

قَالَ ابن إسحاق: انطلق أبو عبيدة بن الحارث، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم ابن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون حَتَّى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فأسلموا وشهدوا أَنَّهُ عَلَى هدًى ونور، قَالَ: ثم أسلم ناس من العرب، منهم سعيد بن زيد، وذكر جماعة[1].

وانضوت أُمُّ سلمة هي الأخرى تحت لواء التوحيد، كما سيأتي.

ولما أذن الله تَعَالَى لنبيِّه ﷺ بالهجرة من مكَّة إلى المدينة، وهاجر، هاجر معه أو عقبه المهاجرون، وتركوا ديارهم وأموالهم وأرضهم في ابتغاء مرضات الله.

فأثنى عليهم رَبُّهم، ووعدهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار، ووعد الله لا يتخلّف.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وقال تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) «أسد الغابة» (٦/ ١٤٢).

عباد الله...

وكان أبو سلمة رَضِيَ الله عَنْهُ مِمَّن هاجر، وأثناء هجرته حدث موقف مؤثِّر يدلُّ عَلَى صدق إيمان الزوجين:

أخرج ابن إسحاق، عن أُمّ سلمة رَضِيَ الله عَنهَا قَالَت: «لَمّا أَجمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الخُرُوجَ إِلَى المَدِينَةِ رَحَلَ لِي بَعِيرَهُ ثُمّ حَمَلَنِي عَلَيهِ وَحَمَلَ مَعِي ابنِي سَلَمَةَ بنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجرِي، ثُمّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ فَلَمّا رَأَتهُ رِجَالُ بَنِي المُغِيرَةِ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخزُوم قَامُوا إِلَيهِ فَقَالُوا هَذِهِ نَفسُك غَلَبتنَا عَلَيهَا، أَرَأَيت صَاحِبَتَك هَذِهِ؟ عَلَامَ نَترُكُك تَسِيرُ بِهَا فِي البِلَادِ؟

قَالَت: فَنَزَعُوا خِطَامَ البَعِيرِ مِن يَدِهِ فَأَخَذُونِي مِنهُ. قَالَت وَغَضِبَ عِندَ ذَلِكَ بَنُو عَبدِ الأَسَدِ، رَهطُ أَبِي سَلَمَةَ فَقَالُوا: لَا واللهِ لَا نَترُكُ ابنَنَا عِندَهَا إذ نَزَعتُمُوهَا مِن صَاحِبِنَا.

قَالَت: فَتَجَاذَبُوا ابْنِي سَلَمَةَ بَينَهُم حَتّى خَلَعُوا يَدَهُ وَانطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبدِ الأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو المُغِيرَةِ عِندَهُم وَانطَلَقَ زَوجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى المَدِينَةِ.

قَالَت: فَفَرّقَ بَينِي وَبَينَ زَوجِي وَبَينَ ابنِي.

قَالَت: فَكُنت أَخرُجُ كُلّ غَدَاةٍ فَأَجلِسُ بِالأَبطُحِ فَمَا أَزَالُ أَبكِي، حَتّى أَمسَى سَنَةً أَو قَرِيبًا مِنهَا حَتّى مَرّ بِي رَجُلٌ مِن بَنِي عَمّي، أَحَدُ بَنِي المُغِيرَةِ فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي، فَقَالَ لِبَنِي المُغِيرَةِ: أَلَا تُخرِجُونَ هَذِهِ المِسكِينَةَ فَرّقتُم بَينَهَا وَبَينَ زَوجِهَا وَبَينَ وَلَدِهَا. قَالَت: فَقَالُوا لِي: الحَقِي بِزَوجِك إن شِئت. قَالَت: وَرَدّ بَنُو عَبدِ الأَسَدِ إلَيّ عِندَ ذَلِكَ ابنِي.

قَالَت: فَارتَحَلت بَعِيرِي ثُمّ أَخَذت ابنِي فَوَضَعته فِي حِجرِي، ثُمّ خَرَجت أُرِيدُ زَوجِي بِالمَدِينَةِ. قَالَت: وَمَا مَعِي أَحَدٌ مِن خَلقِ اللهِ. حَتّى إذَا كُنت بِالتّنعِيم[١] لَقِيتُ عُثمَانَ بنَ طَلحَةَ[٢] بنِ أَبِي طَلحَةَ أَخَا بَنِي عَبدِ الدّارِ فَقَالَ لِي: إلَى أَينَ يَا بِنتَ أَبِي أُمَيّةَ؟

---

(١) التنعيم: واد قريب من مكة.

(٢) قبل إسلامه، وقد أسلم رَضِي الله عَنْهُ بعد ذلك وحسن إسلامه، وراجع قصته في كتابنا «أصحاب حول الرسول» ط. المكتبة التوفيقية.

قَالَت: فَقُلت: أُرِيدُ زَوجِي بِالمَدِينَةِ.

قَالَ: أَوَمَا مَعَك أَحَدٌ؟ قَالَت: فَقُلت: لَا والله إلّا الله وَبُنَيّ هَذَا.

قَالَ: والله مَا لَك مِن مَترَكٍ فَأَخَذَ بِخِطَام البَعِيرِ فَانطَلَقَ مَعِي يَهوِي بِي[1]، فَوَاللَّهِ مَا صَحِبت رَجُلًا مِن العَرَبِ قَطّ، أَرَى أَنّهُ كَانَ أَكرَمَ مِنهُ كَانَ إذَا بَلَغَ المَنزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمّ استَأخَرَ عَنّي، حَتّى إذَا نَزَلت استَأخَرَ بِبَعِيرِي، فَحَطّ عَنهُ ثُمّ قَيّدَهُ فِي الشّجَرَةِ، ثُمّ تَنَحّى وَقَالَ اركَبِي. فَإِذَا رَكِبت وَاستَوَيتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ فَقَادَهُ حَتّى يَنزِلَ بِي. فَلَم يَزَل يَصنَعُ ذَلِكَ بِي حَتّى أَقدَمَنِي المَدِينَةَ، فَلَمّا نَظَرَ إلَى قَريَةِ بَنِي عَمرِو بنِ عَوفٍ بِقُبَاءٍ قَالَ زَوجُك فِي هَذِهِ القَريَةِ - وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا - فَادخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ ثُمّ انصَرَفَ رَاجِعًا إلَى مَكّةَ.

قَالَ: فَكَانَت تَقُولُ: وَاللهِ مَا أَعلَمُ أَهلَ بَيتٍ فِي الإِسلَام أَصَابَهُم مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيت صَاحِبًا قَطّ كَانَ أَكرَمَ مِن عُثمَانَ بنِ طَلحَةَ[2].

أيها المسلم...

كانت هَذِهِ قصة هجرة أبي سلمة وأم سلمة- رَضِيَ الله عَنْهُمَا.

والمقصود: أنها نالت شرف الهجرة وثوابها- فهنيئًا لهما.

ولعل هناك من يسأل: كيف يهاجر المسلم اليوم لينال ثواب الهجرة؟

وما معنى قول النبي ﷺ **«لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»**؟ [3]

يُجِيب النبيُّ ﷺ عَلَى هذين السؤالين في الأحاديث التالية:

عَنْ جُنَادَةَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الهِجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ:

---

(١) يهوى بي: يُسرع بي.

(٢) أورده ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٧٥، ٧٦)، وفي سنده «مسلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة» لم يوثقه غير ابن حبان، وقال الحافظ في «التقريب» (١/ ٢١٧): مقبول.

(٣) رواه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).

يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أُنَاسًا يَقُولُونَ إِنَّ الهِجْرَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الهِجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا كَانَ الجِهَادُ**»(١).

وعَنْ عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللّهِ. أيُّ الهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قالَ: «**أَنْ تَهْجُرَ ما كَرِهَ رَبُّكَ**»، قال: وقالَ رسولُ اللّهِ: «**الهِجْرَةُ هِجْرَتَانِ: هِجْرَةُ الحاضِرِ، وهِجْرَةُ البادي، أما البادي، فَيُجِيبُ إذا دُعي، ويُطِيعُ إذا أُمِرَ، وأما الحَاضِرُ، فهو أعظمُهُمَا بَلِيَّةً، وَأَعْظَمُهُمَا أَجْرًا**»(٢).

وعَنْ مُجَاشِعٌ بن مسعود السُّلَمِيّ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِأَخِي بَعْدَ الفَتْحِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُكَ بِأَخِي لِتُبَايِعَهُ عَلَى الهِجْرَةِ، قَالَ: «**ذَهَبَ أَهْلُ الهِجْرَةِ بِمَا فِيهَا**»، فَقُلْتُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُبَايِعُهُ؟ قَالَ: «**أُبَايِعُهُ عَلَى الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ وَالجِهَادِ**»(٣).

وعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِسْلَامُ؟

قَالَ: «**أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْ يَسْلَمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ**».

قَالَ: فَأَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ**».

قَالَ: وَمَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «**تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ**».

قَالَ: فَأَيُّ الإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الهِجْرَةُ**».

قَالَ: مَا الهِجْرَةُ؟ قَالَ: «**تَهْجُرُ السُّوءَ**».

قَالَ: فَأَيُّ الهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الجِهَادُ**».

قَالَ: وَمَا الجِهَادُ؟ قَالَ: «**أَنْ تُقَاتِلَ الكُفَّارَ إِذَا لَقِيتَهُمْ**».

قَالَ: أَيُّ الجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وَأُهْرِيقَ دَمُهُ**».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثُمَّ عَمَلَانِ هُمَا أَفْضَلُ الأَعْمَالِ إِلاَّ مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِهِمَا حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ أَوْ عُمْرَةٌ مَبْرُورَةٌ**»(٤).

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٢٥١): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
(٢) أخرجه النسائي (٧/ ١٤٤)، وقال محقق «جامع الأصول» (١١/ ٦٠٨): حديث حسن.
(٣) رواه البخاري (٤٣٠٥، ٤٣٠٦)، ومسلم (١٨٦٣).
(٤) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٥٩٠): رواه أحمد بإسناد صحيح.

عباد الله...

فما معنى قوله ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»؟

قَالَ الإمامُ النووي - رَحِمَهُ الله -: قوله ﷺ: «لَا هِجْرَة بَعْد الفَتْح» قَالَ العُلَمَاء: الهِجْرَة مِنْ دَار الحَرْب إِلَى دَار السَّلَام بَاقِيَة إِلَى يَوْم القِيَامَة.

وفي تأويل هَذَا الحَدِيث تَأْوِيلَيْنِ:

أَحَدهمَا: لَا هِجْرَة بَعْد الفَتْح مِنْ مَكَّة لِأَنَّهَا صَارَتْ دَار إِسْلَام، وإنّما تكون الهجرة من دار الحرب، وهذا يتضمن معجزة لرسول الله ﷺ بأنها تبقى دار الإسلام لَا يُتَصَوَّر مِنْهَا الهِجْرَة.

وَالثَّانِي: مَعْنَاهُ: لا هجرة بعد الفتح، فضلها كفضلها قبل الفتح، كما قال تَعَالَى: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ الآية [الحديد: ١٠].

وأما قَوْله ﷺ: «وَلَكِنْ جِهَاد وَنِيَّة» فمَعْنَاهُ أَنَّ تَحْصِيل الخَيْر بِسَبَبِ الهِجْرَة قَدْ اِنْقَطَعَ بِفَتْحِ مَكَّة وَلَكِنْ حَصِّلُوهُ بِالجِهَادِ وَالنِّيَّة الصَّالِحَة.

قَوْله ﷺ: «وَإِذَا اُسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا» مَعْنَاهُ: إِذَا دعاكم السُّلطان لِلْخُرُوجِ إِلَى الجِهَاد فَاخْرُجُوا. ا.هـ[١].

فإلى الهجرة - يا عباد الله -...

- اهجروا السُّوء.
- اهجروا أهل السُّوء.
- اهجروا العادات السَّيئة.
- اهجروا مجالس السُّوء.
- اهجروا المعاصي.
- جاهدوا أنفسكم في طاعة ربِّكم.
- وأخلصوا النيَّة في عمل الصالحات، واجتناب السَّيِّئات.

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي».

واعلموا أن الله تَعَالَى لا يضيع أجر من أحسن عملًا. فهو القائل: ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وهو القائل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

وفَّقني الله تَعَالَى وإيَّاكم لعمل الصَّالحات واجتناب المحرَّمات.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وأختم خطبة اليوم بكلمات تكتب بماء الذَّهب للإمام الهُمام ابن القيِّم -رَحِمَهُ الله-:

قال: الهجرة هجرتان. هجرة إلى الله بالطلب والمحبَّة والعبوديّة والتوكّل والإنابة والتّسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه، وصدق اللَّجأ والافتقار في كل نفس إليه. وهجرة إلى رسول الله ﷺ في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محابّ الله ومرضاته، ولا يَقبلُ الله من أحد دينًا سواه، وكل عمل سواه فعيشُ النَّفس وحظّها لا زادُ المعاد» ا.هـ[1].

أيها المسلمون...

وفي الخطبة القادمة - إن شاء الله - نواصل الحديث عن حياة أم المؤمنين أُمُّ سَلمة رَضِي الله عَنْهَا. فإلى اللِّقاء.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك عَيشَ السُّعداء، وموتَ الشُّهداء

آمين... آمين... آمين

✿✿✿✿✿

---

(١) «طريق الهجرتين» (١/ ٢٠).

الخطبة الحادية والخمسون بعد المائة:

[ب] أم سلمة

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولاً عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

عباد الله...

هاجر أبو سلمة وزوجه- رضي الله عنهما- كما مَرّ معنا في الخطبة الماضية، ولمّا أَذِنَ الله تَعَالَى لنبيه بالجهاد حمل أبو سلمة السلاح، ونال الشهادة في سبيل الله تَعَالَى، وهذه مواقف من حياته الجهادية:

شهد أبو سلمة رضى الله عنه موقعة بدر الكبرى، وأبلى فيها بلاءً حسنًا، فنال بذلك

شرف من قال النبي ﷺ فيهم: «**لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»(١).

وشهد أبو سلمة رَضِيَ الله عَنْهُ غزوة أُحد وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وجُرح يومها جُرحًا غائرًا، أقام شهرًا يُداوى منه حَتَّى اندمل.

أيُّها المسلمون...

وفي جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة، انتقض جُرح أبي سلمة، فنام عَلَى فراشه يعالج سكرات الموت، وقبل خروج روحه الطاهرة عاده النبي ﷺ، تَقُول أُمّ سَلَمَةَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**» فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ افْسَحْ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**»(٢).

وعنها رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيهَا وَأَبْدِلْنِي مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا**» فَلَمَّا احْتُضِرَ أَبُو سَلَمَةَ قَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْنِي فِي أَهْلِي بِخَيْرٍ، فَلَمَّا قُبِضَ، قُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيهَا، قَالَتْ: وَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ وَأَبْدِلْنِي خَيْرًا مِنْهَا، فَقُلْتُ: وَمَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ فَمَا زِلْتُ حَتَّى قُلْتُهَا فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، خَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَرَدَّتْهُ، ثُمَّ خَطَبَهَا عُمَرُ فَرَدَّتْهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَرْحَبًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِرَسُولِهِ»(٣).

وَعَنْهَا رضي الله عنها أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَصَابَتْ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيهَا**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما.
(٣) أخرجه مسلم (٩١٨).

وَأَبْدِلْنِي بِهَا خَيْرًا مِنْهَا»: فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو سَلَمَةَ خَلَفَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَهْلِي خَيْرًا مِنْهُ[١].

قَالَ الإمام ابن القيم- رَحِمَهُ الله -: «فانظر عاقبة الصبر والاسترجاع ومتابعة الرسول والرضا عن الله إلى ما آلت إليه، وأنالت أم سلمة نكاح أكرم الخلق عَلَى الله» ا.هـ[٢].

عباد الله...

إن الصَّبر نصفُ الإيمان.

قَالَ الإمامُ ابن القيِّم - رَحِمَهُ الله - في «عدّة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين»: «**والإيمان نصفان**: نصفٌ صبرٌ ونصفٌ شكرٌ.

قال غير واحد من السَّلف: الصَّبر نصفُ الإيمان.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ الله عَنْهُ: الإيمانُ نصفانِ: نصفٌ صبرٌ ونصفٌ شكرٌ.

ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر في قوله: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ [إبراهيم: ٥]، وفي سورة حم عسق [٣٣] وفي سورة سبأ [١٩]، وفي سورة لقمان [٣١]، وقد ذُكِرَ لهذا التصنيف اعتباراتٌ:

أحدها: أن الايمانَ اسمٌ لمجموعِ القولِ والعملِ والنِّيَّة، وهي ترجعُ إلى شطرين: فعلٍ وتركٍ، فالفعلُ هو العملُ بطاعةِ الله وهو حقيقةُ الشُّكرِ، والتركُ هو الصبرُ عن المعصيةِ، والدِّين كُلُّه في هذين الشيئين: فعلِ المأمورِ، وتركِ المحظورِ.

الاعتبار الثاني: أنَّ الإيمان مبنيٌّ على ركنين: يقينٍ، وصبرٍ، وهما الركنان المذكوران في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ٢٤]،

الاعتبار الثالث: أن الإيمانَ قولٌ وعملٌ، والقولُ قولُ القلبِ واللِّسانِ، والعملُ عملُ القلبِ والجوارحِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧).

(٢) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين».

الاعتبار الرابع: أنَّ النفس لها قوَّتان: قوةُ الإقدام، وقوةُ الإحجام، وهي دائمًا تتردد بين أحكام هاتين القوَّتين، فَتُقدِمُ على ما تحبُّه وتُحجِمُ عمَّا تكرهُهُ، والدِّينُ كُلُّه إقدامٌ وإحجامٌ، إقدامٌ على طاعة الله، وإحجامٌ عن معاصي الله، وكُلٌّ منهما لا يمكن حصولُه إلَّا بالصبر.

الاعتبار الخامس: أنَّ الدِّين كله رغبةٌ ورهبةٌ، فالمؤمنُ هو الراغبُ الرَّاهبُ.

قال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فلا تجد المؤمن أبدًا إلَّا راغبًا وراهبًا.

الاعتبار السادس: أنَّ جميعَ ما يُباشِرُهُ العبد في هذه الدار لا يخرجُ عمَّا ينفعهُ في الدنيا والآخرة، أو يَضُرُّه في الدنيا والآخرةِ، أو ينفعُهُ في إحدى الدَّارين ويضرُّه في الأخرى.

الاعتبار السابع: أنَّ العبد لا يَنْفَكّ عن أمرٍ يفعلُهُ، ونهيٍ يتركُهُ، وقَدرٍ يجري عليه، وفرضُهُ في الثلاثةِ: الصَّبرُ والشُّكرُ.

الاعتبار الثامن: أنَّ للعبد فيه داعيان: داعٍ يدعوه إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها، وداعٍ يدعوه إلى الله والدارِ الآخرةِ.

الاعتبار التاسع: أنَّ الدِّين مدارُهُ على أصلين: العزمِ والثَّباتِ، وهما الأصلان المذكوران في الحديثِ الذي رواه أحمد، والنسائي عن النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ**»[1].

الاعتبار العاشر: أنَّ الدِّين مبنيٌّ على أصلين: الحقِّ والصَّبرِ، وهما المذكوران في قوله تعالى: ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [العصر: ٣]» ا.هـ.

أيُّها المسلمون...

وهناك أسبابٌ تُعين عَلَى الصَّبر:

قَالَ ابن القيِّم - رَحِمَهُ الله تَعَالى - في «عدّة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين»: «لما كان الصبر مأمورًا به جَعَلَ الله سبحانه له أسبابًا تُعينُ عليه وتوصلُ إليه، وكذلك ما أمر الله

---

(١) ضعيف: ضعفه الشيخ الألباني في «المشكاة» (٩٥٥).

سبحانه بالأمرِ إلَّا أعان عليه ونصبَ له أسبابًا تَمُدُّه وتعين عليه، كما أنه ما قدَّر داءً إلَّا وقدَّر له دواءً أو ضمن الشفاءَ باستعماله.

فالصبرُ وإن كان شاقًّا كريهًا على النفوس فتحصيله ممكن، وهو يتركب من مفردين: العلم والعمل، فمنهما تُرَكَّبُ جميعُ الأدوية التي تُدَاوي بها القلوبُ والأبدانُ، فلا بد من جزءٍ علمي وجزءٍ عملي، فمنهما يُرَكَّبُ هذا الدواء الذي هو أنفع الأدوية.

فأما الجزءُ العلمي: فهو إدراكُ ما في المأمورِ من الخيرِ والنفعِ واللَّذةِ والكمالِ، وإدراكُ ما في المحظورِ من الشَّرِّ والضَّرِ والنَّقصِ، فإذا أدرك هذين العلمين كما ينبغي أضاف إليهما العزيمة الصادقةَ والهمةَ العاليةَ والنخوةَ والمروءةَ الإنسانيةَ، وضمَّ هذا الجزءَ الى هذا الجزءِ، فمتى فعلَ ذلك حصلَ له الصبرُ وهانت عليه مشاقُّه وحَلَت له مرارتُه وانقلبَ ألمه لذةً.

فالصَّبرُ «مصارعةُ باعث العقلِ والدِّينِ باعثَ الهوى والنَّفسِ». وكلُّ متصارعين أرادا أن يتغلب أحدُهما على الآخرِ، فالطريقُ فيه تقويةُ من أرادَ أن تكونَ الغلبةُ له وتضعيف الآخر كالحال مع القوة والمرض سواء، فإذا قوى باعثُ شهوةِ الوقاعِ المحرَّمِ وغلبَ بحيثُ لا يملكُ معها فرجَه، أو يملكَه ولكن لا يملكُ طَرفَه، أو يملكه ولكن لا يملك قلبه، بل لا يزال يحدِّثه بما هناك ويعده ويُمَنيه ويصرفه عن حقائقِ الذِّكر والتفكيرِ فيما ينفعه في دنياه وآخرته.

فإذا عزم على التداوي ومقاومة هذا الداء فليضعفه أولا بأمور:

أحدها: أن ينظر إلى مادة قوة الشهوةِ فيحدَّها من الأغذيةِ المحركةِ للشهوةِ، إمَّا بنوعِها أو بكميتها وكثرتها، ليحسم هذه المادة بتقليلها، فإن لم تنحسم فليبادر إلى الصومِ فإنه يضعفُ مجارى الشهوةِ ويكسر حدّتها، ولا سيما اذا كان أكله وقت الفطرِ معتدلًا.

الثاني: أن يتجنبَ محرِّك الطلب وهو النظر، فليقصر لجامَ طرفه ما أمكنه، فإنَّ داعي الإرادةِ والشهوةِ إنما يهيج بالنظرِ، والنظر يحرِّكُ القلب بالشهوة.

الثالث: تسلية النفس بالمباح المعوَّض عن الحرام، فإنَّ كلَّ ما يشتهيه الطبع ففيما أباحه الله سبحانه غنية عنه، وهذا هو الدواء النافع في حق أكثر الناس كما أرشد اليه النبي ﷺ.

الرابع: التفكر في المفاسد الدنيوية المتوقعة من قضاء هذا الوطر[1]: فإنَّهُ لو لم يكن جَنَّةٌ ولا نارٌ لكان في المفاسد الدنيوية ما ينهي عن إجابة هذا الداعي، ولو تكلَّفنا عدها لفاقت الحصر، ولكن عين الهوى عمياء.

الخامس: الفكرة في مقابح الصورة التي تدعوه نفسه إليها: إن كانت معروفة بالإجابة له ولغيره فيعز نفسه أن يشربَ من حوض ترده الكلابُ والذئابُ كما قيل:

سأترك وصلكم شرفًا وعزًّا لخسَّةِ سائرِ الشُّركاءِ فيه

وقال آخر:

إذا كثر الذبابُ على طعامٍ رفعتُ يدي ونفسي تَشتهيه

وتجتنبُ الأسودُ ورود ماءٍ إذا كان الكلابُ يَلغْنَ فيه

وتفصيلُ هذه الوجوه يطولُ جدًّا، فيكفي ذِكرُ أصولها.

وأما تقوية باعث الدِّين فإنه يكون بأمور:

أحدها: **إجلال الله تبارك وتعالى أن يُعصى وهو يُرى ويسمع**، ومن قام بقلبه مشهد إجلاله لم يطاوعه قلبه لذلك البتة.

الثاني: **مشهد محبته سبحانه**، فيترك معصيته محبةً له، فإن المحبَّ أن يحب مطيعُ.

الثالث: **مشهد النِّعمة والإحسان**، فإن الكريمَ لا يقابلُ بالإساءة مَنْ أحسن إليه، وإنما يفعل هذا لئامَ الناسِ.

الرابع: **مشهد الغضب والانتقام**: فإنَّ الرَّبَّ تعالى إذا تمادى العبد في معصيتهِ غَضِبَ، وإذا غضبَ لم يقم لغضبه شيءٌ، فضلاً عن هذا العبدِ الضعيفِ.

الخامس: **مشهد الفوات**، وهو ما يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرةِ، وما يحدث له بها من كلِّ اسم مذموم عقلًا وشرعًا وعُرفًا، ويزول عنه من الأسماءِ الممدوحةِ شرعًا وعقلًا وعرفًا.

---

(١) **الوطر**: كل حاجة كان لصاحبها فيها همّة.

السادس: مشهد القهر والظفر: فإن قهر الشهوةِ والظفرِ بالشيطان له حلاوةٌ ومسرةٌ وفرحة عند من ذاقَ ذلك أعظم من الظَّفَرِ بعدُوه من الآدميين وأحلى موقعًا وأتم فرحةً، وأما عاقبتُه فأحمدُ عاقبة، وهو كعاقبةِ شربِ الدواء النافعِ الذي أزال داء الجسدِ وأعاده إلى صحته واعتداله.

السابع: مشهد العوض: وهو ما وعد الله سبحانه من تعويض من ترك المحارم لأجله، ونهى نفسه عن هواها، وليوازنه بين العوضِ والمعوضِ، فأيُّهما كان أولى بالإيثار اختاره وارتضاه لنفسه.

الثامن: مشهد المعية: وهو نوعان: معيّة عامة ومعيّة خاصة.

فالعامة: اطّلاعُ الربِّ عليه، وكونه بعينه لا تخفى عليه حالُه.

والمقصود هنا: المعيّة الخاصَّة كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله: ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فهذه المعيَّةُ الخاصَّةُ خيرٌ وأنفعٌ في دنياه وآخرتِهِ ممن قضى وطرهَ ونالَ شهوتَه على التمام من أولِ عمرِه إلى آخرهِ، فكيف يؤثر عليها لذةٌ مُنغّصةٌ منكدة في مدةٍ يسيرةٍ من العمر إنما هي كأحلامِ نائمٍ أو كظلٍّ زائل.

التاسع: مشهد المغافصة والمعالجة: وهو أن يخاف أن يغافصَه الأجلُ، فيأخذه الله على غِرةٍ، فَيُحالُ بينه وبين ما يشتهى من لذاتِ الآخرةِ، فيالها من حسرةٍ ما أمرَّها وما أصعبها، لكن ما يعرفها إلَّا من جرَّبها.

العاشر: مشهد البلاء والعافية: فإن البلاءَ في الحقيقةِ ليس إلَّا الذنوبُ وعواقبُها، والعافيةُ المطلقةُ هي الطاعاتُ وعواقبُها، فأهلُ البلاءِ هم أهلُ المعصيةِ وإن عوفيت أبدانُهم، وأهلُ العافيةِ هم أهلُ الطاعةِ وان مرضت أبدانُهم.

الحادي عشر: أن يعود باعث الدِّين ودواعيه مصارعة: داعي الهوى ومقاومته على التدريج قليلاً قليلاً حتى يدرك لذَّة الظَّفَرِ فتقوى حينئذٍ هِمَتُه فإنَّ مَن ذاق لذة شيءٍ قويت همتُهُ في تحصيله، والاعتياد لممارسة الأعمال الشاقة تزيد القوى التي تصدر عنها تلك الأعمال.

الثاني عشر: كف الباطل عن حديث النفس، وإذا مرت به الخواطرُ نفاها ولا يؤويها ويساكنها، فإنها تصيرُ مُنًى، وهي رؤوس أموالِ المفاليسِ.

الثالث عشر: قطعُ العلائق التي تدعوه الى موافقة الهوى، وليس المرادُ أن لا يكون له هوى، بل المراد أن يَصرِفَ هواه إلى ما ينفعُهُ ويستعمله في تنفيذ مرادِ الرَّبِّ تعالى، فإن ذلك يدفعُ عنه شرَّ استعماله في معاصيه.

الرابع عشر: صرفُ الفكر إلى عجائب آيات الله التي ندب عباده إلى التفكُّرِ فيها وهي آياتُهُ المتلوَّةُ وآياتهُ المجلوَّة.

الخامس عشر: التفكر في الدنيا وسرعة زوالها وقربِ انقضائها.

السادس عشر: تعرضه إلى مَنِ القلوبُ بين أصبعيه، وأزمَّة الأمور بيديه، وانتهاء كل شيء إليه على الدوام، فلعله أن يصادف أوقاتَ النَّفحات.

السابع عشر: أن يعلم العبد بأن فيه جاذبين متضادين، ومحنته بين الجاذبين: جاذب يجذبه إلى الرفيقِ الأعلى من أعلى عليين، وجاذبٍ يجذبه إلى أسفل سافلينَ.

فكلما انقاد مع الجاذبِ الأعلى صعدَ درجةً حتى ينتهي إلى حيث يليق به من المحلِّ الأعلى، وكلما انقادَ إلى الجاذبِ الأسفلِ نزلَ درجةً حتى ينتهي إلى موضعه من سجين.

الثامن عشر: أن يعلم العبد أن تفريغ المحل شرط لنزول غيث الرحمة، وتنقيته من الدَّغل[1] شرطٌ لكمالِ الزَّرعِ، فمتى لم يُفَرَّغ المحلّ لم يصادف غيث الرحمةِ محلًّا قابلًا ينزل فيه، وإن فرَّغه حتى أصابه غيثُ الرحمةِ، ولكنه لم يُنَقِّه من الدَّغَل؛ لم يكن الزرعُ زرعًا كاملاً، بل ربما غَلَبَ الدَّغَلُ على الزَّرعِ فكان الحُكْم له.

التاسع عشر: أن يعلم العبد أن الله سبحانه خَلَقَهُ لبقاءٍ لا فناءَ له، ولعزٍّ لا ذلَّ معه، وأمنٍ لا خوفَ فيه، وغناءٍ لا فقر معه، ولذةٍ لا ألم معها، وكمالٍ لا نقص فيه.

العشرون: أن لا يغتر العبد باعتقاده أن مجرد العلم بما ذكرنا كاف في حصول المقصود،

---

(١) الدَّغَلُ: الشجر الملتف الذي يكمن أهل الفساد فيه، وقيل: هو من قولهم: أدغلت في هذا الأمر، إذا أدخلت فبه ما يخالفه ويفسده.

بل لا بُدَّ أن يضيف إليه بذل الجهدِ في استعماله واستفراغ الوُسعِ والطاقةِ فيه، وملاكُ ذلك الخروج عن العوائد؛ فإنها أعداءُ الكمالِ والفلاحِ، فلا أفلح من استمرَّ مع عوائده أبدًا، ويستعين على الخروج عن العوايد بالهرب عن مظان الفتنة والبعد عنها ما أمكنه، وقد قال النبي ﷺ: «مَن سمع بالدَّجال فلينأ عَنْهُ»[1]، فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانِّه.

وهاهنا لطيفةٌ للشيطان لا يتخلص منها إلَّا حاذق، وهي: أن يُظهِرَ له في مظانِّ الشَّرِّ بعض شيءٍ من الخيرِ، ويدعوه إلى تحصيلِهِ، فإذا قَرُبَ منه ألقاه في الشبكةِ، والله أعلم» ا.هـ.

عباد الله...

ويحتاج العبد هاهنا إلى الصَّبر[2] في ثلاثة أحوال:

أحدها: قبل الشروع فيها بتصحيح النِّيَّة والإخلاصِ.

الحالة الثانية: الصبر حال العمل.

الحالة الثالثة: الصبر بعد الفراغ من العمل، وذلك من وجوه:

أحدها: أن يصبرَ نفسه عن الإتيان بما يبطله عمله، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْـمَنِّ وَالأَذَى**﴾ [البقرة: ٢٦٤].

الثاني: أن يصبر عن رؤيتها والعجب بها والتكبر والتعظم بها.

الثالث: أن يصبر عن نقلها من ديوان السِّرِّ إلى ديوان العلانية». ا.هـ[3].

- **فيا مَنْ حَلَّ بِسَاحَتِهِ البلاء، وأحاط به الهَمُّ من كل مكان:**

لا تجزع، ولا تيأس... فإنَّ مع العُسر يُسرًا.

واسمع للشافعيُّ -رَحِمَهُ الله- وهو يقول:

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١٩)، وأحمد (٤/ ٤٣١، ٤٤١).

(٢) يعني الصبر المحمود.

(٣) من «عدة الصَّابرين وذخيرة الشاكرين».

دَعِ الأيَّامَ تفعلُ ما تشاءُ وَطِبْ نَفْسًا إذا حَكَم القضَاءُ

ولا تَجزع لحادثِة اللَّيالي فما لحوادث الدُّنيا بَقَاءُ

وكُنْ رَجُلاً عَلَى الأهوال جَلْداً وشِيمَتُك السَّمَاحةُ والوفاءُ

وإن كَثُرت عيوبُكَ في البرايا وسَرَّك أن يكون لها غِطَاءُ

تَسَتَّر بالسَّخاءِ فَكُلُّ عَيبٍ يَغُطِّيه كما قيل السَّخَاءُ

ولا تُرِ للأعادي قَطُّ ذُلاً فإنَّ شَماتَة الأعداءِ بَلاءُ

ولا تَرجُ السَّماحةَ مِن بَخيلٍ فَما في النَّار للظمآن مَاءُ

وَرزقُكَ لَيس يُنقِصُهُ التأنِّي وليس يَزيدُ في الرِّزق العَنَاءُ

ولا حُزنٌ يدوم ولا سرورٌ ولا بُؤسٌ عليك ولا رَخَاءُ

إذا ما كنتَ ذا قَلبٍ قنوعٍ فأنتَ ومَالِك الدُّنيا سَواءُ

ومَن نَزَلت بِسَاحتهِ المنايا فلا أرضٌ تَقِيه ولا سَماءُ

وأرضُ الله واسِعةٌ ولكن إذا نَزَل القضا ضَاقَ الفَضَاءُ

دَعِ الأيامَ تَغْدرُ كُلَّ حِينٍ فما يُغني عن الموت الدَّواءُ

اللَّهُمَّ ارزقنا لسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، وبدنًا عَلَى البلاء صابرًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

بعد أن لحقت أم سلمة رَضِي الله عَنْهَا بالبيت النبوي واصلت جهادها في سبيل الله والدعوة إليه، وخرجت لأداء العمرة مع رسول الله ﷺ وبعض المهاجرين والأنصار، ولكن قريشًا منعتهم عند الحديبية من إكمال المسير إلى البيت الحرام لأداء العمرة، وجرت المفاوضات بين الطرفين حتى تواصلوا إلى الهدنة عشرة أعوام، والرجوع إلى

المدينة دون أداء العمرة عَلَى أن يؤدوها العام المقبل، ورأى بعض المسلمين أن شروط الصلح مجحفة للمسلمين، ومنهم عمر بن الخطاب رَضِي الله عَنْهُ حتى قال عمر لرسول الله ﷺ: ألستُ نبي الله؟

قال: «**نعم**».

قال عمر: فَلِمَ نُعطي الدَّنية في دِيننا إذًا؟

قال ﷺ: «**إنِّي رَسُول الله ولست عاصيه وهو نَاصري**».

قال: أَوَلَست كنت تحدثنا أنَّا سنأتي البيت فنطوف حقًّا؟

قال: «**بَلَى، أفأخبرتك أنك آتيه العام؟**».

قال عمر: لا.

قال: «**فإنَّك آتيه ومطوّف به**».

وأمر الرسول ﷺ أصحابه أن يفكوا إحرامهم فقال لهم: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**». كررها ثلاث مرات ولم يقم أحد، كأن عَلَى رءوسهم الطير.

ودخل النَّبي ﷺ عَلَى زوجته أم سلمة رَضِي الله عَنْهَا فاضطجع فقالت له: ما لك يا رسول الله؟ فذكر لها أنه أمر النَّاس بالأمر ولم يفعلوه، وهم يسمعون كلامه، وهذا يؤدي بهم إلى الهلاك لعدم اتباعهم النبي ﷺ، فقالت له: أتحب ذلك؟ قال: «**نعم**».

قالت: اخرج، ثم لا تكلم أحدًا حتى تنحر بدنك - أي الهدي - ثم تدعو بحالقك فيحلقك.

فقام الرسول ﷺ وفعل كما أشارت إليه الزوجة الذكية أم سلمة رَضِي الله عَنْهَا، فلما رأى النَّاس ذلك قاموا فنحروا وحلقوا، وانتهت المشكلة ونجا المسلمون من مخالفة أمر رسولهم ﷺ [(١)].

عباد الله...

وقبل أن نودِّع أم المؤمنين أم سلمة رَضِي الله عَنْهَا، نذكر مواقف أخرى من حياتها،

---

(١) «١٠٠ قصة من ذكاء الصحابيات» للأستاذ/ منصور عبد الحكيم (٢١، ٢٢).

فيها عظات ودروس وعبر:

فمن ذلك:

حرصها عَلَى الدعوة إلى الله بلين ورفق: ففي يوم رأت غلامًا وعليه خاتم من ذهب، فقالت لجاريتها: يا جارية ناولنيه، فناولتها الجارية الخاتم، فقالت لها: اذهبي به إلى أهله، واصنعي له خاتمًا من وَرِق (فضة) فقال الغلام: لا حاجة لأهلي فيه، قالت له: فتصدق به، واصنعي له خاتمًا من وَرِق، فكان من ذكاءها وحسن فهمها ألا تُحزن الغلام.

ومن ذلك:

جاء بعض الفقراء المحتاجين إلى أم سلمة رَضِي الله عَنْهَا وألحوا في السؤال، فقامت إحدى النساء وتُدعى أم الحسين وقالت لهم: اخرجوا، وردت أم سلمة بذكاءها عَلَى الجارية التي طردت المساكين من بيتها: ما بهذا أُمرنا يا جارية، ردي كل واحد ولو بتمرة تضعيها في يده[1].

ومن ذلك:

حين نزل قوله تَعَالى: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، ضم الرسول ﷺ الحسن والحسين وأمهما فاطمة رضي الله عنهم أجمعين في حجره وردد الآية الكريمة، وكانت أم سلمة رَضِيَ الله عَنْهَا وابنتها زينب بنت أبي سلمة جالستين فبكت أم سلمة، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما يُبيكيكِ؟» قَالت: يا رسول الله خصصتهم وتركتني وابنتي، فقال لها: «إنَّك وابنتكِ من أهل البيت»[2].

عباد الله...

ومِمَّا ينبغي معرفته: أن أم سلمة رَضِيَ الله عَنْهَا حملت عن النبيّ ﷺ علمًا كثيرًا، وفقهًا غزيرًا، ويبلغ مسندها ثلاثمائة وثمانية وسبعون حديثًا، فكانت بذلك مرجعًا للمسلمين، وقدوة للمهتدين.

---

(١) رواه ابن عبد البر، كما في «١٠٠ قصة من ذكاء الصحابيات» (٢٣).

(٢) «رجال ونساء حول الرسول» للشيخ هاني الحاج (٣٩٦).

وعاشت رَضِيَ الله عَنْهَا حَتَّى بلغها نبأُ استشهاد الحُسين بن عليّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، فوجمت لذلك، وغُشي عليها، وحزنت عليه حزنًا شديدًا، ثم انتقلت إلى جوار ربِّها سنة إحدى وستين، وكانت قَدْ قاربت التسعين من عمرها. رَضِيَ الله عَنْهَا وأرضاها.

۞۞۞۞۞

الخطبة الثانية والخمسون بعد المائة:

[أ] مع أم المؤمنين حفصة بنت عمر

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فلقاؤنا اليوم - إن شاء الله - مع قصّة أُمِّنا أُمِّ المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رَضِي الله عَنْهَا.

وقبل أن أتحدث عن قصّتها، والأحداث التي عاصرتها، وما فيها من دروس وعظات.

أتكلم أولًا عن نسبها ونشأتها.

عباد الله...

أما أبوها: فغنيٌّ عن التعريف، ويكفيه من الفضل الكبير أنه الوزير الثاني للنبيّ ﷺ.

ويكفيه من الطيِّب الفياض ما قالت عائشة رَضِي الله عَنْهَا: «إذا شئتم أن يَطِيبَ المجلسُ فعليكم بِذِكْرِعمر بن الخطاب».

وأمّا أُمُّها: فهي زينب بنتُ مظعون، أخت الصَّحابيّ الجليل عثمان بن مظعون، أحد سادة المهاجرين، وأوَّل مَن دُفن بالبقيع.

وأمّا أخوها: فهو عبد الله بن عمر، الذي شهد له رسول الله ﷺ بالتقيّ والصَّلاح، فقال: «نِعمَ الرَّجُلُ عبد الله، لو كان يُصَلِّي من اللَّيل». فكان بعد لا ينام من اللَّيل إلَّا القليل.

وأمّا عمَّها: فهو زيد بن الخطاب، السَّيِّد الشَّهيد، شهيد معركة اليمامة، قَالَ عنه أخوه عمر: أسلم قبلي، واستشهد قبلي.

وقال أيضًا: «ما هَبَّت الصَّبا إلَّا وأنا أَجِدُ ريحَ زَيد».

وأمّا عَمَّتُها: فهي فاطمة بنت الخطاب، إحدى السَّابقات إلى ساحة الإيمان، مع زوجها سعيد بن زيد، أحد العشرة المبشَّرين بالجنَّة[١].

أيُّها المسلمون...

في هَذِهِ البيئة المباركة، وفي هذا المنبت الطَّيِّب نشأت أُمّ المؤمنين حفصة رَضِيَ الله عَنْهَا.

وكانت إحدى السابقات إلى الإسلام.

تزوَّجها أوَّلًا خُنيس بن حذافة القرشيّ أخو عبد الله بن حذافة، وكان خُنيس أحد السَّابقين هو الآخر إلى الإسلام، فقد أسلم رَضِيَ الله عَنْهُ قبل أن يدخلَ رَسُول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان إسلامه عَلَى يديّ أبي بكر رَضِيَ الله عَنْهُ.

ثم ماذا؟

ثم هاجر خُنيس رَضِيَ الله عَنْهُ بها من مَكَّة إلى المدينة، ولما كانت غزوة «بدر» اشترك خُنيس فيها، وجاهد جِهاد الأبطال، وكان رَضِيَ الله عَنْهُ من السَّابقين الأولين من

---

(١) «نساء مبشَّرات بالجنَّة» أحمد خليل جمعة (٢/ ٢٥٥، ٢٥٦) باختصار.

المهاجرين، وبعد «بدر» أدركته المنيَّة ففاضت روحه إلى الله تَعَالى، وتأيَّمت[١] حفصة رَضِيَ الله عَنْهَا.

عَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، قَالَ: حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا تُوُفِّيَ بِالمَدِينَةِ.

قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ. قَالَ سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي.

فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا.

قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ.

فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ[٢] عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟

قُلْتُ: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا». رواه البخاري.

عباد الله...

وهذا الذي فعله عمر رَضِيَ الله عَنْهُ مِن عَرْض ابنته عَلَى الصَّالحين سُنَّة ماضية، فقد ذكر القرآن عن الرجل الصَّالح شُعيب أَنَّهُ قَالَ لنبيّ الله موسى عليه السَّلام: ﴿**إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ**﴾ [القصص: ٢٧].

فلا يجد الرَّجلُ منَّا في نفسه حرج من ذَلِكَ، فإنَّ البِنْتَ أَمَانة، فلينظر أحدُنا أين يضع كريمته.

---

(١) **الأيمّ**: من لا زوج له من الرجال والنِّساء.

(٢) **وجدت**: غضبت.

إن كثيرًا من البيوت تعرضت لهزَّات أفقدتها الاستقرار بسبب سوء الاختيار.

نعم - يا سادة - ينظر وليُّ الزوجة إلى مال مَن يتقدم لابنته، أو إلى منصبه، أو إلى حسبه ونسبه، ولا ينظر إلى خُلقه ودينه، فضاعت البيوت، بل فسدت البيوت وانهارت، فلا هي أقامت دنيا، ولا هي نصرت دين، فإلى الله المُشتكى.

والمقصود: تم الزواج المبارك، ودخلت حفصة رَضِيَ الله عَنْهَا بيت النبوّة.

ومرَّت الأيام وتعاقبت الليالي، وحفصة أُمّ المؤمنين تنعم في بيت النبوَّة، وتنهل من علم النبيّ ومن أخلاقه الشَّاملة.

ثم ماذا؟

ذات يوم، حدث أن طلقها رَسُول الله ﷺ طلقة، فدارت بها الأرض، وضاقت عليها الدنيا بما رحبت، ويقف اللِّسان عاجزًا عن بيان ما اعتراها من الهمِّ وعلاها من الكرب، وما أصاب عمر رَضِيَ الله عَنْهُ، كذلك من همّ وكرب.

فهل يا ترى ستخرج حفصة من بيت النبوّة، وتُطرد من بين أزواجه الكرام لتعيش كما كانت بلا زوج؟!

وهل يا ترى ستخرج من تحت كنف النبوّة، وتنزل من هذا المكان العالي، لتقعد في بيت أبيها، تعاني من آلامها وأحزانها إلى أن يتوفَّاها الموت؟!

يا أقدام الصَّبر احملي.

وتمرّ الأوقات أثقل من جبل أُحُد، وإذا بجبريل ينزل من السماء يحمل معه البشارة والسعادة، ويأمر النبيَّ ﷺ بمراجعتها.

عَنْ قَيْسِ بن زَيْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ تَطْلِيقَةً، فَأَتَاهَا خَالاهَا قُدَامَةُ وَعُثْمَانُ ابْنَا مَظْعُونٍ، فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا طَلَّقَنِي عَنْ شِبَعٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ، فَتَجَلْبَبَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الجَنَّةِ**»(١).

---

(١) صحيح: قال الهيثمي في «المجمع» (١٥٣٣٤): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، ورواه =

وهذه منقبة عظيمة لأُمِّنا حَفْصَة رَضِيَ الله عَنْهَا.

«رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الجَنَّةِ». هَذِهِ حفصة بنت عمر، وهذه شهادة فخر لها، فهنيئًا لها.

وهنا كَشَفَ الله كربها، وأزال برحمته همّها، وَسُرَّ قَلبُها، وقرَّت عينُها، وسعدت بجوار النبيّ الكريم ﷺ.

أيهَا المسلمون...

إن التربية الإسلامية ذات أهمية لإقامة المجتمعات الفاضلة، والبيوت الربانيَّة التي ترتكز عَلَى الاحترام المتبادل بين الزوجين، وتعليم البنت في بيت أبيها كيف تحترم زوجها وتوقِّره، مِن أهم عوامل العمار في البيت الإسلامي، فيقف شامخًا أمام عوادي الزمن.

وكذلك تثقيف الشباب بأهمية صيانة حق الزوجة، مِن أهم الأسس التي يبنَى عليها البَيت المسلم، ولا ينقطع دور الوالدين بزواج البنت، ولكن لابد من التذكير بين الحين والحين بحقوق الزوج، والصَّبر معه في السَّراء والضرَّاء، ولا يؤسس بيت عَلَى غير هَذِهِ المبادئ إلَّا كان عاقبة أمره خُسرًا.

وإليكم هَذِهِ الرواية:

عَن عمر بن الخطَّاب رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ، فَتَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ اليَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ.

فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ: أَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: أَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ اليَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُنَّ وَخَسِرَ أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ، فَإِذَا هِيَ قَدْ

= أيضًا أبو داود (٢٢٨٣)، وابن ماجه (٢٠١٦).

هَلَكَتْ لَا تُرَاجِعِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَلَا تَسْأَلِيهِ شَيْئًا، وَسَلِينِي مَا بَدَا لَكِ وَلَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْسَمَ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكِ» - يُرِيدُ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا.

وهكذا كان عمر رَضِيَ الله عَنْهُ نِعم الأب الناصح لابنته[1].

فأين هَذِهِ التربية من تربية هذا الزمان؟! إلى الله المشتكى.

أيُّهَا النَّاس...

لا سعادةَ لنا إلَّا باتباع منهج الإسلام، ولا نجاةَ لنا في الدنيا والآخرة إلَّا بهذا الإسلام.

اسمعوا قول الحق سبحانه: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى**﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٦].

وأختم الخطبة الأولى بهذا الأثر المرويِّ عن ابن عباس رَضِيَ الله عَنْهُمَا، عَقِب قوله تَعَالَى: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى**﴾ قال رضي الله عنهما: «ضَمِن الله تعالى لِمَن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألَّا يضلّ في الدُّنيا ولا يشقى في الآخرة»، وتلا هذه الآية.

وعنه: «مَن قرأ القرآن واتَّبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب»[2].

جعلني الله وإيَّاكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

* * *

(١) «نساء مبشرات بالجنة» (٢/ ٢٢٦ وما بعدها).

(٢) «تفسير القرطبي» (١١/ ١٦٩).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

عاشت أُمُّ المؤمنين «حفصة» بجوار زوجها المصطفى ﷺ سعيدة مطمئنة، زاهدة في الدنيا، راغبة في الآخرة.

ولِمَ لا، وقد اختارت كبقيَّة أزواجه ﷺ: الله ورسولَه والدَّارَ الآخرة عَلَى الحياة الدُّنيا وزينتها، وقد نصَّ القُرآنُ الكريم عَلَى ذلك:

قال تَعَالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

قال الحافظ العلَّامة ابن كثير -رَحِمَهُ الله - في تفسيره لهاتين الآيتين: «هذا أمرٌ مِنَ الله تَبارك وتعَالى لِرَسُولهِ ﷺ بأن يُخَيِّرَ نِسَاءَهُ بَيْنَ أن يُفَارِقَهُنَّ، فَيَذْهَبنَ إلى غَيْرِهِ مِمَّن يَحْصُلُ لَهُنَّ عِنْدهُ الحيَاةُ الدُّنيا وزِينَتُهَا، وبَينَ الصَّبرِ عَلَى مَا عِندَهُ مِنْ ضِيقِ الحَالِ، وَلَهُنَّ عِنْدَ الله تَعَالى في ذلك الثَّوابُ الجَزِيلُ، فَاختَرْنَ - رَضِي الله عنهُنَّ وأرضَاهُنَّ - الله ورَسُولَهُ والدَّارَ الآخرَةَ، فَجَمَع الله تَعَالى لَهُنَّ بعدَ ذَلِكَ بَيْنَ خَيرِ الدُّنيا وسَعادَة الآخِرة.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهَا حِينَ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّرَ أَزْوَاجَهُ فَبَدَأَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلا عَلَيْكِ أَنْ لا تَسْتَعْجِلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ**»، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ**﴾ إِلَى تَمَامِ الآيَتَيْنِ. فَقُلْتُ لَهُ: فَفِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ»[1].

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ

(١) رواه البخاري (٤٧٨٥)، ومسلم (١٤٧٥).

بِبَابِهِ جُلُوسٌ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، ثُمَّ أُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَدَخَلَا وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ وَحَوْلَهُ نِسَاؤُهُ وَهُوَ سَاكِتٌ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَأُكَلِّمَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَلَّهُ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ زَيْدٍ - امْرَأَةَ عُمَرَ - فَسَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ آنِفًا فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَا نَوَاجِذُهُ، قَالَ: «هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ».

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَائِشَةَ لِيَضْرِبَهَا، وَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ كِلَاهُمَا يَقُولَانِ: تَسْأَلَانِ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَنَهَاهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَ نِسَاؤُهُ: وَاللهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدَ هَذَا المَجْلِسِ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ.

قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الخِيَارَ فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ فَقَالَ: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَذْكُرَ لَكِ أَمْرًا مَا أُحِبُّ أَنْ تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ» قَالَتْ: مَا هُوَ؟ قَالَ: فَتَلَا عَلَيْهَا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ الآيَةَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: أَفِيكَ أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟! بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَذْكُرَ لِامْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِكَ مَا اخْتَرْتُ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّفًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا لَا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ عَمَّا اخْتَرْتِ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا»[(١)].

قال عِكرمَةُ: وكَانَ تَحْتَهُ يومئذٍ تِسْعُ نِسْوَةٍ، خَمسٌ مِنْ قُرِيشٍ: عائِشَةُ وحَفْصَةُ وأُمُّ حَبِيبَةَ، وسَودَة، وأُمُّ سَلَمَة. وكَانَت تَحْتَهُ ﷺ صَفيَّةُ بِنتُ حُيَيِّ النَّضِيرِيَّةُ، ومَيمُونَةُ بِنتُ الحَارِثِ الهِلاليَّةُ، وزَينبُ بِنْتُ جَحْشٍ الأَسَدِيَّةُ، وجُوَيرِيَةُ بِنتُ الحَارِثِ المُصطَلَقِيَّةُ، رَضِي الله عَنهُنَّ وأرضَاهُنَّ». ا.هـ[(٢)].

وقال العلَّامة السَّعديّ -رَحِمَهُ الله - عند تفسيره لقوله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

«لَـمَّا اجتمع نساء رسول الله ﷺ عليه في الغيرة، وطلبنَّ منه النفقة والكسوة،

---

(١) رواه مسلم (١٤٧٨)، وأحمد (٣/ ٣٢٨).

(٢) «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٦٠ - ٥٦٢).

طلبنَّ منه أمرًا لا يقدر عليه في كل وقت، ولم يزلن في طلبهنَّ متفقات، في مرادهنَّ متعنتات، شَقَّ ذلك على الرسول ﷺ حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهنَّ شهرًا.

فأراد الله أن يسهل الأمر على رسوله، وأن يرفع درجة زوجاته، ويُذْهِبَ عنهن كل أمر ينقص أجرهن، فأمر رسوله أن يخيرهنَّ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: ليس لكن في غيرها مطلب، وصرتن ترضين لوجودها، وتغضبنَّ لفقدها، فلبس لي فيكن أرب وحاجة، وأنتن بهذه الحال.

﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ شيئًا مما عندي، من الدنيا ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ أي: أفارقكن ﴿سَرَاحًا جَمِيلا﴾ من دون مغاضبة ولا مشاتمة، بل بسعة صدر، وانشراح بال، قبل أن تبلغ الحال إلى ما لا ينبغي.

﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ﴾ أي: هذه الأشياء مرادكن، وغاية مقصودكن، وإذا حصل لَكُنَّ الله ورسوله والجنة، لم تبالين بسعة الدنيا وضيقها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله بما تيسر، ولم تطلبن منه ما يشق عليه، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ رتب الأجر على وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات للرسول فإن مجرد ذلك، لا يكفي، بل لا يفيد شيئًا، مع عدم الإحسان، فخيَّرهن رسول الله ﷺ في ذلك، فاخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، كلهن، ولم يتخلف منهن واحدة، رضي الله عنهن.

وفي هذا التخيير فوائد عديدة:

منها: الاعتناء برسوله، وغيرته عليه، أن يكون بحالة يشق عليه كثرة مطالب زوجاته الدنيوية.

ومنها: سلامته ﷺ، بهذا التخيير من تبعة حقوق الزوجات، وأنه يبقى في حرية نفسه، إن شاء أعطى، وإن شاء منع ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾

ومنها: تنزيهه عما لو كان فيهن، من تؤثر الدنيا على الله ورسوله، والدار الآخرة، وعن مقارنتها.

ومنها: سلامة زوجاته -رضي الله عنهنَّ - عن الإثم، والتعرض لسخط الله

ورسوله. فحسم الله بهذا التخيير عنهن، التسخط على الرسول، الموجب لسخطه، المسخط لربه، الموجب لعقابه.

ومنها: إظهار رفعتهن، وعلو درجتهن، وبيان علو هممهن، أن كان الله ورسوله والدار الآخرة، مرادهن ومقصودهن، دون الدنيا وحطامها.

ومنها: استعدادهن بهذا الاختيار، للأمر الخيار للوصول إلى خيار درجات الجنة، وأن يَكُنَّ زوجاته في الدنيا والآخرة.

ومنها: ظهور المناسبة بينه وبينهن، فإنه أكمل الخلق، وأراد الله أن تكون نساؤه كاملات مكملات، طيبات مطيبات ﴿**وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾.

ومنها: أن هذا التخيير داع، وموجب للقناعة، التي يطمئن لها القلب، وينشرح لها الصدر، ويزول عنهن جشع الحرص، وعدم الرضا الموجب لقلق القلب واضطرابه، وهمه وغمه.

ومنها: أن يكون اختيارهن هذا، سببًا لزيادة أجرهن ومضاعفته، وأن يَكُنَّ بمرتبة، ليس فيها أحد من النساء، ولهذا قال بعدها: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٣٠، ٣١].

لما اخترنَّ الله ورسوله والدار الآخرة، ذكر مضاعفة أجْرهن، ومضاعفة وِزْرهنَّ وإثْمهن، لو جَرَى منهنَّ، ليزدادَ حذرهنَّ، وشُكْرهنَّ الله تعالى، فجعل من أتى منهن بفاحشة ظاهرة، لها العذاب ضعفين.

﴿**وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ**﴾ أي: تطيع ﴿**لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا**﴾ قليلا أو كثيرًا، ﴿**نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ**﴾ أي: مثل ما نعطي غيرها مرتين، ﴿**وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**﴾ وهي الجَنَّة، فقنتن لله ورسوله، وعملن صالحًا، فعلم بذلك أجرهنَّ». ا.هـ[١].

عباد الله...

كانت هذه أخلاق أمَّهات المؤمنين، زهد في الدنيا، ورغبة فيما عند الله، فأين نساء

---

(١) «تفسير السَّعدي» (٦٦٢، ٦٦٣).

المؤمنين اليَّوم من هذه الأخلاق؟!

إنَّ كثيرًا من النِّساء يدفعنَّ الرجال إلى أكل الحرام دفعًا، لإشباع رغبات هي في الأصل لا تشبع!!

اللَّهُمَّ اكفنا بحلالك عن حرامك، واغننا بفضلك عمَّن سواك

آمين... آمين... آمين

۞۞۞۞۞

الخطبة الثالثة والخمسون بعد المائة:

[ب] مع أم المؤمنين حفصة بنت عمر

[قصة المغافير، دروس وعظات]

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن قصّة حياة أُمِّ المؤمنين «**حفصة**» رَضِي الله عَنْهَا.

ونلتقي اليَوم - إنْ شَاءَ الله - مع قصة حدثت في بَيْت النبوَّة، اعتزل النبيُّ ﷺ نساءه بسببها شهرًا.

فما هي هَذِهِ القصة؟

قَالَ الله تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّـهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّـهُ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّـهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّـهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّـهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَـٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّـهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّـهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم: ١- ٥].

قَالَ العلَّامة الحافظ ابن كثير - رَحِمَهُ الله تَعَالَى- في تفسيره لهذه الآيات:

«اُخْتُلِفَ فِي سَبَبِ نُزُولِ صَدْرِ هَذِهِ السُّورةِ، فقيلَ: نَزَلت في شَأْنِ مَارِيَةَ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ حَرَّمَهَا، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّـهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ الآية.

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ يَطَؤُهَا فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ حَتَّى حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ[(١)].

وعن ابنِ عَبَّاس قَالَ: قُلْتُ لِعُمرَ بن الخَطَّابِ: مَن المرأتانِ؟ قَالَ: عَائِشَةُ وحَفْصَةُ، وكَانَ بَدءُ الحديثِ في شأنِ أُمِّ إبراهيمَ مَارِيَةَ أصابَهَا النَّبِيُّ ﷺ في بَيْتِ حَفصةَ في نَوبَتِهَا، فَوَجِدَت حَفْصَةُ، فقَالَت: يَا نَبيَّ الله، لَقَد جِئْتَ إلَيَّ شَيْئًا مَا جِئْتَ إلى أحدٍ مِنْ أَزْوَاجِكَ فِي يَوْمِي، وفِي دَوْرِي، وعَلَى فِرَاشِي، قَالَ: «ألا تَرضَيْنَ أن أُحَرِّمَهَا فَلَا أَقْرَبَهَا؟» قَالت: بَلَى، فَحَرَّمها، وقال: «لا تَذْكُري ذَلِكَ لأحَدٍ»، فَذَكَرَتهُ لعائِشَةَ، فأظْهَرَهُ الله عَلَيْهِ، فَأَنزَلَ الله تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّـهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ الآيات.

وعن سَعيد بن جُبَيرٍ: أَنَّ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي الحَرَامِ: «يَمِينٌ يُكَفِّرُهَا»، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]»[(٢)].

يَعْنِي: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَرَّمَ جَارِيتَهُ، فَقَالَ الله تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٤٩٥).
(٢) أخرجه البخاري (٤٩١١)، ومسلم (١٤٧٣).

اللَّـهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّـهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ [التحريم: ١، ٢] فكَفَّرَ يمينَهُ فصَيَّرَ الحَرَامَ يَمِينًا.

ومِنْ هَهُنَا ذَهَبَ مَنْ ذهب مِنَ الفُقَهَاءِ مِمَّن قَالَ بِوُجُوبِ الكَفَّارةِ عَلَى مَنْ حَرَّمَ جَارِيَتَهُ أو زَوجَتَهُ، أَوْ طَعَامًا أَوْ شَرَابًا، أَوْ مَلبَسًا، أَوْ شَيئًا مِنَ المُبَاحَاتِ، وهُوَ مَذْهَبُ الإمام أحمَدَ وطَائِفَةٍ، وذَهَبَ الشَّافِعِيُّ إلى أنَّهُ لا تَجِبُ الكَفَّارةُ فِيمَا عَدَا الزَّوجَةِ والجَارِيَةِ، إذا حَرَّم عَيْنَيْهِمَا أَوْ أطلَقَ التَّحريمَ فِيهمَا في قَولِهِ، فَأَمَّا إذا نَوَى بِالتَّحريمِ طَلَاقَ الزَّوجةِ أَوْ عِتْقِ الأَمَةِ، نَفَذَ فِيهِمَا.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا، فَتواطَأتُ أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، قَالَ: «**لَا، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ وَقَدْ حَلَفْتُ، لَا تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا**»[1].

وَأَوْرَدَ البُخَارِيُّ فِي «الأيمانِ والنُّذُورِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ إِنِّي: أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**لَا بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ**»، فَنَزَلَتْ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...**﴾ إِلَى قوله تَعَالَى: ﴿**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾ : لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا**﴾: لِقَوْلِهِ «**بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا**»[2].

وقَالَ إِبْرَاهِيمُ بنُ مُوسَى، عَنْ هِشَامٍ: «**وَلَنْ أَعُودَ لَهُ وَقَدْ حَلَفْتُ فَلَا تُخْبِرِي بِذَلِكِ أَحَدًا**»[3].

عَنْ عَائِشَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ العَسَلَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩١٢)، ومسلم (١٤٧٤).

(٢) رواه البخاري (٦٦٩١).

(٣) رواه البخاري (٤٩١٢).

وَالحَلْوَاءَ، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ العَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ فَاحْتَبَسَ أَكْثَرَ مَا كَانَ يَحْتَبِسُ فَغِرْتُ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي: أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسَلٍ فَسَقَتْ النَّبِيَّ ﷺ مِنْهُ شَرْبَةً.

فَقُلْتُ: أَمَا وَاللهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ: إِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ فَإِذَا دَنَا مِنْكِ فَقُولِي: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ لَا، فَقُولِي لَهُ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ؟ فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ، فَقُولِي لَهُ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ، وَسَأَقُولُ ذَلِكِ، وَقُولِي أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ ذَاكِ.

قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَامَ عَلَى البَابِ فَأَرَدْتُ أَنْ أُبَادِيَهُ بِمَا أَمَرْتِنِي بِهِ فَرَقًا مِنْكِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا قَالَتْ لَهُ سَوْدَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ قَالَ: «لَا» قَالَتْ: فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ؟ قَالَ: سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ. فَقَالَتْ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ. فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ قُلْتُ لَهُ نَحْوَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى صَفِيَّةَ قَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى حَفْصَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا أَسْقِيكَ مِنْهُ؟ قَالَ: «لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ».

قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَاللهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ، قُلْتُ لَهَا: اسْكُتِي[١].

وفي روايةٍ قالت عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ رِيحٌ - يَعني: الرِّيحُ الخَبِيثَةُ، وَلِهذَا قُلْنَ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؛ لأنَّ رِيحَهَا فِيهِ شَيءٌ - فلمَّا قالَ: «بَل شَربتُ عسلًا» قُلنَ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ[٢]، أي رَعَت نَحْلُهُ شَجَرَ العُرفُطِ الذي صَمغُهُ المَغَافِيرُ، فَلِهَذَا ظَهَرَ رِيحُهُ في العَسَلِ الذِي شَرِبَتهُ.

والغَرَضُ أنَّ هَذَا السِّيَاقَ فيهِ: أنَّ حَفصَةَ هي السَّاقِيةُ للعَسَلِ، وفي الآخرِ: أنَّ زَيْنَبَ بنتَ جَحْشٍ هِيَ الَّتي سَقَتْهُ العَسَل، وأنَّ عَائِشَةَ وحَفْصَةَ تَواطَأَتَا وتَظَاهَرَتَا عَلَيهِ، فَالله أعلم.

وقَدْ يُقَالُ: إنَّهُما واقِعَتَانِ، ولا بُعْدَ في ذَلِكَ، إلَّا أنَّ كَونَهُمَا سَبَبًا لِنُزُول هَذِهِ الآيَةِ فيهِ نَظَرٌ، والله أعلمُ.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٦٨).

(٢) رواه مسلم (١٤٨٤).

ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى أنَّ عَائِشَة وحَفْصَة رَضِيَ الله عَنْهُمَا هُمَا المُتَظَاهِرَتَانِ، الحَدِيثُ الذِي رَوَاهُ الإِمَامُ أحمَدُ، عَنْ ابنِ عَبَّاس قَالَ:

«لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ المَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، حَتَّى حَجَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَجَجْتُ مَعَهُ فَلَمَّا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّزَ ثُمَّ أَتَانِي فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مَنْ المَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ - قَالَ الزُّهْرِيُّ: كَرِهَ وَاللَّهِ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ وَلَمْ يَكْتُمْهُ عَنْهُ -. قَالَ: هِيَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ.

قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ يَسُوقُ الحَدِيثَ، قَالَ: كُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ، قَالَ: وَكَانَ مَنْزِلِي فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ بِالعَوَالِي، قَالَ: فَتَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ اليَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ.

قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ: أَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ اليَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ؟! لَا تُرَاجِعِي رَسُولَ اللَّهِ وَلَا تَسْأَلِيهِ شَيْئًا وَسَلِينِي مَا بَدَا لَكِ وَلَا يَغُرَّنَّكِ إِنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْسَمَ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْكِ - يُرِيدُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَالَ: وَكَانَ لِي جَارٌ مِنْ الأَنْصَارِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَآتِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ الخَيْلَ لِتَغْزُوَنَا فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمًا ثُمَّ أَتَانِي عِشَاءً فَضَرَبَ بَابِي ثُمَّ نَادَانِي فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: وما ذاك؟ أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟ قَالَ: لَا بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَطْوَلُ، طَلَّقَ الرَّسُولُ نِسَاءَهُ، فَقُلْتُ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا كَائِنًا.

حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الصُّبْحَ شَدَدْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي ثُمَّ نَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ وَهِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ: أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: لَا أَدْرِي، هُوَ مُعْتَزِلٌ فِي هَذِهِ المَشْرُبَةِ، فَأَتَيْتُ غُلَامًا لَهُ أَسْوَدَ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ الغُلَامُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ المِنْبَرَ فَإِذَا عِنْدَهُ رَهْطٌ جُلُوسٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ قَلِيلًا ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَأَتَيْتُ الغُلَامَ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ فَدَخَلَ الغُلَامُ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيَّ فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَخَرَجْتُ فَجَلَسْتُ إِلَى المِنْبَرِ ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ فَأَتَيْتُ الغُلَامَ فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ.

فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا فَإِذَا الغُلَامُ يَدْعُونِي فَقَالَ: ادْخُلْ فَقَدْ أَذِنَ لَكَ، فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى رَمْلِ حَصِيرٍ.

قَالَ الإِمَامُ أحمد: وَحَدَّثَنَاه يَعْقُوبُ فِي حَدِيثِ صَالِحٍ قَالَ: رِمَالِ حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ.

فَقُلْتُ: أَطَلَّقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: «لَا»، فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، لَوْ رَأَيْتَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ فَتَغَضَّبْتُ عَلَى امْرَأَتِي يَوْمًا فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ اليَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ.

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ: لَا يَغُرُّكِ إِنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْسَمَ وَأَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكِ، فَتَبَسَّمَ أُخْرَى. فَقُلْتُ: أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَجَلَسْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي البَيْتِ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ البَصَرَ إِلَّا أَهَبَةً ثَلَاثَةً، فَقُلْتُ: ادْعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ فَقَدْ وُسِّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاسْتَوَى جَالِسًا ثُمَّ قَالَ: «**أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا**».

فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَكَانَ أَقْسَمَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ

مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ، حَتَّى عَاتَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ [١].

وأَخْرَجَهُ الشَّيخَانِ مِنْ حَديثِ يَحْيَى بنِ سَعيدِ الأَنْصَاريِّ، عَن ابنِ عَبَّاس قَالَ: «مَكَثْتُ سَنَةً أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ عَنْ آيَةٍ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْأَلَهُ هَيْبَةً لَهُ، حَتَّى خَرَجَ حَاجًّا فَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا رَجَعْنَا وَكُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ إِلَى الأَرَاكِ لِحَاجَةٍ لَهُ، قَالَ: فَوَقَفْتُ لَهُ حَتَّى فَرَغَ ثُمَّ سِرْتُ مَعَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مَنْ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَزْوَاجِهِ؟ - هذا لفظ البُخَاريِّ - وَلِمُسلم: مَنِ المرأَتَانِ اللَّتَانِ قَالَ الله تَعالى فيهما: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾؟ قَالَ: عَائِشَةُ وحَفْصَةُ، ثُمَّ سَاقَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ ومِنْهُمْ مَنِ اخْتَصَرَهُ»[٢].

وعَنْ عُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بالحَصَى وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرْنَ بِالحِجَابِ، فَقُلْتُ: لأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ اليَوْمَ... فَذَكَرَ الحَديثَ في دُخُولِهِ عَلَى عَائِشَةَ وحَفصَةَ، وَوَعْظَهُ إِيَّاهُمَا، إلى أن قَالَ: «فَدَخَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبَاحٍ غُلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاعِدًا عَلَى أُسْكُفَّةِ المَشْرُبَةِ، فَنَادَيْتُ: يَا رَبَاحُ اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فذكَرَ نَحْوَ ما تَقَدَّم.

إلى أن قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ وَأَحْمَدُ اللهَ بِكَلَامٍ إِلَّا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، آيَةُ التَّخْيِيرِ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾، وقوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ وَالمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَطَلَّقْتَهُنَّ؟ قَالَ: «لَا»، فَقُمْتُ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٣)، والبخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩).

(٢) البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩).

مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، فَكُنْتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الأَمْرَ»[(١)].

وعَنْ أنسٍ قَالَ: قَال عُمَرُ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: **﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾**، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ[(٢)].

وقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ وَافَقَ القُرآنَ في أَمَاكِنَ، مِنْهَا في نُزُولِ الحِجَابِ، وَمِنْهَا في أَسَارَى بَدْرٍ، ومِنْهَا قَولُهُ: لَوِ اتَّخَذتَ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَأَنزَلَ الله تَعَالى: **﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾** [البقرة: ١٢٥].

ومَعْنَى قَولِهِ: **﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ﴾** ظَاهِرٌ، وقوله تعالى: **﴿سَائِحَاتٍ﴾** أي: صَائِمَاتٌ، **﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾** أي: مِنْهُنَّ ثَيِّبَاتٍ، ومِنهنَّ أبكَارًا، لِيَكُون ذلك أشهَى إلى النَّفسِ، فإنَّ التَّنَوُّع يُبسِطُ النَّفْسَ، ولهذَا قال: **﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾**» ا.هـ[(٣)].

عباد الله...

كانت هذه قصة «المغافير»، أمَّا الدروس والعِظَّات والفوائد المستفادة منها، فهذا ما سنذكره بعد قليل - إن شاء الله .

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ففي القصَّة السَّابقة فوائد، منها:

الفائدة الأولى: سؤال العَالِم عن بعض أموره الشخصية وإن كان فيها غضاضة، إذا كان في الأمر منفعة وَسُنَّة تُنْقَل، فابن عباس سأل عمر عن المرأتين وكانت ابنة عمر رَضِي الله عَنْهُم أجمعين منهما.

---

(١) مسلم (١٤٧٩).

(٢) رواه البخاري (٤٠٢).

(٣) «صحيح تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٧٣- ٤٧٩).

الفائدة الثانية: توقير العالم وعدم الاجتراء عليه، وترقب خلوات العالِمِ لسؤاله عمَّا يكره أن يسأل عنه إذا كان في حضرة النَّاس.

الفائدة الثالثة: مراعاة المروءة.

الفائدة الرابعة: تأديب الرجل ابنته، فالإنسان إذا كان له ابنة تحت زوج، فإنه ينبغي عليه أن يؤدب ابنته، ويدخل عليها ويعظها لما فيه مصلحة لزوجها ولها.

الفائدة الخامسة: أن الإنسان عليه أن يصبر لسؤال العالم ولو طال الوقت، فابن عباس مكث سنة حتى سأل عمر.

الفائدة السادسة: مهابة الطالب للعالِمِ، وتواضع العالِمِ للطالب وصبره عَلَى المسألة.

الفائدة السَّابعة: أن الأب له أن يدخل عَلَى ابنته إذا كانت متزوجة ولو بغير إذن الزوج، وأن التنقيب عن أحوال النِّساء المتزوجات مثل البنت والأخت لأجل إصلاح الأحوال لا حرج فيه.

الفائدة الثَّامنة: أن طالب العلم ينبغي أن يجعل وقتًا لتحصيل كسبه ومعاشه، فقد جعل عمر رَضِي الله عَنْهُ يوم للعمل ويوم للعلم[(١)].

الفائدة التاسعة: البحث عن مسائل العلم في الطرق والخلوات، وفي حال القعود والمشي، وأن العلم ليس محدودًا في المسجد أَوْ في الحلقة، حتى لو كان يمشي يسأل، ولو كان العالِم يطوف حول الكعبة يسأل، فابن عباس سأل عمر وهو يصب له الماء.

الفائدة العاشرة: الصَّبر عَلَى الزوجات والتغاضي عنهنَّ، والصَّفح عن أخطائهنَّ أمر في غاية الأهمية ولا يمكن أن تستمر العِشرة بدون هذا، أمَّا إذا توقف الزَّوج عند كل صغيرة وكبيرة من الزوجة لا يمكن أن تستمر العِشرة.

الفائدة الحادية عشرة: فيه أهمية الاستئذان وأن الإنسان لا يقتحم بيت الكبير، ولابد أن يستأذن عليه.

الفائدة الثانية عشرة: الرفق بالأصهار، والحياء منهم.

---

(١) وقد كان السَّلف يُحِبّون العلم حبًّا ربما أضرّ بدنياهم، ولكن لا يضيِّعون مَن يعولون، فتنبّه.

الفائدة الثالثة عشرة: أن الاستئذان عَلَى الإنسان، واجب ولو كان وحده، لاحتمال أن يكون في حالة يكره أن يطّلع أحد عليها.

الفائدة الرابعة عشرة: جواز تكرار الاستئذان مرة واثنتين وثلاثة، وأن لا يجاوز ثلاث مرات(١).

الفائدة الخامسة عشرة: أن الإنسان إذا استعجل الملذات في الدُّنيا، واستمتع بالطيبات واستكثر، فذلك مِمَّا ينقص من نعيمه في الآخرة، وأنه لو ترك الانهماك في الملذات والمباحات ادخر له ذلك في الآخرة.

نعم؛ إن الاستمتاع بالمباحات ليس حرامًا، لكن لو ترك الإنسان الفِراش الوثير والمركب الفاخر، ادخارًا للآخرة فهو خير له، فلو كان إنسان يستطيع أن يشتري غرفة نوم بعشرين ألف، لكنه اشترى غرفة متواضعة ادخارًا لنعيمه في الآخرة فهذا أفضل، فليس الاستمتاع بالمباحات حرامًا، لكن الانهماك فيها يقلل من تمتعه في الآخرة.

الفائدة السادسة عشرة: أن معيشة النبي ﷺ كانت عَلَى هذه الحال من الزهد والشِّدة، مع إمكانه ﷺ أن يأتي بأشياء كثيرة من الفرش يملأ بها بيته ولكنه ﷺ زهد في كل ذلك.

الفائدة السابعة عشرة: ما يتعلق بالأخوّة، وهي أن الإنسان إذا رأى أخاه مهمومًا، حزينًا، استحب له أن يحدثه بما يزيل همَّه، ويفرِّج كربه، وينفِّس عنه حزنه، ولذلك عمر قال في الحديث: لأقولنَّ شيئًا يُضحك النبيّ ﷺ، فحدَّثه عما كان بينه وبين زوجته من الكلام، وماذا قالت له وبماذا ردت عليه حتى ابتسم النبي ﷺ.

الفائدة الثامنة عشرة: وفيه أن يجوز للإنسان أن يستعين بغيره في الوضوء ليصب له الماء.

الفائدة التاسعة عشرة: أن الإنسان إذا حلف عَلَى شيء فإن لغيره أن يذكره بمخالفته للقسم، فالنبي حلف أن يبتعد عن نساءه شهرًا، فدخل بعد تسع وعشرون، فقالت له

---

(١) قال ﷺ: «إذا استأذن أحدُكم ثلاثًا فلم يُؤذن له فليرجع». رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٤٠١٠).

عائشة: ما أكملت شهرًا مضى تسعة وعشرون يومًا فقط، فذكرته.

فإذا حلف إنسان ألَّا يفعل شيئًا، ثم فعله ناسيًا، فإن لصاحبه أن يذكره ويقول: ألم تقسم أن لا تفعل كذا؟ فتذكير الحالف إذا فعله ناسيًا يؤخذ من الحديث.

لكن عائشة رَضِي الله عَنْهَا كانت تظن أن الشَّهر لا يكون إلا ثلاثين، فأخبرها النبي ﷺ أن الشّهر قد يكون تسعة وعشرون، وقد يكون ثلاثون، وكان الشهر في الحالة التي حدثت مع زوجاته تسعة وعشرون يومًا، وعرف بالهلال أنه تسعة وعشرون.

الفائدة العشرون: أن التناوب في مجلس العلم من سنة الصحابة، وأن الإنسان إذا لم يحضر مجلس العلم لشاغل، فإنه يأخذه من غيره، فلا يفوت العلم ويسأل مَن حضر ويأخذه منه.

الفائدة الحادية والعشرين: وهذه الفائدة هامة جدًّا وهي:

عدم التورط في نشر الإشاعات، قيل: إن المنافقين وراء الإشاعة، استغلوا أن النبي ﷺ حلف أن لا يقرب نساءه، ونشروا الإشاعة بين الصحابة ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ**﴾ [النساء: ٨٣]، ولو لم يشيعوه وردوه إلى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم.

فالحذر الحذر من نشر الإشاعات فإن نشر الإشاعات حرام لا يجوز، والإشاعة تبقى إشاعة ولو كثر ناقلوها، فكل مَن كان عند المنبر من الصحابة كانوا يظنون أنه ﷺ طَلَق نساءه، حتى عمر سمع الخبر وهؤلاء الصحابة مجتمعون والخبر عم المدينة، ومن الممكن فعلًا أن تكون هذه الإشاعة من المنافقين ولكن بعض الصحابة تساهلوا في نقل الإشاعة وأخبر بعضهم بعضًا بها.

فلا ينبغي لمسلم أبدًا أن يطلق لسانه بالكلام والإشاعات ولكنه عليه أن يتأكد من مصدر الخبر ويكون مستنده: «سمعت»، و«رأيت»، أما: «فهمت» فلا، ولو كثر الناقلون للخبر فربما يكون لا أصل له، وما أكثر ذلك في هذه الأيام.

الفائدة الثانية والعشرون: أن الغضب والحزن يحمل الشخص الوقور العاقل عَلَى ترك التأني، قال عمر: «ثم غلبني ما أجد»، مع أنه حليمٌ ووقور، قال: «غلبني ما أجد».

الفائدة الثالثة والعشرون: أنه يجوز أن ينظر الإنسان في نواحي بيت صاحبه إذا كان يعلم أنه لا يكره ذلك، وإنما النَّهي عن فضول النظر إذا كان لا يعلم هل صاحبه يرضى أم لا؟ فإذًا في هذه الحالة من الأدب أن يقصر نظره عَلَى الموضع الذي هو فيه، ولا يطلق نظره ولا ينظر من خلال الأبواب المفتوحة، أَوْ إذا فتح الباب ينظر، فهذا من قلة الأدب ومن التفتيش وتعمد النظر المكروه.

الفائدة الرابعة والعشرون: موعظة النَّبيِّ ﷺ لعمر رَضِي الله عَنْهُ في إيثار الآخرة عَلَى الدنيا وعدم التطلع لما في أيدي الأغنياء والمترفين ككسرى وقيصر؛ لأن كل ما عندهم ذاهبٌ، وما عند الله باق»[1].

عباد الله...

وكانت أُم المؤمنين حفصة ذات بلاغة وفصاحة، وذكاء، ومن مواقفها المشهورة التي دلَّت عَلَى فصاحتها وعظيم صبرها، موقفها يوم قُتل أبيها، فقد خطبت رَضِي الله عَنْهَا بعد قتل أبيها، فقالت:

«الحمد لله الذي لا نظير له، والفرد الذي لا شريك له، أما بعد...

فكل العجب من قومٍ زين الشيطان لهم أفعالهم، وأرعوى إلى صنيعهم، ونصب حبائله لختلهم، حتى همَّ عدوّ الله بإحياء البدعة، ونبش الفتنة، وتجديد الجور بعد دروسه، وإظهاره بعد دثوره، وإراقة الدماء، وإباحة الحمى، وإنتهاك محارم الله عز وجل، بعد تحصينها، فأضرى وهاج، وتوغر، وثار غضبًا لله ونصرة لدين الله، فأخسأ الشيطان، ووقم كبده، وكفكف إرادته، وقدع محنته، وأصعر خده لسبقه إلى مشايعة أولى النَّاس بخلافة رسول الله ﷺ الماضي عَلَى سننه، المقتدي بدينه، المقتص لأثره، فلم يزل سراجه زاهرًا، وضوءه لامعًا، ونوره ساطعًا له من الأفعال الغرر، ومن الأراء المصاص، ومن التقدم في طاعة الله اللباب، إلى أن قبضه الله إليه قاليًا لما خرج منه، شانيًا لما ترك من أمره، شيقًا لمن كان فيه، صبًا إلى ما صار إليه، وائلًا إلى ما دعى إليه، عاشقًا لما هو فيه، فلما صار إلى التي وصفت، وعاين لما ذكرت أومأ بها إلى أخيه المعدلة، ونظيره

(١) «من القصص النبوي» لمحمد صالح المنجد (٣١١- ٣١٧) باختصار، وإضافة.

في السيرة، وشقيقه في الديانة، ولو كان غير الله أراد لأمالها إلى ابنه، ولصيرها في عقبه، ولم يخرجها من ذريته.

فأخذها بحقها، وقام فيها بقسطها، لم يَؤُده ثِقَلِها، ولم يبهظه حفظها، مشرِّدًا للكفر عن موطنه، ونافرًا له عن وكره، ومثيرًا له من مجثمه، حتى فتح الله عز وجل عَلَى يديه أقطار البلاد، ونصر الله بقدمه وملائكته تكنفه، وهو بالله معتصم، وعليه متوكل، حتى تأكدت عرى الحق عليكم عقدًا، واضمحلت عرى الباطل عنكم حلًّا، نوره في الدجنات ساطع، وضوءه في الظلمات لامع، قاليًا للدنيا، إذا عرفها لافظًا لها إذ عجمها، وشانيًا لها إذ سبرها، تخطبه ويقلاها، وتريده ويأباها، لا تطلب سواه بعلًا، ولا تبغي سواه نحلًا، أخبرها أن التي يخطب أرغد منها عيشًا، وأنضر منها صورًا، وأدوم منها سرورًا، وأبقى منها خلودًا، وأطول منها أيامًا، وأغدق منها أرضًا، وأنعت منها جمالًا.

فأقام فيها دعائم الإسلام، وقواعد السُّنة الجارية، ورواسي الآثار الماضية، وأعلام أخبار النبوّة الطاهرة، وظل خميصًا من بهجتها، قاليًا لأثاثها، لا يرغب في زبرجدها، ولا تطمح نفسه إلى جدتها، حتى دُعي فأجاب، ونودي فأطاع عَلَى تلك الحال، فاحتذى في النَّاس بأخيه، فأخرجها من نسله، وجعلها شورى بين إخوته، فبأي أفعاله تتعلقون؟! وبأي مذاهبه تتمسكون؟! أبطرائقه القويمة في حياته؟ أم بعدله فيكم عند وفاته؟

ألهمنا الله وإيَّاكم طاعته» ا.هـ[(١)].

عباد الله...

وعاشت حفصة رَضِي الله عَنْهَا بعد وفاة زوجها ﷺ ووفاة أبيها رَضِي الله عَنْهُ صائمة، قائمة، عابدة، تُثبِّت علم النبوّة للناس، وترشدهم إلى طريق الحق والهدى، وفي شهر شعبان سنة خمس وأربعين، فاضت روحُها الطاهرة، عن عمر يناهز الستين عامًا. وكان ذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان. رَضِي الله عَنْهَا وأرضاها.

✡✡✡✡✡

---

(١) «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٧٦، ٢٧٧).

الخطبة الرابعة والخمسون بعد المائة:

مع أم المؤمنين زينب بنت جحش

مواقف.. وأحداث.. وعظات

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فنلتقي اليوم مع أُمِّ المؤمنين «**زَيْنب بنت جحش**» رَضِي الله عَنْهَا.

عباد الله...

هي: زينب بنت جحش بن رئاب بن أسد بن خزيمة، أُمّ المؤمنين رَضِي الله عَنْها.

وأمُّها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، عمَّة رسول الله ﷺ.

قَالَ الزهريّ: «تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رئاب بن أسد بن

خزيمة، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمَّة رسول الله ﷺ»[١].

وكانت رَضِيَ الله عَنْهَا اسمها «برّة» فسمّاها رسول الله ﷺ «زَينب»، وتُكنى أُمّ الحكم، وهي التي زوجها الله تَعَالى لرسوله ﷺ من فوق سبع سموات. قَالَ تَعَالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وكانت قبله عند مَولاه «زيد بن حارثة» فلما طلقها «زيد» تزوجها رسول الله ﷺ ولهذا الزواج قصّة:

يُروى عن زَينب بنت جحش أنّها قالت: «خَطَبَنِي عِدَّةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَرْسَلْتُ أُخْتِي «حَمْنَةَ» إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْتَشِيرُهُ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيْنَ هِيَ مِمَّنْ يُعَلِّمُهَا كِتَابَ رَبِّهَا وَسُنَّةَ نَبِيِّهَا؟**»، قَالَتْ: وَمَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: زَيْدُ بن حَارِثَةَ، قَالَ: فَغَضِبَتْ «حَمْنَةُ» غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُزَوِّجُ بنتَ عَمَّتِكَ مَوْلاكَ؟

قَالَتْ: جَاءَتْنِي فَأَعْلَمَتْنِي فَغَضِبْتُ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِهَا، وَقُلْتُ أَشَدَّ مِنْ قَوْلِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قَالَتْ: فَأَرْسَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقُلْتُ: إِنِّي اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، افْعَلْ مَا رَأَيْتَ، فَزَوَّجَنِي زَيْدًا، وَكُنْتُ أَزْرِي عَلَيْهِ، فَشَكَانِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَاتَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ عُدْتُ فَأَخَذْتُهُ بِلِسَانِي، فَشَكَانِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أُطَلِّقُهَا.

قَالَتْ: فَطَلَّقَنِي، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي لَمْ أَعْلَمْ إِلا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ دَخَلَ عَلَيَّ بِبَيْتِي وَأَنَا مَكْشُوفَةُ الشَّعْرِ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِلا خِطْبَةٍ وَلا إِشْهَادٍ؟ فَقَالَ: «**اللَّهُ الْمُزَوِّجُ وَجِبْرِيلُ الشَّاهِدُ**»[٢].

وهذه الرواية وإن كانت ضعيفة السند إلَّا أن لها شواهد من القرآن والسُّنة كما

---

(١) قال الهيثميّ في «المجمع» (١٥٣٤٦): رواه الطبراني مرسلًا، ورجاله ثقات.

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه حفص بن سليمان، وهو متروك، وفيه توثيق لين. «المجمع» برقم (١٥٣٤٤).

سيأتي، إن شاء الله تَعَالَى.

عباد الله...

وحامت شبهات حول طلاق زينب من زيد ونَسَجَ بعض القصَّاص حول هذا الزواج روايات مُخترعة، منها:

ما يُروى أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بيت زيد في غيبته فرأى زينب في زينتها، وفي رواية: أن الريح كشفت عن ستر بيتها، فرآها في حُسنها، فوقع حُبها في قلبه فرجع وهو يقول: «سبحان الله العظيم، سبحان مقلب القلوب»، فلما حضر زيد أخبرته بكلام رسول الله ﷺ فذهب زيد، وقال: بلغني أنك أتيت منزلي، فهلَّا دخلت يا رسول الله، لعل زينب أعجبتك، فأفارقها، فقال له رسول الله ﷺ: «أمسك عليك زوجك، واتق الله» فنزلت الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ... ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧].

وهذه الرواية إنَّما هي من وضع أعداء الدِّين، وقَدْ نسج المستشرقون من تلك الرواية المختلقة ثوبًا من الكَذِب والخيال، وصوروا السَّيدة زينب وقَدْ رآها النبيُّ الطاهر، كما يصور الشباب الطائش إحدى غادات المسرح، وطعنوا في غير مطعن.

يقول الدكتور هكيل في «حياة محمد» [1]: ويطلق المبشِّرون[2] والمستشرقون لخيالهم العنان، حين يتحدثون عن تاريخ مُحَمَّد ﷺ، في هذا الموضوع، حَتَّى ليصور بعضهم زينب ساعة رآها النبي ﷺ وهي نصف عارية أو تكاد، وقَدْ انسدل ليل شعرها عَلَى ناعم جسمها، الناطق بما يكنه من كل معاني الهوى، وليذكر آخرون: أَنَّهُ حين فتح باب بيت «زيد» لعب الهواء بأستار غرفة زينب، وكانت ممدودة عَلَى فراشها في ثياب نومها، فعصف منظرها بقلب هذا الرجل الشديد الولع بالمرأة ومفاتنها، فكتم ما في نفسه، وإن لم يطق الصبر عَلَى ذَلِكَ طويلًا.

وأمثال هَذِهِ الصور التي أبدعها الخيال، كثيرة؛ تراه في «موير»، وفي «دِر مِنجم» وفي

(١) (ص٣٠٨).
(٢) هم منصِّرون وليسوا مُبشِّرين.

«واشنطن ارفنج» وغيرهم من المستشرقين والمبشّرين، وثمة حجة دامغة تُذهب بالقصة من أساسها، فالسيدة زينب هي بنت أميمة، بنت عبد المطلب، بنت عمَّة رسول الله ﷺ، وقَدْ ربيت عَلَى عينه، وشهدها وهي تحبوا، ثم وهي شابة، وله بحكم صلة القرابة معرفة بها، وبمفاتنها، وهو الذي خطبها لزيد، فغير معقول ألَّا يكون شاهدها، فلو كان يهواها فأيّ شيء كان يمنعه من زواجها، وإشارة منه كافية لأن يقدموها له وما ملكت؟!

فمثله وهو في الذروة من قريش نسبًا وخُلقًا ودينًا، ما كان يُقدعُ أنفه[1].

ومن بعد ذَلِكَ، فحياة رسول الله ﷺ من صباه إلى كهولته إلى أن تُوفِّي، تردُّ هَذِهِ الفرية، فحياته لم تكن حياة حُب واستهتار ولا عُرِفَ عنه أَنَّهُ كان زير نساء، ولا صريع الغواني، وإنَّما كانت حياة الشرف والكرامة، ما عرفت الدنيا أطهر ذيلًا منه، ولا أعف منه، ولا لمست يده قطّ يد امرأة لا تحل له بشهوة، وكيف يكون عَلَى هَذِهِ الحال الذي افتروها مَن خاطبه من يعلم السِّر وأخفى، بقوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

ولو كان رسول الله ﷺ صاحب هوى، أو غرام، لأشبع رغبته وهو في ميعة الصبا وشرخ الشباب، أيام أن كان الغيد الكواعب من بنات الأشراف تشرئب أعناقهن إلى أن يكن حليلات له، ولكنه قضى شبابه مع سيدة تزيد عَلَى الأربعين، ورضيها زوجًا له، حَتَّى توفَّاها الله، ومهما قيل في جمالها، فهناك غيرها من الأبكار الشابات من يفقنها في الجمال[2].

لقد تزوج النبيُّ ﷺ زينب رَضِيَ الله عَنْهَا بأمر من الله أولًا ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾، ولإبطال عادة التَّبنيّ ثانيًا ﴿لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

هذا هو الحق، وقُتل الخرَّاصون الذين يهرفون بما لا يعرفون.

---

(١) مثل يُضرب للرجل الكفء الكريم.

(٢) «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لأبي شهبة.

وساق ابن أبي حاتم القصَّة سياقًا حسنًا عن السُّدِّي - رَحِمَهُ الله - قَالَ: «بلغنا أن هَذِهِ الآية أُنزلت في زينب بنت جحش رَضِيَ الله عَنْهَا، وكانت أُمها أميمة بنت عبد المطلب عمَّة رسول الله ﷺ، فأراد أن يزوّجها زيد بن حارثة رَضِيَ الله عَنْهُ، فكرهت ذَلِكَ ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوّجها إيَّاه، ثم أعلم الله نبيّه ﷺ بعد أن زوّجها أنها من أزواجه، فكان يستحيي أن يأمر زيد بن حارثة بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب بعض ما يكون بين النَّاس، فيأمره رسول الله ﷺ أن يمسك عليه زَوجه، وأن يتقي الله، وكان يخشى النَّاس أن يعيبوا عليه، أن يقولوا: تزوَّج امرأة ابنه، وكان رسول الله ﷺ قَدْ تبنى زَيدًا»[1].

وقال عليّ بن الحُسين: أعلم الله نبيَّه: أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها وقال له: «**اتق الله، وأمسك عليك زوجك**» قَالَ الله: قَدْ أخبرتُك أنِّي مزوجكها، وتُخفي في نفسك ما الله مُبديه!!

فهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه إلى غيره، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات.

أيُّهَا المسلمون...

ولأهمية هذا الموضوع، نذكر مزيدًا من ردود العلماء عَلَى الشُّبهات المتقدمة:

قَالَ الشيخ الدكتور/ **مُحَمَّد أبو شهبة** - رَحِمَهُ الله -: «تتجلَّى في هَذِهِ القصة حكمة الله العالية، ذَلِكَ أن العرب كان من عادتها التبني، وكانت تلحق الابن المتبني بالعصبى وتجري عليه حقوقه في الميراث، وحرمة زوجته عَلَى مَن تبناه، وكانت تلك العادة متأصلة في نفوسهم، كما كان كبيرًا أن تتزوج بنات الأشراف من موالٍ، وإن أُعتقوا وصاروا أحرارًا طلقاء، فلما جاء الإسلام، كان من مقاصده: أن يزيل الفوارق بين النَّاس التي تقوم عَلَى العصبية، وحمية الجاهلية، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب، وأن يقضي عَلَى حرمة زوجة الابن المتبني، وقَدْ شاء الله أن يكون أول عتيق يتزوج بعربية في الصميم من قريش هو «زيد»، وأن يكون أول سيِّد يُبطل هَذِهِ العادة - حرمة زوجة

---

(١) «الدر المنثور» (٦/ ٦١٦).

الابن المتبني - هو رسول الله ﷺ.

وما عَلَى بنات الأشراف أن يتزوجن بعد الموالي، وقَدْ قبلت السيدة زينب اقترانها بزيد، وما عَلَى سادات العرب أن يتزوجوا بأزواج أدعيائهم وقَدْ قضوا منهن وطرًا، وإمام المسلمين ومَن يصدع بأمر الله قَدْ فتح هذا الباب، وتزوّج حليلة متبناه بعد فراقها، وقَدْ كان كل ما أراد الله، فرسول الله ﷺ يخطب زينب لزيد، فتأبى ويأبى بعض أهلها، ويكرر رسول الله ﷺ الطلب، وينزل الوحي بذلك: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فلم يبق إلَّا الإذعان من زينب وأهلها، ولكن زيدًا وجد منها تعاظمًا، فيرغب في فراقها، ويستشير الرسول، فينصحه بإمساكها، وكان جبريل قَدْ أخبر رسول الله ﷺ أن زينب ستكون زوجةً له، وسيبطل الله بزواجه منها هَذِهِ العادة، ولكن النبيّ ﷺ وجد غضاضة عَلَى نفسه أن يأمر زيدًا بطلاقها، ويتزوجها من بعد، فتشيع المقالة بين النَّاس: أن محمدًا تزوج حليلة ابنه، وبذلك يصير عُرضة للقيل والقال من أعدائه، وهو في دعوته إلى دين الله أحوج إلى تأييد المؤيدين، فهذا المقدار من خشية النَّاس حَتَّى أخفى ما أخبره الله به - وهو نكاحها - هو ما عاتبه الله عليه، وقَدْ صرَّح الله في كلامه بالسبب الباعث عَلَى هذا الزواج فقال: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، هذا هو التفسير الذي يتفق مع الحق والواقع(١).

عباد الله...

وجاء في كتاب «أباطيل يجب أن تُمحى من التاريخ» للدكتور إبراهيم شعوط، ما نسوقه بنصِّه، قلت: وأسوقه هنا مختصرًا. قَالَ:

(١) قصة زواج الرَّسول بزينب بنت جحش:

كانت تقاليد العرب في الجاهلية تقضي في نظام الأسرة بأمور:

---

(١) «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لأبي شهبة (٣٢٥).

أحدها: أن المرأة القرشيّة لا يمكن أن تتزوج مولى من الموالي مهما كانت ثقافته ومنزلته، ويعتبر مثل هذا الزواج خروجًا عَلَى التقاليد والعادات التي تحترم فروق الطبقات.

ثانيها: أَنَّهُ إذا حدث أن تزوج المولى بامرأة من قريش وطلقها فإن منزلتها تهون بهوان زوجها، فلا يتزوجها شريف ولا محترم.

وثالثها: أن زوجة الابن المتبني كانت تحرَّم عَلَى الوالد بالتبني، كما تحرَّم زوجة الابن من الصلب، فلما جاء الإسلام كان لابد له من أن يُغيِّر مِن وضع هذا المجتمع، كما ذكر القرآن الكريم ضمن المحرَّمات عَلَى الرجل، قوله تَعَالى: ﴿**وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ**﴾ [النساء: ٢٣]، وذلك بخلاف الأبناء عن طريق التبني، ويُحطم نظام الطبقات، كما يقضي عَلَى عادات الجاهليّة الممقوتة.

فأوحى إلى رسول الله ﷺ أن يزوج شريفة قرشيّة، من أعلى سلالات قريش نَسبًا من مولاه زيد الذي كان رقيقًا وأعتقه رسول الله ﷺ ثم تبنَّاه، ليترتب عَلَى هذا الزواج الأمور الآتية:

أولًا: أن تكون القرشيّة التي تقوم بهذا الدور، هي بنت عمة الرسول، ومن القمة في قريش، لتكون تحت هذا المولى، فتتحطم الفوارق بالأصل والحسب، ويصبح التفاضل بمعايير أخرى جديدة، تقوم عَلَى المبدأ الإلهي وهو: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣]، [وكما قال النبي ﷺ]: «**ولا فضل لعربيّ عَلَى عجمي إلَّا بالتَّقوى**»[1].

فيخطب رسول الله ﷺ بنت عمّته زينب بنت جحش، لمولاه أَوْ ابنه المتبني زيد بن حارثة، فيثور الكبرياء العربيّ في نَفس زينب وأخيها عبد الله بن جحش، وتتمثل لهما المهانة كلها في هذا الزواج، لكن قرآنًا ينزل في شأن زينب وأخيها بالذات، ليقطع عليهما طريق الجدل، فيتلو عليهما رسول الله ﷺ في أمره تَعَالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١).

ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وخضع الرجل وخضعت المرأة المؤمنة للأمر الإلهي، وقَبِلت زينب بالزواج ولكنها لم تستطع أن تعطيه قلبها، وكان زيد يعاني من تلك العوامل النفسيّة عند زينب، أشد ما يعانيه المعذبون في حياتهم الزوجية.

كان هذا هو التدبير الإلهي لأنه سيترتب عَلَى فساد العِشرة بين زيد وزينب، أثر آخر لابد من تحقيقه في المجتمع، ولكن موعد هذا الأمر لم يكن معروفًا لرسول الله ﷺ، وإن كان يعلم أن زيدًا سيطلّق زينب، وأنه سيتزوجها بعد زيد، ليقضي عَلَى فكرة تحريم زواج الوالد من زوجة ابنه المتبني إذا طلّقها.

ولكن متى ذلك؟ هذا هو الذي لم يعرفه رسولُ الله ﷺ، ولذلك كان يقول لزيد حينما يشكو له: «**أمسك عليك زوجك واتق الله**»، وكان رَسول الله ﷺ يدور في خلده مقالة قريش من الخروج عَلَى العادات والتقاليد كلما شكا له زيد من عجزه عن العيش مع زينب ومن أجل ذلك نزلت الآيات: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ**﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وثانيًا: كان من وراء هذا التدبير، أن يطلق زيد زينب، فيتزوجها رسول الله ﷺ ليتحقق غرضين:

(١) أن يُبطل ما كان تدين به العرب من مساواة الأدعياء - الأبناء بالتبني - بالأبناء الحقيقيين في كل شيء، تنفيذًا للأمر الإلهي في الآية: ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب: ٤]، وكذلك النَّص عَلَى المحرَّمات من النِّساء لقوله: ﴿**وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ**﴾ [النساء: ٢٣].

(٢) أن يضرب مثلًا آخر لأتباعه في المجتمع الجديد، بإقدامه عَلَى زواج المرأة التي هانت منزلتُها بعيشها تحت عبدٍ رقيق، لأنها لو تركت من غير أن يتزوجها رسول الله ﷺ لبقيت في مهانة إلى الأبد، لا يقربها شريف من قومها، ولا يُرد لها اعتبارها.

فمن الذي يرفع قدرها، ويشرح صدرها، ويعيد إليها مكانتها بين أترابها؟ مَن غير

رسول الله ﷺ الذي أمرها أن تتزوج من مولاه؟

فإذا كان أمر رَسول الله ﷺ هو سبب نزولها - فإن زواجها من رسول الله ﷺ هو الذي يداوي جراحها، ويرفع هامتها، ويمدّها بالعزِّ والمجد والعظمة، هذه هي صورة زواج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش.

فهل رواها المفسّرون والمؤرخون عَلَى هذا الوجه المنتزع من الحقيقة والواقع ومِمَّا ترتب عليها من التشريع الجديد الذي يعتبر مفخرة للإسلام ورسول الإسلام؟!

تعال معي لِنُمحِّص عَلَى المؤرخين والمفسّرين المسلمين غفلتهم وهم يمدّون خصوم الإسلام بالأسلحة التي يطعنون بها معتقداتنا، ومقدساتنا، فذكروا رسول الله وهو المعصوم بأمر يطعنه في خُلُقه، وهو الذي أثنى عليه ربُّه من أجله فقال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فالطبريّ، وابن الأثير، وهما من كبار المؤرخين المسلمين جاء فيما نقلاه عن زواج رسول الله ﷺ بزينب: أن رسول الله ﷺ خرج يريد زيدًا وكان عَلَى باب زيد ستر من شَعر، فرفعه الرِّيح فرأى زينب وهي حاسِرة فأعجبته، وكرهت إلى زيد فلم يستطع أن يَقربَهَا.

وقال المفسرون: إن رسول الله ﷺ مَرَّ ببيت زيد ولم يكن فيه زيد، فرأى زينب فَبَهَره حُسنُها، وقال: «سبحان مقلب القلوب» [راجع تفسير أبي السعود جـ٤] تجد فيه ما لا يليق بمسلم أن يذكره عن رسول الله ﷺ المعصوم، وقال آخرون: أنه لما فتح باب زيد عَبَث الهواء بالستار الذي عَلَى غرفة زينب، فرآها في قميصها ممددة، كما تقول المستشرقة التافهة مدام «ديكامبيه» فانقلب قَلبُه فجأة ونسي سَودة، وعائشة، وحفصة، وزينب بنت مخزوم، وأم سلمة، نسي كذلك ذكرى خديجة.

ومِن هؤلاء الدكتور طه حسين الذي يقول: «إن الله أراد أن يمتحن نبيه ويمتحن في ذلك زيدًا، ويمتحن في ذلك المؤمنين الصادقين جميعًا فيلقي في قلب النبي حُبّ زينب زوج زيد، ويلقي في قلب زيد الانصراف عن زينب والنفور منها».

والمؤسف فيما كتبه المؤرخون المسلمون، أنهم أخذوا من المستشرقين الذين يهمهم تشويه سمعة الرسول وأصحابه.

ومن الذي صوروا هذه القصة تصويرًا لا يليق، المستشرق «جوستاف لوبون» - لعنه الله - في كتابه «حضارة العرب» حيث يقول: ولم يخف محمد حبه للنساء فقد قال: «حُبِّب إليَّ من دنياكم: الطِّيب والنِّساء، وجُعِلت قُرَّت عيني في الصَّلاة»[1]، ولم يبال محمد بسن المرأة التي يتزوجها، فتزوج عائشة وهي بنت عشر سنين، وتزوج ميمونة وهي في الحادية والخمسين، وأطلق محمد العنان لهذا الحب، حتى أنه رأى اتفاقًا زوجة ابنه بالتبني وهي عارية، فوقع في قلبه شيء منها، فسّرحها بَعلُها ليتزوجها محمد، فاغتم المسلمون، فأوحى الله إلى محمد بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يوميًّا آيات تسوغ له ذلك، وانقلب الانتقاد إلى سكوت. ا.هـ.

ومِمَّا يُثير الأسى والحُزن ويحدث الجراح الدامية في عقيدة المسلمين، ما ذكره الزمخشري وأبو السعود في تفسير سورة الأحزاب عند ذكر زواج زينب.

اسمعوا يا شباب الإسلام واحذروا:

يقول الإمام الزمخشريّ في الجزء الثاني من تفسيره، وأبو السعود في الجزء الرابع: إنَّ رَسول الله ﷺ أبصر زينب بعدما أنكحها إيَّاه، فوقعت في نفسه فقال: «سبحان مقلب القلوب» وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها، ولو أرادها لاختطبها.

ثم يقول الزمخشري: فإن قلت: ما الذي أفضى في نفسه؟ **قلت:** تعلَّق قلبهُ بها، وقيل: مودة مفارقة زيد إيَّاها.

ثم يقول الزمخشري أيضًا: **فإن قلت:** كيف عاتبه الله عَلَى ما استهجن التصريح به، وما له لم يعاتبه في نفس الأمر، ولم يأمره بقمع الشهوة وكفّ النفس، أن تنزع إلى زينب وتتبعها؟ **قلت:** كم من شيء يتحفظ منه الإنسان ويستحيي من اطِّلاع النَّاس عليه، وهو في نفسه مباح مُتّسع وحلال مطلبه، لا مقال فيه ولا عيب عند الله.

ثم يقول: لأن طموح القلب إلى بعض مشتهياته من امرأة أَوْ غيرها، غير موصوف بالقبح في العقل، ولا في الشريعة، لأنه ليس بفعل الإنسان ولا وجوده باختياره !!

ثم يستطرد الزمخشري فيقول: فبالحريّ أن يُعاتب الله رسوله حيث كتمه، وبالغ في

---

(١) أخرجه أحمد، والحاكم، وغيرهما، وانظر «صحيح الجامع» (٣١٢٤).

كتمه بقوله: «**أمسك عليك زوجك واتق الله**»، لا يرضى إلا اتحاد الضمير والظاهر، والثبات في مواطن الحق، حتى يقتدي المؤمنون به، فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وإن كان مُرًّا.

هكذا قال الزمخشري وأفاض، وتبعه الطبري في «تاريخه»، وأبو السعود والنسفي في تفسيريهما، وابن الأثير في «تاريخه»، ومَن نقل عن كل هؤلاء حتى مكَّنوا للمستشرقين من الإطناب في تخريج هذه الروايات واتخاذها بوقًا ضخمًا يذيعون منه ما تجود به بغضاؤهم وأحقادهم عَلَى رسول الله ﷺ.

ونحن نقول: يا مسلمون إن القصة تعتبر من مفاخر محمد ﷺ، وتبرهن عَلَى تنفيذ ما أمر به من تشريع، يُراد به محو تقاليد الجاهلية وعاداتها، ووجد في ذلك عنتًا شديدًا، من مخالفته عادات القوم وتقاليدهم، وهذا واضح جدًّا في قوله تَعَالَى: ﴿**مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾ [الأحزاب: ٣٨، ٣٩].

فكيف تؤخذ هذه القصة المأخذ الدنيء؟ وكيف تصور تصوير قصص الغرام والوله؟ وكيف يرويها رواة مسلمون في كتب انتشرت في كل أنحاء العالم من غير تدبر فيما تهدف إليه، ودون أن يدركوا أنه يكفي لتفنيدها أمور عدة:

أولًا: أن الله تَعَالَى قال لرسوله: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ففي الآية الكريمة ذكرٌ صريح لسبب تزويج زينب من رسول الله ﷺ وهو إسقاط حرج المؤمنين من زواج نساء أولادهم بالتبني، بعد أن يكون هؤلاء الأولاد قد قضوا من أزواجهم كل غرض، ولم يكن فيما طوعت الآية ولا ما صارحت به ما يدل من قريب أَوْ بعيد عَلَى أن رسول الله ﷺ كان يهوى زينب أَوْ وقعت من قلبه في مكان عميق، حتى يحوقل، ثم يقول: «سبحان مقلب القلوب» كما قال السادة المفسرون والمؤرخون.

ثانيًا: أن زينب ابنة عمة محمد ﷺ.

ثالثًا: أنها رُبيِّت بَعينه وتحت رعايته، فيعرف منها مفاتنها ومحاسنها قبل زواجها.

رابعًا: أنه شاهدها تحبوا من الطفولة إلى الصِبا إلى الشباب فلو كان في نفسه إعجاب بها ما زوجها لزيد ولآثرها لنفسه أولًا.

خامسًا: أنه هو الذي خطبها عَلَى مولاه زيد، فلما امتنعت وأبى أخوها، نزل القرآن في شأنها وشأن أخيها، يأمرهما بتنفيذ أمر رسول الله ﷺ، فكيف يقال بعد كل هذه الأدلة والشواهد في حق رسول الله ﷺ ما يُقال في حق أيّ عربي، مع علمنا بأن زواجه ﷺ من زينب هذه كان بالأمر الإلهي، ليبطل الحقوق التي كانت مقررة للتبني والأدعياء وليرفع من مقام زينب، ويدفع عنها خسيستها، بعدما تزوجت من مولى كان إلى عهد قريب عبدًا رقيقًا، ثم ليرفع من قدر زيد كذلك، ولا يأنف الشرفاء أن يردوا موارد زيد وأمثاله، وليذيب فوارق الحسب والنسب، التي كانت دستورًا للعرب في الجاهلية، لأن المؤمنين سواسية «**كأسنان المشط، لا فضل لعربيّ عَلَى عجمي إلا بالتقوى**».

ونقل ما رواه المفسرون والمحدثون في هذه القضية:

موضوع زينب بنت جحش:

قال ابن حجر في «فتح الباري بشرح البخاري»[(١)]: كَانَ رَسُول اللَّه ﷺ أَرَادَ أَن يُزَوِّجَهَا زَيد بن حَارِثَة مَولَاهُ فَكَرِهَت ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهَا رَضِيَت بِمَا صَنَعَ رَسُول اللَّه ﷺ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، ثُمَّ أَعلَمَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ بَعدُ، أَنَّهَا مِن أَزوَاجه فَكَانَ يَستَحِي أَن يَأمُرَ بِطَلَاقِهَا، وَكَانَ لَا يَزَال يَكُون بَينَ زَيد وَزَينَب مَا يَكُون مِن النَّاس، فَأَمَرَهُ رَسُول اللَّه ﷺ أَن يُمسِكَ عَلَيهِ زَوجه وَأَن يَتَّقِيَ الله، وَكَانَ يَخشَى النَّاس أَن يَعِيبُوا عَلَيهِ وَيَقُولُوا تَزَوَّجَ اِمرَأَة اِبنه، وَكَانَ قَد تَبَنَّى زَيدًا.

وفي رواية عَن عَلِيّ بن الحُسَين بن عَلِيّ قَالَ: أَعلَمَ اللَّه نَبِيّه ﷺ أَنَّ زَينَب سَتَكُونُ مِن أَزوَاجه قَبلَ أَن يَتَزَوَّجهَا، فَلَمَّا أَتَاهُ زَيد يَشكُوهَا إِلَيهِ وَقَالَ لَهُ: «**اِتَّقِ اللَّه وَأَمسِك عَلَيك زَوجك**» قَالَ اللَّه: قَد أَخبَرتُك أَنِّي مُزَوِّجُكَهَا، ﴿**وَتُخفِي فِي نَفسك مَا اللَّه مُبدِيه**﴾. وَقَد أَطنَبَ التِّرمِذِيّ الحَكِيم فِي تَحسِين هَذِهِ الرِّوَايَة وَقَالَ: إِنَّهَا مِن جَوَاهِر العِلم المَكنُون.

ثُمَّ يَقول ابن حَجر: وَالحَاصِل أَنَّ الَّذِي كَانَ يُخفِيه النَّبِيّ ﷺ هُوَ إِخبَار اللَّه إِيَّاهُ أَنَّهَا

(١) (١٠/ ١٤٢).

سَتَصِيرُ زَوجَته، وَالَّذِي كَانَ يَحمِلهُ عَلَى إِخفَاء ذَلِكَ خَشيَة قَول النَّاس: تَزَوَّجَ اِمرَأَة اِبنه، وَأَرَادَ اللَّه إِبطَال مَا كَانَ أَهل الجَاهِلِيَّة عَلَيهِ مِن أَحكَام التَّبَنِّي بِأَمرٍ لَا أَبلَغ فِي الإِبطَال مِنهُ وَهُوَ تَزَوُّج اِمرَأَة الَّذِي يُدعَى اِبنًا. وَوُقُوع ذَلِكَ مِن إِمَام المُسلِمِينَ لِيَكُونَ أَدعَى لِقَبُولِهِم. وَإِنَّمَا وَقَعَ الخَبط فِي تَأوِيل مُتَعَلَّق الخَشيَة وَاللَّه أَعلَم.

وَقَد أَخرَجَ التِّرمِذِيّ مِن طَرِيق دَاوُدَ بن أَبِي هِند عَن الشَّعبِيّ عَن عَائِشَة قَالَت: «لَو كَانَ رَسُول اللَّه ﷺ كَاتِمًا شَيئًا مِن الوَحي لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَة ﴿وَإِذ تَقُول لِلَّذِي أَنعَمَ اللَّه عَلَيهِ﴾ يَعنِي بِالإِسلَامِ ﴿وَأَنعَمت عَلَيهِ﴾ بِالعِتقِ ﴿أَمسِك عَلَيك زَوجك﴾ إِلَى قَوله: ﴿قَدَرًا مَقدُورًا﴾».

وَإِنَّ رَسُول اللَّه ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَهَا قَالُوا: تَزَوَّجَ حَلِيلَة اِبنه، فَأَنزَلَ اللَّه تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّد أَبَا أَحَد مِن رِجَالكُم وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ الآيَة [الأحزاب: ٤٠]. ا.هـ.

وفي «تفسير الخازن» (٤/ ٢٦٢) لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، توفي عام ٧٢٥هـ يقول: «فإن قلت: ما ذكروه في تفسير هذه الآية، وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي ﷺ عندما رآها، وإرادته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج، وما لا يليق بمنصبه ﷺ من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا.

قلت: هذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت؟

قال: وأصح ما في هذا الباب: أن الله عاتبه وقال: لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك؟ وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تَعَالَى: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها لكان يظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه، ولا يظهره فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته وإنها أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدًا أن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضي... إلخ». ا.هـ.

عباد الله...

وهكذا سلَّط علماؤنا الكرام مدفعية الإسلام الثقيلة عَلَى مواقع المفترين، فأتت عَلَى

بنيانها من القواعد.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

والمقصود: أنَّ الرَّسول ﷺ تزوج زينب رَضِي الله عَنْهَا في سنة أربع، وهو الأشهر، كما ذكر ابن كثير، وفي دخوله ﷺ بها نزل الحجاب كما ثبت في «الصحيحين» عن أنس.

وكانت السيدة زينب تفخر عَلَى أزواج رسول الله ﷺ وتقول: «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ». رواه البخاري.

وأطعم النَّبي ﷺ عليها خبزًا ولحمًا، وكان القوم جلوسًا في البيت، فخرج النَّبيّ ﷺ فلبث هُنَيَّة، فرجع والقوم جلوس فشق ذلك عليه، فنزلت آية الحجاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

عباد الله...

ومن أخلاق أُم المؤمنين زينب رَضِي الله عَنْهَا:

(١) وَرعِها:

لما رمت المنافقون أُمّ المؤمنين عائشة رَضِي الله عَنْهَا بالإفك، وتورَّط بعض الصَّحابة في ذلك كَمِسْطح رَضِي الله عَنْهُ وقفت أمُّ المؤمنين زينب موقفًا رائعًا مِمَّا جرى، فقد سألها النبيُّ ﷺ : «يا زَينب ماذا علمتِ أَوْ رأيتِ؟» قالت: يا رَسُول الله أحمي سمعي

وبصري ما علمت إلَّا خيرًا.

قالت عائشة وهي راوية الحديث: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع[(١)].

وظلت السَّيِّدة عائشة تحفظ هذه الشهادة لزينب وتثني عليها الثناء كله، حتى كانت تقول: «لَمْ أَرَ امْرَأَةً خَيْرًا مِنْهَا، وَأَكْثَرَ صَدَقَةً، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَبْذَلَ لِنَفْسِهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ زَيْنَبَ»[(٢)].

(٢) كثرة تصدقها وطول يدها:

قال ﷺ لِنسائِه يومًا وهو جالس معهنَّ: «**أطولكنَّ باعًا أسرعكنَّ لحوقًا بي**»[(٣)]، والمقصود: أن أكثرهنَّ صدقة سوف تلحق به بعد وفاته ﷺ، وكانت زينب بنت جحش رَضِي الله عَنْهَا أكثر نساء النَّبي ﷺ تصدقًا من عمل يدها، فكانت تعمل بالعمل اليدوي وتتصدق بثمنه، فقد شهدت لها السَّيِّدة عائشة رَضِي الله عَنْهَا بذلك فقالت: كانت صناع اليد فكانت تدبغ وتخرز وتتصدّق[(٤)].

وظلت عَلَى هذا العمل حتى توفيت في خلافة عمر بن الخطاب رَضِي الله عَنْهُ، وكانت أوَّل نساء الرَّسول ﷺ لحوقًا به.

ومِمَّا يُؤثر عن كثرة عطائها وتصدقها: أن عمر بن الخطاب رَضِي الله عَنْهُ في خلافته أرسل لها نصيبها من بيت المال مثل سائر أمهات المؤمنين، وكان المبلغ اثنى عشر ألف درهم، فقالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي أمهات المؤمنين كان أقوى عَلَى قسمة هذا المال. قالوا لها: هذا المال كله لك يا أُم المؤمنين.

قالت: سبحان الله العظيم، واستترت منه بثوب، وقالت: صبوه واطرحوا عليه ثوبًا، وأمرت بالمال فتصدقت به عَلَى أقاربها وأرحامها والأيتام، حتى قالت لها برزة

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد في «المسند».

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات».

(٤) المصدر السابق.

بنت رافع: غفر الله لك يا أُم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذه الدراهم حق، فقالت لها زينب: لكم ما تحت الثوب.

فكشفوا الثوب فوجدوا خمسة وثمانين درهمًا، ورفعت أم المؤمنين زينب بنت جحش رَضِي الله عَنْهَا يدها إلى السَّماء تدعو قائلة: «اللَّهُمَّ لا يُدركني عطاءً لعمر بعد هذا العام»، واستجاب الله لها، وتوفيت ولم تترك درهمًا واحدًا، رَضِي الله عَنْهَا[١].

وبلغ بها زُهدها وجُودُها شيئًا عجبًا..

اسمعوا...

عن القاسم قال: قالت زينب بنت جحش حين حضرتها الوفاة: «إنِّي قد أعددتُ كفني، فإن بعث لي عمرُ بكفن، فتصدَّقوا بأحدهما، وإن استطعتم إذ أدْلَيتُمونِي - يعني في حفرتها - أن تصدّقوا بِحَقوتي فافعلوا» !![٢]

وكانت رَضِي الله عَنْهَا تُلقب بِأُمِّ المساكين.

عباد الله...

وفي سنة عشرين، انتقلت زينب إلى جِوار رَبِّها الكريم الرَّحيم، وصلى عليها عمر ابن الخطَّاب رَضِي الله عَنْهُ.

۞۞۞۞۞

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٠٩)، وابن أبي الدنيا في «مجابي الدعاء» (٤٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢١٧).

الخطبة الخامسة والخمسون بعد المائة:

ميمونة بنت الحارث

دروس في العقيدة والأخلاق

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فنلتقي اليَوم - إن شاء الله تَعَالَى - مع أُمِّ المؤمنين «ميمونة» رَضِي الله عَنْهَا وأرضاها.

عباد الله...

وميمونة هي ميمونة بنت الحارث بن حَزْنِ الهلاليَّة.

قَالَ ابن الأثير - رَحِمَهُ الله تَعَالَى - في «أسد الغابة»[1]: «وكان اسم ميمونة برّة فسماها

---

(١) (٦/ ٢٥٧، ٢٥٨).

رسول الله ﷺ ميمونة، قاله كُريب، عن ابن عباس، وهي خالته وخالة خالد بن الوليد. وكانت قبل رسول الله ﷺ عند أبي رُهْم بن عَبْد العُزَّى بن عَبْد وُدّ بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤي. وقيل: عند سَخْبَرَة بن أبي رهم. وقيل: كانت عند حُوَيْطِب بن عَبْد العزى. وقيل: عند فروة بن عَبْد العزى الأسَدِي أسدِ بن خُزيمة، قاله قتادة.

تزوَّجها رَسُول الله ﷺ بعد زوجها سنة سبع في عُمرة القضاء في ذي القعدة، فأرسل رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب إليها فخطبها، فجعلت أمرها إلى العَبَّاس ابن عَبْد المُطَّلِب، فزوّجها من رسول الله ﷺ، وقيل: بل العَبَّاس قال لرسول الله ﷺ: إن ميمونة بِنْت الحَارِث قد تأيَّمتْ من أبي رهم بن عَبْد العزى، هل لك أن تزوجها؟ فتزوجها رسول الله ﷺ.

أخبرنا أبو جعفر بإسناده عن يونس بن بُكير، عن ابن إسحاق قال: ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد صفية، ميمونة بِنْت الحَارِث الهلالية، وكانت قبله عند أبي رهم بن عَبْد العُزَّى.

قال يونس: حدَّثنا جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران، عن يزيد بن الأصم قال: تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال في قبةٍ لها[1]، وماتت فيها، ويزيد هو ابن أخت ميمونة.

وقيل: تزوَّجها وهو محرم.

أخبرنا غير واحد بإسنادهم عن مُحَمَّد بن عيسى: حدثنا حميد بن مسعدة، حدثنا سُفْيان بن حبيب، عن هشام بن حسان، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن النَّبِيّ ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم[2].

ولهذا الاختلاف اختلف الفقهاء في نكاح المحرم، وقال بعضهم: تزوجها رسول الله ﷺ وهو حلال، وظهر أمر تزويجها وهو محرم ثم بنى بها وهو حلال بسَرِف بطريق مَكَّة وماتت بسَرَف أيضاً حيث بنى بها رسول الله ﷺ ودُفنت هناك.

(١) رواه البخاري (٤٠١١) بنحوه.
(٢) رواه البخاري (٤٨٢٤)، ومسلم (١٤١٠)، وقال الألباني: إنه شاذ.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من عُمرته أقام بمَكَّة ثلاثاً، فأتاه سهيل بن عَمْرو، في نفر من أهل مَكَّة فقال: يا مُحَمَّد، أخرج عنا فاليوم آخر شرطك وكان شرط في الحديبية أن يعتمر من قابل، ويقيم بمَكَّة ثلاثاً فقال: «**دعوني أبتني بأهلي وأصنع لكم طعاماً**». فقالوا: لا حاجة لنا بطعامك. فخرج فبنى بها بسرف قريب من مَكَّة.

وقال ابن شهاب وقتادة: هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ...**﴾ الآية [الأحزاب: ٥٠].

والصحيح ما تقدم». ا.هـ

أقول: روى مسلم عن عثمان بن عفَّان أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يَخْطُبُ**»(١).

قَالَ النووي - رَحِمَهُ الله تَعَالى -:

قَوله ﷺ: «**لَا يَنكِح المُحرِم، وَلَا يُنكَح وَلَا يَخطُب**» ثُمَّ ذَكَرَ مُسلِم الِاختِلَاف أَنَّ النَّبِيّ ﷺ تَزَوَّجَ مَيمُونَة وَهُوَ مُحرِم، أَو وَهُوَ حَلَال، فَاختَلَفَ العُلَمَاء بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي نِكَاح المُحرِم:

فَقَالَ مَالِك وَالشَّافِعِيّ وَأَحمَد وَجُمهُور العُلَمَاء مِن الصَّحَابَة فَمَن بَعدهم: **لَا يَصِحّ** نِكَاح المُحرِم، وَاعتَمَدُوا أَحَادِيث البَاب.

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَة وَالكُوفِيُّونَ: يَصِحّ نِكَاحه لِحَدِيثِ قِصَّة مَيمُونَة، وَأَجَابَ الجُمهُور عَن حَدِيث مَيمُونَة بِأَجوِبَةٍ أَصَحّهَا أَنَّ النَّبِيّ ﷺ إِنَّمَا تَزَوَّجهَا حَلَالًا هَكَذَا رَوَاهُ أَكثَر الصَّحَابَة.

قَالَ القَاضِي وَغَيره: وَلَم يَروِ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا مُحرِمًا إِلَّا اِبن عَبَّاس وَحده، وَرَوَت مَيمُونَة وَأَبُو رَافِع وَغَيرهمَا أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا حَلَالًا، وَهُم أَعرَف بِالقَضِيَّةِ لِتَعَلُّقِهِم بِهِ، بِخِلَافِ اِبن عَبَّاس.

والجَوَاب الثَّانِي: تَأوِيل حَدِيث اِبن عَبَّاس عَلَى أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا فِي الحَرَم وَهُوَ حَلَال،

---

(١) رواه مسلم (١٤١٠).

وَيُقَال لِمَن هُوَ فِي الحَرَم: مُحرِم، وَإِن كَانَ حَلَالًا، وَهِيَ لُغَة شَائِعَة مَعرُوفَة، وَمِنهُ البَيت المَشهُور:

قَتَلُوا ابنَ عَفَّانَ الخَلِيفَةَ مُحرِمًا

أَي فِي حَرَم المَدِينَة.

وَالثَّالِث: أَنَّهُ تَعَارَضَ القَول وَالفِعل.

وَالصَّحِيح حِينَئِذٍ عِند الأُصُولِيِّينَ تَرجِيح القَول لِأَنَّهُ يَتَعَدَّى إِلَى الغَير، وَالفِعل قَد يَكُون مَقصُورًا عَلَيهِ.

وَالرَّابِع: جَوَاب جَمَاعَة مِن أَصحَابنَا[١]: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ لَهُ أَن يَتَزَوَّج فِي حَال الإِحرَام، وَهُوَ مِمَّا خُصَّ بِهِ دُون الأُمَّة، وَهَذَا أَصَحّ الوَجهَين عِند أَصحَابنَا.

وَالوَجه الثَّانِي: أَنَّهُ حَرَام فِي حَقّه كَغَيرِهِ، وَلَيسَ مِن الخَصَائِص»[٢]. ا.هـ.

عباد الله...

وهذه آخر امرأة تزوَّجها الرَّسُول ﷺ، وكانت زاهدة عابدة.

قَالَ الشيخ رشيد رضا - رَحِمَهُ الله -: «ورد أن عمّ النَّبيّ ﷺ العباس رغَّبه فيها، وهو الذي عقد عليها بإذنها، ولولا أنَّ العبَّاس رأى في ذَلِكَ مصلحة عظيمة، لما عَني به كل هَذِهِ العناية لإرضاء امرأته» ا.هـ.

وفعلًا كانت المصلحة في هذا النكاح المبارك، فقد تقرَّب النَّبيّ ﷺ إلى الهلاليين (قومها) فأكبروا في رسول الله هَذِهِ المروءة، والحميّة، والنجدة، ثم أقبلوا يدخلون في دين الله أفواجًا، وآزروا الرسول ﷺ ونصروه، وساروا معه ﷺ حيث صار.

وحينما تزوَّج النَّبي ﷺ بميمونة، كانت قَدْ بَلَغت من الكِبَر عتيًا، فهل تجد أيُّها القارئ الكريم أثرًا للهوى أو الشهوة في مثل هذا الزواج؟ إنه الفضل والمروءة، والرحمة، والسياسة، والكياسة.

---

(١) يعني الشافعية.

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٩/ ٥٤٠، ٥٤١).

ولو أن للهوى والشهوة أثرًا في زواجه ﷺ بمن تزوَّج بهنَّ مِن النِّساء، وكلهنَّ أرامل، غير عائشة، لاستعاض عنهنَّ بالكواعب والأتراب، وما أكثر الذين يودون مصاهرته ﷺ وهو الحبيب إلى كل قلب، المحترم من كل نفس، ولكنه أسمى من أن يتزوَّج استجابة لداعي الهوى، وأعلى وأكبر، فحاشاه، ثم حاشاه، ألف ألف مرة مِمَّا يقول المرجفون - قطع الله أصواتهم، وخيب آمالهم - فهو النبي المعصوم».

أيها المسلمون...

إن استكثار النَّبيّ ﷺ من النِّساء كان بإذن مِن ربِّه سُبحانه، قَالَ تَعَالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّـهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّـهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّـهُ عَلِيمًا حَلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٠، ٥١].

قَالَ الحافظ ابن كثير - رَحِمَهُ الله - في تفسيره لهاتين الآيتين: «يَقُولُ تَعَالى مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ ﷺ بأنَّهُ قَدْ أحَلَّ لَهُ مِن النِّساء أزْواجَهُ اللَّاتِي أعطَاهُنَّ مُهُورَهُنَّ وهي الأجُورُ هَهُنَا، كما قَالَهُ مُجَاهِدٌ وغيرُ واحِدٍ، وقَدْ كَانَ مَهرُهُ لِنِسائِهِ اثنَتَي عَشرَةَ أوقِيَّة ونَشًّا وهُوَ نِصْفُ أوقيَّةٍ، فالجَميعُ خَمسُمائة دِرهم، إلَّا أُمَّ حَبِيبَةَ بِنتَ أبي سُفيانَ فإنَّهُ أمْهَرَهَا عَنهُ النَّجَاشِيُّ - رَحِمَهُ الله - أربَعُمائة دِينَارٍ، وإلَّا صَفيَّة بِنتَ حُيَيٍّ فإنَّهُ اصطَفَاها مِنْ سَبْي خَيْبَرَ، ثُمَّ أعتَقَهَا وجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا، وكَذلِكَ جُوَيرِيَةَ بِنْتَ الحَارِثِ المُصطَلقِيَّةَ أدَّى عَنهَا كِتَابَتَهَا إلى ثَابِتِ بنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وتَزَوَّجَهَا رَضِي الله عَنهنَّ أجمعِينَ.

وقَولُهُ: ﴿**وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّـهُ عَلَيْكَ**﴾ أي: وأبَاحَ لَكَ التَّسَرِّي مِمَّا أخَذْتَ مِنَ المَغَانِم، وقَدْ مَلَكَ صَفِيَّة وجُوَيرِيَةَ فأعتَقَهُما وتَزَوَّجَهُما، ومَلَكَ رَيحَانَةَ بِنتَ شَمْعُونَ النَّضْرِيَّةَ، ومَارِيَةَ القِبطِيَّةَ أُمَّ ابنِهِ إبْرَاهِيمَ - عَلَيهِمَا السَّلامُ - وكَانَتَا مِنَ السَّرَارِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا.

وقَولُهُ: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ﴾ الآيَة، هَذَا عَدْلٌ وَسَطٌ بَيْنَ الإفْرَاطِ والتَّفْرِيطِ، فَإِنَّ النَّصَارَى لا يَتزوَّجُونَ المرأَةَ إلَّا إذَا كَانَ الرَّجُلُ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا سَبْعَةُ أَجْدَادٍ فَصَاعِدًا، واليَهُودُ يَتَزَوَّجُ أَحَدُهُم بِنتَ أخيهِ وبِنتَ أُختِهِ، فَجَاءَت هَذِهِ الشَّرِيعةُ الكَامِلَةُ الطَّاهِرَةُ بِهَدمِ إفرَاطِ النَّصَارَى، فَأَبَاحَ بِنْتَ العَمِّ والعَمَّةِ وبِنتَ الخَالِ والخَالَةِ، وتَحريمَ مَا فَرَّطَت فِيه اليَهُودُ مِن إبَاحَةِ بِنتِ الأَخِ والأُختِ، وهَذَا بَشِعٌ فَظِيعٌ، وإنَّمَا قَالَ: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ﴾ فوَحَّدَ لفظَ الذَّكَرِ لِشَرفِهِ، وجَمَعَ الإنَاثَ لِنَقصِهِنَّ، كَقَولِهِ: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ [النحل: ٤٨]، ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، ولَهُ نَظَائِرُ كثيرَةٌ.

وقَولُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾، عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ قَالَتْ: خَطَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ فَعَذَرَنِي ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ الآيَةَ، قَالَتْ: فَلَمْ أَكُنْ أَحِلُّ لَهُ لِأَنِّي لَمْ أُهَاجِرْ، كُنْتُ مِنْ الطُّلَقَاءِ.

وقوله: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ويُحِلُّ لَكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ المرأةَ المؤمِنَةَ إنْ وَهبت نَفْسَهَا لَكَ أن تَتزوَّجها بِغَيرِ مَهْرٍ إنْ شِئْتَ ذَلِكَ، وهَذِهِ الآيَةُ تَوَالَى فِيهَا شَرطَانِ، كَقَولِهِ تَعَالى إخْبَارًا عَنْ نُوحٍ إنَّهُ قَالَ لِقَومِهِ: ﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وكَقَولِ مُوسَى: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقَالَ هَهُنَا: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ الآية.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعديِّ قَالَ: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ جاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ، فَقَامَتْ قِيَامًا طَوِيلًا، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ زَوِّجْنِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تُصْدِقُهَا إِيَّاهُ؟»، فَقَالَ: مَا عِنْدِي إِلَّا إِزَارِي هَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ أَعْطَيْتَهَا إِزَارَكَ جَلَسْتَ لَا إِزَارَ لَكَ فَالْتَمِسْ شَيْئًا»، فَقَالَ: مَا أَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ: «التَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»، فَالتَمَسَ فَلَمْ

يَجِدْ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟**» قَالَ: نَعَمْ سُورَةُ كَذَا، وَسُورَةُ كَذَا، لِسُوَرٍ يُسَمِّيهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»(١).

وَعَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ قَالَ: «كُنْتُ مَعَ أَنَسٍ جَالِسًا وَعِنْدَهُ ابْنَةٌ لَهُ، فَقَالَ أَنَسٌ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ هَلْ لَكَ فِيَّ حَاجَةٌ؟ فَقَالَتْ ابْنَتُهُ: مَا كَانَ أَقَلَّ حَيَاءَهَا، فَقَالَ: هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ رَغِبَتْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا»(٢).

والغَرَضُ مِنْ هَذَا أَنَّ اللَّاتِي وَهَبْنَ أنفُسَهُنَّ للنَّبيِّ ﷺ كَثِيرٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَقُولُ: أَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا؟! فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ**﴾ [الأحزاب: ٥١]، قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ(٣).

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا**﴾ أي: إن اختَارَ ذَلِكَ.

قوله: ﴿**خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ قَالَ عِكرمَةُ: أي لا تَحِلُّ المَوهُوبَةُ لِغَيرِكَ، وَلَو أَنَّ امرأةً وَهَبَت نَفْسَهَا لِرَجُلٍ لم تَحِلَّ لَهُ حَتَّى يُعطِيَهَا شَيئًا، وكَذَا قال مُجَاهِدٌ والشَّعبيُّ وغيرهُما، أي أنَّهَا إذَا فَوَّضَتِ المرأةُ نَفسَهَا إلى رَجُلٍ فإنَّهُ مَتَى دَخَلَ بِهَا وَجَبَ عَلَيهِ بِهَا مَهرُ مِثلِهَا، كَمَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ في تَزويجِ بِنتِ وَاشِقٍ(٤) لما فَوَّضَتْ، فَحَكَمَ لها رَسُولُ الله ﷺ بِصَداقِ مِثلِهَا، لما تُوُفِّيَ عَنهَا زَوجُهَا، والموتُ والدُّخُولُ سَواءٌ في تَقريرِ المَهرِ، وثُبُوتُ مَهرِ المِثلِ في المُفَوِّضَةِ لِغَيرِ النَّبيِّ ﷺ، فأمَّا هُوَ ﷺ فإنَّهُ لا يَجِبُ عَلَيهِ للمُفَوَّضَةِ شَيءٌ ولَو دَخَلَ بِهَا؛ لأنَّ لَهُ أن يَتزوَّجَ بِغَيرِ صَدَاقٍ ولا وَلِيٍّ ولا شُهُودٍ، كَمَا في قِصَّةِ زَينبَ بنتِ جَحْش رَضِي الله عَنهَا، ولِهَذَا قال قَتَادةُ في قَولِهِ: ﴿**خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ يَقُول: لَيسَ لامرأةٍ تَهَبُ نَفسَها لِرَجُلٍ بِغَيرِ وليٍّ ولا مَهرٍ إلَّا للنَّبيِّ ﷺ.

---

(١) البخاري (٢٣١٠)، (٥٠٨٧)، وغيرها، ومسلم (١٤٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٢٠).

(٣) البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤).

(٤) انظر القصة في «مسند أحمد» (٣/ ٣٨٠)، وأبي داود (٥/ ٢١١٤)، وغيرها، فقد رويت هنالك بسندٍ صحيح.

وقَولُهُ تَعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ قَال عَدَدٌ مِنَ العُلَماءِ: أي: مِنْ حَصرِهم في أربعِ نِسوَةٍ حَرَائِرَ ومَا شَاءُوا مِنَ الإمَاءِ، واشْتِراطُ الوَلِيِّ والمَهرِ والشُّهُودِ عَليْهِم، وهُمُ الأُمَّةُ، وقَدْ رَخَّصنَا لَكَ فَلَم نُوجِبْ عَلَيكَ شَيئًا مِنْهُ ﴿لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّـهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ .

قَولُهُ تَعَالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّـهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾.

قَدْ تَقَدَّم عَنْ عَائِشَةَ رَضِي الله عَنْهَا أنَّها كانت تُعَيِّرُ النِّسَاءَ اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولُ الله قالت: أَلَا تَسْتَحِي المَرْأَةُ أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَهَا بِغَيْرِ صَدَاقٍ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ الآية، قَالَتْ: إِنِّي أَرَى رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ[١].

فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ المُرادَ بِقَولِهِ: ﴿تُرْجِي﴾ أي: تُؤَخِّرُ ﴿مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ أي: مِنْ الوَاهِبَاتِ، ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ أي: مَنْ شِئْتَ قَبلتَهَا ومَنْ شِئْتَ رَدَدْتَها، ومَنْ رَدَدْتَهَا فأنتَ فِيهَا أيضًا بالخِيَارِ بَعْدَ ذَلِكَ إنْ شِئْتَ عُدْتَ فِيهَا فَأويتَها، ولِهَذا قَالَ: ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ .

وقَالَ آخرونَ: بل المُرَادُ بِقَولِهِ: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ أي: مِن أزوَاجِكَ لا حَرَجَ عَلَيْكَ أن تَترُكَ القَسْمَ لَهُنَّ، فَتُقَدِّمَ مَنْ شِئْتَ وتُؤَخِّرَ مَنْ شِئْتَ، وتُجَامِعَ مَنْ شِئتَ، وتَترُكُ مَن شِئتَ، ومَعَ هَذَا كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقْسِمُ لَهنَّ، ولِهَذَا ذَهَبَ طَائِفةٌ مِنَ الفُقَهاءِ - مِنَ الشَّافِعيَّة وغَيرِهم - إلى أنَّهُ لَم يَكُنِ القَسْمُ واجِبًا عَليهِ ﷺ، واحتَجُّوا بِهَذِه الآيةِ الكَريمَةِ.

عَنْ مُعَاذَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَهِ ﷺ كَانَ يَسْتَأْذِنُ فِي يَوْم المَرْأَةِ مِنَّا بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾، فَقُلْتُ لَهَا: مَا كُنْتِ تَقُولِينَ؟ قَالَتْ: كُنْتُ أَقُولُ لَهُ: إِنْ كَانَ

(١) البخاري (٤٧٨٨).

ذَاكَ إِلَيَّ فَإِنِّي لَا أُرِيدُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ أُوثِرَ عَلَيْكَ أَحَدًا[1].

فَهَذَا الحَدِيثُ عَنْهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ المُرَادَ مِنْ ذَلِكَ عَدمُ وُجُوبِ القَسْمِ وحَدِيثُهَا الأَوَّلُ يَقتَضِي أَنَّ الآيَةَ نَزلت فِي الوَاهِبَاتِ، وَمِنْ هَهُنَا اختَارَ ابنُ جَرِيرٍ: أَنَّ الآيَةَ عَامَّةٌ فِي الوَاهِبَاتِ وفِي النِّسَاءِ اللَّاتِي عِندَهُ أَنَّهُ مُخَيَّرٌ فيهِنَّ إِنْ شَاءَ قِسَمَ وإن شَاءَ لَمْ يَقْسِمْ، وهَذَا الَّذِي اختَارَهُ حَسَنٌ جَيدٌ قَوِيٌّ، وفيهِ جَمعٌ بَيْنَ الأَحَادِيثِ، ولِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ أي: إذَا عَلِمنَ أَنَّ الله قَدْ وَضَعَ عَنْكَ الحَرَجَ فِي القَسْمِ، فإنْ شِئتَ قَسمتَ، وإن شِئتَ لَم تَقسِم، لا جُنَاحَ عَلَيكَ فِي أَيِّ ذَلِكَ فَعَلت، ثُمَّ مَعَ هَذَا إن تَقْسِم لَهُنَّ اختِيَارًا مِنك لا أَنَّهُ عَلَى سَبِيلِ الوُجُوبِ فَرِحْنَ بِذَلكَ واستَبْشَرنَ بِهِ، وحَمَلنَ جَمِيلَكَ فِي ذَلِكَ، واعتَرَفنَ بِمِنَّتِكَ عَليهِنَّ فِي قَسمِكَ لَهُنَّ، وتَسْوِيَتِكَ بَينَهُنَّ، وإِنْصَافِكَ لَهُنَّ، وَعَدْلِكَ فِيهِنَّ.

وقَولُهُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: مِن المَيلِ إلى بَعضِهِنَّ دُونض بَعضٍ مِمَّا لا يُمكِنُ دَفعُهُ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾أي: بِضَمائِرِ السَّرَائِرِ، ﴿حَلِيمًا﴾ أي: يَحْلُمُ وَيَغْفِرُ». ا.هـ[2].

أيها المسلمون...

ثم حَرَّم ربُّنا تَبارك وتعالى عَلَى نَبيِّه ﷺ أن يتزوّج بغيرهم أَوْ يستبدل بهنَّ أزواجًا غيرهنَّ ولو أعجبه حُسنُهنَّ.

قال تَعَالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

قال الحَافِظ ابن كثير -رَحِمَهُ الله - فِي تفسيره لِهَذِهِ الآيَة: «ذَكَرَ غَيرُ وَاحِدٍ مِنَ العُلَمَاء أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزلَت مُجَازاةٌ لأزواجِ النَّبيِّ ﷺ، وَرِضًا عَنهنَّ عَلَى حُسْنِ صَنيعِهِنَّ فِي اختِيَارِهِنَّ الله ورَسُولهُ والدَّارَ الآخِرَةَ، لَمَّا خَيَّرَهُنَّ رَسُولُ الله ﷺ كَمَا تَقَدَّم فِي الآية، فلمَّا اختَرنَ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ جَزاؤُهُنَّ أَنَّ الله تَعَالى قَصَرَهُ عَلَيْهِنَّ وحَرَّمَ عَلَيهِ أن يَتَزَوَّجَ

(١) البخاري (٤٧٨٩)، ومسلم (١٤٦٤).
(٢) «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٨٠ - ٥٨٤).

بِغَيرِهِنَّ أَوْ يَستَبدِلَ بِهِنَّ أزوَاجًا غَيْرَهُنَّ ولوْ أعجَبَهُ حُسنُهُنَّ، إلَّا الإمَاءَ والسَّرَارِيَّ فَلَا حَجْرَ عَلَيهِ فِيهِنَّ، ثُمَّ إنَّهُ تَعَالى رَفَعَ عَنْهُ الحَجْرَ في ذَلِكَ، ونَسَخَ حُكمَ هَذِهِ الآيَةِ وأَبَاحَ لَهُ التَّزوُّج وَلَكِن لم يَقَع مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ تَزَوُّجٌ لِتكُونَ المِنَّةُ لِرَسُولِ الله ﷺ عَلَيهنَّ.

عَنْ أُمِّ سَلَمَة أنَّهَا قَالَت: «لَم يَمُت رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى أحَلَّ الله لَهُ أن يَتَزَوَّج مِنَ النِّسَاءِ مَا شَاءَ إلَّا ذَاتَ محَرَم، وذَلِكَ قَولُ الله تَعَالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ الآية». فَجُعِلت هَذِهِ نَاسِخَةٌ للتي بَعْدَهَا في التِّلاوةِ، كَآيَتَي عِدَّةِ الوَفَاةِ في البَقَرَةِ الأُولَى نَاسِخَةٌ للتي بَعْدَهَا، والله أعلم.

وقَالَ آخرُونَ: بَلْ مَعْنَى الآيةِ ﴿لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ أي: مِنْ بَعْدِ مَا ذَكرنَا لك مِنْ صِفَةِ النِّسَاء اللَّاتِي أحلَلْنَا لَكَ مِنْ نِسَائِكَ اللَّاتِي آتيْتَ أُجُورَهُنَّ، وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، وبَنَاتِ العَمِّ والعَمَّاتِ والخَالِ والخَالاتِ، والوَاهِبَةِ، ومَا سِوَى ذَلِكَ مِن أصنَافِ النِّسَاء، فَلَا يَحِلُّ لَك، قَالَهُ عَدَدٌ مِن أهلِ العِلمِ.

وقَالَ مُجَاهِدٌ في قوله تَعَالى: ﴿لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ : أي: مِنْ بَعدِ مَا سَمَّى لَكَ مِنْ مُسلِمَةٍ ولا يَهُوديَّةٍ ولا نَصْرَانيَّةٍ ولا كَافِرَةٍ، وقال أَبُو صَالِح: أُمِرَ أن لا يَتَزوَّجَ أعرابَيَّةً ولا عَرَبِيَّةً، ويَتَزوجَ بَعْدُ مِن نِسَاءِ تِهَامَةَ، ومَا شَاءَ مِنْ بَنَاتِ العَمِّ والعَمَّةِ والخَالِ والخَالَةِ، إن شَاءَ ثَلاثَمِائة. وقَالَ عِكرمَةُ: ﴿لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ أي: الَّتي سَمَّى الله.

واختَارَ ابنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ الله أنَّ الآيَةَ عَامَّةٌ فِيمن ذُكِرَ مِنْ أصنَافِ النِّسَاءِ، وفِي النِّسَاءِ اللَّوَاتِي فِي عِصْمَتِهِ وكُنَّ تِسْعًا، وهَذَا الَّذِي قَالَهُ جَيدٌ، ولَعَلَّهُ مُرَادُ كَثيرٍ مِمَّن حَكَيْنَا عَنْهُ مِنَ السَّلَفِ فَإنَّ كَثيرًا مِنْهُم رُوِيَ عَنْهُ هَذَا وهَذَا، ولا مُنَافَاةَ، والله أعلمُ» ا.هـ[1].

عباد الله...

وثَمَّة شيءٌ آخر ينبغي الإشارة إليه، والدَّلالة عليه، وهو: أنَّ أُمهات المؤمنين رِضوان الله عَليهنَّ نَقلن عن نبيِّنا ﷺ علمًا غزيرًا، لأنهنَّ رأين وسمعنَ مِنه أشياء كثيرة لم يعلمها الصَّحابةُ رِضوان الله عليهم، وكان يصعب عَلَى واحدة منهنَّ أن تحمل كلَّ هذا العلم.

---

(١) «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٨٤، ٥٨٥).

لذا كانت كل واحدة منهنَّ مرجعًا كبيرًا، بل كانت كل واحدة منهنَّ مدرسة مستقلة. وهذا طرف مهم من حكمة استكثاره ﷺ من النِّساء، وسيأتي المزيد بَعْدُ - إن شاء الله تَعَالى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ولم يَفُتْ أُمَّنا ميمونة رَضِي الله عَنْهَا المشاركة في الجِهاد، ففي غزوة تبوك كانت ميمونة رَضِي الله عَنْهَا في صفوف المجاهدين، تسعف الجرحى، وتواسي المرضى، وتجاهد في سبيل الله حقَّ جِهادِهِ.

ويقال بأنها رَضِي الله عَنْهَا أوَّل امرأة ألَّفت فرقة نسائية لإسعاف الجرحى، والقيام بواجبات المجاهدين في ساحة القتال، ولقد أصابها في جهادهم سهمٌ من سهام الأعداء وهي تحمل الماء للمصابين، فكاد يقتلها لولا عناية الله ولطفه.

كما كانت رَضِي الله عَنْهَا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولا تخشى في الله لومة لائم.

قال يزيد بن الأصمّ: إن ذا قرابة لميمونة دخل عليها، فوجدت منه ريح شراب، فقالت: «لَئِن لم تَخرج إلى المسلمين، فيجلدوك، لا تدخل عليَّ أبدًا»[1].

عباد الله...

وهكذا يجب أن نكون، فإنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر - كما قال الإمام الغَزالي -رَحِمَهُ الله -: «هو القطب الأعظم في الدِّين، وهو المهمّ الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طُوى بساطه وأُهمل علْمُه وعَملُه لتعطَّلت النبوَّة واضمحلّت

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٤٤).

الديانة وعمَّت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتَّسع الخرق وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلَّا يوم التناد، وقد كان الذي خِفْنَا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخَلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتِّباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم.

فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلدًا لتنفيذها مجدداً لهذه السُّنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمرًا في إحيائها كان مستأثرًا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبدًّا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذِرْوتها» ا.هـ[١].

عباد الله...

قضت ميمونة رَضِي الله عَنْهَا مناسك الحَجّ، و«حَلَقْت رَأْسَهَا في إحْرَامِها، فماتت ورأسُها مُحَمَّم»[٢].

ورأسها مُحَمَّم: أي مُسْوَدٌّ بسبب نبات الشعر بعد الحلق.

قال الأرناؤوط - حفظه الله -: «لعلّ ميمونة رَضِي الله عَنْهَا لم يَبلغها أن المرأة لا تحلق رأسها في الحجّ بل تقصِّر. فقد أخرج أبو داود[٣] من حديث ابن عباس مرفوعًا: «لَيس عَلَى النِّساء حَلْق، إنَّما عَلَى النِّساء التقصِّير» وحسَّن إسناده الحافظ في «التلخيص»[٤]. ا.هـ[٥].

قال يزيد بن الأصمّ: دَفَنَّا ميمونة بِسَرِف في الظُلَّة التي بني بها فيها رَسُول الله ﷺ

---

(١) «إحياء علوم الدِّين» (٢/ ٣٠٠٦).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد (٨/ ١٣٨) عن يزيد بن الأصم.

(٣) برقم (١٩٤٨).

(٤) (٤/ ٢٦١).

(٥) هامش «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٤٣).

وقَدْ كانت حَلَقَتْ رأسها في الحجّ، نَزلتُ قبرها أنا وابن عبَّاس[١].

وعن عطاء، قال: تُوفِّيت ميمونة بِسرف، فَخَرجتُ مع ابن عبَّاس إليها، فقال: «إذا رفعتم نَعْشَها، فلا تزلزلوها، ولا تزعزعُوها»[٢].

وفي رواية: «أرفقوا بها، فإنَّها أُمّكُم».

عباد الله...

ونختم خطبة اليوم برثاءٍ جميل:

قالت عائشة رَضِي الله عَنْهَا بعد موت ميمونة رَضِي الله عَنْهَا: «ذَهَبَتْ والله ميمونة، أَمَا إنَّها كانت مِنْ أتقَانَا لله، وأوْصَلِنا للرَّحِم»[٣].

۞۞۞۞۞

---

(١) أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد (٤/ ٣٣)، ووافقه الذهبيّ.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٣١)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) إسناده حسن: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٢)، وحسَّنه الأرناؤوط، كما في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٤٤).

الخطبة السادسة والخمسون بعد المائة:

مع أم المؤمنين سودة بنت زمعة

دروسٌ في الإيثار، وذكاءٌ في الاختيار

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فإن «سَودة بنت زمعة» هي أُمّ المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس القرشيّة العامريّة.

وهي أوَّل مَن تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ بعد خديجة رَضِي الله عَنْهَا.

وكانت رَضِي الله عَنْهَا أوَّلًا عند السَّكران بن عمرو، وهاجرت معه إلى الحبشة، فأغضبت أهلها بهذه الهجرة، ولكن يكفي أنَّها أرضت ربَّها عَزَّ وَجَلَّ.

وهذا يَدلُّ عَلَى عُمق إيمانها، وشدّة حبِّها لإسلامها.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣، ٢٤].

وقال تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تَعَالَى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

عباد الله...

ولما عادت رَضِيَ الله عَنْهَا من هِجرتها، تُوفِّي زَوجُها رَضِيَ الله عَنْهُ، وبقيت سَودة من غير ناصر، ولا عائل.

فَرَقَّ لها النبيُّ ﷺ فتزوَّجها، وكانت في الخامسة والخمسين من عُمرها، ودَخَلَ بها ﷺ بمكَّة سنة عشرة من النبوَّة، وانفردت به نحو ثلاث سنوات حَتَّى دخل بِأُمّ المؤمنين عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا بالمدينة بعد الهجرة، وكان قَدْ عقد عليها ولم يَدخل بها بمكّة، زمن تزوّجه بِسَودة بنت زَمعة.

وارتفعت مكانتُها في الإسلام بأن أصبحت أُمًّا للمؤمنين، وكان زواج النَّبيّ ﷺ بها تكريمًا لها بعد موت زوجها ولما تحملته من آلام في سبيل الله ورسوله، فكانت تقوم بواجباتها في بيت النبوّة من رعاية بنات الرَّسول الكريم ﷺ حَتَّى دخل البيت النبويّ أخريات من زوجات حملت لقب أُمهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ.

ومرت الأيام، وسَودة ترافق النَّبي ﷺ وبَدَا له ﷺ أن يُطلِقها، فماذا حدث؟

يقول القَاسم بن أبي بَزَّة: «أنَّ النَّبي ﷺ بعث إلى سَودة بطلاقها، فَجَلَست عَلَى طريقه، فقالت: أنشُدُكَ بالذَي أنزل عليك كتابه، لِمَ طَلَّقتني؟ ألموجِدة؟ قَالَ: «لا»،

قالت: فأنشُدُك الله لَمَا راجعتني؛ فلا حاجة لي في الرجال، ولكني أُحبُّ أن أُبعثَ في نساءك، فراجعها. قالت: فإني قَدْ جعلتُ يومي لعائشة»(١).

نعم يا أُم المؤمنين، وهل هناك شرف يُداني هذا الشَّرف، أن تُحشري يَوم القيامة وأنت زَوج لِخاتم النبيِّين، هنيئًا لكِ.

وكانت السَّيِّدة عائشة لا تنسى لها هذا الصَّنيع.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مِسْلَاخِهَا مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، مِنْ امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ، قَالَتْ فَلَمَّا كَبِرَتْ جَعَلَتْ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعَائِشَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ(٢).

قَالَ الإمام النَّووي - رَحِمَهُ الله -: «المِسلَاخ» هُوَ الجِلد وَمَعنَاهُ: أَن أَكُون أَنَا هِيَ. وَقَولهَا «مِن اِمرَأَة» قَالَ القَاضِي: «مِن» هُنَا لِلبَيَانِ وَاستِفتَاح الكَلَام، وَلَم تُرِدْ عَائِشَة عَيب سَودَة بِذَلِكَ، بَل وَصَفَتهَا بِقُوَّةِ النَّفس وَجودَة القَرِيحَة وَهِيَ الحِدَة - بِكَسرِ الحَاء.

قَولهَا: «فَلَمَّا كَبِرَت جَعَلَت يَومهَا مِن رَسُول الله ﷺ لِعَائِشَة» فِيهِ جَوَاز هِبَتهَا نَوبَتهَا لِضَرَّتِهَا، لِأَنَّهُ حَقّهَا، لَكِن يُشتَرَط رِضَا الزَّوج بِذَلِكَ، لِأَنَّ لَهُ حَقًّا فِي الوَاهِبَة فَلَا يَفُوتهُ إِلَّا بِرِضَاهُ وَلَا يَجُوز أَن تَأخُذ عَلَى هَذِهِ الهِبَة عِوَضًا، وَيَجُوز أَن تَهَب لِلزَّوجِ فَيَجعَل الزَّوج نَوبَتهَا لِمَن شَاءَ.

وَقِيلَ: يَلزَمهُ تَوزِيعهَا عَلَى البَاقِيَات، وَيَجعَل الوَاهِبَة كَالمَعدُومَةِ، وَالأَوَّل أَصَحّ.

وَلِلوَاهِبَةِ الرُّجُوع مَتَى شَاءَت، فَتَرجِع فِي المُستَقبَل دُون المَاضِي لِأَنَّ الهِبَات يَرجِع فِيمَا لَم يَقبِض مِنهَا دُون المَقبُوض.

وَقَولهَا: «جَعَلَت يَومهَا»، أَي نَوبَتهَا وَهِيَ يَوم وَلَيلَة.

وَقَولهَا: «كَانَ يَقسِم لِعَائِشَة يَومَينِ يَومهَا وَيَوم سَودَة» مَعنَاهُ: أَنَّهُ كَانَ يَكُون عِند

---

(١) **إسناده صحيح، لكنه مرسل**: أخرجه ابن سعد (٨/ ٥٤).

(٢) رواه مسلم (١٤٦٣).

عَائِشَة فِي يَومهَا وَيَكُون عِندهَا أَيضًا فِي يَوم سَودَة؛ لَا أَنَّهُ يُوَالِي لَهَا اليَومَين.

وَالأَصَحّ عِند أَصحَابنَا[1]: أَنَّهُ لَا يَجُوز المُوَالَاة لِلمَوهُوبِ لَهَا إِلَّا بِرِضَى البَاقِيَات. وَجَوَّزَهُ بَعض أَصحَابنَا بِغَيرِ رِضَاهُنَّ وَهُوَ ضَعِيف»[2].

عباد الله...

وهكذا استطاعت سَودة رَضِيَ الله عَنْهَا بذكائها الإيماني أن تظل مِن أُمهات المؤمنين في الدُّنيا والآخرة، وقَدْ ذكرت ذَلِكَ عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا لِعُروة بن الزُّبير حيث قالت: يَا ابْنَ أُخْتِى، كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِى الْقَسْمِ مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلاَّ وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ حَتَّى يَبْلُغَ الَّذِى هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتُ عِنْدَهَا، وَلَقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ حِينَ أَسَنَّتْ وَفَرِقَتْ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ يَوْمِى لِعَائِشَةَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا، قَالَت: وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى وَفِى أَشْبَاهِهَا ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء: ١٢٨][3].

قَالَ الحَافظ ابن كثير - رَحِمَهُ الله - في تَفسيره لهذهِ الآية: «يَقُولُ تَعَالى مُخبِرًا ومُشَرِّعًا مِنْ حَالِ الزَّوجَينِ تَارةً فِي حَالِ نُفُورِ الرَّجُلِ عَنِ المرأةِ وتَارةً فِي حَالِ اتِّفَاقِهِ مَعَهَا، وتَارةً عِنْدَ فِرَاقِهِ لَهَا، فَالحالةُ الأُولى مَا إذَا خَافَتِ المرأةُ مِنْ زَوجِهَا أنْ يَنْفِرَ عَنْهَا أَوْ يُعْرِضَ عَنْهَا فَلَهَا أن تُسقِطَ عَنْهُ حَقَّهَا أو بَعضَهُ مِنْ نَفَقةٍ أو كِسوةٍ أو مَبيتٍ أو غَير ذَلِكَ مِنْ الحُقُوقِ عَليهِ، ولَهُ أن يَقْبَلَ ذَلِكَ مِنهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا في بَذْلِهَا ذَلِكَ لَهُ، ولَا عَلَيهِ فِي قَبُولِهِ مِنْهَا، ولِهَذَا قَالَ تَعَالى: ﴿**فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا**﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**﴾ أي: مِنْ الفِرَاقِ.

﴿**وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ**﴾ أي: الصُّلحُ عِندَ المُشَاحَّةِ خَيْرٌ مِنَ الفِرَاقِ، ولِهَذَا لَمَّا

---

(١) يعني الشافعية.

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٠/ ٣٩).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود.

كَبِرَت سَودَةُ بِنتُ زَمْعَةَ عَزَمَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى فِرَاقِهَا، فَصَالَحَتهُ عَلَى أن يُمسِكَهَا، وتَتْرُكَ يَومَهَا لِعَائِشَةَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهَا وأبقَاهَا عَلَى ذَلِكَ.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا كَبِرَتْ سَوْدَةُ وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِي، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ لِي بِيَوْمِهَا مَعَ نِسَائِهِ[1].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾، قَالَتْ: الرَّجُلُ تَكُونُ عِنْدَهُ المَرْأَةُ لَيْسَ بِمُسْتَكْثِرٍ مِنْهَا يُرِيدُ أَنْ يُفَارِقَهَا فَتَقُولُ: أَجْعَلُكَ مِنْ شَأْنِي فِي حِلٍّ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي ذَلِكَ[2].

والظَّاهِرُ مِن الآيَةِ أنَّ صُلحَهُمَا عَلَى تَركِ بَعضِ حَقِّهَا للزَّوجِ، وقَبُول الزَّوج ذَلِكَ خَيرٌ مِنَ المُفَارقَةِ بِالكُلِّيةِ، كَمَا أمْسَكَ النَّبيُّ ﷺ سَودَةَ بِنتَ زَمعةَ عَلَى أن تَركَت يَومَها لِعائِشة رَضِي الله عَنْهَا ولَم يُفَارِقها بَل تَركَهَا مِن جُملَةِ نِسائِهِ، وفِعْلُهُ ذَلِكَ لِيَتأسَّى بِهِ أُمَّتُهُ فِي مَشْرُوعِيَّةِ ذَلِكَ وجَوازِهِ، فَهُوَ أفضَلُ فِي حَقِّهِ ﷺ، ولَمَّا كانَ الوَفَاقُ أحَبُّ إلى الله مِنَ الفِرَاقِ؛ قال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ بَلِ الطَّلَاقُ بَغِيضٌ إليهِ سُبحَانَهُ وتَعالى.

﴿وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وإن تَتَجَشَّمُوا مَشَقَّةَ الصَّبرِ عَلَى مَا تكرَهُونَ مِنْهُنَّ، وَتَقْسِمُوا لَهُنَّ أُسوَةَ أمثَالِهِنَّ، فإنَّ الله عَالِمٌ بِذَلِكَ وسَيَجْزِيكُم عَلَى ذَلِكَ أوفَرَ الجَزَاءِ». ا.هـ[3].

عباد الله...

وبهذا الدَّرس العَظِيم نأتي إلى خِتام الخطبة الأولى، والله الموفَّق لما يُحبّ ويَرضى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) رواه البخاري (٥٢١٢)، ومسلم (١٤٦٣).

(٢) رواه البخاري (٢٥٠٦).

(٣) «صحيح تفسير ابن كثير» (١/ ٥٤٠، ٥٤١).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وظَلَّت سَودة رَضِي الله عَنْهَا في بَيْت النُّبوَّة حتى لَحِق النَّبيُّ ﷺ بالرَّفيق الأعلى.

وكانت رَضِي الله عَنْهَا قَدْ حَجَّت هي وأُمهات المؤمنين مع النَّبيّ ﷺ حجة الوداع، وكان النَّبيُّ ﷺ قَدْ قال لهنَّ في حجة الوداع: «**هذه ثم ظهور الحصر**»(١)، إشارة لزوجاته أن يلزمن بيوتهنَّ ولا يخرجن.

والحصر: جمع حصير.

وتمسَّكت سَودة رَضِي الله عَنْهَا بِقَول النَّبيّ ﷺ فلزمت بيتها قائلة: «لا أحج بعدها أبدًا».

ونَصُّ الرواية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِنِسَائِهِ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ: «هَذِهِ ثُمَّ ظُهُورَ الحُصْرِ». قَالَ: فَكُنَّ كُلُّهُنَّ يَحْجُجْنَ إِلاَّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ وَسَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَكَانَتَا تَقُولاَنِ: وَاللَّهِ لاَ تُحَرِّكُنَا دَابَّةٌ بَعْدَ أَنْ سَمِعْنَا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ».

وأخرج عبد بن حُميد وابن المنذر عن مُحَمَّد بن سِيرين، قال: «ثبت أنه قِيل لِسَودة رَضِي الله عَنْهَا زَوج النَّبيّ ﷺ: ما لك لا تَحجِّين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟

فقالت: «قَدْ حَججت واعتمرت وأمرني الله تَعَالى أن أقرّ في بَيتي، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت».

قال: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها».

ولا تفهم - أخي المستمع - مِمَّا سَبق أن بقية أُمهات المؤمنين قَدْ خالفن أمر النَّبيّ

(١) وفي رواية: «هذه ثم لزوم الحصر» أخرجه أحمد (٥/ ٢١٨)، وأبو داود (١٧٢٢)، وأبو يعلى (١٤٤٤)، وغيرهم، وإسناده صحيح.

ﷺ، ولا تفهم كذلك أنهنَّ خالفنَ أمر الله تَعَالى في قوله لهن: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الـجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فقد أُجيب: بأنَّ الأمر بالاستقرار في البيوت والنَّهي عن الخروج ليست مطلقًا، وإلَّا لما أخرجهنَّ رَسُول الله ﷺ بعد نزول الآية للحج والعمرة، ولما ذهبت بهن في الغزوات، ولما رَخَّص لهنَّ لزيارة الوالدين وعيادة المرضى وتعزية الأقارب، وقَدْ وقع كُلّ لك كما تشهد به الأخبار، وقَدْ صحَّ أنهنَّ كُلَّهنَّ كنَّ يحججنَّ بعد وفاة رَسُول الله ﷺ إلَّا سَودة بنت زمعة، وفي رواية عن أحمد عن أبي هريرة: «إلَّا زَينب بنت جحش وسَودة»، ولم يُنكر عليهنَّ أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم.

وقَدْ جاء في الحديث الصحيح أَنَّهُ ﷺ قَالَ لهنَّ بعد نزول الآية: «**أُذن لَكُنَّ أن تَخْرجنَ لِحَاجَتِكنّ**»[1].

فَعُلِم أن المراد: الأمر بالاستقرار الذي يحصل به وقارهنَّ وامتيازهنَّ عَلَى سائر النِّساء بأن يلازمن البيوت في أغلب أوقاتهن ولا يكنَّ خرَّاجات ولَّاجات طوَّافات في الطُّرق والأسواق وبيوت النَّاس، وهذا لا ينافي خروجهنَّ للحجّ أَوْ لما فيه مصلحة دينية مع التستر وعدم الابتذال» ا.هـ[2].

ولا يُفكِّر عَلَى هذا خروج أزواج النَّبيّ ﷺ للحجّ بعد وفاته وبعد أمره لهنَّ في حجة الوادع بقوله: «**هذه ثم لزوم الحصر**»، فقد أُجيب بأن الخبر ليس نصًّا في النَّهي عن الخروج للحجّ بعد تلك الحجّة وإلَّا لما خرج له سائر الأزواج الطَّاهرات من غير نكير أحدٍ من الصحابة عليهنَّ، بل جاء أن عمر رَضِي الله عَنْهُ أرسلهنَّ للحجّ في عهده وجعل معهن عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وقال لهما: «إنكما ولدان باران لهنَّ فليكن أحدُكما قُدَّام مراكبهنّ والآخر خلفها».

ولم يُنكر أحدٌ، فكان إجماعًا سكوتيًّا عَلَى الجواز.

فكأن زينب وسَودة فَهِمَا من الخبر: قضيت هذه الحجة أَوْ أُبيحت لكنَّ هذه الحجّة

---

(١) رواه البخاري (٥٢٣٧).

(٢) «روح المعاني» للألوسي (١١/ ٤٩٥).

بخصوصها ثم الواجب بعدها عليكن لزوم البيوت، فلم يَحُجَّا بعد ذَلِكَ.

وغيرهما فهم منه: المناسب لَكُنَّ أَوْ اللَّائق لكنَّ هذه الحجّة أي: جنسها أَوْ هذه الحالة من السَّفر للحج، أَوْ لأمر ديني مهم، ثم بعد الفراغ المناسب أَوْ اللَّائق لزوم البيوت، فيكون مفاده: إباحة الخروج لذَلِكَ.

ومن أنصف لا يكاد يقول بإفادة الخبر الأمر بلزوم البيوت والنَّهي عن الخروج منها مطلقًا بعد تلك الحجّة بخصوصها، فإن النَّبيّ ﷺ مرض في بَيت عائشة رَضِي الله عَنْهَا وبقي مريضًا فيه حتى تُوفِّي ﷺ ولا يكاد يشكّ أحد في خروج سائرهنَّ لعيادته أَوْ يتصوَّر استقرارهنَّ في بيوتهنَّ غير بالين شوقهنَّ برؤية طلعته الشريفة حتى تُوفِّي ﷺ، فإن مثل ذَلِكَ لا يفعله أقلّ النِّساء حبًّا لأزواجهنَّ الذين لا قدر لهم، فكيف يفعله الأزواج الطَّاهرات مع رَسُول الله ﷺ وهو هو، وحبَّهنّ له حبهنّ». ا.هـ[1].

عباد الله...

وفي زمن عمر بن الخطاب رَضِي الله عَنْهُ لبَّت سَودة رَضِي الله عَنْهَا نِداء ربَّها[2]، وخرجت روحُها الطَّاهرة بعد عمر حافل بالعمل الصَّالح والعلم النَّافع، رَضِي الله عَنْهَا وأرضاها.

عباد الله...

والموت حق، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وكل يوم يمرّ عليك - يا ابن آدم - يبعدك عن الدُّنيا، ويُقرِّبك من الآخرة.

قَالَ الحسن: «إنَّما أنت أيام، كلَّما مَضى منك يومٌ مضى بعضُك».

والسَّعيد: مَن ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، واستعدَّ للقاء مولاه قبل أن يلقاه.

---

(١) «روح المعاني» للألوسي (١١/ ٤٩٩، ٥٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في «تاريخه» (١/ ٤٩، ٥٠).

إنَّـــا لنفـــرح بالأيَّـــام نقطعهـــا وكُـلَّ يَـومٍ مَـضَى يُدْنـي مـن الأجَـل
فاعمـل لِنَفسكِ قَبْلَ الموتِ مُجتهدًا فإنَّمـا الـرِّبح والخُـسْران في العَمَـلِ

فيا عباد الله...

كيف يفرح بالدنيا مَنْ يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟!
وعمره خُطاه إلى قبره، كيف يفرح مَن يقوده عُمرُه إلى أجله، وحياته إلى موته؟!

قَالَ عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تَعَالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤]، قَالَ: «أنفاسهم في الدُّنيا».

إن النَّفَسَ قَدْ يخرج ولا يعود، وإنَّ العين قَدْ تطرف ولا تطرف الأخرى إلَّا بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ.

فاللَّهُمَّ يا وليَّ الإسلام وأهلِهِ، مَسِّكْنَا بالإسْلَامِ حتَّى نَلْقَاك.

آمين... آمين... آمين

والحمد لله رَبِّ العالمين

✡✡✡✡✡

الخطبة السابعة والخمسون بعد المائة:

آدابٌ أمَرَ الله تَعَالى بها نساء النَّبي ﷺ ونساء الأُمَة تَبعٌ لهنَّ في ذلك

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن حياة أُمهات المؤمنين.

ونلتقي اليوم - إن شاء الله تَعَالى - مع آداب شرعيَّة أمر الله تَعَالى بها نِساء النَّبيّ ﷺ ونساء الأُمَة تبعٌ لهنَّ في ذَلِكَ.

عباد الله...

قال تَعَالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالـقَوْلِ

فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْروفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣].

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ الله - في «تفسيره»: «هَذِهِ آدَابٌ أَمَرَ الله تَعَالى بِهَا نِسَاءَ النَّبيِّ ﷺ ونِسَاءُ الأُمَّةِ تَبعٌ لَهُنَّ في ذَلِكَ، فَقَالَ تعلى مُخَاطِبًا لِنِسَاءِ النَّبيِّ ﷺ: بأَنَّهُنَّ إذا اتَّقينَ الله عَزَّ وَجَلَّ كَمَا أَمَرَهُنَّ فإنَّهُ لا يُشْبِهُهُنَّ أحَدٌ مِنَ النِّسَاءِ، ولا يَلحَقُهُنَّ في الفَضِيلَةِ والمنزِلَةِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالى: ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ قَالَ السُّدِّيُّ وغيرهُ: يَعني بِذَلِكَ تَرقِيقُ الكَلَام إذا خَاطَبنَ الرِّجَالَ، ولِهَذا قَالَ تَعَالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي: دَغَلٌ، ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْروفًا﴾ قال ابن زَيدٍ: قولًا حَسنًا جَميلًا مَعرُوفًا في الخَيرِ، ومَعنَى ذلك: أنَّها تُخَاطِبُ الأجَانِبَ بِكلَام لَيسَ فيهِ تَرخِيمٌ، أي: لا تُخَاطِبُ المرأةُ الأجَانِبَ كَمَا تُخَاطِبُ زَوْجَها.

وقَولهُ تَعَالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي: الزمنَ بُيُوتَكُنَّ فَلَا تَخرُجنَ لِغَيرِ حَاجَةٍ، ومِنَ الحَوائِجِ الشَّرعيَّة الصَّلاةُ في المَسجدِ بِشَرطِهِ، كَما قال رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلَاتٍ**»، وفي روايةٍ: «**وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ**»(١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسعُودٍ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**المَرْأَةُ عَوْرَةٌ فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»(٢).

وأقرَبُ ما تكُونُ بِروحَةِ رَبِّها وهي في قَعْرِ بيتِهَا.

وعَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**صلَاةُ المرأةِ فِي مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي بَيْتِهَا، وصَلَاتِها فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهَا فِي حُجْرَتِهَا**»(٣).

وقَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ قال قَتَادةُ: إذا خَرجتُنَّ مِن بُيُوتِكُنَّ - وكانت لَهُنَّ مِشيَةٌ وتَكَسُّرٌ وتَغَنَّجٌ - فَنَهى الله تَعَالى عن ذَلِكَ.

---

(١) صحيح بمجموع طرقه: رواه أبو داود (٥٦٧)، وأحمد (٢/ ٧٦، ٧٧).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي مختصرًا (١١٧٣).

(٣) صحيح بشواهده: انظر «سنن أبي داود» (٥٧٠).

وقال مُقاتِلُ بن حيَّانٍ: التَّبرُّجُ: أنَّها تُلقِي الخِمارَ عَلَى رَأسِهَا، ولا تَشُدُّه فيُواري قَلائِدَها وقُرطَهَا وعُنُقها، ويَبدُو ذَلِكَ كُلُّهُ مِنها، وذلك التَّبرُّجُ، ثُمَّ عَمَّت نِسَاءُ المؤمِنِينَ في التَّبرُّجِ.

وَعَن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: تَلَا هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ قَالَ: كَانَت فِيمَا بَيْنَ نُوحٍ وإدريسَ، وكَانت ألفَ سَنَةٍ، وإنَّ بَطْنَينِ مِنْ وَلَدِ آدمَ كَانَ أحدٌ يَسكُنُ السَّهلَ والآخَرُ يَسْكُنُ الجَبَلَ، وكَانَ رِجَالُ الجَبلِ صِبَاحًا وفي النِّسَاء دَمَامَةٌ، وكَانَ نِسَاءُ السَّهلِ صِبَاحًا وفي الرِّجالِ دَمَامةٌ، وإنَّ إبليسَ - لَعَنهُ الله - أتَى رَجُلًا مِن أهلِ السَّهلِ في صُورةِ غُلَام فآجَرَ نَفْسَهُ مِنْهُ فَكَانَ يَخدِمُهُ، فاتَّخَذ إبلِيسُ شَيئًا مِنْ مِثْلِ الَّذي يُزَمِّرَ فيهِ الرِّعَاءُ، فَجَاءَ فيهِ بِصَوتٍ لَم يَسمَعِ النَّاسُ مِثلهُ، فَبَلغَ ذَلِكَ مَنْ حَولهُ، فانْتَابُوهُم يَسمَعُون إليهِ، واتَّخَذُوا عِيدًا يَجتمِعُونَ إليهِ في السَّنَةِ فَيَتَبرَّجُ النِّساءُ للرِّجالِ. قالَ: ويَتَزَيَّنُ الرِّجالُ لَهُنَّ، وإنَّ رجلًا مِن أهلِ الجَبلِ هَجَمَ عَلَيهم في عِيدهِم ذَلِكَ، فَرأى النِّسَاءَ وصَبَاحَتهنَّ، فأتَى أصحَابَهُ فأخبرَهُم بِذَلِكَ، فَتَحوَّلوا إليهنَّ فَنَزلُوا مَعَهُنَّ وظَهَرَتِ الفَاحِشَةُ فِيهنَّ، فَهُوَ قَولُ الله تَعَالى: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾.

وقَولُهُ تَعَالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ﴾ نَهَاهُنَّ أوَّلًا عَنِ الشَّرِّ، ثُمَّ أمَرَهُنَّ بالخَيرِ مِن إقَامَةِ الصَّلاةِ، وهِيَ: عِبَادة الله وحدهُ لا شَريكَ لَهُ، وإيتَاءِ الزَّكاةِ وَهِيَ: الإحْسَانُ إلى المخلُوقِينَ، ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وَهَذَا مِنْ بَابِ عَطْفِ العَامِّ عَلَى الخَاصِّ» ا.هـ[1].

عباد الله...

ومن الآداب التي أمر الله تَعَالى بها أُمهات المؤمنين ونساء المؤمنين أيضًا:

قوله تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ الله - في تفسيره لهذه الآية الكريمة: «يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا

(١) «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٦٣، ٥٦٤).

رَسُولهُ ﷺ : أنْ يَأمُرَ النِّسَاءَ المُؤمنَاتِ المُسلماتِ - خَاصَّةً أزْوَاجَهُ وبَنَاتَهُ لِشَرفِهنَّ - بأنْ يُدنِينَ عَلَيهنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ؛ لِيَتَمَيَّزنَ عَنْ سِمَاتِ نِسَاءِ الجَاهِليَّةِ وسِمَاتِ الإمَاءِ.

والجِلبَابُ هو: الرِّدَاءُ فوقَ الخِمَار.

قال الجَوهَريُّ: الجِلبَابُ المِلحَفَةُ، قَالَتِ امرأةٌ مِن هُذَيلٍ تَرثِي قَتِيلًا لَهَا:

تَمْشِي النُّسُورُ إليهِ وَهْيَ لاهِيَةٌ   مَشْيَ العَذَارَى عَلَيهنَّ الجَلابِيبُ

رُوِيَ عن ابن عَبَّاسٍ: أَمَرَ الله نِسَاءَ المؤمنينَ إذَا خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهنَّ في حَاجَةٍ أنْ يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ مِن فَوقِ رُءُوسِهنَّ، ويُبدِينَ عَينًا واحِدةً.

وقال مُحَمَّد بنُ سِيرين: سَألتُ عُبَيدةَ السَّلمَانِيَّ عَن قَولِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ فَغَطَّى وَجْهَهُ ورَأسَهُ وأبْرَزَ عَيْنَهُ اليُسْرَى. وقَالَ عِكرِمَةُ: تُغَطِّي ثُغْرَةَ نَحْرِهَا بِجِلبَابِها تُدنِيهِ عَلَيْهَا.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ... ﴾ خَرَجَ نِسَاءُ الأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِنَّ الغِرْبَانَ مِنْ الأَكْسِيَةِ، وعَلَيهنَّ أكْسِيةٌ سُودٌ يَلبَسنَهَا.

وقَولُهُ: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ أي: إذَا فَعلنَ ذلك عُرِفنَ أنهُنَّ حَرَائِرُ لَسْنَ بإمَاءٍ ولا عَوَاهِرَ.

قَال السُّدِّيُّ في قَولِهِ تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ قال: كَانَ نَاسٌ مِن فُسَّاقِ أهلِ المَدِينةِ يَخْرُجُونَ بِاللَّيلِ حِينَ يَختَلِطُ الظَّلَامُ، إلى طُرُقِ المَدِينةِ يَتَعَرَّضُون للنِّساءِ، وكَانت مَسَاكِنُ أهلِ المَدينةِ ضَيِّقَةً، فَإذَا كَانَ اللَّيلُ خَرَجَ النِّسَاءُ إلى الطُّرُقِ يَقْضِينَ حَاجَتَهُنَّ، فَكَانَ أُولَئِكَ الفُسَّاقُ يَبْتَغُونَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ، فإذَا رأوا المرأَةَ عَلَيْهَا جِلبَابٌ قَالُوا: هَذِهِ حُرَّةٌ فَكَفُّوا عَنْهَا، فإذَا رأوا المرأَةَ لَيْسَ عَلَيْهَا جِلبَابٌ قَالُوا: هَذِهِ أَمَةٌ فَوَثَبُوا عَلَيْهَا.

وقَالَ مُجَاهِدٌ: يَتَجَلبَبْنَ فَيُعلَمُ أنَّهُنَّ حَرَائِرُ، فَلَا يَعرِضُ لَهُنَّ فَاسِقٌ بأذًى ولا رِيبَةٍ.

وَقَولُهُ تَعَالى: ﴿وَكَانَ اللَّـهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: لِمَا سَلَف في أيَّام الجَاهِلِيَّةِ حَيثُ لَم يَكُن عِندَهُنَّ عِلمٌ بِذَلِكَ». ا.هـ[١].

(١) «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٩٧).

أيُّها المسلمون...

ومن الآداب التي أدَّب الله تَعَالى بها نِساءَ المؤمنين أيضًا، قولُهُ تَعَالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ الله - : «هَذَا أمرٌ مِنَ الله تَعَالى للنِّسَاءِ المُؤمناتِ، وغَيرَةٌ لَهُنَّ عَنْ صِفَةِ نِسَاءِ الجَاهِلِيَّةِ وفِعَالِ المُشركَاتِ، فَقَولُهُ تَعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ أي: عَمَّا حَرَّمَ الله عَلَيهِنَّ مِنَ النَّظَرِ إلى غَيْرِ أزواجِهِنَّ؛ ولِهَذَا ذَهَبَ كَثيرٌ مِنَ العُلَماءِ إلى أَنَّهُ: لا يَجُوزُ للمرأةِ النَّظَرُ إلى الرِّجَالِ الأجَانِبِ بِشَهوَةٍ، ولَا بِغَيرِ شَهوةٍ أصْلًا، وَذَهبَ آخَرُونَ مِنَ العُلَمَاءِ إلى جَوازِ نَظَرِهِنَّ إلى الأجانِبِ بِغَيرِ شَهوةٍ، كَما ثَبتَ في الصَّحيحِ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَعَلَ يَنظُرُ إلى الحَبَشَةِ وهُم يَلعَبُونَ بِحِرابِهِم يَوْمَ العِيدِ في المَسجِدِ وعَائِشَةُ أُمُّ المُؤمنينَ تَنظُرُ إليهم مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ يَستُرُهَا مِنْهُم حَتَّى مَلَّت ورَجَعَت[1].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ قِيلَ: عَنِ الفَوَاحِشِ، وقِيلَ: عَمَّا لا يَحِلُّ لَهُنَّ، وقِيلَ: عَنِ الزِنَا.

﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي: لا يُظْهِرنَ شَيئًا مِنَ الزِّينَةِ للأجَانِبِ، إلَّا مَا لا يُمكِنُ إخفَاؤُهُ.

قال ابنُ مَسعودٍ: كالرِّدَاءِ والثِّيابِ، يَعني: عَلَى مَا كانَ يَتَعاطَاهُ نِساءُ العَرَبِ مِنَ المِقْنَعَةِ الَّتي تُجَلِّل ثِيَابَهَا، ومَا يَبدُو مِنْ أَسَافِلِ الثِّيَابِ فَلاَ حَرَجَ عَلَيها فِيهِ؛ لأنَّ هَذَا لا يُمكِنُهَا إخفَاؤُهُ، ونَظِيرهُ في زِيِّ النِّساءِ مَا يَظهَرُ مِن إزَارِهَا ومَا لا يُمكِنُ إخفاؤُهُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤)، ومسلم (٨٩٢).

ورُوِي عَنِ ابن عَبَّاسٍ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قَالَ: وَجْهُهَا وكَفَّيْهَا والخَاتَمُ[١]. ورُوِي نَحوُهُ عَنْ عَدَدٍ مِنَ العُلَمَاءِ، وهَذَا يَحتَمِلُ أنْ يَكُونَ تَفسيرًا للزِّينَةِ الَّتِي نُهِينَ عن إبدائِهَا، كَمَا قالَ عَبْدُ الله بن مُسعودٍ في قَولِهِ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الزِّينةُ: القُرطُ والدُّملُوج والخَلخَالُ والقِلَادَةُ، وفي رِوَايةٍ عَنْهُ قال: الزِّينَةُ زِينتَانِ: فَزِينةٌ لا يَرَاهَا إِلَّا الزَّوجُ: الخَاتَم والسِّوارُ، وزِينةٌ يَرَاهَا الأجَانِبُ وهيَ: الظَّاهِرُ مِنَ الثِّيَابِ[٢].

وقَالَ مَالِكٌ عَنِ الزُّهرِيِّ: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الخَاتَمُ والخَلخَالُ، ويُحتَمَل أنَّ ابن عبَّاس ومَنْ تَابَعَهُ أرَادُوا تَفسيرَ مَا ظَهَر مِنْها بِالوجْهِ والكَفَّين، وهَذَا هُوَ المشهُورُ عِنْدَ الجُمهُورِ.

وقَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ يَعني: المَقَانِعُ يُعْمَلُ لَهَا ضيقَاتٌ ضَارِبَاتٌ على صُدُورِهنَّ لِتُوَارِي مَا تَحتَهَا مِنْ صَدرِهَا وتَرَائِبِهَا، لِيُخالِفْنَ شِعَارَ نِسَاءِ أهلِ الجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُنَّ لَمْ يَكُنَّ يَفعَلنَّ ذَلِكَ بَلْ كَانَتِ المرأةُ مِنْهُنَّ تَمُرُّ بَيْنَ الرِّجَالِ مُسَفِّحَةً بِصَدرِها لا يُوَارِيه شَيءٌ، ورُبَّمَا أظْهَرَت عُنُقَها وذَوائِبَ شَعْرِها وأقْرِطَةَ آذَانِهَا، فأمَرَ الله المُؤمِنَاتِ أنْ يَسْتَتِرنَ في هَيئَاتِهِنَّ وأحوَالِهنَّ، كَمَا قال تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقَالَ فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمةِ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾، والخُمُرُ: جَمْعُ خِمَارٍ وهُوَ مَا يُخَمَّر بِهِ، أي: يُغَطِّي بِهِ الرَّأسُ، وهِيَ الَّتِي تُسَمِّيهَا النَّاسُ المَقَانِعَ.

قالَ سَعيدُ بنُ جُبَيرٍ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ وليَشْدُدْنَ ﴿بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ يَعْنِي: عَلَى النَّحرِ والصَّدرِ فَلَا يُرَى مِنْهُ شَيءٌ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا[٣].

---

(١) قال الشيخ العدويّ في «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٨١): في أسانيد ذَلِكَ كله مقال، وانظرها إن شئت في «تفسير الطبري» ا.هـ.

(٢) قال الشيخ العدوي: صحيح عن ابن مسعود. ا.هـ.

(٣) البخاري (٤٧٥٨).

وعَن صَفيَّة بِنتِ شَيبةَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَتْ تَقُولُ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ أَخَذْنَ أُزْرَهُنَّ فَشَقَّقْنَهَا مِنْ قِبَلِ الحَوَاشِي فَاخْتَمَرْنَ بِهَا[1].

وقَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أي: أزْوَاجِهِنَّ ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ كُلُّ هَؤُلاءِ مَحَارِمٌ للمرأةِ يَجُوزُ لَهَا أَنْ تَظْهَرَ عَلَيهِم بِزِينَتِهَا ولَكِنْ مِنْ غَيْرِ تَبَرُّج. ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ يَعْنِي: تَظْهَرُ بِزِينَتِهَا أيضًا للنِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ دُونَ نِسَاءِ أهلِ الذِّمَّةِ؛ لِئَلَّا تَصِفهُنَّ لِرِجَالِهِنَّ، وذَلِكَ وإن كَانض مَحْذُورًا فِي جَمِيعِ النِّسَاءِ إِلَّا أَنَّهُ فِي نِسَاءِ أَهلِ الذِّمَّةِ أَشَدُّ، فإِنَّهُنَّ لا يَمنعهُنَّ مِنْ ذَلِكَ مَانِعٌ، فَأَمَّا الْمُسْلِمَةُ فإنَّهَا فإنَّهَا تَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ فَتَنزَجِرُ عَنْهُ، وقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تُبَاشِرُ المَرْأَةُ المَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا»[2].

قَالَ عَدَدٌ مِنْ أهلِ العِلمِ فِي قَولِهِ: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ قَالَ: نِسَاؤُهُنَّ الْمُسلِمَاتُ لَيسَ الْمُشرِكَاتُ مِنْ نِسَائِهِنَّ، ولَيسَ للمَرأةِ الْمُسلِمَةِ أن تَنْكَشِفَ بَيْنَ يَدَي مُشرِكَةٍ.

وأَمَّا مَا رَوَاهُ ابنُ أبي حَاتِمٍ عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ بَيْتَ المَقْدِسِ كَانَ قَوَابِلُ نِسَائِهِم اليَهُودِيَّاتُ والنَّصرانيَّاتُ، فَهَذَا إن صَحَّ فَمَحمُولٌ عَلَى حَالِ الضَّرُورةِ، أَوْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الامْتِهَانِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَيسَ فِيهِ كَشْفُ عَورَةٍ ولابُدَّ، والله أعلم.

وقَولُهُ تَعَالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ قالَ ابنُ جَرِيرٍ: يَعْنِي مِنْ نِسَاءِ الْمُشرِكِينَ، فَيجُوزُ لَهَا أن تُظهِرَ زِينَتَهَا لَهَا، وإن كَانَت مُشرِكَةً؛ لأنَّهَا أَمَتُهَا، وإليهِ ذَهَبَ سَعِيدُ بنُ الْمُسَيِّب. وقال الأَكْثَرُون: بَلْ يَجُوزُ لَهَا أن تَظْهَرَ عَلَى رَقِيقِهَا عَلَى مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ، واستَدَلُّوا بِحديثِ أنسٍ رَضِي الله عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى فَاطِمَةَ بِعَبْدٍ قَدْ وَهَبَهُ لَهَا، قَالَ: وَعَلَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثَوْبٌ إِذَا قَنَّعَتْ بِهِ رَأْسَهَا لَمْ يَبْلُغْ رِجْلَيْهَا وَإِذَا غَطَّتْ بِهِ رِجْلَيْهَا لَمْ يَبْلُغْ رَأْسَهَا، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا تَلْقَى قَالَ: «إِنَّهُ لَيسَ عَلَيْكِ بَأْسٌ إِنَّمَا هُوَ

---

(١) البخاري (٤٧٥٩).

(٢) البخاري (٥٢٤٠).

أَبوكِ وَغُلاَمُكِ» (١).

وقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ**﴾ يَعني: كالأُجَراءِ والأتبَاعِ الَّذِينَ لَيسُوا بِأكفَاءِ، وهُمَ مَعَ ذَلِكَ فِي عُقُولِهِم ولَهُ وخَوثُ، ولَا هَمَّ لَهُم إلى النِّسَاءِ ولا يَستَهُونَهُنَّ. وقِيلَ: هُوَ المُغَفَّلُ الَّذِي لا شَهْوَةُ لَهُ، وقِيلَ: هُوَ الأَبْلَهُ، وقيلَ: هُوَ المُخَنَّثُ الذي لا يَقُومُ ذَكَرُهُ. وكَذَلِكَ قَالَ غيرُ واحِدٍ مِنَ السَّلفِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَجُلٌ يَدْخُلُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مُخَنَّثٌ وَكَانُوا يَعُدُّونَهُ مِنْ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ وَهُوَ يَنْعَتُ امْرَأَةً فَقَالَ: إِنَّهَا إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَتْ بِأَرْبَعٍ وَإِذَا أَدبَرَتْ أَدْبَرَتْ بِثَمَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَلاَ أَرَى هَذَا يَعْلَمُ مَا هَا هُنَا لاَ يَدْخُلَنَّ عَلَيْكُنَّ هَذَا»**. فأخرَجَهُ (٢). فكَانَ بالبَيداءِ يَدخُلُ كُلَّ يَومِ جُمُعَةٍ لِيَستَطعِمَ.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهَا مُخَنَّثٌ وَعِنْدَهَا أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَالْمُخَنَّثُ يَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الطَّائِفَ غَداً فَعَلَيْكَ بِابْنَةِ غَيْلاَنَ فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ. قَالَ: فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لأُمِّ سَلَمَةَ: **«لاَ يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكِ»** (٣).

وقَولُهُ تَعَالَى: ﴿**أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ**﴾ يَعني: لِصِغَرِهِم لا يَفهَمُونَ أحوَالَ النِّسَاءِ وعَوراتِهِنَّ مِنْ كَلَامِهِنَّ الرَّخِيم، وتَعَطُّفِهِنَّ فِي المِشيَةِ، وحَرَكَاتِهِنَّ وسَكَنَاتِهِنَّ، فإذَا كَانَ الطِّفْلُ صَغِيرًا لا يَفْهَمُ ذَلِكَ فَلَا بَأسَ بِدُخُولِهِ عَلَى النِّسَاءِ، فَأَمَّا إن كَانَ مُرَاهِقًا أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ، بِحَيثُ يَعرِفُ ذَلِكَ ويَدرِيه ويُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّوْهَاءِ والحَسْنَاءِ فَلَا يُمَكَّنُ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ، وقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَين، عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«إِيَّاكُم وَالدُّخُولَ عَلَى النِّساءِ»**، قِيلَ: يَا رَسُول الله أفَرَأيتَ الحَموَ؟ قال: **«الحَموُ المَوتُ»** (٤).

---

(١) إسناده حسن: وقَدْ أخرجه أبو داود (٤١٠٦).
(٢) مسلم (٢١٨١).
(٣) البخاري (٥٢٣٥)، ومسلم (٢١٨٠).
(٤) رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

وقَولُهُ تَعَالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾، كَانتِ المرأةُ في الجَاهِليَّةِ إذَا كَانَت تَمشي في الطَّرِيقِ وفي رِجلِهَا خَلخَالٌ صَامِتٌ لا يُعلَمُ صَوتُهُ، ضَرَبَت بِرجلِهَا الأرضَ فَيسمَعُ الرِّجَالُ طَنِينَهُ، فَنَهَى الله المُؤمِنَاتِ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ، وكَذَلِكَ إذَا كَانَ شَيءٌ مِنْ زِينَتِهَا مَستُورًا فَتحَرَّكَت بِحَرَكَةٍ لِتُظهِرَ مَا هُوَ خُفِيٌّ دَخَلَ في هَذَا النَّهي، لِقَولِهِ تَعَالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ إلى آخِرِهِ.

ومِن ذَلِكَ أنَّها تَنتَهِي عَنِ التَّعَطُّرِ والتَّطَيُّبِ عِندَ خُرُوجِها مِن بَيتِهَا لِيَشْتَمَّ الرِّجَالُ طِيبَهَا، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ**».

وعَنْه أيضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا اسْتَعْطَرَتِ المَرْأَةُ فَخَرَجَتْ عَلَى القَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ كَذَا وَكَذَا**»[1]. يَعني زانيةٌ.

وقَولُهُ تَعَالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: افعَلُوا مَا آمُرُكُم بِهِ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الجَميلةِ والأخْلَاقِ الجَليلَةِ، واترُكُوا مَا كَانَ عَلَيهِ أهلُ الجَاهِليَّة مِنَ الأخْلَاقِ والصِّفَاتِ الرَّذيلَةِ، فإنَّ الفَلَاحَ كُلَّ الفَلَاحِ في فِعلِ مَا أمَرَ الله بِهِ ورَسُولهُ، وتَركُ مَا نَهيَا عَنْهُ، والله تَعَالى هُوَ المُستَعَانُ». ا.هـ[2].

عباد الله...

ثم خفف الله سُبحانه الحُكم عَلَى القواعد مِن النِّساء، فَقَالَ سُبحَانَهُ وتَعَالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].

قال العلَّامة ابن كثير -رَحِمَهُ الله- : قَولُهُ تَعَالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قال عَددٌ مِن العُلَماء: هُنَّ اللَّواتي انقطع عنهنَّ الحَيض ويَئِسن من الولد، ﴿اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ أي: لم يبق لهنَّ تشوّفٌ إلى التزوّج، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ أي: لَيس عليهم مِن الحَجْرِ في التَّستُّر كَما على غيرهنَّ مِنْ النِّساء.

عن ابن عبَّاس: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ الآيةُ. فَنَسَخَ مِن ذَلِكَ

(١) سنده حسن: وأخرجه أحمد (٤/ ٤١٤).

(٢) «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٨٠ - ٢٨٤).

واستثنى من ذَلِكَ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ الآية.

قال عددٌ مِن العُلماء في قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ قالوا: الجلباب أو الرِّداء.

وقال سَعيد بن جُبير: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ يقول: لا يتبرجنَّ بوضع الجلباب ليُرى ما عليهنَّ مِن الزِّينة. ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ أي: وترك وضعهن لثيابهن - وإن كان جائزًا - خيرٌ وأفضلُ لهنَّ، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ا.هـ(١).

وقال العلَّامة السَّعدي -رَحِمَهُ الله - : قوله تَعَالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي: اللاتي قعدن عن الاستمتاع والشهوة، ﴿اللَّاتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ أي: لا يطمعن في النكاح، ولا يُطمع فيهن، وذلك لكونها عجوزًا لا تَشتَهي ولا تُشتَهى، أَوْ دميمة الخلقة لا تَشتهي ولا تُشتَهَى، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ أي: حرج وإثم ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أي: الثياب الظاهرة، كالخمار ونحوه، الذي قال الله فيه للنساء: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ فهؤلاء، يجوز لهن أن يكشفن وجوههن لآمن المحذور منها وعليها، ولما كان نفي الحرج عنهن في وضع الثياب، ربما توهم منه جواز استعمالها لكل شيء، دفع هذا الاحتراز بقوله: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ أي: غير مظهرات للناس زينة، من تجمل بثياب ظاهرة، وتستر وجهها، ومن ضرب الأرض برجلها، ليعلم ما تخفي من زينتها، لأن مجرد الزينة على الأنثى، ولو مع تسترها، ولو كانت لا تشتهى يفتن فيها، ويوقع الناظر إليها في الحرج ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ والاستعفاف: طلب العفة، بفعل الأسباب المقتضية لذلك، من تزوج وترك لما يخشى منه الفتنة، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لجميع الأصوات ﴿عَلِيمٌ﴾ بالنيات والمقاصد، فليحذرن من كل قول وقصد فاسد، وليعلمن أن الله يجازي على ذَلِكَ» ا.هـ(٢).

فيا عباد الله...

هذا هو طريق الفضيلة.

---

(١) «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٠٧).

(٢) «تفسير السعدي» (٥٧٤، ٥٧٥).

هذا هو طريق العفّة والحشمة.

هذا هو طريق الحفاظ عَلَى النَّسل.

فالزموا أزواجكم وبناتكم بالحجاب، ولا تلتفتوا إلى دعاة الرذيلة.

قال أبو مُحَمَّد عبد الحق الإشبيليّ -رَحِمَهُ الله -:

لا يَخْدعَنَّك عن دِينِ الهُدى نَفَرٌ ... لم يُرزَقُوا في التماسِ الحقِّ تأييدا

عُمْي القلوبِ عَرُوا عن كُلِّ قائدةٍ ... لأنَّهم كفروا بالله تَقليدًا

اللَّهُمَّ أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبسًا علينا فَنَضِلّ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فإنَّ العُرى مِن عمل الشَّيطان وإبعاده، قال تَعَالى عن آدم وحواء: ﴿**فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ**﴾ [الأعراف: ٢٢].

قال الإمامُ القرطبيُّ -رَحِمَهُ الله - في تفسيره لهذه الآية: «وفي الآية دليل على قبح كشف العورة، وأن الله أوجب عليهما الستر، ولذلك ابتدرا إلى سترها، ولا يمتنع أن يؤمرا بذلك في الجنة، كما قيل لهما: ﴿**وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ**﴾.

وقد حكى صاحب البيان عن الشافعي أن من لم يجد ما يستر به عورته إلا ورق الشجر لزمه أن يستتر بذلك، لأنه سترة ظاهرة يمكنه التستر بها، كما فعل آدم في الجنة. والله أعلم». ا.هـ[1].

وقال تَعَالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى**

---

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ١٦٣).

ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦ - ٢٨].

قَالَ الإمام القرطبيُّ - رَحِمَهُ الله تَعَالى - في تفسيره لهذه الآيات، ما مختصره:

«قوله تَعَالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ .

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾ قال كثير من العلماء: هذه الآية دليل على وجوب ستر العورة، لأنه قال: ﴿يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾ وقال قوم: إنه ليس فيها دليل على ما ذكروه، بل فيها دلالة على الإنعام فقط.

قلت: القول الأوَّل أصح.

ومن جملة الإنعام ستر العورة، فبيَّن أنه سبحانه وتعالى جعل لذريته[1]، ما يسترون به عوراتهم، ودل على الأمر بالستر. ولا خلاف بين العلماء في وجوب ستر العورة عن أعين الناس. واختلفوا في العورة ما هي؟

فقال ابن أبي ذئب: هي من الرجل الفرج نفسه، القبل والدُّبر دون غيرهما. وهو قول داود وأهل الظاهر وابن أبي عبلة والطبري، لقوله تعالى: ﴿لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾ ، ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ ، و﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ﴾ .

وفي البخاري عن أنسٍ: «فَأَجْرَى نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ - وفيه - وَانْحَسَرَ الإِزَارُ عَنْ فَخِذَيْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَإِنِّي لَأَرَى بَيَاضَ فَخِذَيْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ»[2].

---

(١) أي ذرية آدم.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري (٣٧١).

وقال مالك: السرة ليست بعورة، وأكره للرجل أن يكشف فخذه بحضرة زوجته. وقال أبو حنيفة: الركبة عورة. وهو قول عطاء. وقال الشافعي: ليست السرة ولا الركبتان من العورة على الصحيح. وحكى أبو حامد الترمذي أن للشافعي في السرة قولين.

وحجة مالك قوله ﷺ لجرهد: «**غطِّ فخِذك فإن الفخِذ عورة**»[١]. خرَّجه البخاري تعليقًا وقال: حديث أنس أسنَدُ، وحديث جرهدٍ أحوط حتى يخرج من اختلافهم[٢].

وحديث جرهدٍ هذا يدل على خلاف ما قال أبو حنيفة.

وروي أن أبا هريرة قبَّل سُرَّة الحسن بن عليّ وقال: «أقبِّل منك ما كان رسول الله ﷺ يقَّبل منك».

فلو كانت السُّرة عورة ما قبَّلها أبو هريرة، ولا مكَّنه الحسن منها. وأما المرأة الحرة فعورة كلها إلا الوجه والكفين. على هذا أكثر أهل العلم.

وقد أوصى النبي ﷺ بأن مَن أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى وجهها وكفيها[٣]. ولأن ذلك واجب كشفه في الإحرام.

وقال أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: كل شيء من المرأة عورة حتى ظفرها. وروي عن أحمد بن حنبل نحوه.

وأما أُمُّ الولد فقال الأثرم: سمعته - يعني أحمد بن حنبل - يسأل عن أم الولد كيف تصلي؟ فقال: تغطي رأسها وقدميها، لأنها لا تباع، وتصلي كما تصلي الحرة.

والصَّبيُّ الصغير لا حرمة لعورته.

فإذا بلغت الجارية إلى حد تأخذها العين وتشتهى سترت عورتها.

---

(١) رواه البخاري في «الصلاة» (١٢) بلفظ: «**الفخذ عورة**»

(٢) رواه البخاري في «الصلاة» (١٢).

(٣) روى الترمذي في «النكاح» (١٠٨٧) باب: ما جاء في النظر إلى المخطوبة، والنسائي في «النكاح» أيضًا (٦/ ٦٩/ ٧٠) بإسناد صحيح، من حديث المغيرة بن شعبة أنه قال: خطبت امرأة، فقال لي النبي ﷺ: «**هل نظرت إليها؟**» قلت: لا، قال: «**فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدَم بينكما**»، أما لفظ المصنف فلم أجده.

وحجة أبي بكر بن عبد الرحمن قول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وحديث أُمِّ سَلَمَةَ أنها سُئلت: مَاذَا تُصَلِّي فِيهِ الْمَرْأَةُ مِنَ الثِّيَابِ؟ فَقَالَتْ: تُصَلِّي فِي الْخِمَارِ وَالدِّرْعِ السَّابِغِ الَّذِي يُغَيِّبُ ظُهُورَ قَدَمَيْهَا[1]. وقد روي مرفوعًا.

والذين أوقفوه على أُمِّ سَلَمة أكثر وأحفظ، منهم مالك وابن إسحاق وغيرهما.

قال أبو داود: ورفعه عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن محمد بن زيد عن أمه عن أم سلمة أنها سألت رسول الله ﷺ.

قال أبو عمر: عبد الرحمن هذا ضعيف عندهم، إلا أنه قد خرج البخاري بعض حديثه. والإجماع في هذا الباب أقوى من الخبر.

الثانية: قولُهُ تَعَالَى: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ يعني المطر الذي ينبت القطن والكتان، ويقيم البهائم الذي منها الأصواف والأوبار والأشعار، فهو مجاز مثل: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦]، وقيل: هذا الإنزال إنزال شيء من اللباس مع آدم وحواء، ليكون مثالًا لغيره.

وقال سعيد بن جبير: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ أي: خلقنا لكم، كقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أي خلق. وقيل: ألهمناكم كيفية صنعته.

الثالثه: قولُهُ تَعَالَى: ﴿وَرِيشًا﴾ قرأ أبو عبد الرحمن والحسن وعاصم من رواية المفضل الضبي، وأبو عمرو من رواية الحسين بن علي الجعفي «ورياشا». ولم يحكه أبو عبيد إلا عن الحسن، ولم يفسر معناه. وهو جمع ريش. وهو ما كان من المال واللباس. وقال الفراء: ريش ورياش، كما يقال: لبس ولباس. وريش الطائر ما ستره الله به. وقيل: هو الخصب ورفاهية العيش. والذي عليه أكثر أهل اللغة أن الريش ما ستر من لباس أو معيشة.

---

(١) رواه أبو داود في «الصلاة» (٦٤٠) باب (٨٥) في كم تصلي المرأة، مرفوعًا، قال أبو داود: روى هذا الحديث مالك بن أنس وبكر بن مضر وحفص بن غياث، وقال: لم يذكر أحد منهم النبي ﷺ قصروا به عَلَى أُم سلمة رَضِي الله عَنْهَا.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ بين أن التقوى خير لباس، كما قال:

إذ المرءُ لم يلبس ثيابًا مِن التُّقَى ... تقلّب عُرِيانًا وإن كان كاسيا

وخيرُ لباسِ المرء طاعةُ ربه ... ولا خيرَ فيمن كان لله عاصيا

وروى قاسم بن مالك عن عوف عن مَعْبَد الجُهني قال: ﴿لِبَاسُ التَّقْوَى﴾ الحياء. وقال ابن عباس: ﴿لِبَاسُ التَّقْوَى﴾ هو العمل الصالح. وعنه أيضا: السمت الحسن في الوجه. وقيل: ما علمه عَزَّ وَجَلَّ وهدى به. وقيل: ﴿لِبَاسُ التَّقْوَى﴾ لبس الصوف والخشن من الثياب، مما يتواضع به لله تعالى ويتعبد له خير من غيره. وقال زيد بن علي: ﴿لِبَاسُ التَّقْوَى﴾ الدرع والمغفر، والساعدان، والساقان، يتقى بهما في الحرب. وقال عروة بن الزبير: هو الخشية لله. وقيل: هو استشعار تقوى الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه.

قلت: وهو الصحيح، وإليه يرجع قول ابن عباس وعروة. وقول زيد بن علي حسن، فإنه حض على الجهاد.

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي مما يدل على أن له خالقًا. و﴿ذَلِكَ﴾ رفع على الصفة، أو على البدل، أو عطف بيان.

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ أي لا يصرفنَّكم الشيطان عن الدِّين، كما فتن أبويكم بالإخراج من الجَنَّة. «أبٌ» للمذكر، و«أبة» للمؤنث. فعلى هذا قيل: أبوان.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ في موضع نصب على الحال. ويكون مستأنفا فيوقف على ﴿مِّنَ الجَنَّةِ﴾. ﴿لِيُرِيَهُمَا﴾ نصب بلام كي.

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ الأصل (يرءاكم) ثم خففت الهمزة. ﴿وَقَبِيلُهُ﴾ عطف على

المضمر وهو توكيد ليحسن العطف كقوله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ وهذا يدل على أنه يقبّح؛ رأيتك وعمرو، وأن المضمر كالمظهر، وفي هذا أيضا دليل على وجوب ستر العورة، لقوله: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾.

قال الآخرون: إنما فيه التحذير من زوال النعمة، كما نزل بآدم. هذا أن لو ثبت أن شرع آدم يلزمنا، والأمر بخلاف ذلك.

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾، ﴿قَبِيلُهُ﴾ جنوده. قال مجاهد: يعني الجن والشياطين. ابن زيد: ﴿قَبِيلُهُ﴾ نسله. وقيل: جيله.

﴿مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾ قال بعض العلماء: في هذا دليل على أن الجن لا يرون، لقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾ قيل: جائز أن يروا، لأن الله تعالى إذا أراد أن يريهم كشف أجسامهم حتى ترى.

قال النحاس: ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾ يدل على أن الجن لا يرون إلا في وقت نبي، ليكون ذلك دلالة على نبوته، لأن الله جل وعز خلقهم خلقًا لا يرون فيه، وإنما يرون إذا نقلوا عن صورهم. وذلك من المعجزات التي لا تكون إلا في وقت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

قال القشيري: أجرى الله العادة بأن بني آدم لا يرون الشياطين اليوم. وفي الخبر «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**»[(١)]. وقد جاء في رؤيتهم أخبار صحيحة.

وقد خرَّج البخاري عن أبي هريرة قال: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، وذكر قصة طويلة، ذكر فيها أَنَّهُ أخذ الجِنِّي الذي كان يأخذ التَّمر، وأنَّ النَّبيّ ﷺ قَالَ له: «**مَا فعل أسيرك البارحة؟**»[(٢)].

وفي صحيح مسلم أن النَّبي ﷺ قَالَ: «**والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح مُوثَقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**»[(٣)]، في العِفريت الذي تَفَلَّت عليه.

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٧١٧١)، ومسلم (٢١٧٤).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري (٢٣١١)، والترمذي (٢٨٨٠).

(٣) جزء من حديث رواه مسلم (٥٤٢).

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ أي زيادة في عقوبتهم وسوينا بينهم في الذهاب عن الحقّ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّـهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالـفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ .

الفاحشة هنا في قول أكثر المفسرين طوافهم بالبيت عراة. وقال الحسن: هي الشِّرك والكفر. واحتجوا على ذلك بتقليدهم أسلافهم، وبأن الله أمرهم بها.

وقال الحسن: والله أُمَرنَا بِهَا، قالوا: لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه.

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالـفَحْشَاءِ﴾ بين أنهم متحكمون، ولا دليل لهم على أن الله أمرهم بها ادَّعوا. وقد مضى ذم التقليد وذم كثير من جهالاتهم، وهذا منها» ا.هـ[1].

عباد الله...

وفي الجمعة القادمة نواصل الحديث عن أضرار التبرج وأخطاره، فإلى اللقاء - إن شاء الله تَعَالى.

اللَّهُمَّ استُر عوراتِنا، وآمِنْ رَوْعَاتِنا

۞۞۞۞۞

---

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ١٦٣ - ١٦٨) باختصار.

الخطبة الثامنة والخمسون بعد المائة:
آية الحجاب وما فيها من أحكام وآداب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فلقاؤنا اليوم - إن شاء الله تَعَالَى - مع آية الحجاب، وما فيها من آداب شرعيَّة وأحكام.

ونحن اليوم في أمَسِّ الحاجة إلى هذهِ الآداب والأحكام، فقد انتشر التَّبرّج، وظهر السُّفور والفجور، وماتت الغيرة، وضاعت النخوة، وانتشرت الميوعة، وعَلَت أصواتُ الإباحيين.

وَلله دَرُّ الغزاليِّ -رَحِمَهُ الله - حين قال: «كُلُّ أُمَّةٍ فقدت الغَيْرَةَ فِي رِجَالِهَا، فَقَدْتِ الصِّيانةَ فِي نِسَائِهَا» ا.هـ[1].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٦٨).

وها هو رَبُّ العِزة سُبحانهُ يُؤدِّبنا فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا * إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣، ٥٤].

قَالَ الحَافِظ ابن كثير - رَحِمَهُ الله - في تفسيره لهاتين الآيتين:

«هَذِهِ آيَةُ الحِجَابِ وفيهَا أحكَامٌ وآدَابٌ شَرعيَّةٌ، وهيَ مِمَّا وافقَ تَنزيلُهَا قَوْلَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحيحَينِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاثٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى فَنَزَلَتْ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ نِسَاءَكَ يَدْخُلُ عَلَيْهِنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ فَلَوْ أَمَرْتَهُنَّ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ نِسَاؤُهُ فِي الغَيْرَةِ فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، قَالَ: فَنَزَلَتْ كَذَلِكَ» (١). وفي رِوَايةٍ لِمُسلمٍ ذَكَرَ أُسَارى بَدرٍ، وهي قَضيَّةٌ رَابعةٌ.

وكَانَ وَقْتُ نُزُولِهَا فِي صَحبيحَةِ عُرسِ رَسُولِ الله ﷺ بِزَينبَ بنتِ جَحشٍ الَّتِي تَوَلَّى الله تَعَالى تَزويجَهَا بِنفْسِهِ، وكَانَ ذَلِكَ فِي ذي القَعْدَةِ مِنَ السَّنةِ الخَامِسةِ، وقِيلَ: إنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنةِ ثَلاثٍ، فالله أعلم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ دَعَا القَوْمَ فَطَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ، وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ، فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ وَقَعَدَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَدْخُلَ فَإِذَا القَوْمُ جُلُوسٌ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا فَانطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ قَدْ انْطَلَقُوا فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ، فَأَلْقَى الحِجَابَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا

---

(١) رواه البخاري (٤٠٢).

تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا ﴾ الآيَةَ[١].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ فَأُرْسِلْتُ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ قَالَ ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ وَبَقِيَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَقَالَتْ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فَتَقَرَّى حُجَرَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ وَيَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا ثَلَاثَةٌ مِنْ رَهْطٍ فِي الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ شَدِيدَ الْحَيَاءِ فَخَرَجَ مُنْطَلِقًا نَحْوَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَمَا أَدْرِي آخْبَرْتُهُ أَوْ أُخْبِرَ أَنَّ الْقَوْمَ خَرَجُوا فَرَجَعَ حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَّةِ الْبَابِ دَاخِلَةً وَأُخْرَى خَارِجَةً أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَأُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ»[٢].

عَنِ الْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ الْيَشْكُرِي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ بِأَهْلِهِ، فَصَنَعَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَنَسُ اذْهَبْ بِهَذَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْ: بَعَثَتْ بِهَذَا إِلَيْكَ أُمِّي وَهِيَ تُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ إِنَّ أُمِّي تُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَتَقُولُ إِنَّ هَذَا لَكَ مِنَّا قَلِيلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «**ضَعْهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**اذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا وَمَنْ لَقِيتَ**». وَسَمَّى رِجَالًا. قَالَ: فَدَعَوْتُ مَنْ سَمَّى وَمَنْ لَقِيتُ.

قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: عَدَدَ كَمْ كَانُوا؟ قَالَ: زُهَاءَ ثَلَاثِمِائَةٍ.

وَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا أَنَسُ هَاتِ التَّوْرَ**». قَالَ: فَدَخَلُوا حَتَّى امْتَلَأَتِ الصُّفَّةُ وَالْحُجْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لِيَتَحَلَّقْ عَشَرَةٌ عَشَرَةٌ وَلْيَأْكُلْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا يَلِيهِ**». قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٩١)، ومسلم (١٤٢٨).

(٢) رواه البخاري (٤٧٩٣).

قَالَ: فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ. فَقَالَ لِي: «**يَا أَنَسُ ارْفَعْ**». قَالَ: فَرَفَعْتُ فَمَا أَدْرِى حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رَفَعْتُ.

قَالَ: وَجَلَسَ طَوَائِفُ مِنْهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ وَزَوْجَتُهُ مُوَلِّيَةٌ وَجْهَهَا إِلَى الحَائِطِ، فَثَقُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَى نِسَائِهِ ثُمَّ رَجَعَ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ رَجَعَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ثَقُلُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَابْتَدَرُوا البَابَ فَخَرَجُوا كُلُّهُمْ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَرْخَى السِّتْرَ وَدَخَلَ وَأَنَا جَالِسٌ فِي الحُجْرَةِ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ يَسِيرًا حَتَّى خَرَجَ عَلَيَّ. وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَرَأَهُنَّ عَلَى النَّاسِ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ**﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ[١].

قَالَ الجَعْدُ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَنَا أَحْدَثُ النَّاسِ عَهْدًا بِهَذِهِ الآيَاتِ، وَحُجِبْنَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ.

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِزَيْدٍ: «**اذْهَبْ فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ**». قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَاهَا. قَالَ: وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِى حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِى وَرَكَصْتُ عَلَى عَقِبَيَّ فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَبْشِرِى أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكِ. قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئاً حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ. فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ - يَعْنِي القُرْآنَ - وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ.

قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَطْعَمَنَا عَلَيْهَا الخُبْزَ وَاللَّحْمَ.

قَالَ هَاشِمٌ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا حِينَ أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْعَمَنَا الخُبْزَ وَاللَّحْمَ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي البَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاتَّبَعْتُهُ فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَائِهِ فَجَعَلَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَدْرِى أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ القَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أُخْبِرَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ

---

(١) رواه مسلم (١٤٢٨).

حَتَّى دَخَلَ البَيْتَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَنَزَلَ الحِجَابُ.

قَالَ: وَوُعِظَ القَوْمُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ، قَالَ هَاشِمٌ فِي حَدِيثِهِ: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾»[١].

فَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ حَظْرٌ على المُؤمنينَ أن يَدخُلُوا مَنَازِلَ رَسُول الله ﷺ بِغَيرِ إذنٍ، كما كَانُوا قَبلَ ذَلِكَ يَصنَعُونَ في بُيُوتِهِم في الجَاهِلِيَّةِ وابتداءِ الإسلَام، حَتَّى غَارَ الله لِهَذِهِ الأُمَّة فأمَرَهُم بِذَلِكَ، وذَلِكَ من إكرَامِهِ تَعَالى هَذِهِ الأُمَّة، ولِهَذَا قال رَسُول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» الحديث[٢].

ثُمَّ استَثْنَى مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ وقَتَادةُ وغَيرهُما: أي غَيرُ مُتَحَيِّنِينَ نُضْجَهُ واستِوَاءَهُ، أي: لا تَرقُبُوا الطَّعَامَ إذَا طُبِخَ حَتَّى إذا قَارَبَ الاسْتِوَاءَ تَعَرَّضْتُم للدُّخولِ، فإنَّ هَذَا مِمَّا يَكرَهُهُ الله ويَذُمُّهُ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَحريمِ التَّطفِيلِ، وهُوَ الَّذي تُسَمِّيه العَرَبُ الضَّيفَن، وقَدْ صنَّفَ الخَطِيب البَغْدادِيُّ في ذَلِكَ كِتَابًا في ذَمِّ الطُّفَيلِيِّينَ، وذَكَرَ مِنْ أخبَارِهم أشيَاءَ يَطُولُ إيرَادُهَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ عن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قال: قال رَسُول الله ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُجِبْ عُرْسًا كَانَ أَوْ نَحْوَهُ»[٣].

وفي الصَّحيح أيضًا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»[٤].

ولِهَذا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ أي: كَمَا وَقَعَ لأولَئِكَ النَّفر الثَّلاثة الذين استَرسَلَ بِهِمُ الحَدِيثُ ونَسُوا أنفُسَهم، حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ الله، كَمَا قال تَعَالى: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾، وقِيل: المُرَادُ أنَّ دُخولَكُم مَنزِلَهُ

---

(١) مسلم (١٤٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٣) مسلم (١٤٢٩).

(٤) البخاري (٢٥٦٨).

بغيرِ إذنِهِ كَانَ يَشُقُّ عَلَيه ويتأذَّى بِهِ، ولكِن كَانَ يَكرَهُ أنْ يَنْهَاهُم عَنْ ذَلِكَ مِنْ شِدَّة حَيَائِهِ ﷺ، حَتَّى أَنْزَلَ الله عَليهِ النَّهي عَنْ ذَلِكَ، ولِهَذَا قال تَعَالى: ﴿وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾ أي: وَكَمَا نَهَاكُم عَنْ ذلك وزَجَرَكُم عَنْهُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي: وكَمَا نَهَيتُكُم عَنِ الدُّخُولِ عَلَيْهِنَّ، كَذَلِكَ لا تَنظُرُوا إليهنَّ بالكُلِّيةِ، ولَو كَانَ لأَحَدِكُم حَاجَةٌ يُرِيدُ تَنَاوُلَهَا مِنْهُنَّ فَلَا يَنظُر إليهنَّ، ولا يَسأَلُهُنَّ حَاجَةً إلَّا مِن وَرَاءِ حِجَابٍ، ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ أي: هَذَا الذي أمَرتُكُم بِهِ وشَرَعْتُهُ لَكُم مِنَ الحِجَابِ أطْهَرُ وأطْيَبُ.

وقَولُهُ تَعَالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ولِهَذَا أجمَعَ العُلَمَاءُ قَاطَبَةً عَلَى: أنَّ مَن تُوُفِّيَ عَنْهَا رَسُولُ الله ﷺ مِن أَزْوَاجِهِ أَنَّهُ يَحرُمُ عَلَى غَيرِهِ تَزَوُّجُهَا مِنْ بَعْدِه؛ لأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ في الدُّنْيَا والآخِرةِ، وأُمَّهاتُ المُؤمِنينَ، كَمَا تقدَّم.

وقَدْ عَظَّمَ الله تَبَارَكَ وتَعَالى ذَلِكَ وشَدَّدَ فيهِ وتَوَعَّدَ عَلَيْهِ بِقَولِهِ: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾.

ثُمَّ قال: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: مَهمَا تُكِنُّهُ ضَمَائِرُكُم وتَنْطَوِي عَلَيْهِ سَرَائِرُكُم فإنَّ الله يَعلمُهُ، فإنَّهُ لا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]» ا.هـ[١].

عباد الله...

ثم قال تَعالى: ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَائِهِنَّ وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: ٥٥].

قال ابن كثير -رَحِمَهُ الله- : «لما أَمَرَ تَبَارَكَ وتَعَالى النِّسَاءَ بالحِجَابِ مِنَ الأَجَانِبِ،

---

(١) «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٨٥ - ٥٨٩).

بَيَّنَ أَنَّ هَؤُلاءِ الأَقَارِبَ لا يَجِبُ الاحْتِجَابُ مِنْهُم، كَمَا استَثْنَاهُم فِي سُورةِ «النُّورِ» عِنْدَ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١].

وقَدْ سَأَلَ بَعضُ السَّلَفِ فَقَالَ: لِمَ لَم يَذْكُرِ العَمَّ والخَالَ فِي هَاتَينِ الآيَتَينِ؟ فَأَجَابَ عِكرمَةُ والشَّعبيُّ: بِأَنَّهُمَا لَم يُذكَرَا؛ لأَنَّهُمَا قَدْ يَصِفَانِ ذَلِكَ لِبَنِيهِمَا، وكَرِهَا أن تَضَعَ خِمَارَهَا عِنْدَ خَالِهَا وعَمِّهَا». ا.هـ[1].

عباد الله...

هَذِهِ آدابٌ شَرعيَّة وأحكامٌ نحن في أمسِّ الحَاجة إليها، فإنَّ العُرْى يُثمر الزِّنا. والحشمة سياج الفضيلة، قال ابنُ الحَاجِّ -رَحِمَهُ الله- فيمَا يَتعلَّقُ بِلُبسِ النِّسَاء:

«وَالعَالِمُ أَوْلَى مَنْ يَأْخُذُ عَلَى أَهْلِهِ وَيَرُدُّهُنَّ لِلاتِّبَاعِ مَهْمَا اسْتَطَاعَ فِي كُلِّ الأَحْوَالِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَلْبَسْنَ مِنْ هَذِهِ الثِّيَابِ الضَّيِّقَةِ القَصِيرَةِ وَهُمَا مَنْهِيٌّ عَنْهُمَا وَوَرَدَتْ السُّنَّةُ بِضِدِّهِمَا؛ لِأَنَّ الضَّيِّقَ مِنْ الثِّيَابِ يَصِفُ مِنْ المَرْأَةِ أَكْتَافَهَا وَثَدْيَيْهَا وَغَيْرَ ذَلِكَ، هَذَا فِي الضَّيِّقِ، وَأَمَّا القَصِيرُ فَإِنَّ الغَالِبَ مِنْهُنَّ أَنْ يَجْعَلْنَ القَمِيصَ إِلَى الرُّكْبَةِ، فَإِنْ انحَنَتْ أَوْ جَلَسَتْ أَوْ قَامَتْ انْكَشَفَتْ عَوْرَتُهَا، وَوَرَدَتْ السُّنَّةُ أَنَّ ثَوْبَ المَرْأَةِ تَجُرُّهُ خَلْفَهَا وَيَكُونُ فِيهِ وُسْعٌ بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يَصِفُهَا»[2].

وقالَ -رَحِمَهُ الله-: «وعَلَى العَالِمِ أن يَنهَاهُنَّ عَنْ لُبْسِ العَمَائِمِ، ويَمنَعَهُنَّ مِنْ تَوسِيعِ الأكمَامِ وتَقصيرِهَا، لأنَّها تُظْهِرُ مَا لا بُدَّ مِنْ إخفَائِهِ»[3].

فألزِموا نسائكم - عباد الله - بالحجاب، صيانةً لدينكم وشرفكم، واعلموا أن الدَّيوث لا يدخل الجنَّة.

---

(١) «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٨٩).

(٢) «المدخل» لابن الحاج (٢/ ١٤٢).

(٣) نفس المرجع (٢/ ٢٤٣).

وفَّقني الله وإيَّاكم لِمَا يُحبّ ويَرضَى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فقد جاء التحذير من «التبرّج» في أحاديث، منها:

(١) عَنْ فَضَالَةَ بْنُ عُبَيْدٍ رَضِي الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الجَمَاعَةَ وَعَصَى إِمَامَهُ وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ. فَلاَ تَسْأَلْ عَنْهُمْ. وَثَلاَثَةٌ لاَ تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ نَازَعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رِدَاءَهُ فَإِنَّ رِدَاءَهُ الكِبْرِيَاءُ وَإِزَارَهُ العِزَّةُ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**»(١).

(٢) وعَن عَبد الله بن عَمرو بنِ العَاصِ رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ قال: جَاءَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ رُقَيْقَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تُبَايِعُهُ عَلَى الإِسْلاَمِ فَقَالَ: «**أُبَايِعُكِ عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقِي، وَلاَ تَزْنِي، وَلاَ تَقْتُلِي وَلَدَكِ، وَلاَ تَأْتِي بِبُهْتَانٍ تَفْتَرِينَهُ بَيْنَ يَدَيْكِ وَرِجْلَيْكِ، وَلاَ تَنُوحِي، وَلاَ تَبَرَّجِي تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**»(٢).

(٣) وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِي الله عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْرَهُ عَشْرَ خِلاَلٍ: تَخَتُّمَ الذَّهَبِ، وَجَرَّ الإِزَارِ، وَالصُّفْرَةَ - يَعْنِي الخَلُوقَ(٣) - وَتَغْيِيرَ الشَّيْبِ - قَالَ جَرِيرٌ: إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ نَتْفَهُ - وَعَزْلَ المَاءِ عَنْ مَحِلِّهِ، وَالرُّقَى إِلاَّ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَفَسَادَ الصَّبِيِّ

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٤٢).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ١٩٦)، وصححه الألباني والشيخ أحمد شاكر.

(٣) **الخلوق**: طِيب معروف يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطِيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وقَدْ ورد تارة بإباحته وتارة بالنهي عنه، والنهي أكثر وأثبت، وإنما نُهِي عنه لأنه من طِيب النِّساء.

غَيْرَ مُحَرِّمِهِ[(١)]، وَعَقْدَ التَّمَائِمِ، وَالتَّبَرُّجَ بِالزِّينَةِ لِغَيْرِ مَحِلِّهَا[(٢)]، وَالضَّرْبَ بِالكِعَابِ[(٣)]» [(٤)].

عباد الله...

هذه بعض الأحاديث التي حذَّرت من التَبرج، ومن عاقبته، وللحديث بقيّة - إن شاء الله - فإلى اللِّقاء.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألُكَ التُّقَى، والعفافَ والغِنى

اللَّهُمَّ استُرْ عَورَاتِنا، وآمِن رَوْعَاتِنا

آمين... آمين... آمين

✡✡✡✡✡

---

(١) **فساد الصبي**: هو أن يطأ المرأة المرضع، فإذا حملت فسد لبنها وكان من ذَلِكَ فساد الصبي، وقوله: **غير محرمه**: أي أنه كرهه ولم يبلغ حد التحريم.

(٢) **التَّبرج بالزينة لغير محلها**: يعني لغير ما يحل لها ذَلِكَ، يعني الزوج مثلًا.

(٣) **ضرب الكعاب**: النرد وغيره.

(٤) رواه أبو داود (٤٢٢٢)، وأحمد (١/ ٣٨٠)، واللفظ له، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. (٥/ ٢١٣، ٢١٤)، رقم (٣٦٠٥).

الخطبة التاسعة والخمسون بعد المائة:

ذمّ التبرّج وخَطَره

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إِلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد تقَّدم معنا شيءٌ من أضرار التبرُّج وذمّه، وأواصل اليَّوم - إن شاء الله تعالى- الحديث عن التبرُّج وخطره، سائلًا الله التوفيق.

عباد الله...

ما هو التبرج؟

التبرج لغةً: مَصدرُ قَولِهِم: تَبَرَّجتِ المرأةُ تَبَرَّجُ، وهُوَ مأخُوذٌ مِن مَادَّةِ (ب ر ج) التِي تَدُلُّ عَلَى مَعنَيين:

الأوَّلُ: البُرُوزُ والظُّهورُ. **والثاني**: الوَزَرُ والملجأُ.

فَمِنَ الأوَّلِ: البَرَجُ وهُو سَعَةُ العَينِ في شِدَّة سَوَادٍ وشِدَّةِ بَيَاضِ بَيَاضِهَا، ومِنْ ذَلِكَ أُخِذَ التَّبرُّج، وهُوَ إظْهَارُ محَاسِنِهَا.

ومِن الأصلِ الثَّاني: البُرجُ وهُوَ واحِدُ بُرُوجِ السَّماءِ، وأصلُ البُرُوجِ: الحُصُونُ والقُصُورُ.

وذَكر **الرَّاغِبُ**: أنَّ التَّبرُّجَ مَأخُوذٌ مِنَ الثَّوبِ المُبَرَّجُ أي الَّذي صُوِّرعَليهِ البُرُوجُ، يُقالُ: ثَوبٌ مُبرَّجٌ: صُوِّرَت عَلَيهِ بُرُوجٌ فَاعْتُبِرَ حُسْنُهُ، فَقِيلَ تَبرَّجَتِ المرأَةُ أي: تَشَبَّهَتْ بِهِ في إظْهَارِ المَحَاسِن، وقِيلَ: اشْتِقَاقُ ذَلِكَ مِنَ البُرجِ وهُوَ القَصْرُ، ومِنْ ثَمَّ يَكُونُ مَعْنَى تَبرَّجَت ظَهَرت مِن بُرجِهَا أي: قَصْرِهَا، وقَالَ المُبَرِّدُ: إنَّ التَّبَرُّجَ مَأخُوذٌ مِنَ السَّعَةِ، يُقَالُ: في أسنَانِهِ بَرَجٌ إذا كَانت مُتفَرِّقَةً.

وقالَ ابنُ مَنظُورٍ: يُقَالُ تَبَرَّجَتِ المرأةُ: يَعني أظْهَرَت وَجْهَهَا، وكَذَلِكَ إذا أبدت محَاسِنَ جِيدِهَا وَوَجْهِهَا.

والتَّبرُّجُ إظْهَارُ الزِّينةِ للنَّاسِ الأجَانِبِ وهُوَ المذْمُومُ، فأمَّا للزَّوجِ فَلَا، وقِيلَ: هُوَ إظْهَارُ المرأةِ زِينَتَها، وَمحَاسِنَهَا للرِّجَالِ.

وفي الحَديثِ: كَانَ يَكرَهُ عَشْرَ خِلَالٍ، مِنْهَا التَّبرُّج بالزِّينةِ لِغَيرِ محُلِّهَا.

وقَدْ مَدَحَ الله قَومًا مِنَ النِّسَاء فَقالَ سُبحانَهُ: ﴿**غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ**﴾ [النور: ٦٠]، يَعني لا يُتَكَسَّرنَ في مَشيهِنَّ ولا يُتَبَخْتَرنَ، وأمَّا مَا نَهَى الله عَنْهُ المُؤمنَاتِ مِنَ التَّشَبُّهِ بِالكَافِرَاتِ في التَّبرُّجِ في قَولِهِ تَعَالى: ﴿**وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، هَذَا كَانَ في زَمَنٍ وُلِدَ فيه إبرَاهِيمُ النَّبيُّ عَليه السَّلامُ، إذ كَانَتِ المرأةُ تَلبَسُ الدِّرْعَ مِنَ اللُّولُؤِ غَيْرَ مخِيطِ الجَانِبيْنِ، وقِيلَ: كَانَت تَلبَسُ الثِّيابَ تَبلُغُ المالَ لا تُوَاري جَسَدَها، ومَعنَى تَبلُغُ المال: أنَّها ثِيَابٌ غَالِيَةُ الثَّمَنِ[١].

---

(١) «نضرة النعيم» (٤١٢٠)، نقلًا عن «المقاييس» (١/ ٢٣٨)، و«المفردات» (٣٨، ٣٩)، «لسان العرب» (١/ ٢٤٣)، و«الصحاح» (١/ ٢٩٩)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ١١٧).

التَّبرُّج اصطلاحًا:

قالَ الطَّبَرِيُّ: التَّبرُّج هُوَ التَّبَخْتُرُ، وقِيلَ: هُوَ إِشْهَارُ الزِّينةِ، وإِبْرَازُ المرأةِ مَحَاسِنَهَا للرِّجَالِ(١).

وقالَ القُرطُبيُّ: التَّبرُّجُ: التَّكشُّفُ والظُّهورُ للعُيُونِ، وقِيلَ التَّبرُّجُ في قَولِهِ تَعَالى: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠]، أَنَّهُنَّ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مِنْ لِبَاسِ التَّقوَى، قَالَ القُرطُبيُّ: وهذا التَّأويلُ أصَحُّ، وهُوَ اللاَّئِقُ بِهِنَّ في هَذِهِ الأَزْمَانِ وخَاصَّةً الشَّبَابُ مِنْهُنَّ، فإِنَّهُنَّ يَتَزَيَّنَّ ويَخْرُجْنَ مُتبرِّجَاتٍ، فَهُنَّ كَاسِيَاتٌ بالثِّيابِ عَارِيَاتٌ مِنَ التَّقوَى حَقِيقَةً ظَاهِرًا، وبَاطِنًا، حَيثُ تُبدي زِينتَهَا، ولا تُبَالي بِمَن يَنظُرُ إليْهَا، بَلْ ذَلِكَ مَقْصُودُهُنَّ، وذَلِكَ مُشَاهَدٌ في الوُجُودِ مِنْهُنَّ، ولَوْ كَانَ عِندهُنَّ شَيءٌ مِنَ التَّقْوَى لَمَا فَعَلنَ ذَلِكَ، ولَم يُعلَم مَا هُنالَكَ(٢).

وقالَ رَحِمَهُ الله تَعَالى في تَفسِير قَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، حَقِيقَةُ التَّبرُّج: إظْهَارُ مَا سَترُهُ أفضَلُ(٣).

عباد الله...

وقَدْ وردت أحاديث وآثار كثيرة في ذَمّ التَّبرُّج، نَذكرُ مِنها ما يلي:

(١) عَنْ أَبِى مُوسَى الأشعريّ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا اسْتَعْطَرَتِ الْمَرْأَةُ فَمَرَّتْ عَلَى الْقَوْمِ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِىَ كَذَا وَكَذَا**». وَقَالَ: قَوْلاً شَدِيدًا(٤).

وفي رواية للنسائي(٥)، والترمذي(٦): «**فهي زانية**».

قَالَ المباركَفوري - رَحِمَهُ الله -: «قَولُهُ: «**فهي زانية**» لأنَّها هيَّجت شهوة الرِّجال

---

(١) «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٩٤).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٢/ ٦٠).

(٣) نفس المرجع (١٤/ ١١٧)، وانظر «نضرة النعيم» (٤١١١).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤١٧٢).

(٥) (٨/ ١٥٣).

(٦) (٢٧٨٦).

بعطرها، وحملتهم عَلَى النَّظر إليها، ومَن نَظَر إليها فقد زنا بعينيه، فهي سبب زنا العَيْن فهي آثمة» ا.هـ[١].

(٢) وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**»[٢].

(٣) وعَنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: كَسَانِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُبْطِيَّةً[٣] كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاهَا دِحْيَةُ الكَلْبِىُّ فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِى، فَقَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ القُبْطِيَّةَ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَوْتُهَا امْرَأَتِى. فَقَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلاَلَةً إِنِّى أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا**»[٤].

(٤) وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ[٥] وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ[٦] الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ.

قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِى أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ، وَكَانَتْ تَقْرَأُ القُرْآنَ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِى عَنْكَ؛ أَنَّكَ لَعَنْتَ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ؟

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَا لِيَ لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِى كِتَابِ اللَّهِ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ. فَقَالَ لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٧/ ٢٠٩).

(٢) رواه مسلم (٢١٢٨).

(٣) **القُبْطية**: ثياب رقاق بيض تُصنع بمصر وتُنسب إلى القِبط (أي: المصريين القدماء).

(٤) **حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٠٥)، وحسنه الألباني في «حجاب المرأة المسلمة» (٥٩، ٦٠).

(٥) **النامصات**: النامصة هي التي تنقش الحاجب حتى ترققه، كذا قال أبو داود، وقال الخطابي: هو مِن النَّمص، وهو نتف الشعر عن الوجه، **والمتنمِّصة**: المعمول بها ذَلِكَ.

(٦) **المتفلِّجة**: هي التي تفلج أسنانها بالمبرد ونحوه للتحسين.

فَقَالَتِ المَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الآنَ. قَالَ: اذْهَبِي فَانْظُرِي.

قَالَ: فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا. فَقَالَ: أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكِ لَمْ نُجَامِعْهَا[١]» [٢].

(٥) وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ وَجَدَ مِنْهَا رِيحَ الطِّيبِ يُنْفَحُ، وَلِذَيْلِهَا إِعْصَارٌ، فَقَالَ: يَا أَمَةَ الجَبَّارِ جِئْتِ مِنَ المَسْجِدِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: وَلَهُ تَطَيَّبْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ حِبِّي أَبَا القَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ لِامْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ لِهَذَا المَسْجِدِ حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ غُسْلَهَا مِنَ الجَنَابَةِ**» [٣]. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: **الإِعْصَارُ**: غُبَارٌ.

(٦) وعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ عَامَ حَجَّ وَهْوَ عَلَى المِنْبَرِ، وَهْوَ يَقُولُ - وَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعَرٍ[٤] كَانَتْ بِيَدِ حَرَسِيٍّ[٥] -: أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ وَيَقُولُ: «**إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ**» [٦].

(٧) وعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ[٧] عَلَى رُءُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ[٨]، العَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ**» [٩].

---

(١) **لم نجامعها**: قال جماهير العلماء: معناه: لم نصاحبها، ولم نجتمع نحن وهي، بل كنا نطلِّقها ونفارقها.

(٢) رواه البخاري (٥٩٣١)، ومسلم (٣١٢٥) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤١٧٤).

(٤) **قُصَّة من شعر**: خصلة.

(٥) **حرسيّ**: نسبة إلى الحرس وهم خدم الأمير.

(٦) رواه البخاري (٥٩٣٢)، ومسلم (٢١٢٧) واللّفظ له.

(٧) **كاسيات عاريات**: يعني تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارًا لجمالها ونحوه، وقيل: معناه: تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها.

(٨) **البُخت**: الإبل الخراسانية، ومعنى: رءوسهم كأسنمة البُخت: أي: يكبرنها بلف عصابة ونحوها.

(٩) **صحيح**: رواه الطبراني في «الصغير» (١١٢٥)، وصححه الألباني.

قَالَ الإمام ابن عبد البَرّ - رَحِمَهُ الله - في شرحه لهذا الحديث: «أراد النبيُّ ﷺ النِّساء اللَّواتي يَلبَسنَ مِن الثِّياب الشيءَ الخفيف الذي يَصِفُ ولا يَسْتُرُ، فَهُنَّ كاسياتٌ بالاسْمِ عارياتٌ في الحَقيقة» ا.هـ(١).

(٨) وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَسَا النَّاسَ القَبَاطِيَّ، ثُمَّ قَالَ: لاَ تَدَّرِعْهَا نِسَاؤُكُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَدْ أَلْبَسْتُهَا امْرَأَتِي فَأَقْبَلَتْ فِي البَيْتِ وَأَدْبَرَتْ، فَلَمْ أَرَهُ يَشِفُّ. فَقَالَ عُمَرُ: إِنْ لَمْ يَكُنْ يَشِفُّ فَإِنَّهُ يَصِفُ(٢).

(٩) وعَن أُمِّ الضِّيَاءِ أَنَّهَا قَالَت لِعَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: يَا أُمَّ المُؤمنينَ مَا تَقُولِينَ في الخِضَابِ والصِّبَاغِ والقُرطَيْنِ والخَلخَالِ وخَاتَمِ الذَّهبِ وثِيَابِ الرِّقَاقِ؟ فَقَالت لَهَا رَضِيَ الله عَنْهَا: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ قِصَّتُكُنَّ كُلُّهَا وَاحِدَةٌ أَحَلَّ الله لَكُنَّ الزِّينَةَ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ، أي: لا يَحِلُّ لكُنَّ أن يَرَوا مِنكُنَّ مُحَرَّمًا»(٣).

(١٠) وقَالتْ أُمُّ عَلقَمَة بِنتُ أبي عَلقَمَةَ: دَخَلَت حَفْصَةُ بِنتُ عَبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي بَكرٍ عَلَى عَائِشَةَ أُمِّ المُؤمنِينَ وعَلَيها خِمَارٌ رَقيقٌ فَشَقَّتْهُ عَائِشةُ عَلَيْها وكَسَتْهَا خِمَارًا كَثِيفًا(٤).

(١١) وقَالَ قَتَادَةُ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى- في تَفسيرِ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، «كانت لَهُنَّ مِشْيَةٌ وتَكَسُّرٌ وتَغَنُّجٌ، فَنَهَى الله تَعَالى المُؤمناتِ عَنْ ذَلِكَ إذا خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ»(٥).

(١٢) وقَالَ ابنُ جَريرٍ الطَّبَرِيُّ - رَحِمَهُ الله تَعَالَى- عِنْدَ تَفْسِيرِ قَولُهُ تَعَالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]: «يَقُولُ تَعَالى ذِكرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّد ﷺ: يَا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ لا تَتَشَبَّهنَ بالإماءِ في لِبَاسِهِنَّ

---

(١) «تنوير الحوالك» للسيوطي (٣/ ١٠٣).
(٢) «سنن البيهقيّ» (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٠٤).
(٤) «الطبقات» لابن سعد (٨/ ٧١).
(٥) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٨٢) بتصرّف.

إذْ هُنَّ خَرَجْنَ مِنْ بُيُوتِهِنَّ لِحَاجَتِهِنَّ فَكَشَفنَ شُعُورَهُنَّ وَوُجُوهَهُنَّ، ولكِن لِيُدْنِينَ عَلَيهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ لئلَّا يَعرِضَ لَهُنَّ فَاسِقٌ...»(١).

(١٣) وقالَ الذَّهبيُّ - رَحِمَهُ الله تَعَالى-: «مِنَ الأفْعَالِ الَّتي تُلْعَنُ عَلَيهَا المرأةُ إظْهَارُ الزِّينَةِ والذَّهَبِ واللُّؤلُؤِ تَحْتَ النِّقَابِ، وتَطَيُّبُهَا بِالمِسْكِ والعَنْبَرِ والطِّيبِ إذا خَرَجَت، وَلُبْسُهَا الصِّبَاغَاتُ والأُزُرُ الحَرِيريَّةُ والأقبِيَةُ القِصَارُ، مَعَ تَطويلِ الثَّوبِ وتَوسِعَةِ الأكمَامِ وتَطويلِهَا، وكُلُّ ذَلِكَ مِنَ التَّبرُّجِ الَّذي يَمقُتُ الله عَليْهِ، ويُمْقَتُ فَاعِلُهُ في الدُّنيا والآخرةِ، ولِهَذهِ الأفعالِ الَّتي غَلَبت عَلَى أكثَرِ النِّسَاءِ قالَ عَنْهُنَّ النَّبيُّ ﷺ: «**اطَّلَعْتُ على النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**»(٢).

عباد الله...

هَذِهِ بعض الأحاديث والآثار الدَّالة عَلَى خطورة التَّبرُّج وآثاره، وعاقبته، فعلى جميع المُؤمنين إلزام أزواجهم وبناتهم بالحِجاب، وترسيخ قواعد الحياء والعفة والطَّهارة والنقاء.

وليعلم كُلُّ مُسلم بالغ عاقل رَشيد، أن الدَّيوثَ لا يدخل الجَنَّة، وأن مَنْ جَعَل نَفْسَه عَظْمًا أكلته الكِلاب.

عن ابن عمر رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثَلاثةٌ لا يدخلون الجَنَّة: العاقُّ لوالديه، والدَّيُّوث، ورَجُلَةُ النِّساء**»(٣).

والدَّيوث: هو الذي يعلم الفاحشة في أهله، ويقرُّهم عليها(٤).

فإلى العفّة - يا عباد الله - واعلموا أن العفاف تاج الصَّالحين.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألك التُّقى والعفاف والغِنى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٣).

(٢) «الكبائر» (١٣٥).

(٣) **صحيح**: رواه النسائي والبزار، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٦٣).

(٤) «الترغيب والترهيب» (٢/ ١٣٠).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

فقد مدح الله تَعَالَى بنت شُعيب - الرجل الصَّالح - فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥].

قَالَ ابن كثير: «أي: مشي الحرائر، قَالَ عمر: جاءت تمشي عَلَى استحياء قائلة بثوبها عَلَى وجهها، ليست بسلفع ولَّاجة خراجة»، هذا إسناد صحيح.

قَالَ الجَوهَريُّ: السَّلفَعُ من الرَّجُل: الجسور، ومن النِّساء: الجريئة السليطة، ومن النُّوق: الشَّديدة» ا.هـ[١].

فيا نساء المؤمنين...

عليكنَّ بهذه الأخلاق، فإنَّها زينة الدُّنيا وشَرف الآخرة.

ولله دَرُّ القائل:

بُنَـيَّةُ إنْ أردتِ ثِـيَابَ حُـسْنٍ ... تُـزَيِّنُ مَـنْ تَـشَا جِـسمًا وعَقـلاً

فَانـبذِي عَـادَةَ التَّـبرُّج نَـبْذًا ... فَجَمَـالُ الـنُّفوسِ أسْـمَى وأعْلَـى[٢]

وللحديث بقيّة -- إن شاء الله - فإلى اللِّقاء.

✿✿✿✿✿

(١) «صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٢٥).

(٢) «التبرج» لنعمت صدقي (٣٤).

الخطبة الستون بعد المائة:

ذمّ التبرّج وخَطَره

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن التَّبرُّج وأضراره وأخطاره، سائلًا المولى تبارك وتعالى أن يوفِّقني وسائر المسلمين لمرضاته.

عباد الله...

اعلموا أن الأصل: لزوم النِّساء البيوت، لقول الله تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فهو عزيمة شرعيَّة في حقهن، وخروجهنَّ من البيوت رخصة لا تكون إِلَّا لضرورة أو حاجة. ولهذا جاء بعدها: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الـجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ أي: لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيِّبات كعادة أهل الجاهلية.

والأمر بالقرار في البيوت حجاب لهنَّ بالجُدر والخُدُور عن البروز أمام الأجانب؛ وعن الاختلاط، فإذا برزنَ أمام الأجانب، وجب عليهنَّ الحِجاب باشتمال اللِّباس السَّاتر لجميع البدن، والزينة المكتسبة، ومَن نظر في آيات القرآن الكريم، وجد أن البيوت مضافة إلى النِّساء في ثلاث آيات من كتاب الله تَعَالَى، مع أن البيوت للأزواج أو لأوليائهن، وإنَّما حصلت هَذِهِ الإضافة - والله أعلم - مراعاةً لاستمرار لزوم النِّساء للبيوت، فهي إضافة إسكان ولزوم للمسكن والتصاق به، لا إضافة تمليك.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ [الأحزاب: ٣٣] وقال سبحانه: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقال عز شأنه: ﴿**لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ**﴾ [الطلاق: ١].

وبحفظ هذا الأصل تتحقق المقاصد الشَّرعيَّة الآتية:

١- مراعاة ما قضت به الفطرة، وحال الوجود الإنساني، وشرعة ربِّ العالمين؛ من القسمة العادلة بين عبادهِ من أن عمل المرأة داخل البيت، وعمل الرَّجل خارجه.

٢- مراعاة ما قضت به الشريعة من أن المجتمع الإسلامي مجتمع فردي (أي غير مختلط) فللمرأة مجتمعها الخاص بها، وهو داخل البيت، وللرجل مجتمعه الخاص به، وهوخارج البيت.

٣- قرار المرأة في عرين وظيفتها الحياتية (البيت) يُكسبها الوقت والشعور بأداء وظيفتها المتعددة الجوانب في البيت: زوجة، وأُمًّا، وراعية لبيت زوجها، ووفاء بحقوقه؛ مِن سكن إليها، وتهيئة مطعم ومشرب وملبس، ومربية جيل. وقَدْ ثبت من حديث ابن عمر رَضِيَ الله عَنْهُمَا أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**» متفقٌ عَلَى صحته.

٤- قرارها في بيتها فيه وفاءٌ بما أوجب الله عليها من الصَّلوات المفروضات، وغيرها؛ ولهذا فليس عَلَى المرأة واجب خارج بيتها، فأسقط عنها التكليف بحضور الجمعة والجماعة في الصلوات، وصار فرض الحج عليها مشروطًا بوجود محرم لها.

وقَدْ ثبت من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ الله عَنْهُ أن رَسُول الله ﷺ قَالَ لِنسائه

في حجّته: «**هَذِهِ ثم ظهور الحصر**». رواه أحمد وأبو داود.

قَالَ ابن كثير - رَحِمَهُ الله - في التفسير: «يعني: ثم الزَمنَ ظهور الحُصر ولا تخرجن من البيوت» ا.هـ.

وقال الشيخ أحمد شاكر - رَحِمَهُ الله - معلقًا عَلَى هذا الحديث[1]: «فإذا كان هذا في النَّهي عن الحجّ بعد حجة الفريضة، عَلَى أنَّ الحجّ مِن أعلى القُربات عند الله، فما بالك بما يصنع النِّساء المنتسبات للإسلام في هذا العصر، مِن التنقّل في البلاد، حَتَّى ليخرجنَّ سافرات عاصيات ماجنات إلى بلاد الكفر وحدهن دون محرم، أو مع زوج أو محرم كأنه لا وجود له، فأين الرجال؟! أين الرجال؟» ا.هـ.

وأسقط عنها فريضة الجهاد، ولهذا فإن النَّبيّ ﷺ لم يعقد راية لامرأة قطّ في الجهاد، وكذلك الخلفاء بعده، ولا انتدبت امرأة لقتال ولا لمهمة حربيّة، بل إن الاستنصار بالنِّساء والتكثر بهنّ في الحرب دالٌّ عَلَى ضعف الأُمّة واختلال تصوراتها.

وعَنْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا أَنَّها قالت: يَا رَسُولَ اللهِ يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا نَغْزُو، وَلَنَا نِصْفُ المِيرَاثِ؟! فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾. رواه أحمد والحاكم وغيرهما بسندٍ صحيح.

قَالَ الشيخ أحمد شاكر - رَحِمَهُ الله - تعليقًا عَلَى هذا الحديث[2]: «وهذا الحديث يرد عَلَى الكذَّابين المفترين في عصرنا الذين يحرصون عَلَى أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين، فيخرجون المرأة عن خدرها، وعن صونها وسترها الذي أمر الله به، فيدخلونها في نظام الجند عارية الأذرع والأفخاذ، بارزة المقدمة والمؤخرة، متهتكة فاجرة، يرمون بذلك في الحقيقة إلى الترفيه الملعون عن الجنود الشُّبان المحرومين من النِّساء في الجندية، تشبهًا بفجور اليهود والإفرنج، عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة». ا.هـ.

٥- تحقيق ما أحاطها به الشَّرع المطَّهر من العمل عَلَى حفظ كرامة المرأة وعفتها وصيانتها، وتقدير أدائها لعملها في وظائفها المنزلية.

---

(١) «عمدة التفاسير» (٣/ ١١).

(٢) «عمدة التفاسير» (٣/ ١٥٧).

وبه يعلم أن عمل المرأة خارج البيت مشاركة للرجل في اختصاصه، يقضي عَلَى هَذِهِ المقاصد أو يخلّ بها، وفيه منازعة للرجل في وظيفته، وتعطيل لقيامه عَلَى المرأة، وهضم لحقوقه؛ إذ لابد للرجل من العَيش في عالمين:

عالم الطلب والاكتساب للرزق المباح، والجهاد والكفاح في طلب المعاش وبناء الحياة، وهذا خارج البيت.

وعالم السَّكينة والراحة والاطمئنان، وهذا داخل البيت.

وبقدر خروج المرأة عن بيتها يحصل الخلل في عالم الرجل الداخلي، ويفقد من الراحة والسكون ما يخلّ بعمله الخارجيّ، بل يثير مِن المشاكل بينهما ما ينتج عنه تفكك البيوت، ولهذا جاء في المثل: «الرجل يَجنِي والمرأة تَبنِي»، ومن وراء هذا ما يحصل للمرأة من المؤثرات عليها نتيجة الاختلاط بالآخرين.

إن الإسلام دين الفطرة، وإن المصلحة العامة تلتقي مع الفطرة الإنسانية وسعادتها؛ إذًا فلا يباح للمرأة من الأعمال إلَّا ما يلتقي مع فطرتها وطبيعتها وأنوثتها، لأنها زوجة تحمل وتلد وتُرضع، ورَبَّةُ بيت، وحاضنة أطفال، ومربية أجيال في مدرستهم الأولى: المنزل.

وإذا ثبت هذا الأصل من أمر النِّساء بالقرار في البيوت، فإنَّ الله سبحانه حَفِظَ لِهَذِه البيوت حرمتها، وصانها عن وصول شك أو رِيبة إليها، ومنع أي حالة تكشف عن عوراتها، وذلك بمشروعية الاستئذان لدخول البيوت، من أجل البصر.

وقَدْ تواردت السُّنن الصحيحة بإهدار عين مَن اطَّلع في دار قوم بغير إذنهم، وأنَّ من الأدب للمستأذن أن لا يقف أمام الباب، ولكن عن يمينه أو شماله، وأن يطرق الباب طرقًا خفيفًا من غير مبالغة، وأن يقول: السَّلام عليكم، وله تكرار الاستئذان ثلاثًا.

كل هذا لِحفظ عورات المسلمين وهن في البيوت، فكيف بمن ينادي بإخراجهن من البيوت متبرجات سافرات مختلطات مع الرجال؟! فالتزموا - عباد الله - بما أمركم الله به»[1].

---

(١) «حراسة الفضيلة» د. بكر أبو زيد (٨٩ - ٩٥) باختصار.

وفَّقني الله تَعَالى وإيَّاكم لطاعتهِ واجتناب نواهيه، ووصلنا وإيَّاكم بمراضيه.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ويمكننا إجمال مضارّ التَّبرُّج فيما يلي[1]:

١- دَليلُ ضَعفِ إيمانِ المرأةِ وَقِلَّةِ حَيَائِهَا.

٢- سَبَبُ الطَّردِ والإبعَادِ مِن رَحمةِ الله.

٣- يُوردُ النِّيرانَ ويَحرِمُ مِنَ الجِنَانِ.

٤- مِن أعمَالِ الجَاهِليَّةِ والفُسَّاقِ.

٥- يُعَرِّضُ المرأةَ لِغَمزِ وَلَمزِ المُجرِمِينَ ومَنْ في قَلبِهِ نِفَاقٌ.

٦- مِنْ أسبابِ إشاعَةِ الفَاحِشَةِ بَيْنَ النَّاسِ.

٧- التَّشَبُّهُ بالكافِراتِ الفَاجِرَاتِ.

٨- تُقَلِّلُ مِنْ رَغبةِ الإنسَانِ المُسلِمِ في الارتِبَاطِ بِهَا، وتُزهِّدُهُ في الزَّواجِ بِهَا.

٩- تُحرَمُ المرأةُ مِنْ نَعْمَةِ رِضَا الله عَنْهَا بِخُرُوجِهَا عَنْ آدابِهِ.

١٠- تُعَرِّضُ نَفْسَها لِطَمَعِ الطَّامِعِينَ ونَهْشِ النَّاهِشِينَ.

١١- مِن أكبَرِ أسبَابِ شُيُوعِ الفَاحِشَةِ في المُجتمَعَاتِ، فَتَنْحَلَّ ويَذْهَبَ رِيحُهَا.

فاحذري - أيتها المسلمة - التَّبرُّج، واعلمي أن الفضيلة تاجٌ عَلَى رءوس المؤمنات، وإيَّاكِ أن تُفرِّطي فيها، ولله دَرُّ القائل:

قُــل للجَمــيلةِ أرْسَــلَت أظفَارَهَــا ... إنِّــي لِخَــوفي كِــدتُ أمــضِي هَاربَــا

---

(١) من «نضرة النعيم».

إنَّ المَخَالِـــبَ للوُحُـــوشِ تَخَالُهَـــا فَمَتَـــى رأيــنَا للظِّـــبَاءِ مَخَالِـــبَا؟

بـالأمْسِ أنـتِ قَصَصْتِ شَعْرَكِ غِيلةً ونَقَلْـتِ عَـنْ وضـعِ الطَّبـيعةِ حَاجِـبَا

وغــدًا نَــرَاكِ نَقَلْـتِ ثَغْــرَكِ للقَفَـا وأزَحْــتِ أنْفَـكِ رَغْـمَ أنْفِـكِ جَانِـبَا

مَـــنْ عَلَّـــمَ الحَـــسْنَاءَ أنَّ جَمَالَهَـــا فِي أن تُخَالِـفَ خَلقَهَـا وتُجَانِـبَا؟[1]

۞۞۞۞۞

(١) «التبرج» نعمت صدقي (٣٤).

الخطبة الحادية والستون بعد المائة:

فضائل الحجاب

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إِلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد تَعَبَّدَ الله نِساء المؤمنين بفرض الحجاب عليهنَّ، السَّاتر لجميع أبدانهنَّ وزينتهنَّ، أمام الرِّجال الأجانب عنهنَّ، تعبدًا يُثاب عَلَى فعله ويُعاقب عَلَى تركه؛ ولهذا كان هتكه مِن الكبائر الموبقات، ويَجُرُّ إلى الوقوع في كبائر أخرى، مثل: تعمّد إبداء شيء من البدن، وتعمّد إبداء شيء من الزِّينة المكتسبة، والاختلاط، وفتنة الآخرين، إلى غير ذَلِكَ من آفات هتك الحجاب.

فعلى نساء المؤمنين الاستجابة إلى الالتزام بما افترضه الله عليهن من الحجاب والسَّتر والعِفة والحياء؛ وطاعةً لله تَعَالى، وطاعةً لرسوله ﷺ، قال الله عَزَّ شأنه: ﴿وَمَا

كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، كيف ومِن وراء افتراضه حِكَم وأسرارٌ عظيمة، وفضائل محمودة، وغايات ومصالح كبيرة، منها:

١- **حفظ العِرض**: الحجاب حِراسَةٌ شرعيّة لحفظ الأعراض، ودفع أسباب الرِّيبة والفتنة والفساد.

٢- **طهارة القلوب**: الحِجاب داعية إلى طهارة قلوب المؤمنين والمؤمنات، وعمارتها بالتقوى، وتعظيم الحرمات، وصدق الله سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٣- **مكارم الأخلاق**: الحِجاب داعية إلى توفير مكارم الأخلاق من العِفة والاحتشام والحياء والغيرة، والحجب لمساويها من التَّلوثِ بالشائنات؛ كالتبذل والتهتك والسُّفالة والفساد.

٤- **علامة عَلَى العفيفات**: الحِجاب علامة شرعيَّة عَلَى الحرائر العفيفات في عفتهن وشرفهن، وبعدهن عن دنس الريبة والشَّك، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وصلاح الظاهر دليلٌ عَلَى صلاح الباطن، وإن العفاف تاج المرأة، وما رفرفت العفة عَلَى دار إلا أكسبتها الهناء.

ومِمَّا يستطرف ذكره هنا: أن النُّميري لَـمَّا أنشد عند الحجَّاج قوله:

يُخَمِّرنَ أطراف البنان من التُّقَى ... ويَخْرُجن جنح اللَّيل معتجرات

قَالَ الحجاج: وهكذا المرأة الحرّة المسلمة.

٥- **قطع الأطماع والخواطر الشيطانيّة**: الحِجاب وقاية اجتماعية من الأذى، وأمراض قلوب الرِّجال والنِّساء، فيقطع الأطماع الفاجرة، ويكف الأعين الخائنة، ويدفع أذى الرجل في عِرضه، وأذى المرأة في عِرضها ومحارمها، ووقاية مِن رمي المحصنات بالفواحش، وإدبَاب قالة السُّوء، ودَنَس الريبة والشَّك، وغيرها من الخطرات الشيطانية.

ولبعضهم:

حُـورٌ[١] حرائـر مـا هَمَمـنَ بـرِيْبَةٍ كَظِـبَاءِ مَكَّـةَ صَـيدُهنَّ حَـرامُ

٦- **حفظ الحياء**: وهو مأخوذٌ من الحياء، فلا حياة بدونه، وهو خُلُقٌ يودعه الله في النفوس التي أراد سبحانه تكريمها، فيبعث عَلَى الفضائل، ويدفع في وجوه الرذائل، وهو من خصائص الإنسان، وخصال الفطرة، وخُلُق الإسلام، والحياء شُعبة من شُعب الإيمان، وهو من محمود خِصال العرب التي أقرها الإسلام ودعا إليها، قَالَ عنترة العَبسيّ:

وأغُضُّ طَـرفي إنْ بَـدَتْ لـي جارتي حتَّـى يُـواري جارتـي مأواهـا

فآل مفعول الحياء إلى التحلي بالفضائل، وإلى سياج رادع، يصدُّ النَّفس ويزجرها عن تطورها في الرذائل.

وما الحجاب إلَّا وسيلة فعالة لحفظ الحياء، وخلع الحجاب خلعٌ للحياء.

٧- **الحِجاب** يمنع نفوذ التبرج والسفور والاختلاط إلى مجتمعات أهل الإسلام.

٨- **الحجاب حصانة** ضد الزنا والإباحية، فلا تكون المرأة إناءً لكل والغ.

٩- **المرأة عورة**؛ والحجاب ساترٌ لها، وهذا من التَّقوى، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف: ٢٦]، قَالَ عبد الرحمن بن أسلم - رَحِمَهُ الله - في تفسير هَذِهِ الآية: «يتقي الله فيواري عورته، فذاك لباس التَّقوى».

وفي الدُّعاء المرفوع إلى النَّبيّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْراتي وآمِنْ روعَاتي». رواه أبو داود وغيره. فاللهمَّ استر عوارتِنا وعورات نِسَاءِ المؤمنين، آمين»[٢].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) حور: جمع حوراء، لا حورية، إذ هو مولد.

(٢) «حراسة الفضيلة» (٨٤ - ٨٨).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ومن فضائل الحِجاب، ومصالحهُ الكبيرة:

١٠- **حفظ الغَيْرة**: والغَيرة هي السِّياج المعنويّ لحماية الحِجاب، ودفع التَّبرُّج والسفور والاختلاط، والغَيْرة هي ما ركَّبه الله في العبد، من قوة روحيَّة تحمي المحارم والشَّرف والعفاف من كل مجرم وغادر، والغَيرة في الإسلام خُلقٌ محمود، وجِهاد مشروع؛ لقول النَّبيّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ وَالْمُؤْمِنُ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ**» متفقٌ عليه، ولقول النَّبيّ ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»، رواه الترمذي، وفي لفظ: «**مَن مات دون عِرضهِ فهو شهيدٌ**»،

فالحِجاب باعث عظيم عَلَى تنمية الغَيرة عَلَى المحارم أن تُنتهك، أو يُنال منها، وباعثٌ عَلَى توارث هذا الخُلُق الرَّفيع في الأُسر والذراري: غَيرة النِّساء عَلَى أعراضهنَّ وشرفهنَّ، وغَيرة أوليائهنَّ عليهنَّ، وغيرة المؤمنين عَلَى محارم المؤمنين مِن أن تنال الحرمات، أو تخدش بما يجرح كرامتها وعفتها وطهارتها ولو بنظرة أجنبي إليها.

ولهذا صار ضد الغَيرة: الدياثة، وضد الغيور: الدَّيوث، وهو الذي يُقر السُّوء في أهله ولا غَيرة له عليهم[(١)].

عباد الله...

وهذا مثلٌ تطبيقيّ من حياة النَّبيّ ﷺ في الغَيرة:

عَنْ الْمُغِيرَةِ بن شُعبة رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ[(٢)]، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ**

---

(١) «حراسة الفضيلة» (١٣١، ١٣٢).

(٢) أي: غير ضارب بصفح السَّيف، وهو جانبه، بل أضربه بحَدِّه.

سَعْدٍ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ المُبَشِّرِينَ وَالمُنْذِرِينَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الجَنَّةَ» [١].

أيهَا المسلمون...

وينبغي التَّنبيه عَلَى أن هُناك غَيرة يُحبُّها الله، وغَيرة يَكرههَا الله:

عَنِ جَابِرِ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ مِنَ الغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنَ الخُيَلَاءِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.**

فَأَمَّا الغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَالغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَالغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ.

وَالِاخْتِيَالُ الَّذِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ القِتَالِ وَعِنْدَ الصَّدَقَةِ، وَالِاخْتِيَالِ الَّذِي يُبْغِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الخُيَلَاءُ فِي البَاطِلِ» [٢].

ولعلّ المقصود بقوله ﷺ: **«اخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ القِتَالِ وَعِنْدَ الصَّدَقَةِ»** السُّرور بالطاعة، والانتصار عَلَى النَّفس، دون إعجاب أو رياء، والله أعلم.

عباد الله...

وللغَيرة فوائد [٣]**، منها:**

١- صيانة الأعراض وحفظ الحرمات.

٢- مؤشّر عَلَى قوّة الإيمان ورسوخه في القلب.

٣- تعظيم شعائر الله وحفظ حدوده.

---

(١) رواه البخاري (٧٤١٦)، واللفظ له، ومسلم (١٤٩٩).

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٥، ٤٤٦)، وأبو داود (٢٦٥٩)، والنسائي (٥/ ٧٨)، واللفظ له، وحسنه الألباني كما في «صحيح سنن النسائي» (٢٣٩٨).

(٣) «نضرة النعيم» (٣٠٨٥).

٤- مظهر من مظاهر الرجولة الحقَّة.

٥- نشر الفضيلة في المجتمع وتطهيره من الرَّذيلة.

أيُّها المسلمون...

ومِمَّا ينبغي أن يُعلم أيضًا: أن موت الغَيرة من عقوبات المعاصي.

قَالَ الإمام ابن القيِّم - رَحِمَهُ الله -: «ومن عقوبات الذُّنوب: أنها تُطفئ من القلب نار الغَيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن؛ فالغَيرةُ حرارتُه وناره التي تُخرج ما فيه من الخُبثِ والصِّفات المذمومة، كما يُخرجُ الكِيرُ[1] خَبَثَ الذَّهب والفِضَّةِ والحديد، وأشرفُ النَّاسِ وأعلاهم همَّةً أشدُّهم غَيْرَة عَلَى نَفْسِهِ وخاصَّتِهِ وعمومِ النَّاس» ا.هـ[2].

فإيَّاكم - عباد الله - والمعاصي، «**فإنَّ بالمعصية حَلَّ سَخَطُ الرَّبِّ**» كما قال النَّبيّ ﷺ في حديث طويل، إسناده حسن.

اللَّهُمَّ أحسِن عاقِبَتَنا في الأُمورِ كلِّها، وأجِرنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنيا وعذاب الآخرة.

آمين... آمين... آمين

۞۞۞۞۞

---

(١) **الكير**: الزق الذي ينفخ به النار.

(٢) «مختصر الداء والدواء» د. أحمد المزيد (٣٣، ٣٤).

الخطبة الثانية والستون بعد المائة:

[أ] مع أم المؤمنين أم حَبيبة بنت أبي سفيان

مواقف مؤثرة، ومواعظ بالغة

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فلقاؤنا اليَوم - إن شاء الله - مع قصَّة السَّيِّدة المحجبّة أُم حَبيبة، رَملة بنت أبي سفيان بن حرب.

وهي من بنات عمِّ الرَّسُول ﷺ، ليس في أزواجه مَن هي أقربُ نسبًا إليه منها، ولا في نسائه مَن هي أكثر صداقًا منها، ولا مَن تزوَّج بها وهي نائيةُ الدار أبعد منها.

عُقد له ﷺ عليها بالحبشة، وأصدقها عنه صاحبُ الحبشة أربعمائة دينار،

وجهَّزها بأشياء.

نزل فيها وفي أزواج النَّبيّ ﷺ خاصّة قول الله تَعَالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. كما قال ابن عبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا[١].

وقال الإمام الذهبيّ: وقَدْ كان لأُم حَبيبة حُرمةٌ وجلالةٌ، ولاسيما في دولة أخيها، ولمكانه منها قيل له: خالُ المؤمنين»[٢].

عباد الله...

ولما أسلمت رَضِيَ الله عَنْهَا، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة، فارتدَّ هناك وتنصَّر، فعظم المصاب، واجتمع عليها بلاء الاغتراب، وارتداد الزوّج، ومفارقة الوطن، ولما عَلِم النَّبي ﷺ بِحالها أرسل إلى النَّجاشيّ يخطبها لنفسه وأصدقها هناك، رثاءً لحالها، ووفاءً لحُسن ثباتها وجِهادها، وقُتل الخرَّاصون الذين يقولون: إن محمدًا تزوج من تزوج من النِّسَاء إجابةً لداعي الهوى، وإشباعًا للشهوة. أهذه شهوة يا سادة؟!

والغريب أن أبا سفيان[٣] عندما سمع بهذا الزواج، رغم العداء المستحكم لنبيّ الله والمؤمنين يقول مفتخرًا: «ذاك الفحل لا يُقرعُ أنفُهُ»[٤].

وعن عُروة عن أُم حبيبة: أنَّها كانت تحت عُبيد الله، وأنَّ رَسُول الله ﷺ تزوَّجها بالحبشة، زوَّجها إيَّاه النَّجاشيّ، ومَهَرها أربعة آلاف درهم، وبعث بها مع شُرَحبيل بن حَسنة، وجهازها كُلُّه من عند النَّجاشيّ[٥].

أيُّها المسلمون...

وقبل أن نتجاوز هذا الموقف إلى غيره، نذكر طرفًا من حكمة استكثاره ﷺ من النِّساء:

---

(١) **إسناده حسن**: قال الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٢١): إسناده صالح، وسياق الآيات دال عليه.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٢٢)، وأخوها هو معاوية بن أبي سفيان.

(٣) لم يكن يومئذ قَدْ أسلم رَضِي الله عَنْهُ.

(٤) رواه الحاكم (٤/ ٢٢)، وقوله: «ذاك الفحل الذي لا يُقرع أنفه» أي: أنه كفءٌ كريم لا يُرد.

(٥) **إسناده صحيح**: أخرجه أبو داود (٢١٠٧).

قَالَ الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ الله تَعَالى -: «وَالَّذِي تَحَصَّلَ مِنْ كَلَام أَهْل العِلْم فِي الحِكْمَة فِي إِسْتِكْثَاره مِنْ النِّسَاء عدة أَوْجُه:

أَحَدهَا: أَنْ يُكْثِر مَنْ يُشَاهِد أَحْوَاله البَاطِنَة فَيَنْتَفِي عَنْهُ مَا يَظُنّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّهُ سَاحِر أَوْ غَيْر ذَلِكَ.

ثَانِيهَا: لِتَتَشَرَّف بِهِ قَبَائِل العَرَب بِمُصَاهَرَتِهِ فِيهِمْ.

ثَالِثهَا: لِلزِّيَادَةِ فِي تَأَلُّفهمْ بِذَلِكَ[1].

رَابِعهَا: لِلزِّيَادَةِ فِي التَّكْلِيف حَيْثُ كُلِّفَ أَنْ لَا يَشْغَلهُ مَا حُبِّبَ إِلَيْهِ مِنْهُنَّ عَنْ الْمُبَالَغَة فِي التَّبْلِيغ.

خَامِسهَا: لِتَكْثُر عَشِيرَته مِنْ جِهَة نِسَائِهِ فَتَزْدَاد أَعْوَانه عَلَى مَنْ يُحَارِبهُ.

سَادِسهَا: نَقْل الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة الَّتِي لَا يَطَّلِع عَلَيْهَا الرِّجَال، لِأَنَّ أَكْثَر مَا يَقَع مَعَ الزَّوْجَة مِمَّا شَأْنه أَنْ يَخْتَفِي مِثْله.

سَابِعهَا: الِإطِّلَاع عَلَى مَحَاسِن أَخْلَاقه البَاطِنَة، فَقَدْ تَزَوَّجَ أُمّ حَبِيبَة وَأَبُوهَا إِذْ ذَاكَ يُعَادِيه، وَصَفِيَّة بَعْد قَتْلِ أَبِيهَا وَعَمّهَا وَزَوْجهَا، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ أَكْمَل الخَلْق فِي خُلُقه لَنَفَرْنَ مِنْهُ، بَلْ الَّذِي وَقَعَ أَنَّهُ كَانَ أَحَبّ إِلَيْهِنَّ مِنْ جَمِيع أَهْلهنَّ.

ثَامِنهَا: تَحْصِينهنَّ وَالقِيَام بِحُقُوقِهِنَّ». ا.هـ[2].

وسيأتي المزيد عن حكمة استكثاره ﷺ من النِّساء بَعْدُ - إن شاء الله تَعَالى.

عباد الله...

وفي حديث عروة عن أُم حبيبة: أنَّها كانت تحت عُبيد الله، وأنَّ رَسُول الله ﷺ تزوَّجها بالحبشة، زوَّجها إيَّاه النَّجاشيّ، ومَهَرها أربعة آلاف درهم، وبعث بها مع شُرَحبيل بن حَسنة، وجهازها كُلُّه من عند النَّجاشيّ. **فوائد منها:**

---

(١) وهذا ظاهر - هنا - حيث أن أبا سفيان افتخر بهذا الزواج، ثم أسلم بعد ذَلِكَ.

(٢) «فتح الباري» (٩/ ١٧) بتصرّف يسير.

أَوَّلًا: جواز الوكالة في الزَّواج: قال الشيخ/ السَّيد سابق -رَحِمَهُ الله -:

الوَكَالَةُ: من العقودِ الجائزة في الجُملَةِ، لحاجةِ النَّاس إليها في كثيرٍ مِنْ مُعَاملاتِهم.

وقَدْ اتَّفق الفقهاءُ على أنَّ كل عقدٍ جازَ أنْ يَعقِدَهُ الإنسانُ بنفسهِ، جَازَ أنْ يُوَكِّلَ به غيرهُ، كالبَيعِ، والشّراءِ، والإجارةِ، واقتضاءِ الحقوقِ، والخصومةِ في المُطالبةِ بها، والتزويج، والطَّلاقِ، وغيرِ ذَلِكَ مِنْ العقودِ التي تَقبَلُ النِّيابَةُ.

وقد كان النَّبيّ صلواتُ الله وسلامُهُ عليه، يَقُومُ بِدَورِ الوَكيل في عقد الزَّواج بالنسبة لبَعض أصحابِهِ.

روى أبو داود عن عُقبة بن عامِرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أنَّ النَّبي ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: «**أَتَرْضَى أَنْ أُزَوّجَكَ فُلَانَةَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «**أَتَرْضَيْنَ أَنْ أُزَوّجكِ فُلَانًا؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، فَزَوّجَ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ فَدَخَلَ بِهَا الرَّجُلُ وَلَمْ يَفْرِضْ لَهَا صَدَاقًا وَلَمْ يُعْطِهَا شَيْئًا، وكان ممن شَهِد الحُديبيَة، وكان مَنْ شَهِدَ الحُديبية لهم سَهمٌ بِخَيبر، فلما حضرتهُ الوَفَاةُ قالَ: إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ زوَّجني فُلانةَ ولم أُعْطِها شيئًا وقد أعطيتُها سهمي مِنْ خَيْبَرَ، فكانَ له سَهْمٌ بخيبر، فأخذتْهُ فباعتْهُ، فبلغَ مائة ألفٍ.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أنَّهُ يصح أن يكون الوكيل وكيلًا عن الطرفين.

وعَنْ أُمّ حَبِيبَةَ: «أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ ابْنِ جَحْشٍ فَهَلَكَ عَنْهَا وَكَانَ فِيمَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الحَبَشَةِ، فَزَوَّجَهَا النَّجَاشِيُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ عِنْدَهُمْ». رواه أبو داود.

وكان الذي تَولى العقدَ عَمرو بن أُميَّة الضَّمريُّ وكيلًا عن رسول الله ﷺ وكلَّهُ بذلك. وأمَّا النَّجاشيُّ، فهو الذي كانَ قد أعطى لها المهرَ، فأسند التَّزويجَ إليه.

مَنْ يَصِحُّ تَوكِيلُهُ ومَنْ لا يَصِحُّ: يَصِحُّ التوكيلُ من الرجلِ العاقلِ البالغِ الحرِّ، لأَنَّهُ كاملُ الأهليّة[١]. وكلُّ مَن كان كَامِلَ الأهليّة، فإنَّهُ يَملك تَزويجَ نَفسهِ بِنَفسهِ.

وَكلُّ مَنْ كان كذلك فإنَّهُ يَصِحُّ أن يُوَكِّلَ عَنْهُ غيرهُ.

أمَّا إذا كانَ الشَّخص فاقِدَ الأهليَّة، أو نَاقِصَهَا، فإنَّهُ ليسَ لَهُ الحقُّ في تَوكيلِ غيرِهِ،

---

(١) لابد من اعتبار هذه الشروط في التوكيل، وقالت الأحناف: يصح توكيل الصَّبي المميز والعبد.

كالمجنون، والصَّبيِّ، والعبد، والمَعْتُوه، فإنَّهُ ليس لواحدٍ مِنْهُم الاستِقْلالُ في تزويج نَفَسهِ بِنَفسِهِ.

وقد اختلفَ الفُقهاءُ في صِحَّةِ تَوكيلِ المرأةِ البَالغةِ العاقلةِ في تزويجِ نفسِها، حَسَبَ اختلافِهِم في انعقادِ الزَّواج بِعبارَتِهَا.

فقال **أبو حنيفة**: يَصِحُّ منها التوكيلُ كما يصحُّ من الرجل، إذ مِن حَقِّها أن تُنشِئ العَقْدَ. وما دام ذلك حقًا من حقوقها، فَمِنْ حقِّها أنْ تُوكِّل عنها مَن يَقومُ بإنشائِهِ.

أمَّا جمهور العلماء فإنَّهم قالوا: إنَّ لِوَلِيِّهَا الحَقّ في أنْ يَعقِدَ عليها مِنْ غيرِ تَوكيلٍ منها لَهُ. وإنْ كان لابُدَّ من اعتبار رِضَاهَا، كما تقدم.

وفرَّق بعضُ علماءِ الشَّافعيّة بين الأبِ والجدِّ، وبين غيرهما من الأولياء. فقالوا: إنَّهُ لا حاجةَ إلى توكيلِ الأبِ والجدِّ، أمَّا غيرهما فلابُدَّ مِنْ التوكيلِ منها لَهُ.

التَّوكيل المُطلقُ والمُقَيدُ: والتوكيلُ يجوزُ مطلقًا ومقيدًا:

فَالمُطْلَقُ: أنْ يُوَكِّلَ شخصٌ آخرَ في تَزويجِهِ دون أن يُقيّدهُ بامرأةٍ مُعَينةٍ، أو بمهرٍ، أو بمقدارٍ مُعَيّنٍ مِنْ المهر.

والمُقَيدُ: أنْ يُوَكِّلَهُ في التزويج، ويقيِّدَهُ بامرأةٍ معينة، أو امرأةٍ من أُسرة مُعينةٍ، أو بِقَدَرٍ مُعَينٍ مِنْ المهر.

وحُكم التوكيل المُطلق: أنَّ الوكيل لا يَتقيَّدُ بأيِّ قيدٍ عند أبي حنيفة. فلو زوّج الوكيلُ مُوَكِّلهُ بامرأةٍ مَعِيبةٍ أو غيرِ كُفءٍ، أو بمهرٍ زائدٍ عن مَهْرِ المِثْلِ جاز ذلك[1]، وكان العقدُ صحيحًا نافذًا، لأنَّ ذَلِكَ مُقْتَضى الإطلاقِ.

وقال أبو يوسف ومحمد: لابُدَّ أن يتقيَّد بالسَّلامةِ والكفاءَةِ ومهرِ المِثْلِ.

ويتجاوزُ عن الزيادةِ اليسيرةِ التي يتغابَنُ النَّاسُ فيها عادةً.

وحُجَّتُهُما: أنَّ الذي يُوكِّلُ غيرَهُ إنَّما يُوكلُهُ ليكونَ عونًا لَهُ على اختيارِ الأصْلَح

---

(١) ويُستثنى من هذا ما فيه تهمة، كأن يزوجه ابنته، أَوْ امرأة تحت ولايته، فإنه لا ينفذ إلَّا برضا الموكل.

بالنِسبةِ إليهِ. وتَركُ التَّقيُّد لا يَقْتَضي أن يَأتي لَهُ بأيِّ امرأةٍ، لأنَّ المفهومَ أنْ يَختارَ لَهُ امرأةً مُماثِلَةً بِمهرٍ مُماثلٍ، ولابُدَّ مِنْ مُلاحَظَةِ هَذَا المَفهومِ واعتبارِهِ، لأنَّ المعروفَ عُرْفًا كَالمشرُوطِ شَرْطًا.

وهذا هو الرأيُ الذي لا ينبغي التعويلُ إلَّا عليه.

وحُكم التَّوكيلِ المقيَّدِ: أنَّهُ لا تجوزُ فيه المُخَالفةُ إلَّا إذا كانت المخالفةُ إلى ما هو أحسنُ. بأن تكون الزَّوجة التي اختَارها الوكيلُ أجْمَلَ وأفْضَلَ مِنْ الزَّوجة التي عَيَّنَهَا لَهُ، أو يكون المهرُ أقلّ مِنَ المهر الذي عَيَّنَهُ. فإذا كانت المخالفة إلى غير ذَلِكَ، كان العقدُ صحيحًا غير لازم على الموكل. فإن شاء أجازه، وإن شَاء رده.

وقالت الأحناف: إنَّ المرأةَ إذا كانت هي المُوَكِّلَةُ، فإمَّا أنْ تُوكِّلَهُ بِمُعيَّنٍ، أو بِغيرِ مُعَيَّنٍ.

فإنْ كان الأوَّل، فَلا يَنفُذُ العقدُ عليها إلَّا إذا وافقَهَا في كلِّ ما أَمَرتهُ بِهِ، سَواء كان من جِهةِ الزَّوجِ أو المَهْرِ.

وإن كان الثاني - وهو ما إذا أمَرتْهُ بِتَزويجِهَا بِغَيرِ مُعَيَّنٍ، كما إذا قالت له: وكَّلتكَ في أنْ تُزَوجني رَجُلًا، فَزوَّجَها من نفسِهِ، أو لأبيهِ، أو لابنهِ - لا يَلزمُ العقدُ، للتُّهمة.

فإنْ حصلَ ذَلِكَ تَوقَّف نَفَاذُ العَقدِ على إجازتها. فإنْ زَوَّجهَا بِغَير مَنْ ذُكِر: أي بِأجنبيّ، فإن كان الزوج كُفئًا، والمَهرُ مهرُ المِثْلِ، لَزِمَ النّكاحُ وليس لها ولا لِوليّها رَدُّه.

وإن كان الزوج كفؤًا، والمهرُ أقلُّ من مهرِ المِثل - وكان الغُبن فاحشًا - فلا يَنفُذُ العقدُ، بل يكون موقوفًا على إجازَتِها وإجازَةِ وليِّهَا، لأنَّ كُلًّا منهما لَهُ حق في ذَلِكَ.

وإن كان الزوجُ غَيرَ كُفءٍ وقع العقد فاسدًا، سواءً كان المَهْرُ أقلّ مِن مَهرِ المثلِ، أو مساويًا لَهُ، أَوْ أكثَرَ، ولا تَلحَقُهُ الإجازةُ، لأنَّ الإجازةَ لا تَلحقُ الفاسِدَ وإنَّما تَلحَقُ الزَّواجَ الموقوفَ.

الوكيلُ في الزَّواج سَفيرٌ ومُعَبِّرٌ[١]: تَختلفُ الوكالةُ في الزواجِ عن الوكالةِ في العقودِ

(١) أي: سفير عن موكله ومعبّر عن إرادته.

الأخرى، فالوكيلُ في الزَّواج ما هو إلَّا سفيرٌ ومعبِّرٌ لا غَيْرُ، فلا تَرجعُ إليه حقوقُ العقدِ، فلا يُطَالبُ بالمَهرِ[(١)] ولا بإدخالِ الزَّوجةِ في طَاعةِ زَوْجِهَا إذا كانَ وكيلَ الزَّوجةِ، ولا يَقبَضُ المهرَ عَنْ الزوجةِ إذا كان وكيلًا عَنْهَا إلَّا إذا أذنت لَهُ، فَيَكُون إذْنُها تَوكيلًا لَهُ بِالقَبْضِ. وهو غيرُ توكيلِ الزواجِ الذي ينتهي بِمُجَرَّدِ إتمامِ العقدِ» ا.هـ[(٢)].

ثانيًا: لا يُشترط العدل في المهر بين الزوجات؛ يدلُّ عَلَى ذَلِكَ: تفاوت أُمَّهات المُؤمنين في المهر المقدّم لهنَّ من قِبَل النَّبيّ ﷺ، لكن دلَّت الأحاديث عَلَى التيسير في المهور:

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ قَالَ: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَمْ كَانَ صَدَاقُ رَسُول اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَتْ: كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا، قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشُّ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَتْ: نِصْفُ أُوقِيَّةٍ[(٣)]، فَتِلْكَ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَهَذَا صَدَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ»[(٤)].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْتَقَ صَفِيَّةَ وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا»[(٥)]. وفي رواية: «سَأَلْتَ أَنَسًا مَا أَمْهَرَهَا؟ قَالَ: أَمْهَرَهَا نَفْسَهَا»، فتبسّم.

عَنْ أَبِي العَجْفَاءِ السُّلَمِيِّ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: «أَلَا لَا تُغَالُوا صُدُقَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَكَحَ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ وَلَا أَنْكَحَ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِهِ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً»[(٦)].

عباد الله...

أما ما أخرجه البيهقي[(٧)] عن الشَّعبيِّ عن عُمر واعتراض المرأة عَلَى عُمر رَضِي الله

---

(١) إلَّا إذا ضمن الوكيل عن الزوج، فإنه يطالب به كضامن؛ لا كوكيل.

(٢) «فقه السُّنة» (٢/ ٩٦ - ٩٨).

(٣) **الأوقية**: أربعون درهمًا، والدرهم يقارب ربع ريال سعودي، كما في «السلسبيل في معرفة الدليل» فعلى هذا فخمسمائة درهم تساوي مائة وخمسة وعشرين ريالًا سعوديًا.

(٤) رواه مسلم وأبو داود، وغيرهما.

(٥) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٦) رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي، وصححه، والحاكم (٢/ ١٧٥)، وصححه ووافقه الذهبيّ.

(٧) رقم (٧/ ٢٣٣).

عَنْهُ، وقولها له: نَهيت النَّاس آنفًا أن يُغالوا في صداق النِّساء، والله تَعَالى يقول في كتابه: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠]، فقال عمر: «كُلّ النَّاس أفقه من عمر» مرتين أوثلاثًا، ثم رجع إلى المنبر قال للناس: «إنِّي كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء ألا فليفعل الرجل ما بدا له». فهذا الحديث ضعيف، قال البيهقي: هذا منقطع. ورواه عبد الرزاق في «المصنف» [١]، وإسناده ضعيف أيضًا، فيه قيس بن الربيع ضعفه ابن معين والدارقطني، وقال النسائي: متروك[٢].

عباد الله...

وممَّا يدلُّ عَلَى حثّ الإسلام عَلَى تيسير المهور: ما رواه عكرمة عن ابن عبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: لما تزوَّج عليٌّ فاطمةَ قال له رَسُولُ الله ﷺ: «**أعطِها شيئًا**» قال: ما عندي شيء، قال: «**أين دِرْعُكَ الحُطَمِيَّةُ؟**[٣]»، وفي رواية للنسائي قال: «**أعطِها شيئًا**» قلت - أي علي -: مَا عِنْدِي مِنْ شَيْءٍ.

قَالَ: «**فَأَيْنَ دِرْعُكَ الحُطَمِيَّةُ؟**» قلت: هي عندي، قَالَ: «**فأعْطِهَا إيَّاه**»[٤].

عباد الله...

هذه أدلّة صحيحة فيها حثّ عَلَى تيسير المهور، وسيأتي المزيد - إن شاء الله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

---

(١) رقم (٦/ ١٨٠)

(٢) وقال الشيخ الألباني -رَحِمَهُ الله - في «الإرواء» (١٩٢٧): ثم هو منكر المتن فإن الآية لا تنافي توجيه عمر إلى ترك المغالاة في المهور. ا.هـ.

(٣) **الحطميّة**: منسوبة إلى حطمة بطن من عبد القيس، وكانوا يعملون في الدروع، ويقال: إنها الدرع السابغة التي لم تحطم السلاح. ذكره الخطابي في «معالم السنن».

(٤) **إسناده صحيح**: أخرجه النسائي (٦/ ١٢١ - ١٣٠)، وغيره، والذي قبله: رواه أبو داود.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ومن الأدلة عَلَى تيسير المهور:

عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: «**تَزَوَّجْ وَلَوْ بِخَاتَمٍ مِنْ حَدِيدٍ**»[1].

قال الشيخ مُقبل الوادعي - رَحِمَهُ الله -: وأمَّا قوله تَعَالى: ﴿**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا**﴾ [النساء: ٢٠]، فهذا إذا كان الزوج يرغب في ذَلِكَ ولا يشق عليه، وأمَّا أن يقول الوليّ: لا أزوِّج إلَّا بكذا، إنَّما يجعل المرأة كالسلعة التي تُباع، فهذا إساءة إلى المرأة والخاطب والمجتمع» ا.هـ.

وللحديث بقيّة - إن شاء الله تَعَالى.

۞۞۞۞۞

---

(١) أخرجه البخاري في «باب المهور بالعروض وخاتم من حديد».

الخطبة الثالثة والستون بعد المائة:

[ب] خطبة خاصة عن تيسير المهور

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فما زال الحديث موصولًا عن حياة أُمّ المؤمنين «أُمّ حبيبة» رَضِي الله عَنْهَا.

وكنتُ قَدْ ذكرتُ - بفضل الله تَعَالَى - في الخطبة السَّابقة بعض الأدلة المُرغّبة في تيسير المهور في الإسلام، مِمَّا يُسّهل طريق العِفّة ويحصّن الفروج، وهذه أدلة أخرى، يعقبها أقوال أهل العلم في هذا الشأن:

عباد الله...

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: «تَزَوَّجَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ، وَكَانَ صَدَاقُ مَا بَيْنَهُمَا

الإِسْلامُ، أَسْلَمَتْ أُمُّ سُلَيْم قَبْلَ أَبِي طَلْحَةَ فَخَطَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنْ أَسْلَمْتَ نَكَحْتُكَ، فَأَسْلَمَ وَكَانَ صَدَاقُ مَا بَيْنَهُمَا الإِسْلامُ».

وفي رواية، قَالَ أنس: «خَطَبَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْم قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنِّي فِيكَ لَرَاغِبَةٌ، وَمَا مِثْلُكَ يُرَدُّ، وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ كَافِرٌ وَأَنَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ، فَإِنْ تُسْلِمْ فَذَلِكَ مَهْرِي لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَتَزَوَّجَهَا أَبُو طَلْحَةَ».

قَالَ ثَابِتٌ[١]: فَمَا سَمِعْنَا بِامْرَأَةٍ قَطّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمّ سُلَيْمٍ فَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ[٢].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: أَنَّ امْرَأَةً عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ زَوِّجْنِيهَا. فَقَالَ: «**مَا عِنْدَكَ؟**».

قَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ.

قَالَ: «**اذْهَبْ فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**».

فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لَا وَاللهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي وَلَهَا نِصْفُهُ. قَالَ سَهْلٌ: وَمَا لَهُ رِدَاءٌ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَمَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ**».

فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَعَاهُ أَوْ دُعِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ: «**مَاذَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ؟**».

فَقَالَ: مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا لِسُوَرٍ يُعَدِّدُهَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمْلَكْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ**». وفي رواية: «**أَنْكَحْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ**»[٣].

---

(١) يعني: البُناني -رَحِمَهُ الله-.

(٢) حديثان صحيحان.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم.

عباد الله...

إن غلاء المهور في عصرنا عاق حركة الزَّواج، وأدَّى إلى انتشار العنوسة، ودفع للفاحشة دفعًا.

أضيفوا لما سبق: ما يُصاحب أفراحنا مِن إسراف ومُنكرات، وعري وتبرج واختلاط.

وإتمامًا للفائدة، أقرأ عَلَى حضراتكم رسالة هامَّة كتبها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رَحِمَهُ الله - تتعلّق بهذا الشَّأن:

قَالَ - رَحِمَهُ الله -: «من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى مَن يراه من إخواننا المسلمين وفَّقني الله وإيَّاهم لـَما يُحبه ويرضاه وجنبنا جميعًا الوقوع فيما حرَّمه ونهى عنه، آمين...

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته... أما بعد:

فقد شكا إليَّ العديد مِن أهل الغيرة والصَّلاح ما فشا في المجتمع من ظاهرة المغالاة في المهور والإسراف في حفلات الزَّواج وتنافس النَّاس في البذخ وإنفاق الأموال الطائلة في ذَلِكَ، وما يقع في الحفلات غالبًا من الأمور المحرَّمة المنكرة كالتصوير واختلاط الرجال بالنِّساء وإعلان أصوات المغنين والمغنيات بمكبرات الصوت واستعمال آلات الملاهي، وصرف الأموال الكثيرة في هَذِهِ المحرَّمات، وكل ذَلِكَ مِمَّا أدى بكثير من الشباب إلى الانصراف عن الزواج لعدم قدرتهم عَلَى دفع تكاليفه الباهظة، وإنَّما الجائز في الأعراس للنساء خاصة: ضرب الدُّف والغِناء العادي بينهن، إعلانًا للنِّكاح وتمييزًا له عن السِّفاح كما جاءت السُّنة بذلك، بدون إعلان ذَلِكَ بمكبرات الصوت.

وحيث أن الكثير من النَّاس يفعلون تلك الأمور المحرَّمة تقليدًا للآخرين وجهلًا بسنّة سيِّد الأولين والآخرين، رأيت كتابة هَذِهِ الكلمة نصحًا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فأقول والله المستعان:

من المعلوم أن النِّكاح من سنن المرسلين، وقَدْ أمر الله ورسوله به، قَالَ تَعَالَى:

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ الآية [النساء: ٣]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(١).

وقال في حديث آخر: «لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٢).

وإن عَلَى المسلمين عامة وولاة أمورهم خاصَّة أن يعملوا عَلَى تحقيق هَذِهِ السُّنة وتيسيرها تحقيقًا لما رويَ عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أتاكم مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فزوجوه، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كبير»(٣).

وروى مسلم في «صحيحه» وأبو داود والنَّسائي عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَمْ كَانَ صَدَاقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا، قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشُّ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَتْ: نِصْفُ أُوقِيَّةٍ فَتِلْكَ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ.

وعَنْ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي العَجْفَاءِ السُّلَمِيِّ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: أَلَا لَا تُغَالُوا صَدُقَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ، مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَكَحَ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ وَلَا أَنْكَحَ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِهِ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً. قَالَ الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقَدْ ثبت في الصحيحين وغيرهما عن سهل بن سعد الأنصاري رَضِيَ الله عَنْهُ أن النَّبي ﷺ زوج امرأة عَلَى رجل فقير ليس عنده شيء من المال، بما معه من القرآن.

وروى أحمد والبيهقي والحاكم أنه: «مِنْ يُمْنِ المَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا».

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

ومع هَذِهِ السُّنة الواضحة الصَّريحة مِن أقوال الرَّسول ﷺ وفعله، فقد وقع كثير من النَّاس فيما يخالفها، كما خالفوا أمر الله ورسوله في إنفاق الأموال في غير وجهها، فقد حذَّر الله في كتابه العزيز من الإسراف والتبذير، فقال: ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وأخبر عَزَّ وَجَلَّ أنَّ مِن صفات المؤمنين: التَّوسط والاعتدال في الإنفاق، فقال تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

فأمر بإنكاح الأيامى أمرًا مطلقًا ليعمّ الغني والفقير، وبيَّن أنَّ الفقر لا يمنع التزويج لأن الأرزاق بيده سبحانه، وهو قادر عَلَى تغيير حال الفقير حتى يصبح غنيًّا، وإذا كانت الشريعة الإسلامية قَدْ رغَّبت في الزَّواج وحثت عليه، فإنَّ عَلَى المسلمين أن يبادروا إلى امتثال أمر الله وأمر رسوله ﷺ بتيسير الزواج وعدم التكلّف فيه، وبذلك ينجز الله لهم ما وعدهم. قال أبو بكر الصديق رَضِي الله عَنْهُ: «أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى».

وعن ابن مسعود رَضِي الله عَنْهُ قال: «التمسوا الغنى في النكاح».

فيا عباد الله...

اتقوا الله في أنفسكم وفيمن ولَّاكم الله عليهنَّ من البنات والأخوات وغيرهنَّ، وفي إخوانكم المسلمين، واسعوا جميعًا إلى تحقيق البر في المجتمع وتيسير سبل نموه وتكاثره، ودفع أسباب انتشار الفساد والجرائم، ولا تجعلوا نعمة الله عليكم سُلمًا إلى عصيانه، وتذكروا دائمًا أنكم مسئولون ومُحاسبون عَلَى تصرفاتكم، كما قال تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

وثبت عنه ﷺ أنَّهُ قال: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ

عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أنفقه، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ» [(١)].

فبادروا إلى تزويج أبنائكم وبناتكم مقتدين بنبيكم وصحابته الكرام، والسَّائرين عَلَى هديهم وطريقهم، واحرصوا عَلَى تزويج الأتقياء ذوي الأمانة والدِّين، واقتصدوا في تكاليف الزواج ووليمته، ولا تغالوا في المهور أَوْ تشترطوا دفع أشياء تثقل كاهل الزوج، وإذا كانت لديكم فضول أموال فأنفقوها في وجوه البر والإحسان ومساعدة الفقراء والأيتام، وفي الدعوة إلى الله وإقامة المساجد، فذلك خيرٌ وأبقى وأسلم في الدُّنيا والآخرة من صرفها في الولائم الكبيرة ومباهاة النَّاس في مثل هذه المناسبات، وليتذكر كل مَن فكر في إقامة الحفلات الكبيرة وإحضار المغنين والمغنيات لما في ذَلِكَ من الخطر العظيم، وأنه يخشى عليه بذلك أن يكون ممن كفر نعمة الله ولم يشكرها، وسوف يَلقى الله ويسأله عن كل ما عمل، فليقتصد في ذَلِكَ وليتحرى في حفلات الأعراس وغيرها ما أباح الله دون ما حرَّم.

وينبغي لعلماء المسلمين وأمرائهم وأعيانهم أن يعنوا بهذا الأمر وأن يجتهدوا في أن يكونوا أسوة حسنة لغيرهم، لأن النَّاس يتأسون بهم ويسيرون ورائهم في الخير والشر، فرحم الله امرءًا جعل مِن نفسه أسوة حسنة وقدوة طيبة للمسلمين في هذا الباب وغيره.

ففي الحديث الصحيح عن النَّبي ﷺ أنه قال: **«مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»** [(٢)].

وأسأل الله أن يمنَّ عَلَى المسلمين بالتوبة الصَّادقة والعمل الصَّالح والفقه في الدِّين والعمل بالشَّريعة المطهَّرة في كل شئونهم، حتى تستقيم أمورهم وتصلح أحوالهم،

---

(١) رواه البزار والطبراني بإسناد صحيح.

(٢) رواه مسلم.

ويسعد مجتمعهم ويسلمون من غضب الله وأسباب عقابه، والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم عَلَى عبده ورسوله نبيِّنا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين» ا.هـ.

عباد الله...

وبهذه الرسالة المهمَّة، نأتي إلى خِتام الخطبة الأولى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ولمزيد بيان، أقرأ عَلَى حضراتكم قرار هيئة كِبار العلماء بالسعودية، الصادر برقم (٥٢) بتاريخ ٤/ ٤/ ١٣٩٧هـ، في «**تحديد مهور النِّساء**»، جاء فيه:

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فإن مجلس هيئة كبار العلماء قد اطلع في دورته العاشرة المعقودة في مدينة الرياض فيما بين يوم ٢١/ ٣/ ١٣٩٧هـ و ١/ ٤/ ١٣٩٧هـ على البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة من هيئة كبار العلماء في موضوع «**تحديد مهور النِّسَاء**» بناءًا على ما قضى به أمر سمو نائب رئيس مجلس الوزراء من عرض هذا الموضوع على هيئة كبار العلماء لإفادة سموه بما يتقرر، وجرى استعراض بعض ما رفع للجهات المسئولة عن تمادي الناس في المغالاة في المهور والتسابق في إظهار البذخ والإسراف في حفلات الزواج، وبتجاوز الحد في الولائم وما يصحبها من إضاءات عظيمة خارجة عن حدِّ الاعتدال، ولهو وغناء بآلات طرب محرَّمة بأصوات عالية قد تستمر طوال الليل حتى تعلو في بعض الأحيان على أصوات المؤذنين في صلاة الصبح، وما يسبق ذلك من ولائم الخطوبة وولائم عقد القران.

كما استعرض بعض ما ورد في الحث على تخفيف المهور والاعتدال في النفقات والبعد عن الإسراف والتبذير، فمن ذلك قوله الله تعالى: ﴿**وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ**

الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

وقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم وأبو داود والنسائي عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَمْ كَانَ صَدَاقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشًّا، قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشُّ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَتْ: نِصْفُ أُوقِيَّةٍ فَتِلْكَ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ.

وقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: أَلَا لَا تُغَالُوا صَدُقَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللهِ لَكَانَ أَوْلَاكُمْ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ، مَا عَلِمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَكَحَ شَيْئًا مِنْ نِسَائِهِ وَلَا أَنْكَحَ شَيْئًا مِنْ بَنَاتِهِ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً. قَالَ الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي ﷺ زوج امرأة رجلا بما معه من القرآن.

وإن كان الرجل ليبتلي بصدقة امرأته حتى يكون عداوة في نفسه وحتى يقول كلفت لك علق القربة[1].

والأحاديث والآثار في الحض على الاعتدال في النفقات والنهي عن تجاوز الحاجة كثيرة معلومة، وبناء على ذلك ولما يسببه هذا التمادي في المغالاة في المهور والمسابقة في التوسع في الولائم بتجاوز الحدود المعقولة وتعدادها قبل الزواج وبعده، وما صاحب ذلك من أمور محرمة تدعو إلى تفسخ الأخلاق، من غناء واختلاط الرجال بالنساء في بعض الأحيان، ومباشرة الرجال لخدمة النساء في الفنادق إذا أقيمت الحفلات فيها مما يعد من أفحش المنكرات، ولما يسببه الانزلاق في هذا الميدان من عجز الكثير من الناس عن نفقات الزواج فيجرهم ذلك إلى الزواج من مجتمع لا يتفق في أخلاقه وتقاليده مع مجتمعنا، فيكثر الانحراف في العقيدة والأخلاق بل قد يجر هذا التوسع الفاحش إلى انحراف الشباب من بنين وبنات، **ولذلك كله فإن مجلس هيئة كبار العلماء يرى ضرورة معالجة هذا الوضع معالجة جادة وحازمة بما يلي:**

---

(١) أي تحمَّلت لأجلك كل شيء حتى علق القربة وهو حبْك الذي تعلّق به.

١- يري المجلس منع الغناء الذي أحدث في حفلات الزواج بما يصحبه من آلات اللهو وما يستأجر له من مغنين ومغنيات وبآلات تكبير الصوت، لأن ذلك منكر محرم يجب منعه ومعاقبة فاعله.

٢- منع اختلاط الرجال بالنساء في حفلات الزواج وغيرها ومنع دخول الزوج على زوجته بين النساء السافرات، ومعاقبة من يحصل عندهم ذلك من زوج وأولياء الزوجة معاقبة تزجر عن مثل هذا من المنكر.

٣- منع الإسراف وتجاوز الحد في ولائم الزواج وتحذير الناس من ذلك بواسطة مأذوني عقود الأنكحة وفي وسائل الإعلام، وأن يرغب الناس في تخفيف المهور ويذم لهم الإسراف في ذلك على منابر المساجد، وفي مجالس العلم وفي برامج التوعية التي تبث في أجهزة الإعلام.

٤- يرى المجلس بالأكثرية معاقبة من أسرف في ولائم الأعراس إسرافا بيِّنًا، وأن يحال بواسطة أهل الحسبة إلى المحاكم ليعزر من يثبت مجاوزته الحد بما يراه الحاكم الشرعي من عقوبة رادعة زاجرة تكبح جماح الناس عن هذا الميدان المخيف، لأن من الناس من لا يمتنع إلا بعقوبة وولي الأمر وفقه الله عليه أن يعالج مشكلات الأمة بما يصلحها ويقضي على أسباب انحرافها وأن يوقع على كل مخالف من العقوبة ما يكفي لكفّه.

٥- يرى المجلس الحث على تقليل المهور والترغيب في ذلك على منابر المساجد وفي وسائل الإعلام وذكر الأمثلة التي تكون قدوة في تسهيل الزواج إذا وجد من الناس من يرد بعض ما يدفع إليه من مهر أو اقتصر على حفلة متواضعة لما في القدوة من التأثير.

٦- يرى المجلس أن من أنجح الوسائل في القضاء على السرف والإسراف أن يبدأ بذلك قادة الناس من الأمراء والعلماء وغيرهم من وجهاء الناس وأعيانهم وما لم يمتنع هؤلاء من الإسراف وإظهار البذخ والتبذير، فإن عامة الناس لا يمتنعون من ذلك لأنهم تبع لرؤسائهم وأعيان مجتمعهم فعلى ولاة الأمر أن يبدأوا في ذلك بأنفسهم ويأمرون به ذوي خاصتهم قبل غيرهم ويؤكدوا على ذلك اقتداءًا برسول الله ﷺ،

وصحابته - رضوان الله عليهم - واحتياطًا لمجتمعهم لئلا تتفشى فيه العزوبة التي ينتج عنها انحراف الأخلاق وشيوع الفساد، وولاة الأمر مسئولون أمام الله عن هذه الأمة وواجب عليهم كفهم عن السوء ومنع أسبابه عنهم، وعليهم تقصي الأسباب التي تثبط الشباب عن الزواج، ليعالجوها بما يقضي على هذه الظاهرة، والحكومة أعانها الله ووفقها قادرة بما أعطاها الله من إمكانيات متوفرة ورغبة أكيدة في الإصلاح أن تقضي على كل ما يضر بهذا المجتمع أو يوجد فيه أي انحراف، وفقها الله لنصرة دينه وإعلاء كلمته وإصلاح عباده وأثابها أجزل الثواب في الدنيا والآخرة، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلم» [١].

هيئة كبار العلماء

عباد الله...

وبهذا البيان، نأتي إلى ختام قصّة أُمِّنا «أُمّ حبيبة» رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

عاشت أُم حبيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في خلافة أخيها معاوية بن أبي سفيان، وتروي لنا كُتب السِّيرة والتاريخ أنها حين مرضت مرضها الذي ماتت فيه دعت السَّيِّدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقالت لها: قَدْ كان بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولكِ ما كان من ذَلِكَ، قالت عائشة: غفر الله لكِ ذَلِكَ كله، وتجاوزه، وحللتك من ذَلِكَ كله. فقالت لها: سررتني سَرَّكِ الله، ثم أرسلت إلى أُمّ سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقالت لها مثل ذَلِكَ [٢].

وهكذا أحبت أُمّ حبيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن تلقى الله تَعَالَى وهي طيِّبة النَّفس.

يا لها من نفوس كبيرة، وضمائر حيَّة، واستقامة لا ترى فيها عِوَجًا ولا أَمْتا.

عباد الله...

وفي سنة أربع وأربعين، وبالتحديد في خلافة معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تُوفيت أُمّ حبيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

---

(١) «مجلة البحوث الإسلامية» المجلد الثاني، العدد الأول.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» وغيره.

الخطبة الرابعة والستون بعد المائة:

مع أُم المؤمنين جُويرية بنت الحارث

حِكَمٌ، وعِظَاتٌ، ودروسٌ، وعِبَر

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فإن ذكر حياة أهل البَيْت فيه دروس وعظات وفوائد وعبر، نحن في أمسِّ الحاجة إليها في كُلِّ العصور.

فقد عمّ الجهل، واشتد ساعد الكارهين للإسلام، والمشوّهين له.

وما ينبغي بيانه هنا: أن هذا القَصص لا نذكره للتسلية، ولكن نذكره لربط المسلمين بماضيهم المشرَّف، عسى أن ينهضوا بواجبهم تجاه دينهم، والقيام بما افْتُرِض عليهم.

عباد الله...

ونلتقي اليَّوم مع أُمّ المؤمنين «**جُوَيرية بنت الحارث**» رَضِيَ الله عَنْهَا.

فمن هي؟

وما هي قصتها؟

هي جُوَيرية بنت الحارث بنت سَيِّد قومها بني المُصطلق، وحارب أهلها رَسُول الله ﷺ وانتصر عليهم جيش الإسلام بقيادة الرَّسول صلوات رَبِّي وسلامه عليه، ووقعت بنت سيِّد قومها في الغنائم والسَّبي وكانت في سهم الصَّحابي ثابت بن قيس، فكاتبها عَلَى تسع أواق من الذَّهب، ولكن حُسن تفكيرها وذكاؤها هداها إلى الذِّهاب إلى القائد العظيم رَسُول الله ﷺ كي تنال حريتها وتطلب العَون منه لذلك.

ونترك الحديث لأمِّنا عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا لتقصّ علينا ما حدث:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: «لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا بَنِى الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ فِى السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ وَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ تَسْتَعِينُهُ فِى كِتَابَتِهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ بْنِ أَبِى ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِى مِنَ البَلاَءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ فَوَقَعْتُ فِى السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِى فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِى.

قَالَ: «**فَهَلْ لَكِ فِى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟**».

قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «**أَقْضِى كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ**».

قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «**قَدْ فَعَلْتُ**».

قَالَتْ: وَخَرَجَ الخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الحَارِثِ. فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ.

قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِى الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً

كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا»[(١)].

ولما رأى بنو المصطلق هذا السّمو، وهذا العفو والكرم أسلموا جميعًا، وآمنوا بالله ورسوله. فكانت جُويرية أيمن امرأة عَلَى قومها.

وهذا ما كان يرجوه النَّبي ﷺ من نجاح دعوته بين النَّاس، فهل تجد النَّفوس الحكيمة رأيًا أسمى من هذا الذي رآه الرَّسول العظيم، بثاقب رأيه وعظيم حكمته؟ وحاشا ثم حاشا أن يرى غير الرَّسول مثل هذا الرأي الذي تخر الجباه ساجدة لله الذي علَّم الرَّسول ما لم يكن يعلم[(٢)].

وقال ابن حجر - رَحِمَهُ الله - في «الإصابة»[(٣)]: إنَّ أباها الحارث قدم عَلَى النَّبي ﷺ فأسلم.

عباد الله...

وفيما تقدَّم ردٌّ عَلَى الخرَّاصين الذين زعموا أن الإسلام انتشر بالسَّيف.

ونقول لهؤلاء:

والدعاوى ما لم تُقيموا عليها ... بَيِّناتٍ أبناؤها أدْعياءُ

ونقول لهم:

وليس يصح في الأذهان شيءٌ ... إذا احتاج النَّهار إلى دليل

إن المسلمين ما استعملوا السَّيف إلَّا في وجه الطغيان، وضد القوى الطاغية التي وقفت حائلًا دون إيصال الدَّعوة إلى النَّاس.

فالأصل في الإسلام السَّلام، ولكنه سلام عزيز مسلح، فالله هو السَّلام، والجنة دار السَّلام، وتحية الملائكة لأهل الجَنَّة سلام، وتحية الله للمؤمنين يوم يلقونه سلام، وتحيته سبحانه لنبيِّه: «السلام عليك أيُّها النبي ورحمة الله وبركاته»، فهذا هو الأصل في

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) «زوجات النبيّ الطَّاهرات» لمحمد محمود الصَّواف (٧٤، ٧٥).

(٣) (٢/ ١٦٠)

معاملات الإسلام الخارجية، سلامٌ مبنيّ عَلَى العزة والكرامة، أمَّا السَّلام الذليل المستكين، فالإسلام لا يعرفه ولا يقره، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

واسألوا التاريخ: أي المعسكرين اعتدى عَلَى الآخر، معسكر الشِّرك أم معسكر التوحيد؟ إن التاريخ يشهد والحقائق تؤكد أن معسكر الشِّرك كان البادئ بالعدوان، فهل يقف معسكر التوحيد ذليلًا يستجدي معسكر الشِّرك؟ لا والله، إنَّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وما رفع الإسلام السَّيف إلَّا في وجه السَّيف، إذ لا يفل الحديد إلَّا الحديد، وهل رفع الإسلام السَّيف إلَّا للقضاء عَلَى السَّيف.

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا	لقتل نفسٍ ولا جاءوا لسفك دمِ
جهل وتضليل أحلام وسفسطة	غزوت بالسَّيف بعد الغزو بالقلمِ
والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا	فالحرب أجدى عَلَى الدنيا من السلمِ
والحرب إن تلقها بالسلم ضقت بها	ذرعًا إن تلقها بالسَّيف تنحسمِ

قال رباعي بن عامر لقادة الفرس عندما سألوه: ما الذي جاء بكم إلينا؟ قال: إنَّ الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة الأوثان إلى عبادة الله وحده، ومِن ظلم الإنسان إلى عدل الإسلام، ومَن ضِيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

سيدي أبا القاسم يا رسول الله:

الحرب في حق لديك شريعة	ومن السموم الناقعات دواء

قولوا للشانئين الحاقدين الحاسدين: ما قامت دعوة الإسلام عَلَى السَّيف، إنما قامت عَلَى الحجة والبرهان، فيوم أعلن الرسول كلمة التوحيد، كان وحده، ويوم انضم أبو بكر إلى رسول الله لم ينضم بالسيف، ويوم انضم إليهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وسعيد بن زيد وأبو عبيدة لم ينضموا بالسيف، فالإسلام عقيدة والعقيدة من أعمال القلوب، ولا سلطان للسيف عَلَى ما في القلب، ونسبة البلاد التي فتحت بالأعمال العسكرية بنسبة خمسة عشر في المائة، والباقون دخلوا الإسلام بطريق التجارة التي كان يتولاها تجار المسلمين في شرق البلاد وغربها.

ثم اسألوا التاريخ: متى استعمل الإسلام السَّيف ضد القوى المادية الضاغطة التي وقفت كابوسًا ضاغطًا يصد عن سبيل الله؟

ثم استألوا التاريخ: كم عدد الذين قتلوا أَوْ استشهدوا في غزوات الرسول كلها؟ من الجانبين لا يتجاوزون ألفًا وثمانية عشر رجلًا، منهم مائتان وثمانية وخمسون شهيدًا والباقون مشركين، بينما سقط في الحرب العالمية الأولى واحد وعشرون مليونًا، وفي الحرب العالمية الثانية خمسون مليونًا ما بين قتيلٍ وجريحٍ ومعوّق، ألا يأخذ هؤلاء الحياء؟! ثم ألا يشعرون بالخزي وهم البرابرة الذين دمروا الشعوب واستنزفوا خيراتها تحت اسم الاستعمار، وما هو استعمار وإنما استخراب.

واسألوا التاريخ عن بلد المليون شهيد؟ الجزائر التي وقفت وصمدت أمام الإمبراطورية الفرنسية، وزيادة في الإيضاح فإننا نذكر في قضية الحرب والسلام ما ذكره اللواء محمود شيت خطاب في كتابه «الرسول القائد» تحت عنوان: «القتال في الإسلام»: «معنى القتال في الإسلام: هو قتال العدوّ لتأمين حرية نشر الدَّعوة وتوطيد أركان السلام، مع مراعاة حرب الفروسية الشريفة في الإسلام.

عباد الله...

ولعل هناك من يسأل: متى شرع القتال في الإسلام؟

والجواب: لم يؤذن للمسلمين في القتال قبل الهجرة رغم ما ذاقوا من المر، وكابدوا من فنون الأسى والضرّ، فلم يكن همهم إلَّا أن ينشروا دعوة، ويثبتوا عقيدة، ويقولوا في حرارة وصدق: ربنا الله، فلما اشتد عداء قريش وصمموا عَلَى القضاء عَلَى الدَّعوة، وأجمعوا أمرهم عَلَى قتل النبي ﷺ، هاجر هو وأصحابه إلى المدينة، فهل وقف البغي وخفت حدّة العداوة؟ كلا، ظلت قريش تحارب المسلمين، وتخرجهم من ديارهم وأموالهم، حتى أذن الله للمسلمين في القتال، فنزلت فيه أول آية: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّـهُ**﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، لقد خرج الرسول ﷺ غازيًا في صفر عَلَى رأس اثني عشر شهرًا من مقدمه إلى المدينة، وبذلك بدأ القتال فعلًا في الإسلام.

هذا، ولقد حدّد الإسلامُ هدفين للقتال:

الأول: حماية حرية نشر الدَّعوة: ليس من أهداف الحرب في الإسلام نشر الدَّعوة، بل حماية حرية نشرها، لأن نشر الإسلام بالقوّة معناه الإكراه، والله تَعَالَى يقول: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ**﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولو كان القتل في انتشار الإسلام بسيوف أهله ورماحهم، لزال سلطانه من القلوب بزوال سلطان دولته حين ضعف أهله وغلبوا عَلَى أمرهم، ولكن هدف الحرب في الإسلام هو حماية العقيدة، وتأمين حرية انتشارها بين النَّاس، وصد الاعتداء الخارجيّ عَلَى بلاد المسلمين، ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٠]. إن الحرب في الإسلام حرب دفاعية، لا يبدأ المسلمون فيها بالاعتداء عَلَى أحد، ولا يقاتلون إلا مكرهين عَلَى القتال، ويعتبرون الحرب كفاح شرف، ولا يجوز أن يلجأ المحاربون فيها إلى عمل أَوْ إجراء يتنافي مع الشرف، فهم مقيدون باحترام العهد والترفع عن الخيانة، ومواساة الجرحى والمرضى والأسرى والعناية بهم، وعدم التعرّض بسوء لغير المتقاتلين، وعدم التعرض للنساء والأطفال والشيوخ والرهبان والعبيد والفلاحين... إلخ.

الثاني: توطيد أركان الإسلام: تكون الأمة بغير جيش قويّ عرضة للضياع، إذ يطمع فيها أعداؤها ولا يهابون قوتها؛ فإذا كان لها جيش قوي احترم العدو إرادتها، فلا تحدثه نفسه باعتداءٍ عليها، فيسود عند ذاك السلام، يقول سبحانه: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ * وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ [الأنفال: ٦٠، ٦١]. وقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾ [البقرة: ٢٠٨].

إن الإسلام كما تدل عليه تسميته دين أمن وسلام، يقوم عَلَى أساس الود والتسامح، ولا يجيز الحرب إلَّا في حالات محدودة بحيث تعتبر فيما عداها جريمة.

عباد الله...

وقَدْ وضع الإسلام آدابًا للقتال:

شرَّع قتال المسلمين لغير المسلمين لرد العدوان وحماية الدعوة وحرية انتشار

الدِّين، والقرآن الكريم حينما شرَّع القتال نأى به عن جوانب الطمع والاستئثار وإذلال الضعفاء، وتوخى به أن يكون طريقًا إلى السلام والاطمئنان وتركيز الحياة عَلَى موازين العدل والإنصاف.

وليست الجزية عوضًا ماليًا عن دم أَوْ عقيدة، وإنما هي لحماية المغلوبين في أموالهم وعقائدهم وأعراضهم وكرامتهم، وتمكينهم من التمتع بحقوق الرعاية مع المسلمين سواء بسواء، يدل عَلَى ذَلِكَ أن جميع المعاهدات التي تمت بين المسلمين وبين المغلوبين من سكان البلاد كانت تنص عَلَى هذه الحماية في العقائد والأموال، وقَدْ جاء في عهد خالد بن الوليد لصاحب قس الناطف: «إني عاهدتكم عَلَى الجزية والمنعة، فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا حتى نمنعكم».

ولقد رد خالد بن الوليد عَلَى أهل حمص، وأبو عبيدة عَلَى أهل دمشق، وبقية قواد المسلمين عَلَى أهل المدن الشامية المفتوحة ما أخذوه منهم من الجزية حين اضطر المسلمون إلى مغادرتها قبيل معركة اليرموك، وكان مِمَّا قاله القواد المسلمون لأهل تلك المدن: «إنَّا كنا قَدْ أخذنا منكم الجزية عَلَى المنعة والحماية، ونحن الآن عاجزون عن حمايتكم، فهذه هي أموالكم نردها إليكم».

لقد كان فرض الجزية في الإسلام أبعد ما يكون عن الاستغلال والطمع في أموال المغلوبين، إذ كانت تفرض بمقادير قليلة عَلَى المحاربين والقادرين عَلَى العمل فحسب، وكانت عَلَى ثلاثة أقسام:

أعلاها: وهو (٤٨) درهمًا في السنة عَلَى الأغنياء (حوالي دينارين ونصف دينار عراقي أَوْ عشرين ليرة سورية أَوْ لبنانية أَوْ (٢٤٠) قرشًا مصريًّا).

وأوسطها: وهو (٢٤) درهمًا في السنة عَلَى المتوسطين من تجار وزراع.

وأدناها: وهو (١٢) درهمًا في السنة عَلَى العمال المحترفين الذين يجدون عملًا، وهذا مبلغ لا يكاد يذكر بجانب ما يدفعه المسلم نفسه من زكاة ماله، وهو بنسبة اثنين ونصف في المائة، القدر الشرعي لفريضة الزكاة.

إن إسقاط الجزية عن الفقير والصَّبي والمرأة والراهب والمنقطع للعبادة والأعمى والمقعد وذوي العاهات؛ أكبر دليلٌ عَلَى أن الجزية يراعى فيها قدرة المكلفين عَلَى دفعها،

كما أن تقسيمها إلى ثلاث فئات دليلٌ عَلَى مراعاة رفع الحرج والمشقة في تحصيلها، وقَدْ جاء في عهد خالد لصاحب قس الناطف: «إني عاهدتكم عَلَى الجزية والمنعة عَلَى كل ذي يد: القوي عَلَى قدر قوته، والمقلّ عَلَى قدر إقلاله»، ليس ذَلِكَ فحسب، بل الإسلام أعفى دافع الجزية من الخدمة في الجيش، والذِّمي الذي يقبل التطوع في الجيش الإسلامي تسقط عنه الجزية، وهذا معناه أن الجزية تشابه البدل النقدي للخدمة العسكرية في عصرنا الحاضر، كما ضمن الإسلام إعالة البائسين والمحتاجين من الذميين، جاء بعهد خالد بن الوليد لأهل الحِيرة: «وأيما شخص ضعف عن العمل، أَوْ أصابته آفة من الآفات، أَوْ كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته وأعيل من بيت مال المسلمين وعياله».

إن فرض الجزية لا يحمل معنى الامتهان والإذلال، ومعنى ﴿صَاغِرُونَ﴾ في آية الجزية ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] هو الخضوع، إذ من معاني الصِغار في اللغة: الخضوع، ومنه أطلق «الصغير» عَلَى الطفل، لأنه يخضع لأبويه ولمن هو أكبر منه، والمراد بالخضوع حينئذ: الخضوع لسلطان الدولة، بحيث يكون، في دفع الجزية ومن الالتزام من قِبَل أهل الذمة بالولاء للدولة، كما تلتزم الدولة لقاء ذَلِكَ بحمايتهم ورعايتهم واحترام عقائدهم.

ولا توجد آية في القرآن الكريم تدلّ أَوْ تشير إلى أن القتال في الإسلام لحمل النَّاس عَلَى اعتناقه، وقَدْ نص القرآن الكريم بوضوح عَلَى طريقة معاملة المسلمين لغير المسلمين: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

واقرأ الآية الكريمة، وهي من أواخر القرآن نزولًا، فهي تحدد أيضًا علاقة المسلمين بغيرهم: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ

بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥].

ومن ذَلِكَ يُفهم أن علاقة المسلمين بغير المسلمين هي: بر وقسط ومصاهرة» ا.هـ[١].

عباد الله...

وبهذا بان طرف من حكمة شرعية القتال في الإسلام، وأن الإسلام لم يقهر أحدًا عَلَى الدخول فيه بالسَّيف، إذ النفاق[٢] مبغوض، وصاحبه في الدَّرك الأسفل من النار.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

وكانت جُويرية رَضِي الله عَنْهَا قبل قدوم النَّبيّ ﷺ وحربه لقومها قَدْ رأت رؤيا ذكرها الإمام البيهقيّ في «دلائل النبوّة» عَلَى لسانها، قالت: رأيت قبل قدوم النبيّ ﷺ بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر أحدًا، فلما سبينا (وقعت في الأسر) رجوت الرؤيا، فأعتقني وتزوجني.

وكان هذا الزواج بركة عَلَى قومها بنو المصطلق حيث أطلق المسلمون الأسرى من قومها لأنهم أصبحوا أصهار رَسُول الله ﷺ فأعتق يومها مائة من أهل بيت بني المصطلق، وأسلم منهم الكثير بما فيهم والدها الحارث[٣].

عباد الله...

ونقلت جُويرية - رَضِي الله عَنْهَا - إلينا علمًا غزيرًا من هذا العلم: ما رواه ابن عباس عَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحَارِثِ قَالَتْ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ غُدْوَةً وَأَنَا أُسَبِّحُ، ثُمَّ

---

(١) «في رحاب التفسير» (٣٤٩ - ٣٥٣).

(٢) العقائدي.

(٣) أخرجه أحمد والحاكم وغيرهما.

انْطَلَقَ لِحَاجَةٍ ثُمَّ رَجَعَ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ قَاعِدَةً؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ لَوْ عُدِلْنَ بِهِنَّ عَدَلَتْهُنَّ أَوْ لَوْ وُزِنَّ بِهِنَّ وَزَنَتْهُنَّ - يَعْنِي بِجَمِيعِ مَا سَبَّحَتْ -: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَا نَفْسِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

عباد الله...

وبعد حياة حافلة بالعطاء، معطّرة بالإيمان، تُوفِّيت أُم المؤمنين جُويرية سنة خمسين، رَضِي الله عَنْهَا وأرضاها.

۞۞۞۞۞

الخطبة الخامسة والستون بعد المائة:

مع أم المؤمنين صَفيّة بنت حُيَيّ

مواعظ وعظات ودروس وعبر

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فنلتقي اليوم - إن شاء الله تَعَالَى - مع قصّة أُمّ المؤمنين «صفيّة بنت حُيَيٍّ» رَضِي الله عَنْهَا.

فمن هي أُم المؤمنين صفيَّة؟

وما هي قصَّتها؟

هذا ما سيأتي بيانه - إن شاء الله.

أُم المؤمنين صفية هي: بنت حُييّ بن أخطب سيِّد قومه من يهود خَيبر، حارب رَسُول الله ﷺ وأظهر العداوة رغم أَنَّهُ يدرك أَنَّهُ رَسُول آخر الزمان المكتوب في التوراة.

وانتصر الله ورسوله وجنودهما عَلَى آخر معاقل اليهود في خَيبر، وقتل حيي بن أخطب ووقعت ابنته صفية أسيرة في السبي، وكانت صفية كما تحكي هي، وذكره ابن إسحاق عنها:

«كنت أحبّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، فلما قَدِمَ رَسُول الله ﷺ ونزل قباء في عمرو بن عوف غدا أبي حُيي بن أخطب فلم يرجعا مع غروب الشمس، فأتيا كالين كسلانين ساقطين، يمشيان الهويني، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليَّ أحد منهما مع ما بهما من الغمّ، وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟

قَالَ: نعم والله.

قَالَ: أتعرفه وتثبته؟

قَالَ:نعم.

قَالَ: فما في نفسك منه؟

قَالَ: عداوته ما بقيت.

وأدركت صفية أن الرسول حق وإنَّما كتم قومها أمره عن حقد وغيرة لا عن حق بعد أن ثبت بالدليل القاطع لديهم أَنَّهُ هو رَسُول آخر الزمان.

وبعد هزيمة اليهود وسقوط حصون خيبر في أيدي المسلمين وقعت صفية في الأسر والسَّبي، وكانت من نصيب الصحابي دحية بن خليفة رَضِيَ الله عَنْهُ وجاء رجل إلى النَّبي ﷺ يقول له: يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيِّدة بني قريظة وبني النضير لا تصلح إلا لك، قَالَ ﷺ: «**دعوه بها**».

فجاء بها، فلما نظر إليها قَالَ: «**خُذْ جارية من السَّبي غيرها**»، وذهب دحية وترك صَفيّة وأخذ غيرها من السَّبي، وكان لرسول الله ﷺ سهم من الغنائم يدعى الصفى

إن شاء عبدًا أو جارية أو فرسًا قبل الخُمس[١].

وخيَّرها رَسُول الله ﷺ بين أن يعتقها فترجع مع مَن بقي من قومها في خَيبر وبين أن تُسلم ويتزوجها، فاختارت الإسلام وتزوجها وكان مهرها عتاقها، وقالت صفية يومها لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله، لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني، حيث صرت إلى رحلك، وما لي في اليهودية من أرب، وما لي فيها والد ولا أخ من العتق وأن أرجع إلى قومي».

وأصبحت أُمّ المؤمنين صفية من أمهات المؤمنين بعد هذا الموقف الرائع الذي يدلّ عَلَى رجاحة عقلها، وحكمتها.

عباد الله...

وبعد الفتح المبين للمسلمين في خَيبر، وتزوج الرَّسول ﷺ من صفيّة رَضِيَ الله عَنْهَا، صار بالجيش إلى المدينة وبعد أن قطع ستة أميال أراد أن يَعرس بصفية ويبني بها، فرفضت صفيّة أن يدخل بها النبي ﷺ في هذا المكان، فلما سار الجيش إلى مكان يسمى الصهباء بنى بها النَّبي ﷺ ودخل عليها بعد أن مشطتها أُم سليم الأنصارية وعطرتها، وسأل رَسُول الله ﷺ صفيّة صبيحة عرسها: «**مَا حَمَلَكِ عَلَى الامتناع مِن النزول أوَّلًا؟**»، قالت: خَشيتُ عليك من قُرب اليهود، فزادها ذلك الموقف حُبًّا لدى رَسُول الله ﷺ[٢].

فكان من ذكائها وحُسن تصرفها أن رفضت أن يدخل بها النَّبيّ ﷺ وما زال الجيش عَلَى بعد ستة أميال من مكان قومها في خيبر، وخشيت من غدرهم عَلَى رَسُول الله ﷺ[٣].

عباد الله...

ولقد كان النَّبي ﷺ يجلّ صفية، حَتَّى أَنَّهُ ليخرج لها من المعتكف تكرمةٌ لها، فقد كانت تأتيه ليلًا في معتكفه فتزوره، فحدثته، فلما خرج إليها مرّ رجلان من الأنصار،

(١) أخرجه أبو داود.

(٢) «الإصابة» لابن حجر.

(٣) «١٠٠ قصة من ذكاء الصحابيات» (٣٠، ٣١).

فلما رأيا الرسول ﷺ أسرعا، فقال لهما: «على رِسْلِكما إنها صَفِيَّةُ بنتُ حُيَيّ».

فقالا: سُبحانَ اللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ.

قالَ: «إِنَّ الشيطانَ يَجْرِي مِنَ الإنسانِ مَجْرَى الدَّمِ وإِنِّي خِفْتُ أَنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُما شَرًّا».

وفي رواية أخرى: فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ.

فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنِ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّى خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِى قَلُوبِكُمَا شَيْئًا»(١).

عباد الله...

وفي هذا الموقف دروس وعظات وفوائد الأُمّة في حاجة إليها عَلَى مرِّ العُصور وكرِّ الدُّهور.

قال الإمام النووي -رَحِمَهُ الله-: قَوله ﷺ: «**إِنَّمَا صَفِيَّة**» فَقَالَا: سُبحَان الله، فَقَالَ: «**إِنَّ الشَّيطَان يَجرِي مِن الإِنسَان مَجرَى الدَّم**».

الحَدِيث فِيهِ فَوَائِد؛ مِنهَا: بَيَان كَمَالِ شَفَقَته ﷺ عَلَى أُمَّته، وَمُرَاعَاته لِمَصَالِحِهِم، وَصِيَانَة قُلُوبهم وَجَوَارِحهم، وَكَانَ بِالمُؤمِنِينَ رَحِيمًا فَخَافَ ﷺ أَن يَلقِي الشَّيطَان فِي قُلُوبهمَا فَيَهلِكَا، فَإِنَّ ظَنَّ السُّوء بِالأَنبِيَاءِ كُفر بِالإِجمَاعِ، وَالكَبَائِر غَير جَائِزَة عَلَيهِم.

وَفِيهِ: أَنَّ مَن ظَنَّ شَيئًا مِن نَحو هَذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ كَفَرَ.

وَفِيهِ: جَوَاز زِيَارَة المَرأَة لِزَوجِهَا المُعتَكِف فِي لَيل أَو نَهَار، وَأَنَّهُ لَا يَضُرّ اِعتِكَافه، لَكِن يُكرَه الإِكثَار مِن مُجَالَسَتهَا وَالِاستِلذَاذ بِحَدِيثِهَا لِئَلَّا يَكُون ذَرِيعَة إِلَى الوِقَاع أَو إِلَى القُبلَة أَو نَحوهَا مِمَّا يُفسِد الِاعتِكَاف.

وَفِيهِ: اِستِحبَاب التَّحَرُّز مِن التَّعَرُّض لِسُوءِ ظَنّ النَّاس فِي الإِنسَان، وَطَلَب السَّلَامَة وَالِاعتِذَار بِالأَعذَارِ الصَّحِيحَة، وَأَنَّهُ مَتَى فَعَلَ مَا قَد يُنكَر ظَاهِره مِمَّا هُوَ حَقّ، وَقَد يَخفَى، أَن يُبَيِّن حَاله لِيَدفَع ظَنّ السُّوء.

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٦٤، ١٥٦)، ومسلم (٢١٧٥)، والترمذي (١١٧٢)، وغيرهم.

وَفِيهِ: الإِستِعدَاد لِلتَّحَفُّظِ مِن مَكَايِد الشَّيطَان فَإِنَّهُ يَجرِي مِن الإِنسَان مَجرَى الدَّم، فَيَتَأَهَّب الإِنسَان لِلاحتِرَازِ مِن وَسَاوِسه وَشَرّه، وَاللَّه أَعلَم» ا.هـ[1].

عباد الله...

وانتقل النَّبيُّ ﷺ إلى الرَّفيق الأعلى، وعاشت صفيّة رَضِي الله عَنْهَا بعده عابدة زاهدة، ومرّت عليها خلافة أبي بكر الصدِّيق، وخلافة عُمر رَضِيَ الله عَنْهُمَا، وجاءت خلافة عثمان بن عفان رَضِي الله عَنْهُ، وحدث فيها ما حدث من الفتن - كما مرّ بنا - ولما حاصره الثُّوار، كان لأُمِّنا صفيّة أروع المواقف في أثناء ذَلِكَ الحصار.

اسمعوا...

يروي كنانة مولى صفيّة: كُنتُ أقود بصفية لتَرُدَّ عَلَى عثمان بن عفان رَضِي الله عَنْهُ فلقيها الأشتر، فضرب وجه بغلتها حتى مالت، فقالت: ذروني، لا يفضحني هذا!! ثم وضعت خشبًا من منزلها إلى منزل عثمان، تنقل عليه الماء والطعام[2].

هكذا تسعى أُم المؤمنين في تخفيف أثر الحصار عَلَى الخليفة المظلوم عثمان بن عفان رَضِيَ الله عَنْهُ، فما أروعها وما أعظمها.

عباد الله...

ولأُمّ المؤمنين صفيّة مواقف أُخر لا تقلّ عمّا سبق، منها:

قَالَ ابن عبد البر - رَحِمَهُ الله -: روينا أن جارية لصفية بنت حُيَيٍّ رَضِيَ الله عَنْهَا أتت عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عَنْهُ فقالت: إن صفية تُحب السَّبت، وتصلُ اليهود. فبعث عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عَنْهُ يسألها. فقالت رَضِيَ الله عَنْهَا: أما السبت فلم أُحبهُ منذ أن أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحمًا، فأنا أَصِلُها، ثم قالت للجارية: ما حملك عَلَى ما صنعت؟ قالت الجارية: الشيطان. قالت صفية رَضِيَ الله عَنْهَا: فاذهبي، فأنتِ حُرَّةٌ[3].

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٤/ ٣٣٠).

(٢) سنده صحيح: أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٨/ ١٢٨).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٣٣)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ١٨٧٢).

هذا هو العفو في أسمى صوره وأحلى معانيه.

فأين هو في حياة المسلمين اليوم؟!

ومن المواقف الوضاءة لأم المؤمنين صفيّة رَضِيَ الله عَنْهَا والتي تدل عَلَى فهمها للإسلام والعبادة: ما ذكره أبو نعيم الأصبهاني أن نفرًا من المسلمين اجتمعوا في حجرة صفيّة بنت حيي زوج رَسُول الله ﷺ فذكروا الله وتلوا القرآن وسجدوا، فنادتهم صفية رَضِيَ الله عَنْهَا وقالت لهم: هذا السجود وتلاوة القرآن فأين البكاء[1].

وهذا الفهم منتزع من قوله تَعَالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا * قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٦- ١٠٩].

قَالَ الإمام القرطبيُّ - رَحِمَهُ الله -: قوله تَعَالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ هذه مبالغة في صِفتهم ومدحٌ لهم، وحقّ لكل مَن توسّم بالعلم وحصَّل منه شيئًا أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن، ويتواضع ويُذلّ.

وفي مسند الدَّارميّ أبي مُحَمَّد عن التَّيميّ، قَالَ: «مَنْ أُوتي مِن العلم ما لم يُبكِّيه، لخليق ألَّا يكون أُوتي عِلمًا؛ لأنَّ الله تَعَالى نَعَتَ العلماء، ثم تلا هَذِهِ الآية» ا.هـ[2].

عباد الله...

وبهذا الموقف نأتي إلى خِتام الخطبة الأولى.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

(١) «حلية الأولياء».

(٢) «تفسير القرطبي» (١٠/ ٣٠٦).

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

طالت الحياة بأمِّنا صفيّة، فعاشت حتى خلافة معاوية رَضِي الله عَنْهُ، وفي سنة خمسين، فاضت روحها إلى خالقها، ودُفنت بالبقيع[١].

عباد الله...

والموت مصير كُلّ حيّ، فأين المستعدّون له؟

أمـــا والله لـــو عَلِـــمَ الأنـــامُ ... لِمَـــا خُلقـــوا لَمَـــا غَفَلَـــوا ونامـــوا

لقـــد خُلُقـــوا لَـمَّـــا لَـــوْ بـــصَرتْهُ ... عـــيونُ قلـــوبهم تَاهـــوا وهَامُـــوا

ممـــاتٌ ثـــم قَبْـــرٌ ثـــم حَـــشْرٌ ... وتوبـــيخٌ وأهـــوالٌ عِظـــامُ

لـيوم الحـشر قَـدْ عَمَلـت رجـالٌ ... فَـــصَلُّوا مِـــنْ مَخَافـــته وصَـــامُوا

ونحـــن إذ نُهِيـــنا أو أُمِـــرْنَا ... كأهـــلِ الكَهـــفِ أيقـــاظٌ نـــيامُ

اللَّهُمَّ اجعلنا مِن أحبِّ خَلْقِك إليك، ومِن المقرَّبين لَدَيك

آمين... آمين... آمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

✡✡✡✡✡

---

(١) «أسد الغابة» (٧/ ١٦٩).

الخطبة السادسة والستون بعد المائة:

الحكمة البالغة من تعدّد زوجاته ﷺ

الحمد لله ربِّ العالمين، ﴿يَقُصُّ الـحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وأشهد أن لَا إله إِلَّا الله، وَحْدَه لَا شريك لَهُ، وأشهد أن محمدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار عَلَى نهجِهِ، واقتفى أثره، واتبع هداه إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ:

فهذه خطبة خاصَّة نتكلّم فيها - إن شاء الله تَعَالى - عن الحكمة البالغة من تعدد أزواج النَّبيّ ﷺ.

وكنا قَدْ أشرنا قَبْلُ إلى شيء من هذا دون تفصيل.

عباد الله...

أثار أعداء الإسلام شُبهات حول تعدّد زوجات النَّبيّ ﷺ، وسلّطوا سِهام حقدهم عَلَى النَّبيّ ﷺ ورموه بالعظائم وهو أطهر من ماء المُزن.

فاتهموه بأنه كان شهوانيًّا!! وهي دعوةٌ باطلة.

قال الشيخ عبد الحميد كشك -رَحِمَهُ الله- في كتابه «في رحاب التفسير»[1]:

«نعم إنها دعوى؛ لأنه لم يقم عليها دليل يثبت صحتها، وباطلة لأنها جاءت بدافع الحقد والحسد على رسول الإسلام، ونبعت من قلوب تفرز البغضاء كما يفرز الكبد عصارة الصفراء، لذلك رأينا ونحن نتكلم عن زواج المصطفى ﷺ بالسيدة خديجة -رضي الله عنها- أن نعقب بهذا البحث، لنلجم ألسنة الحاسدين الحاقدين الذين يحاولون أن يثيروا غبار الشبهات الباطلة على التعدد في أزواج رسول الله ﷺ وهم بذلك ينضحون ما في قلوبهم من زيغ.

فلو تحول الناس جميعًا إلى كناسين ليثيروا التراب على السماء يثيرونه على أنفسهم وتبقى السماء هي السماء. ضاحكة السِّن بسامة المحيا.

ما ضرّ شمس الضحى في الأفق ساطعة ... أن لا يرى نورها من ليس ذا بصر

نعم يا أعداء الله من المستشرقين ومن لف لفهم من المستغربين وأدعياء الثقافة، أن الرسول لن يضيره أن تنبح عليه هذه الأصوات، فستظل القافلة سائرة مهما كانت الذئاب تعوي.

وما ضرّ الورود وما عليها ... إذا المزكوم لم يُطْعَم شذاها

نعم، ثم نعم.

هل عرفتم مَن هو ذلك الذي تُحاولون أن تُوجهوا إليه هذه السِّهام الطائشة؟ إنه الرَّجل الذي بعثه الله ﴿**شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

ما يضر البحر أمسى زاخرًا ... أن رمى فيه غلامٌ بحجر

وها نحن أولاء نسلط مدفعية الإسلام الثقيلة على هذه المواقع فنأتي عليها جميعًا، فنذرها قاعًا صفصفًا.

---

(١) (٧٧٦ - وما بعدها) باختصار.

إن قصة زواجه ﷺ من خديجة - رضي الله عنها - كما ذكرنا سابقًا توضح للإنسان وضوحًا لا تلتبس معه الرؤية، أن رسول الله ﷺ لم يكن في اعتباره الاهتمام بأسباب المتعة الجسدية ومكتملاتها، فلو كان مهتمًا بذلك كبقية أقرانه من الشبان لطمع فيمن هي أقل منه سنًا، أو فيمن ليست أكبر منه على أقل تقدير، ويتجلى لنا أنه ﷺ إنما رغب فيها لشرفها ونبلها بين جماعتها وقومها حتى إنها كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة.

ولقد ظل هذا الزواج قائمًا حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عامًا وقد ناهز النبي ﷺ الخمسين من العمر دون أن يفكر خلالها بالزواج بأية امرأة أخرى.

وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء، والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية.

ولكن محمدا ﷺ تجاوز هذه الفترة من العمر دون أن يفكر كما قلنا بأن يضم إلى خديجة مثلها من الإناث زوجة أو أمة، ولو شاء لوجد الزوجة والكثير من الإماء دون أن يخرق بذلك عرفًا أو يخرج على مألوف، هذا فضلا عن أنه تزوج خديجة وهي أيم وكانت تكبره بما يقارب مثل عمره.

وفي هذا ما يلجم أفواه أولئك الذين يأكل الحقد أفئدتهم على الإسلام وقوة سلطانه من المبشرين والمستشرقين، وعبيدهم الذين يسيرون من ورائهم، ينعقون بما لا يسمعون إلا دعاء ونداء، صم بكم عمي فهم لا يعقلون.

إنهم يهرفون بما لا يعرفون، ويحاولون أن يطاولوا السماء وأن يمدوا إلى الشمس يدا شلاء.

إنهم يمضغون الهواء، ويفتلون من الرمال حبالا. لقد ظنوا أنهم واجدون في موضوع زواج النبي ﷺ مقتلاً يصاب منه الإسلام ويمكن أن تشوه منه سمعة المصطفى ﷺ.

وتخيلوا أنه بمقدورهم أن يجعلوه عند الناس في صورة الرَّجُل الشهواني الغارق في لذة الجسد، الغارق في معيشته المنزلية ورسالته العامة عن عفاف القلب والروح.

حاشا لله يا رسول الله. والله ما علمنا عليك من سوء، إنها فرية ما فيها مرية: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥].

عَلَّمتنا سِرَّ الحياة وقُدتنا	**للخير والتوفيق والبركات**
جنبتنا الزَّلل الكبير وصُنتنا	**مِن شهوة تطغى ومن نزوات**
إن شَرَّق القوم الكبار وغرَّبوا	**فإليك حتمًا مُنتهى الخطوات**
ضلّت علومهم برغم نبوغهم	**وتعرَّضوا لمهالك خطرات**
وتنكبوا سبل السلام وأقبلوا	**يتشدقون بأجوف الكلمات**
لو أحسنوا فهم السلام لأسلموا	**ما غير دينك سُلَّم لنجاة**

ما ثمة أدنى شك في أن المستشرقين والمبشرين يتخذون القدح في هذا الدِّين صناعة يتفرغون لها ويتكسّبون منها كما هو معلوم.

أما الأغرار الذين يسيرون وراءهم، فأكثرهم يخاصمون الإسلام عن السماع والتقليد، ولا يعنيهم أن يفتحوا أذهانهم لبحثٍ أو فهم، إنَّما هو هواية التقليد والاتباع، فخصامهم للإسلام ليس إلَّا نوعًا من الشارة التي قَدْ يعلقها الرجل عَلَى صدره، لمجرد أن يعرف بها بين النَّاس انتماؤه لجهة معينة، ومعلوم أن الشارة ليست أكثر من رمز، فخصومة هؤلاء للإسلام ليست سوى الرمز الذي يعلنون به عن هويتهم بين النَّاس.

إنهم ليسوا من هذا التاريخ الإسلامي في شيء، وإنَّما ولاءهم إنَّما هو لهذا الفكر الاستعماري، الذي يتمثل فيما يدعو إليه دعاة الاستعمار الفكري، مِن مبشرين ومستشرقين، فهذا هو اختيارهم من قبل أي بحث، ودون محاولة أي فهم.

أجل، إن مخاصمتهم للإسلام ليست إلَّا مجرد شارة يَسُمون بها أنفسهم بين قومهم، وبني جلدتهم، وليست عملًا فكريًّا بقصد البحث أو الحجاج، وإلا فموضوع زواج النبي ﷺ من أهون ما يمكن أن يستدل منه المسلم المتبصِّر العارف بدينه والمطَّلع عَلَى سيرة نبيِّه عَلَى عكس ما يُروجه خصوم هذا الدِّين تمامًا.

يريدون أن يلصقوا به ﷺ صورة الرَّجُل الشهواني الغارق في لذات الجسد، وموضوع زواجه ﷺ هو وحده الدليل الكافي على عكس ذلك تمامًا.

فالرجل الشهواني لا يعيش إلى الخامسة والعشرين من العمر في بيئة مثل بيئة العرب في جاهليتها عفيف النفس دون أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي

تموج من حوله.

والرَّجُل الشهواني لا يقبل بعد ذلك أن يتزوج من أيم لها ما يقرب من ضعف عمره(١)، ثم يعيش معها دون أن تمتد عينه إلى شيء مما حوله وأن من حوله الكثير وله إلى ذلك أكثر من سبيل إلى أن يتجاوز مرحلة الشباب ثم الكهولة ويدخل في مدارج الشيخوخة.

أما زواجه بعد ذلك من السيدة عائشة - رضي الله عنها - ثم من غيرها فإن لكل منهن قصة ولكل زواج حكمة وسبب يزيدان من إيمان المسلم بعظمة محمد ﷺ ورفعة شأنه وكمال أخلاقه، أيًا كانت الحكمة والسبب، فإنه لا يمكن أن يكون مجرد قضاء الوطر واستجابة للرغبة الجنسية، إذ لو كان كذلك لكان أحرى به أن يستجيب للوطر والرغبة النفسية في الوقت الطبيعي لهذه الرغبة وندائها، خصوصًا وقَدْ كان إذ ذاك خال الفكر، ليس له من هموم الدعوة ومشاغلها ما يصرفه عن حاجته الفطرية والطبيعية.

عباد الله....

تزوج عليه الصَّلاة والسَّلام بالسَّيدة خديجة رَضِيَ الله عَنْهَا ولها أربعون سنة(٢)، وهو ابن خمس وعشرين، ولم يدفعه لزواجها سوى أنها خطبته لنفسها، وكانت من أعفّ النِّساء، وأعرقهنَّ نسبًا وحسبًا، ولها بعد ذَلِكَ فضل السابقة في الإسلام، فلم يتقدمها إليه رجل ولا امرأة، وماتت وسنها خمس وستون سنة، وكانت مدة مقامها معه ﷺ خمسًا وعشرين سنة، ولم يتزوج عليها حَتَّى ماتت.

ولم يكن وفاؤه لخديجة رَضِيَ الله عَنْهَا وفاء المتعة والحس، بل وفاء الرُّوح والنَّفس، فلقد فضَّلها بعد ذَلِكَ عَلَى عائشة، وهي أصغر زوجاته وأحبهنَّ إليه.

فترى من هذا: أَنَّهُ ﷺ قضى عنفوان شبابه وزهرة حياته مع خديجة رَضِيَ الله عَنْهَا، ولم يتزوج عليها، وإنَّما تزوجها لعفافها، وعقلها، وطهرها، ومعاونتها له ومناصرتها إيَّاه.

---

(١) كانت خديجة رَضِي الله عَنْهَا عندما تزوجها النبي ﷺ في الخامسة والأربعين من عمرها، بينما كان النبيُّ ﷺ في الخامسة والعشرين عَلَى بعض الروايات.

(٢) وقيل: ولها خمس وأربعون سنة.

فقل لي بربك أين الشهوة والميل إلى النِّساء في هذا؟!

زواجه بالسَّيدة سَودة رَضِيَ الله عَنْهَا:

وتزوج بالسيدة سودة بنت زمعة - رضي الله عنها - وكانت زوجًا للسكران بن عمرو وكان قد أسلم قديمًا وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ومات حين قدما مكة ولو عادت إلى أهلها بعد موت زوجها لعذبوها وفتنوها عن دينها فكفلها ﷺ وهو المثل الأعلى للهمة والنجدة والمروءة، وكانت مسنة ولم يكن معه غيرها ومكث معها خمس سنين إلى أن تزوج بالسيدة عائشة - رضي الله عنها - في السنة الأولى من الهجرة.

فترى من هذا أنه ﷺ لم يتزوج السيدة سودة إلا لإيوائها وتعويضها خيرًا من زوجها الذي مات معها حريصًا على إيمانه فارًا بعقيدته وتآلفًا لقومها وقوم زوجها الذين أسلموا ونالوا صحبته ﷺ.

فقل لي بربك، أين الشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

زواجه بالسيدة عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا:

وتزوج بالسيدة عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكلنا يعلم من هو أبو بكر الصديق الذي كان معه: ﴿**ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠]. ولم يتزوج بكرًا غيرها.

وإذا علمنا أنه لم يتزوجها إلا وهو ابن خمس وخمسين سنة وعلمت أنه لم يرد إلا مكافأة أبيها وإحكام الرابطة بينهما وقد كانت - رضي الله عنها - واسطة في نقل الأحكام والتشريعات إلى سواد الأمة الإسلامية خصوصًا ما يتعلق منها بالنساء. فقل لي بربك أين الشهوة والميل إلى النساء في هذا!!

زواجه بالسيدة حفصة رَضِيَ الله عَنْهَا:

وتزوج بالسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكانت زوجًا لخنيس بن حذافة، ومات عنها من جراح أصابته ببدر، وتزوجها رسول الله ﷺ مكافأة لها وحبًّا في أبيها الذي سره كل السرور هذا النسب الشريف، ورغبة في إيوائها

وتعويضها عن فقد زوجها الذي قتل في سبيل الله وهو يدافع عن الله ورسوله ودينه. فقل لي بربك أين الشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

زواجه بالسيدة زينب بنت جحش رَضِيَ الله عَنْهَا:

وتزوج بالسيدة زينب بنت جحش، وهي ابنة عمته كان قد زوجها لمولاه زيد بن حارثة ليرفع من شأن الأسير الكسير، ويعلي من قدره ويجعله أصلاً لمصاهرة بني هاشم، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣].

وقد تزوجها ﷺ بعد طلاقها من زيد بوحي من الله تعالى للتشريع: ﴿**لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقد كان زواجه بها إعفاء من إهمال يصيبها بعد طلاق يذلها فيقضي عنها الخاطبين الذين لا يتقدمون مختارين إلى مطلقات الأحرار فما بالك بمطلقات الأرقاء. فقل لي بربك أين الشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

زواجه بالسيدة زينب بنت خزيمة رَضِيَ الله عَنْهَا:

وتزوج بالسيدة زينب بنت خزيمة وكانت زوجًا لعبد الله بن جحش - رضي الله عنهما - فقتل عنها يوم أُحد فتزوجها ﷺ إيواء لها وجبرًا لمصابها في زوجها وحفظًا لدينها.

فقل لي بربك أين الشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

زواجه بالسيدة أم سلمة رَضِيَ الله عَنْهَا:

وتزوج بالسيدة أم سلمة (هند بنت أبي أمية) وكانت زوجًا لابن عمها عبد الله بن عبد الأسد، وكانا أسلما قديمًا وهاجرا إلى الحبشة، ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة، فمات أبو سلمة من جرح أصابه في غزوة أحد فتزوجها ﷺ فأواها وحفظها.

ويروى عنها: «أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِم تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيسترجع ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ**» قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَحَفِظْتُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ اسْتَرْجَعْتُ وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ لِي خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ

هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ».

فترى من هذا أنه ﷺ تزوجها ليعوضها خيرًا من زوجها الذي فقدته وكانت كثيرة الأولاد فآواها وآوى أولادها وقام لشئونها جزاء لها على هجرتها وإيمانها وثباتها ووفائها.

فقل لي بربك أين الشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

زواجه بالسيدة أم حبيبة رَضِيَ الله عَنْهَا:

وتزوج بالسيدة أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان) وكانت زوجا لعبيد الله بن جحش وقد هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ثم تنصر زوجها ومات هناك وثبتت هي على إسلامها وأبت أن تتنصر معه وخالفته واختارت الإسلام عليه فأتم الله تعالى لها الإسلام والهجرة والصحبة وأكمل لها الشرف بزواجها من رسول الله ﷺ.

وقد خطبها ﷺ من ملك الحبشة حين سمع بانقطاعها وفقد نصرائها. فقل لي بربك أين الشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

زواجه بالسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية رَضِيَ الله عَنْهَا:

وتزوج بالسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية بعد وفاة زوجها وسنها رَضِيَ الله عَنْهَا زهاء خمسين سنة وقد تزوجها إيواء لها وتألفًا لقومها وقد أسلم بسبب هذا الزواج كثير من قومها، منهم: ابن أختها سيف الإسلام خالد بن الوليد.

فقل لي بربك أين الشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

زواجه بالسيدة جويرية بنت الحارث رَضِيَ الله عَنْهَا:

وتزوج بالسيدة جويرية بنت الحارث بن ضرار وكانت زوجًا لمسافع بن صفوان المصطلقى[١]، وقد قتل كافرًا يوم المريسيع[٢]، وأخذت سبية ضمن سبايا وأسرى بني المصطلق وكانت سيدة بني المصطلق وبنت سيدهم فأعتقها ﷺ وتزوجها فلما سمع

---

(١) من بني المصطلق.

(٢) من غزوات الرسول ﷺ، وكانت مع بني المصطلق في السنة السادسة من الهجرة.

المسلمون بذلك أعتقوا ما في أيديهم من سبي بني المصطلق عن بكرة أبيهم، وحسن إسلامهم.

فترى من ذلك أنه لم يتزوجها سوى رغبة في إسلام قومها وقد أنقذها من الأسر وأعتقها من الرق وأعزها من الذل. فقل لي بربك أين الشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

زواجه بالسيدة صفية بنت حيي رَضِيَ الله عَنْهَا:

وتزوج بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير، قتل أبوها مع بني قريظة وكان زوجها سلام بن مشكم القرظي ثم فارقها فتزوجها كنانة بن أبي الحقيق وقتل عنها يوم خيبر[١] فأخذت رَضِيَ الله عَنْهَا في السبي فخيرت بين العودة إلى قومها وزواجها بالرسول فاختارت الخيرة فأعتقها ﷺ وتزوجها رغبة في إسلام قومها من اليهود وقد أسلم كثير منهم.

فقل لي بربك أين الشهوة والميل إلى النساء في هذا؟!

حقًا ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ التِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عِبادِهِ الذين اصطفى.

وبعد...

ويتضح مما تقدم أن الرسول ﷺ لم يتزوج إحداهن إلا لأسباب دينية ومقاصد أخروية لا تمت إلى الشهوة بسبب ولا تتصل إلى الميل للنساء بصلة.

هذا عدا أن هناك حكمة لهذا التعدد من أجل الحكم وهي نشر الأحكام الخاصة بالنساء والتي لا يستطيع تبليغها الرجال كالطهارة والغسل والحيض والنفاس والولادة

---

(١) كانت غزوة خيبر في صفر من السنة السابعة من الهجرة.

والرضاعِ إلى غير ذلك من الأحكام التي لا يستطيع إفهامها للنساء على وجهها الأكمل سوى النِّسَاء.

ولا يمكن بحال أن تقوم بمهمة تبليغ الأحكام لسائر نساء المسلمين على اختلاف طبقاتهم في ذلك الحين امرأة واحدة بل عدة نساء من عدة قبائل وبذلكِ يتم ما أراده الله تعالى من إظهار نوره وبسط شرائعه، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقد ثبت أنهن أذعن عنه ﷺ علمًا وفضلًا وفقهًا ولو كان ﷺ يريد بالتعدد ما يريده سائر الملوك والأمراء من التمتع واللَّذة ليس غير لانتخب الحسان الأبكار والكواعب والأتراب ولم يتجه صوب هؤلاء الثيبات المكتهلات.

فهل يأتي بعد هذا مبشر غِرٌّ عُتل زنيم ويقول عن محمد ﷺ إنه شهواني يميل إلى النساء؟ في حين أن في ديانتهم ومعتقداتهم ما ننزه ألسنتنا عن ذكره وأقلامنا عن تدوينه؟

فسبحان من هدانا لدين الحق، دين النور، دين الفطرة، وأظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

وفضلا عن ذلك فلم تكن علاقاته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بزوجاته كعلاقة أي زوج مهما دنا وبأي زوجة مهما علت؟

فقد عاشرهن السنين الطوال فلم تفلت من لسانه الكلمة النابية بل الكلمة الرقيقة، ولم تبد على سماته النظرة القاسية بل النظرة الحانية.

وما من رَجُل بلغ ما بلغ من المروءة والدقة وسعة الصدر إلا واستحال رضاه إلى غضب في ساعة ما، وبدا منه التذمر والتضجر إزاء تصرف ما، وبدرت منه بوادر الشَّرِّ ونذر السوء حيال عمل ما.

ولكن الرسول ﷺ الذي أوتي جماع الفضائل، وبعث ليتمم مكارم الأخلاق، الرسول ﷺ الذي أرسل من البشر ليعلي من أقدار البشر ويرفع من شأنهم ويسمو بنوعهم لم يكن كذلك ولم يكن هذا منه ﷺ ترددًا أو ضعفًا بل كان كمالاً وجلالاً، فإن

الضعف الاختياري: أقوى من سائر القوى وأكمل من سائر الكمالات، وهو خير مقياس للعظمة الإنسانية في أجمل صورها وأرفع مراتبها.

فإنه مَن يقهر نفسه باختياره ليترفق بضعيف لا طاقة له باحتمال القهر، ولا غنى له عن طلب اللين والرفق، فهو الشجاع الباسل القوي» ا.هـ.

اللَّهُمَّ يَا وليَّ الإسْلام وأهلِهِ، مَسِّكْنَا بالإسْلام حتى نَلقاك

آمين... آمين... آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

✡✡✡✡✡

الفهرس